

صلاح نصر

حرب العقل والعرفة



الوطن العربي



عَرَبٌ الْعَقْلُ وَالْمَعْرِفَةُ

مَلَكَةُ فَهْر



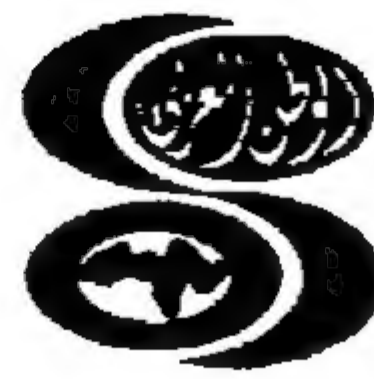
الوطن العربي
للنشر والتوزيع



بيروت - لبنان - حق. ب. ١١ ١٦٩٥

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثالثة
١٩٨٥

الوطن العربي
للنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب. ١١/١٦١٥



المقدمة

من الصعب عند الكتابة عن اعمال تتعلق بأجهزة المخابرات ، أن ندلي ببيانات لا تتعرض الى ما يمس أمن الدولة ، فمن المسلم به ان احدا لا يكاد يتعرض الى بعض الاعمال التي توفق المخابرات في ادائها حتى يكشف عن شيء أو أشياء يفيد منها عدو أو احد الخصوم ، ومن ناحية أخرى تخرج معظم المؤلفات التي تعرض للمخابرات - عادة - في صورة مهينة تحط من كرامتها ، واعتاد كثير من القادة العسكريين والسياسيين الى عهد قريب أن يهونوا من شأنها ، فاذا رأينا كلاوز فيتز يقول في موضع من كتابه « ان المخابرات هي التي تمد القائد بالاسس التي يبني عليها قراراته وجميع ما يقوم به من اعمال » ، يقول في موضع آخر ان قسما كبيرا من المعلومات التي تحصل عليها المخابرات ابان الحرب يشوبه التناقض ، وان قسما كبيرا منها ايضا مزيف ، وللقسط الاكبر منها طبيعة مريبة . والطريف ان الملك جون بطل المسرحية التي كتبها شكسبير يعبر عن رأيه في هذا الموضوع وذلك بعد أن تخلص عنه عملاؤه وجواسيسه فقال : « هل كان رجال مخابراتنا سكارى ؟ هل كانوا نياما ؟ » . وبهذا القول يدمغ المخابرات بوصمة ساخرة مضحكة ! .

الا انه بالرغم من هذه الاتهامات فلمخابرات دورها الخطير للغاية، وكان تطورها خلال الحرب العالمية الاخيرة واسع المدى ، حتى لقد صار لها اليوم فلسفة واضحة المعالم محددة الاهداف .

وفي هذا الكتاب نريد أن نعرض جوانب من فلسفة المخابرات في هذا العصر ، واذا كنا نضع في تقديرنا تقسيم دائرة المعارف البريطانية للمعلومات الى - انسانية ، وحيوانية ، وعسكرية - فلا بد ان نقدر ايضا الصورة التي تربط جهاز المخابرات برأس الانسان من حيث أن

مصادر المعلومات تتمثل في مراكز الاحساس الموجودة به ، فالعينان هما بمثابة وسائل الاستطلاع والاذنان بمثابة جهاز الاستماع الى الاذاعات ، والحواس تنقل ما تلاحظه الى المخ حيث تحدث عملية الترابط والتنسيق .

على أن المخابرات في طبيعتها يشوبها بعض الاضطراب نتيجة الغموض أو الابهام الذي احاط بالكلمة وبالعمل الذي تؤديه ، كما تتجسوء الفهم ايضا نتيجة للتنوع الكبير في أنواع المعلومات ومصادرها ووسائل الحصول عليها وجمعها . ويقول شيرمان كنت في كتابه « المخابرات الاستراتيجية » : « ان المخابرات معرفة وتنظيم وعمل ، هذا عدا ان بعض العمليات الخارجية كالأعمال السياسية السرية فيما وراء البحار وما اليها تضيف مزيدا من هذا الاضطراب » . وقد وصف الليفتنانت جنرال جيمس دوليتل عملية المخابرات في كلمات غير أكاديمية جاء فيها : « ان الحصول على المعلومات وجمعها شيء ، وتصنيف هذه المعلومات وإيضاحها شيء ثان ، أما استخدامها فهو امر ثالث غير الأولين » .

ولكن شيئا هاما لم يذكره الجنرال دوليتل ، وهو أن الأقسام الثلاثة يجب ان تكون متصلة متناسقة معا الى اقصى درجة ممكنة .

والمخابرات القومية « الاستراتيجية » هي التي يمكن ان نعرفها بأنها المخابرات التي تغطي الاستراتيجية القومية ، والتي تسمو درجة أو تزيد أهمية على احتياجات أية مصلحة واحدة من مصالح الدولة .

ان دارس الفلسفة ومن يعمل في النظريات الادارية ، والمراقب الذي يعنى بالنظريات السياسية سيجد مسائل كثيرة اساسية تعرض له حينما يناقش العلاقة بين المخابرات القومية وبين السياسة العامة . والدراسة التحليلية الوصفية التي ستجىء في هذا الكتاب لا تعني تكملة بحث الفيلسوف ، ولا دراسة من يعنى بالنظريات السياسية او النظريات الخاصة

بأعمال الحكومات ، بل الواقع أن الهدف من هذه الدراسة يقتصر على وصف المخبرات بحدودها الشاملة وما تتضمنه من أعمال علنية او سرية .
لقد كانت الفلسفة عند اليونانيين القدماء « هي الحكمة » * ، أي المعرفة بمعنى معرفة « العالم والانسان » ، وقد تمكن الانسان بواسطة هذه المعرفة من ايضاح قواعد العمل الانساني وتحديد موقف معين من الحياة .

ولقد ظلت هذه الكلمة قائمة منذ ذلك العصر لانها تعبر عن حاجة انسانية مستمرة وكثيرا ما تعطي معاني مختلفة ولكن اكثر هذه المعاني ثبوتا هو : « ان الفلسفة مفهوم شامل للعالم يمكن ان نستنبط منه طريقة معينة في السلوك » .

ويقول جورج بوليتزر في كتابه المبادئ الاساسية للفلسفة :
« لنفرض أن كل الناس يعتقدون ان الحقيقة لا يمكن معرفتها ، انهم سيصبحون عندئذ لا حول لهم ولا قوة ازاء الحروب والكوارث وعليهم ان يتقبلوها ، بقضاء وقدر » .

والواقع اننا نعيش اليوم في عالم أشبه بغابة ملأى بالوحوش ، ويبدو ان قانون الغاب هو الذي يتحكم في العلاقات الدولية « عش لتأكل وتؤكل » .

وهذا هو ما يجعل للمعرفة من اجل الوصول الى الحقيقة الدور الاساسي في درء هذا الخطر ، فتكون المخبرات المعرفة والعمل في اوسع معنيين لهما ، وهذا ليس ببعيد عما جاء في تعريف كلمة فلسفة .
والواقع ان المخبرات هي مفتاح القرارات ، اذ ليس ثمة اكثر احراجا في اعداد القرارات القومية اكثر من العلاقة بين المخبرات والسياسة ، او بمعنى اوضح العلاقة بين المعرفة والعمل ، وقليل من

* المعنى الدقيق لكلمة فيلسوف هو محبة الحكمة ، والحكمة هي الفلسفة

الناس حتى اولئك الذين يعرفون الكثير من المسائل العامة هم الذين يلمسون وجودها ، فضلا عن ان قليلين منهم هم الذين يستطيعون تقييم الدور الحاسم الذي تقوم به المخابرات في رسم السياسة القومية .

على ان مميزات عالم المخابرات واعمالها المستترة وحقائقها اضعف واكثر اثارة للرعب من القصص التي يتخيلها اكبر روائي الاجرام مثل جان بوشان واريك ميلر . والفارق الوحيد بين الخيال الروائي وبين الحقائق في هذا الميدان ، هو أن ابطال الروايات يتسمون بالهجاعة والاقدام والاعمال الخارقة في جو روماتيكي ، على حين ان اشخاص عالم المخابرات ليسوا كذلك ، بل انهم في الغالب اشخاص عاديون لهم نفس الخواص البشرية للانسان العادي من حيث الخوف والانفعال ، ويسلكون سلوك الانسان الطبيعي . وبالرغم من ان رجال المخابرات اذكاء ، فان ذكاءهم ليس هو الحكم دائما .

ان نظم المخابرات واساليبها معروفة مهما تكن جنسية الجهاز . أما ما لا يجب أن يفشى ، فهو أين وكيف ومتى استخدمت او سوف تستخدم هذه الاساليب في عمليات معينة .

واذا كانت السرية مطلوبة في معظم أنشطة المخابرات ، فان النغمة والوعي قد يكونان ضروريين لازالة كثير من الغموض الذي يعلق باذهان المواطنين ، وذلك بنشر الحقائق التي لا تضر أمن الدولة والتي تقرب الى الناس مفهوم المخابرات الحقيقي ، وكذا رسالتها الكبرى ودورها في المحافظة على الامن القومي للدولة .

فالمخابرات في سبيل تحقيق المعرفة التي أصبح لا معدى لاية دولة عصرية ان تعيش بدونها ، تحوي بين ضروب نشاطها عملية ضخمة باهظة التكاليف نتيجة تلك الحروب التي تشنها أجهزة المخابرات المعادية ضد

بعضها البعض ، حيث لا تكون هناك حرب ساخنة يستخدم فيها السلاح التقليدي ، وانما حرب تعتمد على المواهب العقلية والذهنية ، سواء في نشاطها الايجابي كالقيام بأعمال التجسس ، او في المخاطر الوقائية ومقاومة التجسس .

وفي هذا الجزء من نشاط المخبرات يلعب الذكاء دورا كبيرا ويستغل كل طرف كل الوسائل العلمية والفنية والعقلية لشل خصمه .

واذا اذ اقدم لقراء العربية كتاب « حرب العقل والمعرفة » انما أحاول أن أعبر عن فلسفة المخبرات ونشاطها في حدود هذا المفهوم ، فالمخبرات علم شاسع يحتاج كل فرع فيه الى مؤلفات عدة ! .

ان هدفي من هذا الكتاب هو أن ابرز للقارئ العربي مفهوما اعتقد انه كان غير واضح في مجتمعنا حيث اسيء الخلط بين مهمة المخبرات واجهزة الامن الاخرى . وقد عقدت الكتاب الاول في المخبرات من زاوية المعرفة ، اما الكتاب الثاني وهو تحت الطبع فينفرد بمعركة الذكاء من زاويتي التجسس ومكافحته ، والفروع المتعلقة بكل منهما .

على انني اود ان اوضح هنا انني وضعت هذا الكتاب معتمدا على المراجع العلمية العلنية وعلى خبراتي الشخصية ، ولم أشأ ان اشير الى « اعمال جهاز المخبرات العامة » وذلك حفاظا على أمن الدولة ، اللهم الا حينما كنت أضرب بعض الامثلة التي سبق ان نشرت والتي لا ضرر من ذكرها .

كما ان ما جاء بهذا الكتاب اراء شخصية لا اضفي عليها صفتي كرئيس سابق لجهاز المخبرات العامة ، بل اكتبها كمواطن عادي يريد ان يبعد عن أي مؤثرات سياسية .

وارجو ان يلاحظ القارىء ان هذا الكتاب كان قد تم عام ١٩٦٧ م ولكن ظروف الرقابة التعسفية اذ ذاك وقت عائقا لولادته ولم أشأ ان اغير كثيرا منه لان بالكتاب كثيرا من التنبؤات اعتقد ان معظمها قد تحقق في السنوات الخمس الماضية ، ولذا آثرت نشر الكتاب كما انتهت من وضعه في نهاية عام ١٩٦٧ مع اضافات طفيفة لا تذكر .

على انني قد اكون جاحدا اذ لم افوه بالفضل لكل من عمل معي في الاحد عشر عاما التي رأست خلالها جهاز المخابرات العامة ، اذ بذل هؤلاء العرق والدم والتضحية في سبيل اعلاء شأن هذا الجهاز .

ولقد كان لهم النصيب الاكبر في نجاح عملياتنا ونشاطنا . وسوف يذكر لهم التاريخ ذلك ويقدرهم مهما حدث من ظروف ، ومهما اثير من مهاترات الحاقدين ، ولمزات النمازين ، ومهما تعرضوا لمحن تنأى عن حملها الجبال .

واخيرا اسأل الله التوفيق ، واضرع اليه سبحانه وتعالى ان يرشدنا الى الهداية الحققة والحقيقة الهادية ، وان يرعى هذا الوطن ، ويحفظه من اطماع الظالمين .

القاهرة في ٢٣ يناير ١٩٧٥ م

صلاح نصر

الفصل الاول



بين الماضي البعيد والحاضر

مصادر المعلومات
قديمًا - قصة العملاء
والجواسيس - استخدام
صان تزو للعملاء -
امبراطورية جنكيز خان
- مخابرات العصور
الوسطى - جاسوسية
عصر نابليون - تطورات
القرن التاسع عشر -
مخابرات الحرب العالمية
الاولى - مخابرات
الحرب الثانية -
مخابرات عصر الفضاء .

حقاً ان الرغبة في التعرف على المعلومات مقدما متأصلة لا جدال في غريزة حب البقاء للحيوان والانسان ، فالكثير من مملكة الحيوان تستكشف الغاب لتبحث عن المأكل والمأوى ونرى أنواعا كثيرة من الطيور تهاجر آلاف الاميال حيث تجد المكان المناسب لتضع بيضها .

أما في الانسان فاتنا نلاحظ منذ بداية التاريخ أن حياته على الارض تتطلب منه استفسارات عدة مقدما عن موقفه ومستقبله كعضو في الجماعة التي يعيش فيها .

كانت مصادر المعلومات في قديم الزمان حينما كان الانسان يؤمن بتدخل القوى الخارقة للطبيعة في شئون الناس ، تتشكل من الكهنة والعرافين والسحرة، وهؤلاء كانوا يوهمون الناس بأنهم على صلة بالآلهة، ولما كانت الآلهة تعرف ما سوف يحدث مستقبلا لأنها هي التي نظمت نتائج الاحداث ، فقد كان من المنطقي أن يلجأ الانسان لمعرفة قصدها عن طريق السحر والمعرفة وكذلك عن طريق النجوم والاحلام .

ويضم تاريخ الاديان أمثلة لا حصر لها لما تخبئه قوى الآلهة بالنسبة للانسان سواء كان ذلك بناء على رجائه أو بدونه . ولكن قليلا منها هو الذي يتعلق بشئون الدولة العملية ، وما تسفر عنه من مغامرات عسكرية أو ما يشبه ذلك .

ومن ثم انتشرت الكهانة في الديانات القديمة ، وصار رجال الدين مصدرا للتنبؤات التي تستهدف حل مشاكل الانسان ، وهكذا كبر الاعتقاد في القوى الميتافيزيقية وفي جدواها وفي مداه بما يحتاج اليه من معلومات .

ولقد بذل الحكام الجهد منذ عصور عريقة القدم للحصول على معلومات عن البلاد المنافسة التي تقف منها موقف المواجهة أو الخصومة،

وكانت جيوشها أيضا تقوم بالتعرف على معلومات عن الجيوش المنافسة ،
وطبوغرافية مسارح العمليات الحربية المحتملة أو المتوقعة .

وكان من الميسور الحصول على معلومات عسكرية محلية في أثناء
العمليات العسكرية ، أو قبل المعركة من السكان المحليين ، كما استخدمت
الخيالة كدوريات استطلاع ، في الوقت الذي استخدم فيه العملاء
والجواسيس والخونة والرحالة المتقلون بين البلاد للحصول على
المعلومات طويلة المدى .

على أن هناك نوعا آخر من عمليات المخابرات ورد في التوراة ،
وفيه يطلب الرب من الانسان أن يسأل عن المعلومات في التو واللحظة .
فعندما كان موسى عليه السلام في البرية مع بني اسرائيل ، ألهمه الرب
أن يوفد رئيس كل قبيلة من قبائل اسرائيل ليتجسس على أرض كنعان ،
التي كان الرب قد عينها لتكون وطنا له . وقام موسى بتزويدهم
بالمعلومات ، وطلب منهم ان يسروا البلاد ، ويتعرفوا عليها ويعرفوا
سكانها ، وما اذا كانوا أقوياء أو ضعفاء ، قلة أو كثرة . وسافر الرؤساء
وأَمْضُوا في مهمتهم أربعين يوما . وعندما عادوا قالوا لموسى وهارون ان
البلاد تفيض باللبن والعسل ، وعرضوا عليها بعض فاكهتها من عنب
ورمان وتين .

واختلف اثنان عن زملائهما وقالوا ان سكان هذه البلاد أقوى من
بني اسرائيل .

قالا : ان رجال هذه البلاد ذوو قامات طويلة ، وان مدنهام تحيط
بها الاسوار المنيعة . وتامل بنو اسرائيل محتجين على موسى وهارون ،
فقرر الرب ان يضربوا في البرية زهاء أربعين سنة نظرا لقلّة ايمانهم ، أي
سنة في مقابل كل يوم امضاه الجواسيس في تلك البلاد .

وفي هذه المهمة الاستطلاعية ما يستحق النظر لاول وهلة . فأولا

إذا كان المطلوب هو معرفة وجهة نظر غير متحيزة عن طبيعة بلاد كنعان وطبيعة أهلها ، كان الانسب منع ارسال زعماء سياسيين في مهمة اخبارية •

وفضلا عن ذلك فلم يكن موسى أو هارون في حاجة الى طلب بيانات عن ارض كنعان لانهما كانا يؤمنان بالرب • فالغرض الحقيقي من هذه المهمة كان اختبار زعماء القبائل الاسرائيلية ومدى تحملهم والثقة فيهم • ولذا فانه حينما لم يصمد سوى اثنين فقط ، حكم الرب على بقيتهم ان يضربوا في الصحراء حتى يخرج جيل جديد يستطيع تسلم مقاليد الامور •

ومثال آخر عن اعمال المخابرات نلاحظه في غزوة بدر الكبرى ، فاتحة النضال المرير بين المسلمين واعدائهم ، وقد برهن محمد عليه السلام على عبقرية عسكرية فذة ، فقد سلك ما يجب أن يسلكه كل قائد محنك في الميدان ، اذ لم يسمح لقواته بالتقدم قبل أن يستطلع موقف العدو ، ويحصل على المعلومات اللازمة عن قواته ومواقعه ليقرر خطته بعد ذلك •

وحينما كانت قوات المسلمين تكمن في وادي ذفران ، ارسل النبي ما نطلق عليهم اليوم « دوريات استطلاع » ، مكونة من علي بن ابي طالب والزبير بن العوام ، وسعد بن ابي وقاص ، وقرن من المسلمين الى ماء بدر بغرض استطلاع اخبار المشركين • وعادت الدورية ومعهما غلامان عرف منهما الرسول انهما من جيش قرش •

وأجرى الرسول بنفسه استجواب الغلامين فسألهم - كم القوم ؟ فقالا : « كثير عددهم ، شديد بأسهم » فسألهم الرسول كم عدتهم ؟ قالوا : « لا ندري » فقال لهما الرسول : كم تتحرون من الجزر كل يوم ؟ قالوا : « يوما تسعا ويوما عشرا » ، فاستبطن الرسول بذلكانه المتوقد ، انهم ما بين التسعمائة والالف ، ولما عرف من الغلامين ان

اشراف قریش جميعا خرجوا في هذا الجيش ، التفت الى المسلمين قائلاً :
« هذه مكة قد ألت اليكم افلاذ اكبادها » .

ولا شك أن تاريخ المخابرات ، والحصول على معلومات منفصلة
عن أعمال الاستطلاع العسكري في الميدان لهو قصة العملاء والجواسيس،
ومن الصعب وضع معنى دقيق لكلمة جاسوس ، فالكلمة تحمل أكثر من
معنى بالنسبة للدولة ، وبالنسبة للظروف المحيطة عند العمل بالمخابرات .
فالشخص الذي يحاول الحصول على معلومات وهو يرتدي كسوته
العسكرية ليس جاسوساً ولا عميلاً ، بل هو « كشاف » أو رجل
استطلاع ، ويمنحه القانون الدولي حصانة توجب معاملته معاملة أسرى
الحرب ، أما الشخص الذي يكون دوره هو الحصول على معلومات
سرية بواسطة وسائل سرية خفية مع ارتدائه ثياباً مدنية ، فإنه يصبح
جاسوساً أو عميلاً ، ويتعرض في أغلب البلاد الى حكم الاعدام اذا
قبض عليه .

وبالإضافة الى ذلك فإن الشخص يكون خائناً كما يكون جاسوساً
أو عميلاً ، اذا كان يعمل في خدمة دولة أجنبية ضد بلاده ، ولقد أثبت
الصعاب في محاولة تفسير هذه التعاريف في حالة القوات غير النظامية ،
التي لا يرتدي أفرادها ملابس عسكرية أو أكسية متعارفاً عليها يمكن
تمييزها بسهولة ويسر ، وكذلك بالنسبة للقوات الثورية .

ويعطينا « صان تزو » في أحد فصول كتابه « فن الحرب » تحت
عنوان « استخدام العملاء السريين » أساس الجاسوسية كما كانت تمارس
بواسطة الصينيين في عام ٤٠٠ ق.م ، وهي شديدة الشبه بما يمارس
اليوم . يقول : « هناك خمسة أنواع من العملاء ، الوطنيون والاجانب
والمزدوجون والموهون والاحياء » . فالنوعان الاول والثاني هما ما نطلق

عليه في الوقت الحاضر « عملاء المنطقة » ، حيث يقومون بالتجسس على دولة ما لحساب دولة أخرى . والمزدوجون عبارة عن تعبير يطلق على عميل من عملاء العدو تم القبض عليه و لرساله بواسطة أسريه ليتجسس على بلاده . أما العملاء الموهون فهم الذين ينشئون المعلومات الكاذبة بين الاعداء ، وكانوا يعدمون اذا اكتشف الاعداء كذب معلوماتهم . أما العملاء الاحياء فهم الذين يصلون الى مكان العدو ، ويحصلون على افراد من الاعداء ، ثم يعودون سالمين الى بلادهم .

ولا يقتصر فضل « صان تزو » على هذا التحليل المدهش لطرق الجاسوسية ، ولكن يعود اليه فضل كتابة أقدم التوصيات عن انشاء جهاز المخابرات . وهو يوضح لنا ان المخابرات الممتازة هي التي تستخدم كل الانواع الخمسة من العملاء في نفس الوقت ، ويشبه هذه العملية بشبكة لصيد السمك مكونة من جبل واحد يضم خمسة انواع من الشباك .

لا تقف مساهمة « صان تزو » عند هذا الحد ، وانما هو يكتب تعليقاته على المخابرات المضادة، وعلى الحرب النفسية، وعلى الخداع، وعلى الامن ، وعلى المزيين - وبوجه عام على كل حرفة المخابرات .

ولقد كشفت المخابرات الحديثة عن أن امبراطورية جنكيز خان قامت على مستحدثات عسكرية مليئة بالجرأة ، واثبتت انتفاعه الكامل باعمال المخابرات وجمع المعلومات . لقد استخدم المغول الجاسوسية للحصول على المعلومات اللازمة لشن حملاتهم ، كما لجأوا الى الشائعات وغيرها من وسائل المبالغة لتجسيم عدد قواتهم وقوة جنودهم ، ولم يكن يصحهم ماذا يمكن ان يظن اعداؤهم ما دأبوا ينتفضون من الخوف والرعب . وقد وصف الاوربيون خيالة المغول الضاربة ، وان كانت أقل عددا من الحقيقة ، على أنها جحافل لا حصر لها ، ذلك لان عملاء المغول

كانوا يهيمسون بمثل هذه القصة في الطرقات • والى اليوم لا يقدر أغلب الاوروبيين سرعة هذه القوات ، ولا مهارة القيادة ، وهما الامران اللذان توافرا للمغول عندما وجهوا لهم الضربات منذ سبعة قرون •

ولقد استخدم جنكيز خان جواسيس العدو كوسيلة لارهاب جنود العدو أنفسهم ، وعندما كان يستميل جواسيس العدو الى جانبه ، كان يلقيهم الشائعات التي ينشرونها بين قواتهم • ولترقب ماذا يقول أول اوروبي أرخ لجنكيز خان واصفا في كلماته غير المألوفة الآن كيف ان جنكيز خان اطلق « خلية النحل » على ملك خوارزم ، أي جعله يعيش دوامة من الاضطراب • يقول المؤرخ :

« ولقد جعل الجواسيس الذين بعث بهم ملك خوارزم لرؤية قوة وتعداد جيش جنكيزخان يصفون الامر بهذه الصورة : انهم - كما قال الجواسيس للسلطان - كاملو الرجولة شجعان لهم مظهر المصارعين لا يستشقون شيئا الا رائحة الحرب والدماء ، ويبدون تشوقا الى القتال ، حتى انه من النادر ان يستطيع القادة السيطرة عليهم وتهديتهم • ومع هذه الوحشية التي يبدون بها فانهم يجيدون الضبط والنظام ، ويطيعون قائدهم طاعة عمياء ، ويدينون بالولاء لاميرهم الى آخر حدود الرلاء ، ويقنعون بما يصل اليهم من طعام • وليس من المدهش ان يختاروا الوحوش لياكلوها ، ومع انهم مسلمون فلم يكن من الصعب ان يستعيضوا لوقا من الغذاء عن لبن آخر ، فهم لا ياكلون لحوم الخنزير فحسب بل انهم ياكلون الذئب والديبة والكلاب ، عندما لا يكون هناك اي نوع آخر من اللحوم ، ولا يفرقون بين ما يجوز شرعا ان ياكلوه وبين ما لا يجوز • وتضطرهم الحاجة الى الطعام ، لقوام الاود ، الى تناول كل ما يحرم على المسلمين تناوله من لحوم بعض الحيوان • ثم يختتم الجواسيس كلماتهم بقولهم - اما عن عدد قوات

جنكيز خان فان القوات تبدو كالجراد « ابو النطيط » من المستحيل
حصرها او احصاؤها .

والواقع ان الامير اجري عرضا لجنوده لاحصائهم فوجدهم
سبعمائه الف جندي » . ولا يزال جواسيس العدو اليوم - كما
كانوا بالامس - لهم نفوذهم في اضعاف معنويات العدو . ولقد قام ملك
« خوارزم » وشعبه بقتال رهيب بالرغم من توقعهم انهم يواجهون مقاتلين
ياكلون الذئاب ولا حصر لعددهم ، ولكنهم كانوا قد تركوا قوة المبادأة
بين يدي جنكيز خان ، ومن ثم كان مآلهم الهزيمة .

* * *

على أنه منذ أيام القرون الوسطى والى عصر النهضة ، كانت
الدبلوماسية والمخابرات مرتبطتين معا ارتباطا وثيقا ، الى حد ان السفراء
الاجانب كانوا يعتبرون احيانا أفضل من الجواسيس . ولقد اقامت
جمهورية البندقية بخاصة سفارات وهيئات دبلوماسية خارج بلادها ،
وكانت تتسلم من يمكن تسميته في ايامنا هذه بتقارير المخابرات من
السفراء والعلماء .

ففي القرن الخامس عشر اسهم الايطاليون اسهاما هاما في عملية
جمع المعلومات عندما أنشأوا السفارات الدائمة لهم في الخارج . وكان
مبعوثو البندقية يتمتعون بمهارات خاصة في جمع المعلومات
الاستراتيجية . وكانت تقاريرهم على درجة عالية من الاتقان ، اذ كانت
تحتوي على الملاحظات الدقيقة والاحكام التي تتسم بالدهاء . ولم تكن
السفارات الدائمة تقتصر في عملها على هذا النوع من الملاحظات ، بل
انها كانت مصدرا لتشكيل شبكات جاسوسية منتظمة . ولم يكد يبدأ
القرن السادس عشر حتى كانت معظم الحكومات الاوروبية قد نهجت
ما نهجته الولايات الايطالية .

ولما كان رسم الخرائط فنا غير معروف في الازمنة القديمة ، فقد كانت المعلومات الخاصة بالجغرافيا المحلية عنصرا هاما من عناصر المخابرات . ان معرفة مخاضة للنهر قد تساعد الجيش على أن ينجو من التطويق ، وان اكتشاف طريق في الجبل يمكن ان يمهّد طريقا للمرور عبر موقع منيع للعدو .

وفي الامكان حث السكان المحليين على اعطاء مثل هذه المعلومات بأنواع من المغريات ، فمثلا منح لويس التاسع بدويا مكافأة كبيرة حينما أرشده الى مخاضة في أحد فروع النيل يعبر فوقها الى جيش المصريين المتكثل في المنصورة ، وبهذه الصورة عاونه على ان يشن هجوما مفاجئا على جيش بلده .

ولقد أخذت الجاسوسية في بريطانيا مأخذ الجد ايام حكم الملكة اليزابيث الاولى عندما نظم السير « فرنسيس ولسنجام » جهاز مخابرات ضخماً ، للحصول على معلومات عن القارة وبخاصة اسبانيا ، ولقد كان اقبال « ولسنجام » على أعمال المخابرات وشغفه بها كبيرا ، لدرجة أنه عندما لم تكن تتوافر ميزانية عامة ، كان يتولى الانفاق عليها من ماله الخاص ، وقد وجه لأعمال المخابرات ثروته الطائلة وأنفقها عن آخرها . ويمكننا ان نرى اصبع ولسنجام خلف كثير من الاحداث التي وقعت في اثناء حكم الملكة اليزابيث . وكان عمله تمهيد الارض ، وجمع المعلومات اللازمة ، وتدير المؤامرات وكشفها ولم يكن هناك اسلوب من اساليب الجاسوسية لم يستخدمه . ويعود الفضل اليه في انه هباً لاليزابيث الاولى العذر لكي تصدر حكمها باعدام ماري ملكة اسكتلندا عندما دبّرت مؤامرتها الضعيفة للجلوس على العرش .

وكان ولسنجام يرسل الموهوبين من خريجي جامعتي اكسفورد

وكمبريدج للدراسة في فرنسا ، والتغلغل في البلاط الملكي لكي يتعرفوا على نواياها ضد انجلترا . ويبدو أن كرسنوفر مارلو كان احد هؤلاء العملاء . وكان قتله المبكر في حانة ديتفورد نتيجة احدى مؤامرات ولسنجام .

وكانت اكبر ضربة قام بها ولسنجام ، هي العملية التي استطاعت انجلترا بواسطتها ان تحصل على معلومات بحرية استند عليها دفاعها ضد الارمادا الاسبانية . فبدلا من ان يوجه ضربة مباشرة الى هدفه - بلاط فيليب الثاني الاسباني وكان مصيره الفشل الحتمي - فانه وجه عملياته الى مناطق اخرى بها تقط ضعف تتيح له فرصة دخول اسبانيا . فأوفد شابين انجليزين الى ايطاليا ممن كان لهم علاقات قوية في بلاط توسكانيا . كان أحد هذين الشابين هو انطوني ستاندين ، الذي استطاع نتيجة لتأثيره على السفير الاسباني ، أن يجعل بعض المراقبين من غير الانجليز يتسللون الى الموانئ الاسبانية ، دون ان يثيروا الرية في أنهم في خدمة الانجليز . واسدى السفير التوسكاني جيلا الى ستاندين ، وذلك بأن سمح لاصدقائه بأن يستخدموا الحقبة الدبلوماسية عند ارسال خطابات خاصة الى ستاندين في ايطاليا .

وفي ايام ولسنجام اصبح في استطاعة وزير الخارجية ان يراقب المراسلات المحلية والخارجية ، فيفتح الخطابات ويطلع عليها ويعيد غلقها وارسالها . وكان في خدمته خبير في الكتابة السرية وحل الشفرة هو « توماس فيليب » الذي كان يتكر الرموز لرسائل ولسنجام السرية ، كما كان يفك رموز الرسائل التي كان يفتحها . ولقد كان فيليب هو الذي فك رموز الرسائل السرية التي كانت ترسل منه الى الملكة ماري ملكة اسكتلندا أيام مؤامرة باينجتون .

ومثل رائع آخر من امثلة المخابرات الناجحة في القرن السابع عشر

ما حدث في السويد ، التي كانت قد تبوأَت مكانها كدولة عظمى نتيجة لوجود أدق نظام لتقديم التقارير في أوروبا كلها . ويعترف وزير روسي معاصر بأن « السويديين يعرفون عنا أكثر مما نعرف نحن عن أنفسنا » . ولقد استغلوا العلاقات البروتستانتية في المدة التي سادت فيها الحروب الدينية ، كما استخدموا رجالا من جنسيات أخرى مثل الهيجنوت الفرنسيين كعملاء ومخبرين ، كما كان يفعل ولسنجام ، وبذلك يتجنبون الحرج اذا ما قبض عليهم . وتوضح السويد والى حد ما هولندا ، كيف كان يمكن للدول الصغرى نسبيا ان تعوض ما كان يعوزها من القوة بواسطة جهاز مخابرات متفوق ، له مهارة فنية وتنظيمية .

وفي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ، بدأت التفرقة الحادة بين عمل الامن الداخلي وجمع المعلومات الخارجية . وفي الدول العظمى بدأت اجهزة مستقلة تعمل تحت امرة خبراء مستقلين لتتولى المهام المختلفة في الجهازين . والسبب في ذلك هو تزايد الخلافات الداخلية ، وتزايد خطر قيام الثورات في الداخل ، مما كان يهدد الاستقرار والسلطة بالنسبة للنظم الاوتوقراطية والامبريالية التي كانت سائدة في أوروبا في القرن التاسع عشر ، مما اقتضى استخدام منظمات الشرطة السرية من اجل حماية الامبراطور او الحاكم .

□ الجاسوسية في عصر نابليون :

ولقد انتعشت الجاسوسية وازدهرت في اثناء حروب نابليون ، ومن الصعب اختيار افراد نذكرهم على التخصيص ، ولكن اسماء كثيرة لمعت في هذا الميدان مثل جوزيف فوشيه ورينى سافاري . . (دوق دي روفيجو) ، وكان الناس يعرفونهم على أنهم اشهر جواسيس هذا العصر

وأكثرهم نجاحا . وكان الكثير مما حققه نابليون من النجاح العسكري يرجع الى المعلومات التي كان يجمعها المارشال لويس الكسندر رئيس هيئة اركان الحرب من ميدان العمليات الحربية .

ولسنوات كثيرة بعد حروب نابليون حدثت المواصلات من نشاط المخابرات وجمع المعلومات . كان الحصان في ذلك الوقت اسرع وسيلة للسفر برا ، وكانت السفينة الشراعية أسرع وسيلة تمخر عباب البحر ، ومن ثم كان الحصان والسفينة اسرع وسيلة لنقل المعلومات فيما عدا الحمام الزاجل ، الذي يعتقد الناس حتى وقت قريب ، انه نقل نتائج معركة واترلو الى ناتان ماير روتشيلد في لندن ، بالرغم من أن هذه الوسيلة لم تمارس بدرجة كبيرة ، ولم تفهم تماما حتى تاريخ لاحق ، في الوقت الذي امكن استبدالها بالتلغراف السلكي .

كانت التحديدات الزمنية أقل تعويقا لجمع المعلومات اللازمة للمدى الطويل وكذا بالنسبة للمعلومات الاستراتيجية . وعلى خلاف ذلك نجد انه بالنسبة للمعلومات التكتيكية ومعلومات المعركة غالبا ما كانت الاساطيل المتنافسة تستخدم الظلام لمراقبة تحركات بعضها البعض ، وكان أول انذار عن اقتراب سفن العدو يجيء من مراقبي سفن الاستكشاف التي لا تبعد أكثر من اميال عن الاسطول الرئيسي الاساسي ، وبالمثل كانت جيوش كبيرة نسبيا يمكن ان تعسكر وأن تقوم بالمناوراة على مسافة اميال قليلة من بعضها البعض حيث يكون الجهل وعدم المعرفة متبادلا بين الجانبين .

وبالرغم من ضخامة الخيالة لدى نابليون فانه لم يحذر اتجاه انسحاب الجيش البروسي الذي بقوده المارشال « بلوخر » بعد معركتي ليني وكاتر برا ، ومن ثم فوجيء به مفاجأة كبيرة حينما ظهر ثانية في مسرح معركة ووترلو بعد ٤٨ ساعة .

التطورات منذ منتصف القرن التاسع عشر :

ولقد شهد النصف الثاني للقرن التاسع عشر تغييرات ثورية في وسائل النقل ، ومن ثم كانت التغييرات أكثر شمولاً في وسائل نقل المعلومات إذ لعبت السكك الحديدية ، والسفن البخارية ، وإسلاك البرق البحرية والتليفون والآلة ذات الاحتراق الداخلي ، أدوارها في هذا التغيير وكان من أثر هذه الثورة الفنية مع التطورات الأخرى في ميادين الفكر والعلم ، أن زادت من سرعة الدبلوماسية وقيمتها .

وفي ضوء هذه الظروف كانت لخدمات المخابرات الجيدة فائدتها الكبرى ، ولذا اتجهت الدول الكبرى إلى الاحتفاظ بأجهزة مخابرات كانت تزداد في الحجم وفي الكفاية بين يوم وآخر .

وشهد القرن العشرون إدخال تطورات سريعة في الطائرة وفي الاستخدام العام للتلفراف اللاسلكي وهما اختراعا جاءا بالمزيد من الامكانيات التي تزود جهاز المخابرات الجيد بتسهيلات قيمة في أداء مهمته .

وفيما عدا هذه المساعدات العملية ، فإن الظروف التي صاحبت الحرب العالمية الأولى ، مكنت من قيام نشاط المخابرات في البلاد المحايدة . فقد واجهت الجيوش المتنافسة المتضادة في غرب أوروبا ، بعضها البعض في مواقع دفاعية ثابتة متقاربة لأكثر من أربع سنوات ، وعلى طول جبهة تمتد من القنال الانجليزي إلى سويسرا .

وكان يطوق هذين الخطين الطويلين دول محايدة ، من الشمال هولندا والدول الاسكندنافية ، ومن الجنوب سويسرا ، وفي هذه الدول المحايدة كان جواسيس وعملاء الجانبين المتضادين في مقدراتهم

ان يعملوا في امن نسبي ، كما كسبت المخابرات الانجليزية شهرة
تستحقها طوال السنوات من عام ١٩١٤ الى عام ١٩١٨ •

كانت اولى العمليات الناجحة للمخابرات الانجليزية ، هي اعتقال
كل عملاء العدو في المملكة المتحدة فجر قيام الحرب ، والاستيلاء على
الشفرة البحرية الالمانية ، الامر الذي اعطى للادميرالية البريطانية فرصة
السبق لمعرفة التحركات الرئيسية لاسطول العدو • وصارت المخابرات
الحربية البريطانية منظمة اسطورية حصلت على فضل كان في الواقع من
حق ادارات اخرى •

وقد يكون من الطريف هنا أن نشير الى جهاز من اعظم اجهزة
المخابرات في القرن التاسع عشر كانت تديره شركة خاصة — الا وهو
مصرف روتشيلد • وكانت لهذا المصرف سابقة في اسرة فاجرز — وهي
اسرة مصرفية — في القرن السادس عشر • وقد استطاعت هذه الاسرة
ان تقيم امبراطورية مالية ضخمة تقترض الاموال للملوك والدول التي
كانت تعاني من الفقر ، كما كانت تفعل اسرة روتشيلد بعد ذلك • وبعد
ان تبوأ مؤسسه روتشيلد مكائتها كانت تفيد نفسها وتفيد عملاءها
عن طريق مقدراتها الفائقة في جمع المعلومات • ورغبة من عملاء روتشيلد
في النهوض بالمصالح المالية للمؤسسة في فرانكفورت ولندن وباريس
وفيينا وناپلي ، حاول وكلاء روتشيلد الحصول على المعلومات قبل
حصول الحكومات عليها • ففي عام ١٦١٥ وبينما كانت اوروبا تنتظر
انباء عن معركة ووترلو ، كان ناتان روتشيلد قد علم بانتصار البريطانيين •
وحتى يحصل على صفقة مالية ، عرض كل سندات الحكومة البريطانية
 للبيع وفعل الجميع الشيء نفسه استنتاجا منهم بأن الذي دفعه الى ذلك
هو خسارة البريطانيين في معركة ووترلو • وفي اللحظة المناسبة ، قام
مرة أخرى بشرائها بالثمن المنخفض • وقد أعلن بعد ذلك نبأ انتصار
البريطانيين ، فارتفعت قيمة الاسهم بطبيعة الحال •

وحدث بعد ذلك بستين عاما أن دعا ليونيل روتشيلد - سليل
ناتان - دزرائيلي على مأدبة عشاء وفي اثناء المأدبة ، تسلم ليونيل رسالة
سرية تفيد بأن صفقة من اسهم شركة قناة السويس يملكها خديوي مصر
معروضة للبيع . وسحرت الفكرة رئيس الوزراء ، ولكن كان مطلوبا
منه حتى يعقد الصفقة ما قيمته ٤٤٠٠٠٠٠ رطل جنيه ، في الوقت الذي
لم يكن البرلمان منعقدا فيه . عند ذلك تقدم ليونيل لشراء الاسهم باسم
الحكومة البريطانية ، وهكذا مكن دزرائيلي من أن يضرب ضربة من
أكبر ضرباته السياسية في حياته . ويشاع أن بعض رسائل روتشيلد
كانت ترد بطريق الحمام الزاجل . وبالرغم من أن هذه الاشاعة لم تكن
تستند الى أساس قوي ، فإن من المعروف أن احد رجال روتشيلد حينما
وجد نفسه معزولا في باريس في اثناء حصارها من الالمان في الحرب
الالمانية الفرنسية عام ١٧٧٠ - استخدم البالونات والحمام الزاجل
للاتصال بالعالم الخارجي . وقد عرف العالم بالهدنة ونهاية هذه الحرب
عن طريق هذه الوسيلة ، أكثر من معرفته بها عن طريق الوسائل التقليدية
الآخري .

وجاءت الحرب العالمية الاولى بالكثير من العملاء الذين عملوا في
البلاد المحايدة وفي بلاد العدو ، ومن أفضل المعروفين من هؤلاء العملاء
النقيب الالماني « فرانز فون راتلين » الذي أوفد الى الولايات المتحدة
سنة ١٩١٥ لتخريب المعونة الامريكية للحلفاء ، حيث كانت تدابير الامن
في امريكا المحايدة ذاك الوقت « مسترخية » ، وكانت الولايات المتحدة
حتى ذلك الوقت قد نجت من الجاسوسية العنيفة ونشاطها الذي عرفته
اوروبا لقرون طويلة . وكنتيجة لذلك حقق « راتلين » نجاحا كبيرا .
ولكن اشتراك الولايات المتحدة في الحرب في ابريل سنة ١٩١٧ وضع

حدا لنشاطه . وقد لا نكون مبالغين اذ قلنا أن أعظم جاسوسة عرفت حتى وقتنا هذا هي العميلة الهولندية « ماتهاري » ، اسمها عند مولدها - مرجريت جريتوودزيللي - التي عملت في باريس وفيينا وبرلين وغيرها من مدن القارة ، منذ سنة ١٩٠٥ حتى اعدمت كجاسوسة في اكتوبر سنة ١٩١٧ .

وقبل بداية الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ كانت المخابرات غير قاصرة فقط على الاسرار العسكرية والدبلوماسية ، بل صارت عاملا من أهم العوامل الحيوية في خدمة الاستراتيجية القومية ، وذلك بالكشف عن المعلومات الصناعية والعلمية التي يحتمل ان يعتمد عليها العدو في تقدير امكانياته .

وبانتهاء العمليات العدائية عام ١٩٤٥ وبداية الحرب الباردة ، بالاضافة الى تطورات الاسلحة ، زاد كل هذا من مدى وعمل منظمة المخابرات وكذا من أهميتها العاجلة . ومن الصعب ان نجد ميدانا من ميادين النشاط البشري لم يكن عرضة لتسرب عميل للمخابرات ، او لم يكن وضع في نطاق حماية الامن القومي .

* * *

ولقد أسىء الى حد بعيد عرض وسائل الحصول على المعلومات من كتاب القصص ومنتجي أفلام السينما ، فالمخابرات في التقدير العام من جانب الجماهير تفتقر بكلمة الجواسيس والاقتفاء وجوازات السفر المزورة والاجتماعات السرية الخفية . وليس من الواجب ان نقول ان هذه وسائل لم تستخدم ، ولكنها في الواقع تستخدم كاستثناء لا كقاعدة عامة دائما في التطبيق ، ذلك ان جزءا كبيرا من المعلومات النافعة يمكن الحصول عليه بوسائل روتينية من الصحف وبواسطة المسافرين ورجال الاعمال الذين يمكن ان يلتقطوا بعض المعلومات اثناء عملهم العادي .

وبوضع هذه القطع من المعلومات جنباً الى جنب ، ومن هذه الحقائق بسيطة المظهر عديمة القيمة ، يمكن الخروج بمعلومات كبيرة القيمة .
والعميل المحترف او الجاسوس هو عموماً شخص يستخدم او يحتفظ به للقيام بمهمة خاصة عاجلة ، واغلب هؤلاء الذين يجيئون بالمعلومات ، هم عملاء طارئون ليست لهم صفة الاحتراف الدائم في دنيا المخابرات .

ومع هذا فان الشخص الذي يطلق عليه « الجاسوس الدولي » يستحق ان تذكره هنا ، وهو في الاغلب من الرجال ، وفي بعض الاوقات قد يكون من النساء ، وكلهم حصيلة وتنتاج القرن العشرين . هؤلاء الأشخاص لا ولاء لهم ، بل قد يكون لهم ولاء ضعيف لبلد ما ، وهم في الغالب من اجناس مختلفة يحسون بمرارة تجاه أوطانهم الاصلية .

وللكثير منهم سجلات اجرامية ، ومن النادر أن تكون المعلومات التي يجيئون بها ذات قيمة كبيرة ، وهم يعملون لمن يدفع اكثر من غيره ، ولكنهم دائماً على استعداد لخداع من يستخدمهم لو وجدوا من يدفع اكثر . ولقد كثر عددهم في المدة ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية، وكانت باريس وبروكسل وجنيف والقاهرة وغيرها من المدن أماكن التقاتل، ومنها كانوا يديرون او يوجهون اعمالهم ، وكانوا في الغالبية من غير الموثوق بهم ، وبالرغم من ان مساكنهم وأماكن ايوائهم كانت معروفة للشرطة ولو كالات الامن ، الا أن القليل منهم حقق بعض النجاح البارز في اعمال التجسس في الثلاثينات من هذا القرن .

□ المخابرات في الحرب العالمية الثانية :

لقد بلغت المخابرات درجة عالية من الكفاية والنشاط بين سنتي

١٩٣٩ و ١٩٤٥ نتيجة التطور الكبير في المعدات الفنية ، وكذا نتيجة العمليات الحربية المائعة التي غطت كل سطح الكرة الارضية •

وفي اغلب مسارح العمليات السرية لم تكن هناك ثمة جبهة متصلة أو جبهة تحتلها قوات ضخمة • وفي بعض الاحيان كانت القوات تختلط والجيوش تتكون من جنسيات كثيرة ، الى حد أنه كان من الصعب تمييز الصديق من العدو ، مما سهل مهمة العملاء وعمل المخابرات الحربية في عدة بلاد منها بلجيكا وفرنسا - « ١٩٣٩ و ١٩٤٠ و ١٩٤٤ و ١٩٤٥ » - والنرويج سنة ١٩٤٠ والشرق الاوسط وبورما والملايو • وعلى النقيض من هذا ازدادت بدرجة كبيرة صعوبة عمل المخابرات المضادة •

ولقد كثرت وسائل جمع المعلومات كثرة كبيرة نتيجة للتطورات العلمية ، ومكنت الطائرات وخاصة التصوير الجوي من الكشف عن المنشآت العسكرية ، وتجمعات القوات المسلحة في الميدانين الاستراتيجي والتكتيكي •

كما سهلت اجهزة التقاط العدو اللاسلكية ، وكذا القدرة على تحديد الاتجاه وحل الشفرة ، من عملية الحصول على المعلومات ، وجعلتها ظاهرة منتظمة لاي جهاز منظم للمخابرات • ومن الواجب ان نذكر بهذا الخصوص ان المخابرات الامريكية استطاعت ان تعرف سر الشفرة اليابانية قبل معركة « بيرل هاربر » ، ولهذا استطاعت حكومة الولايات المتحدة ان تحصل على معلومات مبكرة قبل ان يكون لدى اليابان نوايا عدوانية ، ومع ذلك فان هذا لم يمكن الولايات المتحدة من ان تحدد الوقت الفعلي للمعركة ، ولا أن تعرف شيئاً عن مكانها ولا عن طبيعة الهجوم • ولقد استخدم الخداع بدرجة اكثر من ذي قبل ، اذ اخفيت كل عملية بخطة ساترة اعدت بمهارة ، أو بمعنى آخر سترت بخطة كاذبة لتضليل العدو عن الخطة الاصلية الحقيقية •

فقبل معركة العلمين في اكتوبر سنة ١٩٤٢ اجريت خدعة بحشد دبابات هيكلية ومعسكرات ونقط للمياه لستر عملية الحشد الحقيقية . كما أعدت خطة ساهرة قبل انزال الجنود الامريكيين والانجليز في نورماندي في يونيو سنة ١٩٤٤ ، بقصد اعطاء الالمان فكرة عن اعتزام النزول عند كاليه ، فأعدت معسكرات كبيرة وحظائر للسيارات في كنت وسسكس ، و اقيمت محطات للاتصالات اللاسلكية استمرت تعمل لجذب الانتباه الى منطقتي دوفر وكاليه بعيدا عن نورماندي ، كما اطلقت الاشارات اللاسلكية التي تدل على احتمال النزول في النرويج من الساحل الشرقي لاسكتلندا .

ولقد استخدمت الوسائل القديمة للمخابرات بدرجة كبيرة أيضا في اثناء الحرب العالمية الثانية ، اذ نظمت اجهزة الجاسوسية بواسطة الحلفاء في النرويج والدانمرك وهولندا وبلجيكا وفرنسا واليونان وبورما والملايو وغير ذلك من المناطق المحتلة ، واستمرت الاتصالات بواسطة المحطات اللاسلكية السرية ، وبواسطة افراد اسقطوا بالمظلات أو انزلوا من الغواصات او من السفن الصغيرة .

□ المخابرات في عصر الفضاء :

على أن صورة هذا العصر الذي نعيش فيه ، تشير الى ضرورة ايجاد منظمة مخابرات تستطيع ان تتجاوب في مواقف الازمات بأسرع مما عرف من قبل .

ان هذا العصر الحديث يتطلب ان تكفل المخابرات القومية - في اسرع وقت - احتياجات كل احتمالات الهجوم المفاجيء الذي يستخدم اسلحة تتحرك عبر القارات لتصل الى اهدافها بعد مرور دقائق من قذفها .

ولكن قد يبدو لنا ان تتسائل : هل هذه السرعة كافية لمقابلة هذه
الاحتياجات ؟

الواقع انه للإجابة عن هذا السؤال يجب ان نوضح العلاقة بين
الانذار المبكر وعملية المخابرات ، فلو فرضنا مثلا انه كانت لدى احدى
الدول معلومات توحى باستعدادات لقذف مقذوفات صاروخية عليها ،
فانه بمجرد ان تنطلق هذه المقذوفات من وساداتها ، فان المسؤولية عندئذ
تصبح محصورة في عمليات الانذار المبكر ، والخدمات الحربية ، وما
يتعلق بها من أجهزة الرادار والآلات الحاسبة والاجهزة الالكترونية
اللازمة لمراقبة الفضاء الجوي ليلا ونهارا على مدار الساعة .

وعلى أساس الحقائق التي يبنى عليها الانذار المبكر ، فان الدفاع
الجوي والقرارات الاخرى ينبغي ان تجري في دقائق أو اقل . وفي الحق
فان القرارات التي تشبه التوجيهات لمنشآت الدفاع الجوي ، تشكل
جزءا من عملية المعلومات الالكترونية نفسها . وفي هذه المرحلة الحرجة
يجنب جهاز المخابرات القومية التقليدي .

وعلى ذلك فالموضوع الاكثر ملاءمة لعصر الفضاء يتعلق بعمليات
الانذار المبكر أكثر مما يتعلق بسرعة اقتاج المخابرات القومية ، فمستويات
الانجازات العلمية في ابتكارات الكشف تعتبر ذات اهمية بالغة .
فالتليفزيون والرادار والمراقبة عن طريق اقمار الفضاء الصناعية ، وأعمال
الحساب بالآلات الحاسبة ذات السرعة العالية ، كل هذه يمكن أن تكون
مصدرا للحقائق والمعلومات والنتائج النهائية للانذار المبكر أكثر من
المراقبة البشرية والتحليل . والاهمية الحساسة للدفاع الجوي ، والنظم
الاخرى المعترف بها للانذار المبكر ، يجب على المخابرات القومية أن
تقيسها طبقا لمسئولياتها في عصر الفضاء ، حيث ترتبط صحة تقديراتها
أكثر من أي وقت مضى بموضوع استمرار البقاء القومي .

وفي متابعة الطلب الذي لا ينتهي من أجل صحة المعلومات ومطابقتها للواقع ، فإن مجتمع المخابرات ملزم بتعديل طرقه الفنية في التجسس والتحليل ، وذلك بأن يدخل فيها أحدث التطورات التكنولوجية . وقد حدث تقدم ملموس في عملية تنظيم المعلومات الالكترونية ، وفي اعتقادنا أن تدخل الآلة في هذه العملية سيوفر آلافا من الساعات والمجهودات في مجتمع المخابرات . وعلى سبيل المثال فإن استخدام الآلات الحاسبة في القياس الحسابي لأفضل الاستراتيجيات المفتوحة أمام دولة اجنبية ، يعتبر تطورا محتملا في المستقبل القريب ، وستتوقف قيمة النتائج المستخلصة على المعلومات والبيانات التي يقدمها مجتمع المخابرات .

ومجالات اهتمام المخابرات - السياسة الخارجية والتطورات الحربية والشخصيات والاحوال الاقتصادية والانجازات العملية مثلا - قد تبدو اليوم ممثلة تمثيلا عاما لمواضيع المخابرات في عصر الفضاء . ولكن الاهمية النسبية لكل موضوع ستختلف طبقا لمطالب العصر ، فمثلا قد تكتسب المخابرات الحربية أهمية اضافية في حالة الحرب الساخنة ، أما في حالة الحرب الباردة فإن المخابرات الاقتصادية تظل محتفظة بأهميتها اذا ظلت الانجازات الاقتصادية ذات أهمية حيوية للقوة القومية في المعركة الحربية وبالنسبة للهبة القومية . على أن القيمة المتزايدة للمخابرات العلمية في التقديرات القومية قد تصبح لا مناص منها في هذا العصر ، الذي اصبحت فيه الاختراعات العلمية المفاجئة التي يقوم بها احد الجانبين هي العامل البالغ الاهمية ، والمؤثر في توازن القوى في العالم كما سيجىء بالتفصيل فيما بعد .

والمزج بين الملاحظة الشخصية وطرق المخابرات الفنية والتحليل ، قد يكون في صالح الطرق الفنية . فالاقمار الصناعية المزودة مثلا بآلات التصوير التليفزيونية ، والآلات الاخرى ينبغي ان تكون قادرة على

تميز السحب التي نتجت من الانفجار النووي ، كما ينبغي ان تؤدي الى مضاعفة كمية المخابرات الاقتصادية والحربية التي تكشفها طرق التصوير الجوي السائدة اليوم عدة مرات •

ومع ذلك فهذه التطورات لا يحتمل ان تكون سببا في الغاء او تقليل اهمية فرد المخابرات ، او الذي يقوم بمهمة جمع المعلومات او تحليلها • فالصور الفوتوغرافية المأخوذة من مصانع لا تحكي كل ما يدور تحت اسقف هذه المصانع ، كما أن مجرى المناقشات السياسية ، ومواقف العمال وقرارات النقابات كلها مجالات لاهتمام المخابرات ، حيث ينبغي أن تستمر وسائل الجمع التقليدية والتحليل لتنتج الفائدة المرجوة • وسوف تستمر المخابرات في الاستفادة من ابتكار التطورات في النظم الاخرى •

ففكرة الانتاج القومي الكلي مثلا وتطورها كي تستخدم اداة في التحليل الاقتصادي ، قد تكيفت في السنوات الاخيرة لتقابل احتياجات المخابرات الاقتصادية •

وقبل ان تنتهي من هذا الجزء نود ان نشير الى أن دور المخابرات القومية مستمر ، وله اهمية حيوية في عصر الفضاء ذي التعقيدات المتزايدة والشكوك الكثيرة • ولكن من جهة اخرى ، فان ازدياد الاحتمالات المجهولة ، قد يؤدي الى وجود اخطاء في المخابرات ، واقصى ما يمكن ان تمناه هو الا تكون هذه الاخطاء سببا للكوارث ، بل تكون محيرة فقط •

ومن ثم يجب أن يكون الهدف من تصميم منظمة المخابرات ومفاهيمها القومية في عصر الفضاء هو تقليل الاخطار الى الحد الادنى ، وان يكون تصرف الساسة سليما ، حيث يكون هذا التصرف السليم من الاهمية بمكان ، لانه مهما كانت كفاءة المخابرات ، فان نشاطها قد يدمر في لحظة نتيجة قرار سياسي خاطيء من السلطة السياسية •

الفصل الثاني



المخبرات تنظيم ونشاط

المخبرات اكاڤيمية
كبى - المخبرات
كالصحيفة اليومية -
من سمات المخبرات -
نشاط منظمة المخبرات
- هدف المعرفة -
الملاحظة والمتابعة
والبحث - حساسية
نشاط المخبرات -
وجهات النظر المهنية -
المخبرات وابحاث
العلوم - صفات
المخبرات الجيدة .

إذا القينا نظرة ثاقبة على أية منظمة للمخابرات ، فالتسا لا نكون
مبالغين إذا اعتبرناها « أكاديمية كبرى » أو « معهد أبحاث » . فالمخابرات
منظمة مادية تتكون من أشخاص أحياء وتتابع نوعا خاصا من المعرفة
المتدفقة . ويجب أن تكون مثل هذه المنظمة مستعدة لوضع البلاد
الأجنبية تحت الملاحظة ، كما يجب أن تكون على استعداد لتفسير
ماضيها وحاضرها ومستقبلها المحتمل . كذلك يجب أن تتأكد من أن ما
تقدمه من معلومات عن هذه البلاد نافع للأشخاص الذين يتخذون
القرارات . وبمعنى آخر تكون هذه المعلومات متلائمة مع مشكلتهم
كاملة ودقيقة وحديثة . وليس ثمة شك في أنه ينبغي أن يكون رجال مثل
هذه المنظمة من الأخصائيين الحاذقين الذين يعرفون في الوقت نفسه ما
السياسة الخارجية الجارية ، وكذا المشكلات الاستراتيجية القائمة ، كما
أن واجبهم استخدام ذكائهم المهني في إنتاج المعلومات النافعة بشأن هذه
المشكلات .

* * *

وحيثما نتحدث عن المنظمة ، فالتسا سوف لا تتطرق الى الجوانب
الإدارية التفصيلية ، ولكننا سنحاول أن نعطي صورة لما يجب أن تكون
عليه منظمة المخابرات القادرة على تحقيق مسؤوليتها ، على أن يعقب ذلك
مناقشة لبعض المشاكل المعينة التي تواجهها منظمة المخابرات في سبيل
الحصول على المعرفة المطلوبة . يجب أن يكون بعض رجال المخابرات
أخصائيين بصفة خاصة ، مثل الأشخاص الذين يراقبون الأحداث في
أماكن حدوثها ، وبوصفهم هذا فانهم يستطيعون أن يكونوا هيكل قوة
الملاحظة خارج أرض الوطن . انهم رجال معينون في العواصم الأجنبية
مهمتهم الملاحظة والتبليغ . انهم الرجال الذين يقدمون الجزء الأكبر
من تقارير المخابرات الاستراتيجية .

وقد تتساءل ما الصفات التي يجب ان تتوافر في شخص ليكون مراقبا للشئون الخارجية الاجنبية او ما يطلق عليه بلغة المخابرات ضابط الخدمة الخارجية ؟

هناك بعض صفات ظاهرية لا تقل اهمية عن صفات جوهرية .

فأولا - يجب ألا يكون ممن يكرهون الاجانب او المعيشة معهم ، وان يكون قادرا على تكييف نفسه طبقا لاحوال المعيشة خارج ارض الوطن . كما يجب أن يكون ممن يهتمون بما يدور خارج نطاق عقولهم وأن يكون لطيفا مع الناس . وفي كثير من الاحيان قد ينتخب رجال تتوفر فيهم هذه الصفات السطحية الظاهرة ، ولا تتوفر فيهم الصفات الاعمق اللازمة للخدمة الخارجية ، وتلك سياسة سيئة لان مثل هذا الرجل قد لا يكون كمراقب اكثر ذكاء من اي سائح غريب عن المنطقة . ان ما يجب ان يتوفر فيه بالاضافة الى هذه الصفات ، هو قدرة عالية على تمييز معاني الاشياء واهميتها ، وحساسية عالية ازاء التغيرات التي تطرأ على الاشياء التي يراقبها . وليس من شك في انه يكتسب هذه الحساسية من تخصصه في مادته . هذه الصفات التي يكتسبها من الدراسة والتجارب تكون شاشة تشبه الشاشة السينمائية او التلفزيونية حيث يعرض عليها المنظر الاجنبي .

ولكن كل شيء تلتقطه مثل هذه الشاشة قد لا يهم منظمة المخابرات في الوطن . انما الذي يهمها اشياء معينة مما يعرض على هذه الشاشة . ولاختيار هذه الاشياء المعينة يجب ان يكون الشخص شديد الحساسية بالنسبة للمعلومات التي تحتاج اليها سياسة دولته واستراتيجيتها بقدر حساسيته بالنسبة الى المنظر الاجنبي الذي يراقبه - اي عليه ان يعرف ما هو المطلوب وما هو الشيء الهام وغير الهام .

واخيرا يجب الا يكون مجرد ساعي بريد اي مستلما سلبيا

للمعلومات ، وانما يجب ان يلقي على نفسه اسئلة متشابهة بصفة مستمرة ، كما يجب ان يكون واسع الخيال في بحثه عن مصادر جديدة لتأييد المعلومات او نفيها . وعلاوة على ذلك يجب أن يكون ناقدًا لادلته الجديدة ، وان يكون صبورًا وحريصًا في طلب المعلومات التي لا ترقى الى صحتها أي ريبة . وخلاصة القول فانه بالرغم من ان مهمته ليست اساسا مهمة ابحاث ، فينبغي أن تتوافر فيه الصفات التي تتوافر في رجل الابحاث المدرب .

* * *

والمخابرات كمنظمة يجب ان تستخدم الاشخاص المدربين الموهوبين، وان تجعلهم يلمون تماما بالاشياء التي ترغب الحكومة في معرفتها ، ويجب أن تحرص دائما على استمرار اطلاعهم على التغييرات التي تطرأ على المعلومات التي تحتاج اليها الحكومة . وعلاوة على ذلك فان رجال الملاحظة الخارجية ما هم الا امتداد خارجي لرجال الملاحظة والابحاث الذين يعملون داخل الوطن ، ومن الاهمية بمكان ان يقوم اتصال وثيق بينهم وبين رجال المخابرات الذين يعملون في ارض الوطن ، وأن يدور محور هذا الاتصال حول المهمة التي يضطلع بها الفريقان .

ولا ريب في انه بالإضافة الى الاشخاص الذين يتولون أعمال الملاحظة خارج ارض الوطن ، فان منظمة المخابرات تملك ايضا مؤسسة في الوطن نفسه . أما رجال مؤسسة المخابرات في الوطن ، فيضطلعون بمهام الملاحظة داخل الوطن فضلا عن مهمة البحث وحينما تكون عملية الملاحظة داخل الوطن عملية مكشوفة ، فانها تشتمل بقدر كبير على رجال الملاحظة ورجال الابحاث معا .

وواقع الامر ان المهمتين متشابهتان معا تشابكا يجعل قيام رجل واحد بهما معا من الامور كثيرة الحدوث . وهو حين يقوم بمهمة

الملاحظة ، فانه يستعرض كل يوم ما التقط من الاذاعات الاجنبية
بالاضافة الى ما جاء في الصحف الاجنبية الهامة التي تنشر في الدولة التي
تخصص في ملاحظتها - كذا البرقيات والتقارير التي ترد اليهم من
المصادر المختلفة • وحين يقوم رجل الملاحظة بالبحث وهو ما يحتمل أن
يتولاه مع مهمة الملاحظة في وقت واحد ، فان المعلومات التي يحصل
عليها في كل يوم وهو يراقب مجريات الاحداث ، قد تصبح اجزاء هامة
من دراسته ، فاذا لم يتابع ذلك مع احداث اليوم فان بحثه لن يلبث ان
يفقد قيمته وحيويته •

ان الصفات التي يجب توافرها في رجل الملاحظة المكشوفة الموجود
في مهنة ميدان ما تنطبق بدرجة مماثلة على جماعة الملاحظة والبحث بداخل
الوطن ، فأولئك الاشخاص يجب ان يكونوا أيضا على علم تام بالمشاكل
التي تتحكم في السياسة الخارجية ، كما يجب أن يكونوا على أعلى
درجة في التدريب على المسائل التي تثير مشاكل هذه السياسة ، وان
تتوفر فيهم القدرة على البحث المضني ، والتحليل غير المتحيز ، الذي
يهدف الى الغاية المنشودة • ولا شك في أن بعض العمل الذي يؤدونه
سيكون في ميدان العلوم الطبيعية ، ولكن معظمه يكون في ميدان ما
يطلق عليه اسم العلوم الاجتماعية التي تشمل ايضا على الفن العسكري •
على ان النقطة الهامة التي نريد ابرازها هنا هي أن منظمة المخابرات
عبارة عن مجموعة عجيبه مدهشة من الاخصائيين المتفرغين الذين
شكلوا تشكيلا يصبحون به وحدة انتاج قوية •

ومنظمات المخابرات يجب أن تكون في أحد معانيها مثل كلية كبيرة من
الكليات الجامعية بل تتشابه معها في بعض الصفات • يجب أن يتوفر

لها الرجال الذين يعتبرون البحث والتفكير العميق هو أساس الحياة ،
وتبعاً لذلك يجب أن يتوفر فيها قوة احتمال لا معدى عنها لكل من يعمل
مع شخص غريب الاطوار يتمتع بموهبة نادرة .

ويجب أن تمنح منظمات المخابرات التسهيلات الكافية ، ومن
أهمها مكتبة ، ومكان هادئ للعمل . أما المكتبة فيجب ان تحتوي على
المراجع المنشورة والوثائق المبوبة التي تشتمل على انباء اليوم والمواد
الاولية لتحليل الغد ، ويجب أن تدار هذه المكتبة ادارة حسنة ، واعني
بذلك أن تدار طبقاً للنظام المتبع في المكتبات المثالية . بالطبع انها لن
تكون مكتبة عامة ، ولكنها مكتبة حاشدة بالمراجع التي تتصل بالاحداث
الجارية خارج ارض الوطن .

أما فيما يتعلق بالمكان الهادئ للعمل ، فاقنا نعني أن يكون باعشا
على العمل العقلي المركز . ان مجرد القول بأن منظمة المخابرات تشبه
كلية جامعية لا يكفي ، اذ يجب ان تدار بحيث تعمل في خطى سريعة
كما يجب ان تكون اكثر ملاحظة للخطر ، ولو أدى ذلك احيانا الى
التضحية بالدقة .

ويجب أن يتوفر في منظمات المخابرات كثير من الصفات التي تتوفر
في كبريات الصحف المحلية . فان كثيرا من واجباتها يشبه الى حد كبير
واجبات احدى الصحف اليومية البارزة . فهي - أي منظمات المخابرات
- تراقب وتبلغ وتلخص وتحلل ، ولها مراسلونها الاجانب ورجالها في
الوطن ، كما ان لكل منهما موارد المتجددة من المعلومات التي تحققها
وسائل اتصالها السريعة المؤكدة ، كما ان لكل منهما مسئوليتها فيما يتعلق
بتحقيق الكمال والدقة ، مع عقوبات مناسبة بالنسبة للاهمال والخطأ .
كما ان كلا منهما تواجه ايضا تلك المشكلة الهائلة ، مشكلة التصرف في
الانباء التي تحملها ملايين الكلمات كل يوم ، والعمل على أن يحصل

رجلها المناسب على ادق المعلومات التي تدخل في نطاق الميدان الذي يعالجه ، بالإضافة الى مشكلة الدراسة وما يتبعها من متاعب اعادة انتاج المعلومات وحذف ما لا ضرورة له منها .

من كل هذا يتبين أنه ينبغي على منظمات المخابرات ان تدرس بمنتهى العناية اسلوب تنظيم الصحيفة اليومية وتستعير منها وجوه العمل التي تحتاج اليها .

والى جانب النواحي التي تشترك فيها منظمات المخابرات مع الصحيفة اليومية والجامعة ، يجب أن تكون لمنظمات المخابرات صفة خاصة معينة مستمدة من نواحي مؤسسة الاعمال الجيدة ، ولو انه يجب الا نزن لغة المخابرات بأي حال من الاحوال بميزان كلمات منظمات الاعمال . ويمكن أن تعتبر المخابرات مؤسسة تعمل في صناعة انتاج « معرفة » من مواد اولية ونعني « جميع انواع المعلومات » نتيجة عمل على مستوى عال من التدريب ، ولكنه ليس بالضرورة بالمعنى المفهوم في دنيا الاعمال .

ولكي يكون الانتاج أهلا لان تلصق فوقه بطاقة التعريف ، يجب أن يكون متمشيا مع الانتاج المتعارف عليه ، ويغلف بطرق عدة ليلائم مختلف مطالب المستهلك . فبعض المستهلكين يطلبون الانتاج في شكل شبه نهائي مثل « مذكرات مبسطة مع تعليقات عليها » وبعضهم الاخر يطلبونه في شكله النهائي بشرط أن يكون كبير الحجم مثل « دائرة معارف » ، أما الفريق الاكثر ازعاجا فهو الذي يطلبه في كميات صغيرة ملفوفة في لفافات الهدايا ، « وهو بمثابة ملخص من صفحة واحدة للموقف العالمي معبرا عنه بكلمات في مقطعين او أقل » . أي انه يجب ان يكون الانتاج في تعبئته وتكوينه الداخلي متلائما مع احتياجات المستهلك .

* * *

ان في استطاعة المخابرات حين تستغل مجموعة تجاربها السابقة أن

تتوقع - بل وتخلق - احتياج المستهلك للانتاج الجديد - ولكنها لا تستطيع أن تتوقع قبول المستهلك لانتاجها بصفة مستمرة الا بالاحتفاظ بامتياز الانتاج • والمخبرات ككثير من منتجي السلع الاستهلاكية يجب أن تتوفر لها اعظم قدر من النجاح في عملية التسويق حينما يحمل انتاجها العلامات التي لا يمكن ان تخطيء ، والتي تدل على البحث المتفوق والتصميم المعقول والانتاج القيم •

ان منظمات المخبرات تتنافس كل منها مع الاخرى • ويجب أن تدرس السوق ، وتنشط ثغراتها غير المستغلة ، وعليها أن تحتفظ بقوات صغيرة من رجال الديكور والباعة ، الذين يتمتعون بأعلى مستوى من الذكاء ، والذين يستطيعون تنظيم وتنشيط بيع الانتاج ، ورفع مستوى رد الفعل الذي يحدث في نفس المستهلك بالنسبة للانتاج • كما أن عليهم ان يكتشفوا مشكلات المستهلك الجديد ، ورغبته في ايجاد سلع جديدة ، أي أنه يجب عليهم ان يرسموا خطط العمل في المستقبل ، وأن تعكس منظماتهم هذه الخصائص من دنيا الاعمال •

وبالرغم من انه قد يقال أن رجل الصحافة والاستاذ كليهما شديد الحساسية بالنسبة لرسومات التنظيم ، فان من الضروري أن تنشأ منظمة المخبرات طبقاً لرسم بياني ، وان تدار باحترام معقول لهذا الرسم ، ولكنها يجب أن تسعى في الوقت ذاته لتحقيق مرونة الهيكل • يجب أن تسعى للحصول على القدرة على نقل القوة من وحدة مثقلة الى وحدة أقل استخداماً ، وذلك كلما ظهرت حمولات هامة غير متوقعة ، كما يجب عليها ان تكون على استعداد للقيام بعملية اعادة التنظيم المضيئة •

على أن الخصائص التي تحدثنا عنها تنطبق على منظمة المخبرات في وقت السلم والحرب على حد سواء • فكما ان المعلومات التافهة التي تأتي نتيجة سوء التنظيم في وقت الحرب ، قد تؤدي الى كارثة عسكرية

أليمة ، فان الاخطاء التي ترتكب في استراتيجية الدولة القومية قد تنتج
احيانا ما هو اسوأ من ذلك .

* * *

فاذا انتقلنا الى جانب نشاط منظمة المخابرات ، نجد أن كلمة
مخابرات تستخدم في لغة المهنة ليس فقط لتحديد أو تعريف أنواع المعرفة
التي ينبغي لدولتنا أن تلم بها عن الدول الاجنبية ، أو لتوضيح معلومات
عن المنظمة التي تنتج هذه المعرفة ، وانما تستعمل أيضا كمرادف للنشاط
الذي تؤديه هذه المنظمة .

ويمكننا ان نقول بايجاز ان المعرفة في لغة المخابرات تحقق غرضين
رئيسيين :

١ - انها تستعمل لغرض وقائي او دفاعي من حيث أنها تنذرنا
سلفا بما قد تدبره الدول الاخرى للاضرار بمصالحنا الوطنية .

٢ - انها تصلح للاستعمال الإيجابي من حيث أنها تمهد الطريق
لسياستنا الخارجية أو استراتيجيتنا العظمى ، ولكن الشيء الهام الذي
ينبغي علينا ان ندركه ، هو أنه مهما يكن من اختلاف الشكل الذي
نستخدم به المعرفة ، فانها تبيء نتيجة عملية البحث .

* * *

وقد يكون هذا البحث في بعض الاوقات متناسقا على أعلى مستوى
فني ونتيجة للتأمل العميق ، وفي اوقات اخرى قد يكون غير متناسق او
غير فني . وفي بعض الحالات قد يستغرق مشروع بحث آلافا من ايام
عمل الانسان ، وفي حالات اخرى قد يؤدي في دقيقة واحدة او بضع
دقائق من عمل الانسان .

ان عملية البحث وبخاصة تلك التي تتعلق بالمخابرات الاستراتيجية ،

تستهل بطريقتين اساسيتين : هما الملاحظة والبحث • فعندما يبدأ رجال السياسة او واضعو الخطط بالدول المختلفة في ادخال شيء جديد على سياستها الخارجية فانهم يلجأون غالبا الى المخابرات ، ويطلبون منها المعلومات الاساسية • ومن ثم فانهم يطلبون كومة هائلة من المعرفة ، وهم بذلك يحاولون تحريك قوة المخابرات ، بالقيام بعملية بحث وسلوك سبيل خاص بالملاحظة • ومع ذلك فان ثمة طريقة أخرى تجعل قوة المخابرات تخف للبحث الاول ويكون ذلك عن طريقة ملاحظتها المنتظمة المستمرة كما يحدث خارج البلاد •

ان الملاحظة العامة على اكبر قدر من الاهمية ، حتى أنه كثيرا ما يظن أنها قابلة للفصل عن البحث ، ولكن ينبغي الا تعتبر كذلك •

ذلك أن الملاحظة بالمعنى المقصود من هذه الكلمة ، هي مراقبة ما يحدث خارج البلاد ، والقيام بمحاولة للوصول الى معنى لهذه الحوادث • وعملية الملاحظة المادية الفعلية تحدث خارج البلاد وداخلها ، ويمكن ان تكون مكشوفة أو سرية او كليهما معا •

وتنفذ الملاحظة عادة في البلاد الاجنبية عن طريق جمهرة من الافراد العلنيين - بعضهم مدني وبعضهم عسكري - وواجبهم هو ان يفتحوا عيونهم واذانهم جيدا ، ويبلغوا ما يصل الى مسامعهم • وهؤلاء الافراد يطلق عليهم عادة اسم ضابط الخدمة الخارجية • ولكل واحد من هؤلاء ميدان اهتمامه الخاص الذي يظهر فيه كفاءته ، سواء أكان هذا الميدان سياسيا أو اقتصاديا أو عسكريا او ثقافيا الخ •

على أنه من جهة أخرى ، فان اغلب الحكومات الاجنبية تكمل عمل ضباطها العلنيين الذين من هذا الطراز بنشاط تجسس • او بعبارة أخرى

ترسل وكلاء سريين لاكتشاف الاشياء التي يصعب اكتشافها بالوسائل المكشوفة .

ولا تتم جميع عمليات الملاحظة خارج البلاد ، اذ أن بعض عمليات الملاحظة شديدة الاهمية تحدث في المركز العام للمخابرات وداخل الوطن . ومع أنه قد يبدو غريبا أن تتم مراقبة نشاط دولة أجنبية من نقطة ملاحظة داخل الوطن ، فإن هناك اسبابا عدة لهذا التنافس الوهمي :

اولها : يجب ان تكون ثمة مراقبة من داخل الوطن باعتبارها شيئا ملائما ومريحا تماما ، ما تذيبه محطات الاذاعات الاجنبية على باقي العالم يعتبر مسألة تهمنا تماما ، ومما لا شك فيه أننا نرغب في معرفة ما تتضمنه هذه الاذاعات من انباء وتعليقات ، ولكن ليس معنى ذلك أنه يجب علينا أن ننشيء عملية اشراف كاملة للاذاعة في كل مدينة من مدن العالم ، لان العقبات الفنية التي تعترض مثل هذا المشروع ضخمة جدا ، كما أن الموظفين الكثيرين الذين لا بد من توفرهم للاشراف على مثل هذه العمليات سوف يساء استقبالهم في بعض الدول ، كذلك فإن ثغرات هذا المشروع أضخم من ان تحتمل ، ولهذا تقوم معظم دول العالم بانشاء ما يسمى بإدارة الاستماع للاذاعات الاجنبية ، وواجبها أن تقوم محطات استقبالها بالتقاط أهم البرامج ونسخها وترجمتها ، وأحيانا تقوم بتلخيصها او التعليق عليها .

ثانيها : هناك مقدار من الانباء الخارجية تصل عن طريق مراسلي الصحف المحلية في الخارج ، وعن طريق وكالات الانباء المختلفة . والواقع ان هذه الانباء تسهم بدرجة كبيرة في عملية نشاط المراقبة . فاذا استطاعت اجهزة المخابرات الاستفادة من هذه الانباء ، فانها بذلك يكون لديها مصدر قيم يمكن الاعتماد عليه بدرجة كبيرة ، باستخدام عدد صغير من الافراد يعمل من داخل أرض الوطن ويتابع افضل الانباء الخارجية .

ثالثها : أن كل شيء يدبر في خارج البلاد للاضرار به يكتنفه جو التآمر . انه يدبر بالطبع في الخفاء ويشارك فيه عدد كبير من الافراد او جماعات من الافراد . وفي عالم العلاقات الدولية ، قد تكون هذه الجماعات المشتركة في المؤامرة مقيمة في ثلاث دول مثلا . ومن ثم فانه اذا اقتضى الامر تجميع المؤامرة التي يدبرونها ، فان هذا التجميع يجب ان يتم من نبذ ضئيلة تقدمها ثلاثة مصادر أهلية مختلفة .

* * *

ومهما يكن من أمر تنفيذ الملاحظة ، سواء كانت علنية او سرية ، خارج البلاد أو بداخلها فان الملاحظة تؤدي وظيفتين على أعظم جانب من الأهمية :

١ - انها تكشف لنا الحقائق عندما تفكر دولة اخرى في اقتهاج سياسة ما ، او القيام بعمل من شأنه الاضرار بمصالحنا الوطنية ، فالملاحظة عندئذ تلعب دورا نشطا يحفزنا الى انتاج المعرفة الوقائية الدفاعية الضرورية لامتنا .

٢ - انها تيسر لنا كذلك ما ينبغي أن نعرفه عن الحالة خارج البلاد اذا اردنا أن نقرر سياسة ايجابية وطنية خارجية .

وعند التحدث عن الملاحظة يبرز دائما خطر تصور أشياء سلبية تماما . ان كلمة ملاحظة تجعل الانسان يتوهم أنها تستلزم الانكماش وانتظار التأثيرات ، ولكن الملاحظة التي تستحق أن يطلق عليها هذا الاسم ، يجب ان تتصف بالجرأة والايجابية . فهي جريئة من حيث أن الملاحظ يغطي أكبر منطقة مستطاعة من الارض ، وهو بعمله هذا يعرض نفسه لاقصى حد من الظواهر . واهم من ذلك فان الملاحظة يجب ان تكون ايجابية من حيث أن الملاحظ يقوم بالحد الاقصى من متابعة تأثيرات هذه الظواهر على عمله .

والمتابعة هنا تعني أنها تتضمن التأكد من دقة المصادر ومقارنة
الاقوال المختلفة ، والعثور على المواضع الصحيحة نسبيا للأشياء بتوسيع
ميدان البحث ، والعثور على نقط ارشاد جديدة توصل الى أصدق وأصح
الافتراضات الممكنة . هذا ويجب أن تقرر عملية الملاحظة بنوع معين من
البحث . ان هذا البحث عبارة عن محاولة منظمة للوصول الى معنى ثابت
من التأثيرات ، لان الملاحظة التي لا تقترن بالبحث تنتج معلومات زائفة
مشكوكا فيها .

وللبحث أهمية أعظم ، اذ أن له دورا مختلفا خاصا به في خدمة
النواحي الايجابية للسياسة . ففي وقت الحرب ينتج البحث المعرفة الخاصة
بمقدرات العدو الاستراتيجية ، ونقط ضعفه المحددة القابلة للهجوم ،
كما ينتج المعرفة الخاصة بنواحي قوة العدو وضعفه اقتصاديا وسياسيا ،
وينتج معرفة القوى المادية التي يستخدمها العدو لشن الحرب ، وعلى مثل
هذه المعرفة تستند الخطط العسكرية الهجومية ، أما في وقت السلم فان
البحث ينتج نوع المعرفة بالدول الاجنبية ، والتي على أساسها ترسم
الدول سياستها الخارجية ، وتحدد علاقاتها الدولية بالنسبة للمجتمع
الدولي .

ان البحث هو العملية الوحيدة التي تستطيع أن تقدم لنا الحقيقة أو
الشيء الاقرب الى الحقيقة، وهذا عكس ما كان يحدث في الماضي ، فقد
كان فيلسوف القرون الوسطى يقنع بالحصول على الحقيقة التي ينشدها
بالرجوع الى النصوص المقدسة ، في حين أن رئيس القبيلة كان يسعى
اليها بالالتجاء الى الساحر الذي يؤمن بمقدرته .

ولكن البحث في لغة المخابرات غالبا ما يأخذ الخطوات أو المراحل
التالية :

١ - ظهور مشكلة تستلزم اهتمام موظفي المخابرات الاستراتيجية بها .

٢ - تحليل هذه المشكلة لاكتشاف جوانبها التي لها أهمية فعلية للدولة .

٣ - جمع المعلومات التي توضح المشكلة ، ويشمل ذلك مراجعة المعلومات المسجلة والموجودة حاليا ، ثم محاولة الحصول على معلومات جديدة لسد الثغرات .

٤ - تقدير دقيق للمعلومات التي تجمع .

٥ - دراسة المعلومات التي أجرى تقديرها بحثا عما يلزمها من معنى . ويمكن أن يطلق على لحظة اكتشاف هذا المعنى اسم لحظة الافتراض . والواقع أن الافتراضات تبدأ في الظهور بمجرد الوصول الى المعلومات الايجابية الاولى .

٦ - الاستمرار في جمع مزيد من المعلومات بناء على ما تحدده التكهّنات والافتراضات التي توحى بالامل أكثر من غيرها ، وذلك للتأكد من صوابها أو خطئها .

٧ - تقرير تكهن أو أكثر باعتبارهما أكثر صحة من غيرها ، ووضع بيانات مبنية على هذه التكهّنات على أساس أنها أحسن بيانات تقريبية في الوقت الحاضر ، تلك هي المرحلة الاخيرة ، وغالبا ما يطلق عليها اسم (العرض) أو (التقديم) .

على أن نشاط منظمات المخابرات كان ولا يزال دائما محل مجادلات نظرية . وقد يتساءل البعض : هل نتاج هذه المنظمات ، وتنظيماتها ، ووظائفها ، ونفقاتها ، من المواضيع التي يحتاج الشعب الى تسجيل سلامتها ؟ الواقع أن الحكمة تتطلب احاطة كل هذه المواضيع بالسرية لان نشاط المخابرات حساس من وجوه أربعة :

أولا : ان النقاش في هذه الموضوعات قد يفشي مصادر المعلومات •

ثانيا : أن الحكومات لا تعترف عادة بأن من بين وظائفها مهمة الجاسوسية وغيرها من وسائل الحصول على المعلومات غير الشرعية ، كما أن من تقاليد المخابرات أن تحاول الحكومات دائما أن تضع نفسها في مركز بحيث تستطيع انكار قيامها بعمليات التجسس • وكانت سابقة اعتراف كبار المسؤولين في الولايات المتحدة في عام ١٩٦٠ بحادث التجسس الجوي بطائرات U 2 خرقا لهذا التقليد •

ثالثا : يجب أن تحاط الاعمال السرية السياسية بسياج من السرية التامة حتى لا يستفيد منها العدو •

رابعا : أن هناك مظاهر كثيرة خاصة بأنواع نشاط المخابرات يجب أن تقبل على علاتها نتيجة الثقة • وقد أعلن آلين دالاس مدير المخابرات المركزية الامريكية السابق في عام ١٩٥٤ :

« يجب أن تنظروا الى الرجل الذي يدير الجهاز والى النتائج التي يحققها • فاذا لم يكن هذا الرجل موضع ثقتكم ، واذا لم يكن يُحقق نتائج ، فالأفضل لكم أن تتحوه وتضعوا شخصا آخر مكانه » •

ويجب على المخابرات عند قيامها بجمع المعلومات أن تتسم بالموضوعية وتبتعد عن السياسة ، حتى تضمن دقة الصورة المرسومة للشئون العالمية • ولكن يجب ألا يكون بعدها الى درجة تكون فيها للمخابرات سياستها الخاصة بها ، أو تفقد الصلة براسمي السياسة بحيث لا تستطيع الوفاء بحاجتهم الاخبارية • ان واجبها يقتضي سرد الحقائق الموضوعية دون أي اعتبار بكونها أخبارا سارة أو أخبارا سيئة بالنسبة للسياسة الحالية ، ولكنها تقيم اعتبارا مناسبا لتبدلات السياسة ، وفي عملياتها المختلفة مثل - مقاومة المخابرات الاجنبية - يجب أن تكون

المخابرات أداة طيعة لتنفيذ سياسة البلاد الخارجية ، ويجب الا يسمح بأن تكون لها سياسة خاصة مستقلة •

ان المعرفة تحمل بين طياتها القوة ، ولذلك يمكن للمعرفة السرية أن تصبح قوة سرية • ان جهازا سريا للمخابرات - عنده معلومات عليا من مصادر خفية يمكن له أن يساهم بقسط كبير في عملية رسم السياسة ، أو في العمليات السياسية في البلاد الاخرى •

وتدعو الحاجة للاقتصاد في استخدام المصادر المحدودة لتحقيق أهداف السياسة القومية البعيدة المدى والسياسة الخارجية ، الى الاعتماد اعتمادا كبيرا على تقدير المخابرات • ونتيجة لهذا يطلب من نظام المخابرات أن يجيب على مجموعة ضخمة من الاسئلة : ما مستقبل الحلف الاسلامي مثلا ؟ ما مدى التعاون الذي يمكن أن يتم في العالم العربي ؟ ما المستقبل السياسي والاقتصادي والعسكري لاسرائيل ؟ ما النتائج المحتملة للأعمال التي تتم وفق السياسات الخارجية المختلفة ؟ ويمكننا أن نصل الى اجابات عن هذه الاسئلة اذا كان لها اجابة - بواسطة بذل مجهود ضخم في أعمال البحث أو بواسطة طرق غير مشروعة •

☐ وجهات النظر المهنية :

وتعتبر أنشطة المخابرات من الناحية الشكلية مماثلة لأنشطة الباحث العلمي أو الفكري في بعض المهن الاخرى • فقد يبدو محلل المعلومات الذي يريد اعداد تقرير معلومات عن مفاعل ذري في دولة ما ، وكأنه يقوم بنفس العمل الذي يقوم به عالم الابحاث الذرية الذي يكتب تقريرا علميا •

وقد نستطيع أن نقول ان الاحتياجات في كل حالة من الحالتين من

الممكن أن نسميها « مماثلة بشكل خطر » ، فنواحي الشبه واضحة بينهما ، ولكن الاختلافات الحيوية غير واضحة . وتدل التجربة على أن عددا من العاملين في ميدان المعلومات على مستويات عدة ، يخفون في فهم وجهة نظر « المعلومات » ويؤدي هذا الاخفاق الى سوء فهم وفوضى يمكن تلافيهما .

على أن الاختلافات بين الحالتين هائلة ، ويعطي واشنطنجتون بلات مثلا ليوضح ذلك. بقوله : « تؤكد المهنة العسكرية أهمية اتباع النظام ، مع أن النظام أمر شائع في الحياة الانسانية يواجه المرء منذ الطفولة ، ويستمر معه في مرحلة الدراسة وفي مرحلة البلوغ . وبالرغم من ذلك فإن النظام له أهمية خاصة في الحياة العسكرية . فالمثل الاعلى فيه هو الطاعة الفورية بمحض الارادة ، وليس ثمة ضابط في الجيش يستطيع أن يأمل في مستقبل ناجح ، اذا لم يكن مستعدا وقابلا لاختضاع نفسه لمثل هذا النظام ، أو قادرا على تطبيق هذا النظام على من دونه في الرتبة .

وبنفس الطريقة التي يقبل بها الرجل العسكري النظام ، فإن العاملين في ميدان المعلومات ، لا بد ان يفهموا ويقبلوا وجهة نظر المعلومات ، ومن السهل ان نفهم تأكيد الحياة العسكرية لاهمية النظام والشجاعة والاتجاه العدواني . ولكن وجهات نظر المعلومات أكثر عمقا ، ولذا فهي ليست واضحة ، ولكنها مع ذلك لها نفس الاهمية لزيادة القدرة الانتاجية للعامل في ميدان المعلومات » .

والصورة الاولى لاتنتاج المعلومات هي ما يطلق عليها « ورقة مخبرات » ، سواء كانت « تقدير معلومات قومي » أو « مذكرة بحث » أو أي اسم مما يطلق على انتاج المخبرات ، والذي سيجيء شرحه تفصيلا فيما بعده . لذلك فدراستنا للاجراءات وراء هذه التقارير تبرز بصورة ملموسة المبادئ الاساسية لاتنتاج المعلومات ، وتساهم في وجهة نظر المعلومات .

أما في تقارير الباحث العلمي أو المؤلف ، فنحن نجد بمقارنتها بتقارير المخبرات أنها تشبه تلك الأبحاث التي نجدها في المجلات المهنية الدورية ، بما في ذلك مجلات العلوم الطبيعية والاجتماعية ، كما نجدها في كتب جدية عدة ، وتتكون معظمها من بحوث قام بها أفراد حاصلون على أعلى الدرجات العلمية . وقد يكون الباحث ضمن هيئة تدريس في إحدى كليات الجامعة ، أو طالبا يسعى للحصول على درجة علمية أعلى ، أو قد يكون في عمل يؤدي فيه أبحاثا صناعية أو أبحاثا حكومية .

وفي حالة مماثلة ، فإن المؤلف يكتب في مجال يعتبر فيه أخصائيا بحكم مهنته ، لذلك يضيف على دراسته صبغة المعرفة التي اكتسبها في مهنته ، وهو يكرس وقتا كبيرا لاعداد مؤلفه ، ويشمل عمله هذا أبحاثا في المعمل ، وأبحاثا مبدئية وأبحاثا في المكتبة . ويهدف بهذا الى توسيع حدود المعرفة الانسانية .

والاستفادة الفورية من هذه الأبحاث أمر له أهمية ثانوية ، فالباحث يتوقع من عمله هذا أن يرفع — بدرجة ما سمعته المهنية ، وهو يربط بين سمته الشخصية وعمله هذا . لذلك فالدقة والسعي نحو الكمال داخل النطاق المقصود أمران لهما الأهمية الأولى .

ومن بين هذه الكتب مثال وواضح ، وهو الكتاب الذي ألفه « موريسون » S.E.Morison في وصف حياة « كولومبوس » بعنوان Admiral of the Ocean Sea (II) وقد استغرق سنوات عدة في اعداده وتطلب بحثا طويلا سواء كان ميدانيا أو تم في المكتبات .

لقد نشر الكتاب فعلا في سنة ١٩٤٢ ، ولكن لا تقل قيمته لو أنه نشر عام ١٩٣٢ أو نشر عام ١٩٨٢ ، لذلك فهو يختلف عن تقديرات المخبرات في نفس الموضوع .

وفي مجال العلوم الطبيعية ، فإن اصدار أية مجلة دورية علمية
تمدنا بأمثلة مماثلة كتبها علامة أو آخر نجد أن الاستفادة من الحقائق
لا تعتمد على تاريخ نشر الكتاب •

ومن ناحية أخرى ، لو قارنا بين انتاج المخبرات ، وأبحاث العلوم
الآخرى سواء في التاريخ أو الاقتصاد أو العلوم الطبيعية ، للمسنا في
كلا الحالين عامل الخوض في المجهول • وفي كل حالة نلاحظ أن هناك
عملا بناء أو خلاقا لانتاج شيء جديد ، ولتوسيع حدود معرفتنا •
كما أنه يجب أن نستخدم المبادأة والحكم والقدرة على الابتكار
في اعداد الابحاث والتقارير ، ويجب الاستفادة من الثمرة نتيجة المجهود
الكبير الذي بذل في عملية الانتاج •
ومن ناحية أخرى فلا بد في كلتا الحالتين من أن نستخدم الفطنة
التي نحدد اللحظة التي عندها يجب أن يتوقف الانسان عن البحث
ويستكمل التقرير •

الاختلافات :



الواقع أن هناك كثيرا من التشابه بين نوعين من العمل ، أي بين
عمل أولئك الذين يخسون باهتمام صادق بعملهم ، وهم على مستوى عال
من العلم ، وبين الذين يفخرون بالتقرير بعد اتمامه ، اذ يجد رجال
المخبرات أن لتلك العوامل التي ذكرناها سلفا أهمية أيضا في عمل
المعلومات، كذلك فإن عددا من العاملين في مجال المعلومات يتغاضون بطبيعة
الحال عن الاختلافات الأساسية بين تقرير المعلومات وتقرير الباحث الذي
كتبه أستاذ في التاريخ مثلا •

هذا الاختلاف يكمن في « الغرض » الذي من أجله كتب كل من التقريرين .

فلو قورن تقرير العلامة بتقرير المعلومات ، لوجدنا أن تقرير المخبرات له غرض واحد ، هو أن يكون مفيدا للمصالح القومية في ظل الظروف القائمة .

ونقصد بالاستفادة بصورة عامة أن يكون التقرير مفيدا لزيادة معرفتنا وفهمنا للمسائل التي تمس بصورة مباشرة أو غير مباشرة أمننا القومي في مجال المعلومات أو المخبرات الأجنبية ، كما نقصد بالاستفادة — بوجه خاص — أن تكون صورة المساعدة التي نحصل عليها من التقرير لحل مشكلة معينة ، موضع دراستنا واعتبارنا . ونحن لا نقصد بالفائدة أن يكون التقرير مفيدا للمخطط السياسي أو مطلوبا لأسباب أكاديمية بحتة مهما تكن قيمة تلك الأسباب في مواقف أخرى . ولا يقبل بعض العاملين والمحللين والناقدين مطلقا منهاج « الاستفادة » كأمر جوهري في وجهة النظر هذه ، بل لا يفهمون على الإطلاق كيف أن هذا المنهاج لا بد أن يغير نشاطنا في مجال إنتاج المعلومات .

على أن ثمة عدة عوامل تؤثر في مدى « الاستفادة » . « فالاتمام » و « الدقة » عاملان من بين هذه العوامل ، ولكن من الصواب أحيانا أن نضحى ببعض « الاتمام » و « الدقة » في سبيل الملاءمة الزمنية ، أي اتمام التقرير في الموعد المحدد . والملاءمة الزمنية بصفة عامة لها أولوية أكبر في ميدان المعلومات عنها في أي مجال آخر من مجالات العلم المجرد .

وهذا المفهوم — شأنه شأن مفاهيم أخرى — يبرز بوضوح في معلومات القتال ، فأوامر العمليات المضادة لفرقة في عملية هجوم تتضمن دائما جانبا مخصصا للمعلومات عن العدو . ومن الواضح أن أفضل

« المعلومات الممكنة التي تصل الكتائب المقاتلة قبل الهجوم ، هي أكثر فائدة من خريطة كاملة لجميع مواقع العدو تنشر بعد الهجوم » .

أما المخابرات الاستراتيجية فنستطيع أن نطبق عليها ما قاله يروفيشور لوك : « لا بد أن ينظر الى تقارير المخابرات في ضوء الفائدة التي من أجلها كتب التقرير . وقياسا على مدى الفائدة التي من أجلها كتب التقرير يجب أن نضع في اعتبارنا الغرض الاول من هذه التقارير ، وكذا طبيعة القراء الاول لهذا التقرير » .

فاذا كان التقرير سيقدم الى مستوى عال في الدولة لاتخاذ خطوة سريعة ، فلا بد أن يكون مختصرا مقنعا ، غير مصطبغ بالصبغة الفنية . ويسري هذا على التقارير التي تقدم لصانعي السياسة الآخرين ، أما اذا كان التقرير مجرد عون يرجع اليه المطلعون الآخرون ، فلا بد أن يكون تاما ومصطبغا بالصبغة الفنية .

فالطريقة التي يستخدم بها التقرير أو يستفاد منه بها هي محك الحكم ، وفي مقابل « الاستفادة » بالنسبة للقارئ يجب أن نزن بين اعتبارين ، كما يجب أن يزن المرء بين الفائدة والتكاليف .

□ وقت القارئ :

لا بد للقارئ من بذل مجهود لقراءة التقرير وفهمه وجعله في متناول يده ، وفي الظروف الخاصة عندما يكون كل فرد مشغولا للغاية ، وعندما يتدفق عليه سيل من الوثائق ، وعندما يكون وقت القراء محدودا - فان أي تقرير يبدأ بعبء كبير بالاضافة الى الملفات المليئة والخزائن المكدسة .

ومحلل المعلومات يستطيع أن يجعل من التقرير شيئا يستحق

القراءة ، هذا اذا وضع الغرض من كتابة التقرير أمامه ، واذا تذكر دائما الفائدة التي يمكن أن تجنى من التقارير طيلة كتابته لها . أي يجب على المحلل أن يكتب تقريره وهو يضع القارئ نصب عينيه . ولقد صارت الاستنتاجات والاحكام النهائية التي تبذل العناية في الوصول اليها مسألة ذات أهمية كبيرة ، اذ أن درجة امتياز الاستنتاجات والاحكام النهائية هي عامل يعتمد عليه نجاح تقارير المخابرات أو فشلها .

□ وقت الكاتب :

والاعتبار الثاني الذي نضيفه الى الاعتبار الاول هو : هل يستحق التقرير المجهود الذي يبذله المحلل او المنتج ؟ من الواضح أن التقرير الذي يكون ذا نفع بسيط للقارئ ويكلف وقتا وجهدا في كتابته ، قد يصبح تقريراً لا مبرر له .

وثمة تقارير « معلومات » كثيرة من هذا النوع ، تقارير لم تلق اعتباراً كبيراً .

والمفهوم الذي يثير المتاعب أكثر من غيره لمن يعمل في ميدان انتاج المعلومات ، هي الاهمية البالغة « للملاءمة الزمنية » . فالزمن أمر جوهري في ميدان المعلومات ، بينما هو مسألة جانبية بالنسبة للابحاث التي يقوم بها الباحث أو المؤلف .

□ ضعف قيمة المعلومات مع مرور الزمن :

تفقد معظم المعلومات قيمتها سريعاً اذا مر عليها الزمن ، فمعلومات القتال التكتيكية تفقد نصف قيمتها في ستة أيام ، والمعلومات الخاصة

بمعالم أرضية مثل الطرق والكباري تفقد نصف قيمتها في حوالي ست سنوات ، ومعلومات المصادر العلمية الأساسية - القوى البشرية ، التطورات العلمية - تفقد قيمتها أو تقل قيمتها بمعدل ٢٠ ٪ كل عام .

وثمة تقارير كثيرة تتعطل فيها الكتابة والتحرير وانتظار الموافقة ، وفي اعداد نسخ منها وفي توزيعها ، لدرجة أن هذه التقارير تصير غير ذات موضوع عندما تصل لأول مرة لايدي « الزبون » القارئ .

وهكذا ، ففي انتاج المعلومات فان السياسة السليمة هي أن تكون « قليلة وسريعة » ، حتى تكون المعلومات حديثة عندما تقرأ . وبذلك يصل التقرير الى « الزبون » في الوقت الذي تبلغ فيه القيمة الكامنة في التقرير أقصاها .

والقيمة الكامنة للمعلومات تقل مع مرور الزمن بتأثير التغييرات الفعلية في الموقف ، ولذلك فان التقرير لا يمكن استعماله بنفس الثقة كما كان الحال من قبل . ومن ثم فان المخاطر لا يمكن أن تتسج في « أرض الخيال » ، والزمن هنا عامل يجب أن يكون دائما محل اعتبار .

ونقتبس الفقرات التالية التي يمكن تطبيقها على « انتاج المعلومات » من أدب المؤرخين :

يقول موريسون : « انه من المرهق حقا أن تجلس الى مكتبك وأمامك مذكراتك ملخصة وتبدأ في الكتابة . وبعد أن تلخّن عددا كبيرا من لفافات السجائر ، وتقطع الغرفة ذهابا وإيابا مرتين أو ثلاث مرات ، تكتب فقرة عرجاء أو فقرتين ، وعندما تبدأ في كتابة الفقرة التالية تجد أن جزءا من المعلومات التي تحتاج اليه ناقص . عليك أن تعود الى المكتبة أو الى الملفات لاجراء عملية استقصاء وبحث . وهنا تشعر بالسعادة فما تجده هناك قد يؤدي الى مزيد من الاسئلة ، وتطول عملية البحث

الذيذة... وفي كل بحث تجلس للكتابة حينما يلزم منك الامر أن تظهر نقطة غريبة يجب أن تتعرف عليها • وعندما تبدأ في الكتابة استمر في الكتابة أطول وقت ممكن ، وسوف يكون هناك وقت كاف بعد ذلك لادخال الحواشي ، أو للعودة الى المكتبة بحثا عن مزيد من الاستعلامات وأهم من كل هذا ابدأ الكتابة •

صفات المخابرات الجيدة :
في حينه ، صادق ، مرو جيدا :



على أننا نستطيع أن نلخص صفات المخابرات الجيدة في عدة كلمات : « في حينه - صادق - مرو جيدا » • فكلية « في حينه » أو في الوقت المناسب اعتبار لا يقدره ضباط المعلومات فيما عدا الممتاز منهم • وفي مجال التعلم البحث تعد الملاءمة الزمنية في معظم الاحيان غير هامة ، ومع ذلك ففي المعلومات تكمن قيمة التقارير تقريبا في «درجة الاستفادة» منها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالنسبة للامن القومي • ودرجة الاستفادة هذه تتصل اتصالا وثيقا بملائمتها الزمنية ، وقيمة أي تقرير معلومات تقل سريعا بمرور الزمن •

وأما الصدق فهو بطبيعة الحال أمر أساسي في المعلومات • ومن الضروري أن قبالغ في التقدير أو تقلل من شأن الموقف أو تتجنب الطريق الحاسم عند عرضنا لموقف أجنبي • فالاختبار ووضع التأكيد في مكانه والفهم الحقيقي كلها جوانب ضرورية عندما نروي شيئا بصدق •

وأما « مرو جيدا » فهو العامل الحيوي الاخير ، وكثيرا ما لا تصيب المعلومات الهدف حتى ولو كانت ملائمة للزمن أو صادقة ، ذلك

أنها لا تقرأ ولا تفهم أو لا تصدق • وفي عرض المعلومات يجب أن نوجه اهتماما كبيرا للبساطة والوضوح وكذا امكان قراءة المادة والخرائط والرسوم ، وأن نبين للقارىء درجة تأكدنا أو عدم تأكدنا للمعلومات • كما يجب أن نبرز مغزى الحقائق ، وقائمة مراجع جيدة ، لتخطيط المعلومات ، والوصول الى المغزى الحقيقي •

الفصل الثالث



وَصْنَعُ الْمَخَابِرَاتِ فِي الدَّوَلِ

مخابرات كانارييس
الامانية - المخابرات
المركزية الامريكية -
سبب انشاء المخابرات
المركزية - توصية
الرئيس ترومان -
مخابرات الاتحاد
السوفييتي - الكيان
القانوني الاداري
للمخابرات - المخابرات
وقوات الدفاع -
المخابرات والتمثيل
الدبلوماسي - المخابرات
واجهزة الشرطة -
الاهمية المركزية في
المخابرات .

من المستطاع استتكار نشاط المخابرات ، كما أنه من الممكن وصف هذا النشاط بأنه غير مشروع ، الا أن وجود جهاز المخابرات وضرورته السياسية من الامور التي لا يمكن افكارها ، والحاجة القومية اليه مما لا شك فيه .

ذلك لان المخابرات في أي جهاز من أجهزة السياسة العليا له مهام جوهرية سواء للتحضير لشن عدوان أو للقضاء على مثل هذا العدوان ، ومن ثم يمكن المحافظة على السلام .

ومما يؤسف له أن مفهوم المخابرات في معظم دول العالم العربي لا يدركه الكثيرون مما أدى الى الخلط بين مهمة المخابرات وأجهزة الامن الاخرى ، والى عدم تفهم العلاقة بين أجهزة الامن المختلفة ووضع المخابرات في الدولة .

ولذا نرى من الاوفى قبل محاولة الخوض في هذا التفسير أن نعرض لثلاثة أجهزة من المخابرات الاجنبية وهي توضح ثلاثايدولوجيات مختلفة ، كما تفسر الدوافع وراء انشائها ، ويمكن بدراستها استنباط دروس عديدة لسد الثغرات التي نعاني منها .

مخابرات كاناريس الالمانية :



الواقع أنني اخترت بالذات هذه المنظمة التي تولى رئاستها في عهد هتلر الكابتن البحري كاناريس بعد اقالة الكابتن البحري بانسيج ، لان الكثير مما كتب عن هذا الرجل الفذ غير حقيقي ، كما أنه في الوقت نفسه يثير الحيرة .

ذلك أن شخصية هذا الرجل وآراءه قد شكلت هذه المخابرات

بصفة مميزة ، ويمكن القول أن هذه المخابرات كانت من خلقه الى حد بعيد ، فما أن ذهب عنها حتى كان نصيبها الانهيار السريع ، ومن ثم فليس ثمة مبالغة في أن نقول ان المخابرات كانت هي كاناريس وكان كاناريس هو المخابرات •

في عهد كارانيس تطورت المخابرات واتسع نطاقها ، وأصبحت منظمة لها فروعها العديدة وأقسامها الكثيرة ، وتمشيا مع التوسع في القوات المسلحة أصبحت للمخابرات ادارة الشؤون الخارجية بالاضافة الى المخابرات في القيادة العليا للقوات المسلحة •

ولذا لم يعد عملها مقصورا على سلاح واحد من أسلحة القوات المسلحة ، ولكنه أضحي نشاطا موجها لخدمة الاسلحة الثلاثة وهي الجيش والبحرية والطيران •

ولقد كان لهذه الادارة قسم مركزي تحت رئاسة الكولونيل السابق والجنرال فيما بعد « اوستر » • وكان هذا القسم المركزي ينقسم بدوره الى ثلاث ادارات هي : الادارة المالية «ZF» وادارة الشؤون القانونية «ZR» وادارة المحفوظات المركزية «ZKV» وهذه الادارات الثلاث كانت مجموعات ذات صفة ادارية مهمتها خدمة الاقسام الثلاث الأخرى الآتي ذكرها فيما بعد •

والى جانب القسم المركزي كان هناك قسم للشؤون الخارجية • وكان على هذا القسم رعاية العلاقات مع الدول الأخرى وخاصة الصديقة والمتحالفة • وكان يرأس قسم الشؤون الخارجية هذا ، الكابتن البحري ونائب الاميرال فيما بعد « بيركر » •

أما أقسام المخابرات الثلاثة فهي :

— قسم الدفاع رقم (١) •

ويرأسه الكولونيل ثم الجنرال فيما بعده • بكتبروك ، وكانت مهمته هي خدمة المعلومات السرية أو الاستطلاع النشط •

— قسم الدفاع رقم (٢) •

ويرأسه الكولونيل ثم الجنرال فيما بعده لاهوزن ، وكانت مهمة هذا القسم القيام بإعداد وتجهيز وحدات التخريب والقيام بالعمليات الخاصة الأخرى •

— قسم الدفاع رقم (٣) •

ويرأسه الكولونيل ثم الجنرال ماجور فيما بعده فون بنتفجني وكانت مهمة هذا القسم مقاومة الجاسوسية المضادة ، وأعمال التخريب •

هذا وقد كانت مجالات أنشطة المجموعات متفرعة بما يتمشى مع أسلحة القوات المسلحة الثلاثة وهي الجيش والبحرية والطيران •

وكانت مهمة القيام باستطلاع المجال الاقتصادي منوطة بالمجموعة رقم (١) اقتصاد «IWI» • كما كانت مهمة استطلاع تكنولوجيا الجيش منوطة بالمجموعة رقم (١) تكنولوجيا الجيش «IHT» ، كذلك كانت مهمة استطلاع تكنولوجيا الطيران منوطة بالمجموعة رقم (١) تكنولوجيا الطيران «IT|LW» .

وفيما يتعلق بتحضير المحررات السرية والتصوير ، وجمع الأدوات الخاصة بالاستطلاع السري والجاسوسية ، فكانت منوطة بمجموعة رقم (١) ج • أما فيما يختص بالمواصلات اللاسلكية — وينضوي تحت هذا العنوان تطوير أجهزة اللاسلكي الخاصة بالعملاء وتدريب العملاء على

الأجهزة اللاسلكية وإقامة شبكات مكافحة خاصة - فكانت منوطة بالمجموعة رقم (٢) •

وكان تنظيم العمل في القسم الثالث يختلف اختلافا كبيرا عما تقدم ، إذ كانت المجموعة رقم (٣) قوات مسلحة مكلفة بمكافحة الجاسوسية والتخريب ، وتفرعت من المجموعة رقم (٣) جيش ، ومجموعة رقم (٣) طيران ، ومجموعة رقم (٣) بحرية • ولذا كانت هذه المجموعات مجموعات فردية •

ولقد كان من المفروض ضرورة الاهتمام بمكافحة التخريب والجاسوسية في القطاع المدني ، وكانت هذه المهمة منوطة بمجموعة رقم (٣) ج بمجموعتيها الفرعيتين رقم ٣ ج (١) ، ٣ ج (٢) •

وكانت المجموعة ٣ ج (١) مختصة بالسلطات الحكومية ، أما المجموعة ٣ ج (٢) فكانت مختصة بباقي القطاع المدني فيما عدا الاقتصادي الذي خصصت له المجموعة رقم (٣) اقتصاد •

والواقع أن مجال العمل هذا كان واسع النطاق جدا • لذا كان يعمل فيه ضباط مخبرات مختصون بالتفتيش على التسليح ، وكذلك بإدارة التسليح وكان اسم هذه المجموعة مجموعة رقم AO3 تسليح •

كان مجال الحماية ضد المخبرات المعادية ينتظم تحت لوائه العمل في نشاط تضليل العدو ، ودس معلومات زائفة وصحيحة بغية خداع العدو بمختلف الوسائل •

ويدخل ضمن هذا النشاط استطلاع مخبرات العدو ، وليس فقط الوقاية منها •

وقد ظلت مراكز خدمة المخبرات التابعة لمناطق الدفاع العسكرية

وهي التي تبعت فيما بعد الفيالق والفرق ، ظلت كما هي في عهد كانارييس .
ففي كل قيادة منطقة عسكرية كانت هناك مراكز مخابرات برئاسة ضابط
أطلق عليهم IC/AO وكان الحرفان الاولان IC يشيران الى القيادة
المنوط بها مكافحة المخابرات المعادية ، أما الحرفان الاخيران فهما يعنيان
أن الضابط ضابط مخابرات .

وكانت مراكز المخابرات التابعة للمناطق العسكرية تتقدم دائما الى
النقط الهامة ولا سيما عند الحدود حيث تقام مراكز مخابرات اضافية
أو مراكز مخابرات خارجية .

كانت مراكز المخابرات التابعة للمناطق العسكرية مقسمة فقس
تقسيم الادارة العامة الى ثلاثة أقسام : قسم استطلاع نشيط ، وقسم
تخريب ومهام خاصة ، وقسم مكافحة الجاسوسية . وكان يطلق على مراكز
المخابرات هذه اصطلاح «ASF» .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية كان ينبغي أن يتسع نطاق عمل
المخابرات تمشيا مع احتلال الدول المعادية ، لذا كان الشكل التنظيمي
للمركز الرئيسي للمخابرات وللمراكز الفرعية الاخرى يتمشى دائما
مع هذا التوسع .

ففي معركة بولندا وضع القسم رقم (٣) مخابرات مع القوات
المحاربة وسار معها حتى الجبهة ، وذلك بهدف حماية القوات المحاربة
من نشاط المخابرات المعادية ، هذا مع جمع المعلومات السرية والقبض
على عملاء الاعداء . وكان هذا الاجراء صحيحا ، وأثبت نجاحه بتكراره
في معارك الغرب .

ولقد كان ضروريا في وقت السلم قبل الحرب ، اقامة نقط دفاع في
الدول المحايدة على صورة مؤسسات اقتصادية للتعمية ، أو في داخل

البعثات الدبلوماسية الألمانية مستخدمة سائرا مهنيا مناسباً . وكانت هذه تحمل اسم منظمات حرب «KO» .

وبنشوب الحرب عزلت ألمانيا عن كثير من مصادر الانباء ، ولذا كان لمنظمات الحرب أهمية كبرى .

وكانت المهمة ذات الدرجة العالية من الأهمية بالنسبة للادميرال كاناريس ، تلك المهمة التي أخفق فيها أسلافه في هذا المنصب ، هي وضع حدود معينة لاختصاصات شرطة الدولة السرية والسلطات الأخرى ومنظمات الحزب .

ولم يكن للمخابرات الألمانية أية أداة تنفيذية خاصة بها ، فلم يكن ثمة شرطة عسكرية في ألمانيا وقت السلم ، وعلى عكس ما كان متبعاً في كثير من الدول . لذا كانت المخابرات تعتمد على الشرطة العادية .

ولكن شرطة الدولة السرية كانت دائبة المطالبة باحتكار مهمة حماية الدولة ، وزادت هذه الاتجاهات الاحتكارية في هذا الحقل من النشاط في عهد هيملر ومعاونه الأول هايدريش ، وذلك بمجرد أن أخذوا على عاتقهما مسئولية المنظمات البوليسية في الرايخ الثالث .

لقد كانت مهمة الشرطة السرية مقصورة على الاجراءات السياسية الداخلية ، غير أن مطامعها دفعتها الى التطلع لانشاء مخابرات سياسية في الخارج ، ولكنها أخفقت وتبع عن ذلك أن حدث كثير من التضارب بين المخابرات السياسية والشرطة السرية والمخابرات العسكرية . ونحن نعتقد أن هذا التضارب من أسوأ ما يجابه أجهزة المخابرات في الدول المختلفة ، فقد عانيت أنا شخصياً بصفتي رئيساً لجهاز المخابرات العامة والمسئول عن المخابرات السياسية ومقاومة التجسس من مثل هذا التضارب في الأحـد

عشر عاما التي توليت فيها رئاسة المخابرات العامة ، ولكنني استطعت التغلب على هذا التضارب الى حد كبير بالتوفيق بين الاجهزة المختلفة المتشعبة والتي تتبع وزارات ومصالح حكومية مختلفة .

وقد تمكن كاناريس بعد مفاوضات طويلة من الوصول الى اتفاق بين المخابرات وشرطة الدولة السرية على النحو الآتي :

« يقتصر عمل المخابرات على المخابرات العسكرية فقط على أن تمتنع شرطة الدولة السرية عن أي نشاط خاص بالمخابرات العسكرية ، أما اذا تمكنت من الوصول الى معلومات عسكرية ، فعليها أن تقدمها فورا دون أي تقييم الى مركز المخابرات المختص . وفيما يتعلق بالمخابرات السياسية كان واجبا على المخابرات العسكرية الا تقوم بأي نشاط في مجالها » .

ولما كانت الحدود التي وضعت فيما بعد بين الاختصاصين حدودا مرنة ، ولما كانت جهود المخابرات تذهب سدى اذا لم تكن قادرة على أن تدخل في اعتبارها الظروف السياسية والعسكرية معا ، فقد أصبح أمرا عسيرا القيام بجمع معلومات معينة عن مثل هذه الظروف ، ومع ذلك كانت مثل هذه المعلومات تصل بصفة عامة الى الادميرال كاناريس بصفة شخصية .

وكان ما يسمى بالجاسوسية المضادة وأعمال التضليل من واجب المخابرات العسكرية ، وكان على شرطة الدولة السرية أن تحول لمركز المخابرات المختص جميع حالات الجاسوسية المضادة التي كانت تقع في نطاق عملها .

على أن كاناريس كان يدرك تماما أن التوسع في نفوذ جهاز هملر وهایدريش أمر ليس بمستبعد ، كذلك كان يدرك أن التغييرات الاساسية، التي لا بد من بروزها في حالة نشوب حرب سوف تهيء الفرصة لكلا

الطرفين لكي يينزل كل منهما الجهد والمحاولات بغية احتلال مراكز
الصدارة في مضمار النفوذ والسلطة .

ولذا كانت الاحتكاكات العنيفة بين المخابرات وسلطة الدولة السرية
من الامور التي لا يمكن تجنبها أو تلافيها . .
ولكي يتمكن كاتاريس من تجنب الاحتكاكات في الوقت المناسب :
حث القيادة العليا المسلحة على انشاء شرطة عسكرية سرية للعمل في
الميدان ، وذلك وقت اعلان التعبئة العامة .

وبهذا أصبح الجيش ومعه المخابرات جهازا تنفيذيا خاصا به ، ظهر
الى الوجود في حالة اعلان التعبئة العامة .

وكان العاملون في شرطة الميدان العسكرية يختارون من بين الذين
كانوا يعملون أصلا في الشرطة الجنائية ، حيث كان نفوذ فرقة العاصفة
«S.S» ضعيفا ، وكذلك من بين العاملين في الاجهزة الفرعية التابعة للشرطة
النظامية في الاقاليم .

* * *

وخلاصة القول أن المخابرات الالمانية أنشئت على أساس اللامركزية .
ومن المفيد أن نسردها هنا صورة سريعة للمهام التي كانت ملقاة على عاتق
مركز مخابرات هام .

كانت مهام مركز هامبورج مثالا قبل الحرب هي الحصول على
معلومات عسكرية مع جعل مركز الثقل في فرنسا وما وراء البحار ، وكانت
بريطانيا حتى قبل الحرب من الاماكن التي صرف النظر عنها طبقا للاوامر .
وحيثما بدأ التوتر الدولي في التزايد في مستهل عام ١٩٣٩ اهتمت
برلين لأول مرة ببريطانيا وصدرت الاوامر بالقيام بنشاط استطلاع .
وعلى العموم كانت مجالات مراكز المخابرات مقسمة حسب الموقع
الجغرافي ، غير أنه بالنسبة لمركز هامبورج كان ثمة استثناء ، ذلك أن

موقع مدينة هانزشتات كمركز اتصالات على المستوى العالمي كان يهيئ
الفرصة الطيبة للاستفادة منها في الحصول على المعلومات •
وهكذا اطلقت يد مركز مخابرات هامبورج في منطقة البحر المتوسط
وفي شبه جزيرة أيبيريا وشمال افريقيا ، والامريكتين •
وبالنسبة للقيادة العليا الخاصة بالبحرية الحربية كان من المهم جدا
الوقوف على طرق الملاحة البحرية التجارية المعادية في منطقة أمريكا
الجنوبية ، فقد كانت ثمة أهمية خاصة بالنسبة للوقوف على
كيفية التحكم في مشكلة الامداد من ناحية أمريكا الشمالية الى مسرح
الحرب في شمال افريقيا وأوروبا ، وذلك قبل أن تدخل الولايات المتحدة
الحرب •

□ المخابرات المركزية الامريكية :

فاذا انتقلنا الى الولايات المتحدة الامريكية بنظامها الرأسمالي نجد
أن الهجوم الياباني على بيرل هاربر كان بمثابة انذار بأهمية وجود جهاز
مخابرات ذي كفاءة عالية ، وهذا ما حدا بالرئيس فرانكلين روزفلت الى
استبداء وليم دونوفان عام ١٩٤١ للقيام بمهمة انشاء جهاز مخابرات
سري - فأشأ ما يسمى بمكتب تنسيق المعلومات •

ولقد بدأ الجهاز كمنظمة سافرة للبحوث والتحليل ، وتضم نخبة من
أحسن المؤرخين في البلاد • وفي يونيو ١٩٤٢ تم تعديل اسم هذا المكتب
الى مكتب الخدمات الاستراتيجية OSS ، وأوكل اليه مهمة جمع
المعلومات الاستراتيجية وتحليلها وتخطيط الخدمات الخاصة وتنفيذها •
وفي ذلك الوقت كان مكتب الخدمات الاستراتيجية مشغولا في
« خدمات خاصة » كستار لعمليات المخابرات السرية من كل الانواع

ولا سيما تلك المتعلقة بتأييد ومعاونة الجمعيات المختلفة المناهضة للنازي خلف خطوط العدو ، وكذلك المتعلقة بالتحضيرات السرية لغزو شمال افريقيا .

وفي خلال عام ١٩٤٣ كانت عناصر مكتب الخدمات الاستراتيجية تعمل على مستوى عالمي فيما عدا أمريكا اللاتينية حيث كان يتركز نشاط جهاز المباحث الفيدرالي الأمريكي FBI ، وكذا في بعض أجزاء الشرق الأقصى حيث كان يتولى المسؤولية هناك جنرال ماك آرثر .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية نجح مكتب الخدمات الاستراتيجية في تشكيل وحدات خاصة لعمل الدعاية السوداء ونشرها ، وكذا الجاسوسية المضادة ولبعض الاعمال الخاصة بالتخريب والمقاومة . وكان هذا يتطلب مواهب غير عادية ، كالقدرة على التدمير تحت سطح الماء ، والقيام بأعمال فنية لمساعدة المهام الخاصة بالمخابرات . وكان لا بد ان نشوء المكتب مدارس التدريب الخاصة به للتدريب على القيام بهذه الالهيال .

وقبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية في اثناء اجتياح جيوش الحلفاء المانية ، أنشأ المكتب وحدات خاصة للقبض على مجرمي الحرب ، واستعادة الكنوز الفنية المنهوبة ، وتتبع تحركات الاموال التي قيل أن زعماء النازي كانوا قد أخفوها حتى يعودوا مرة أخرى في المستقبل ، ولم يترك المكتب شيئاً لم يفعله في المدة ما بين عام ١٩٤٢ ونهاية الحرب .

ويعزو مستر الين دالاس في كتابه « حرفة المخابرات » الدافع وراء انشاء وكالة المخابرات المركزية بعد الحرب الى وجود الشيوعيين أصلاً ، ثم يعلق بأنه لولا ذلك لكافت الولايات المتحدة ترحب بأن تترك مسؤولية حفظ السلام للأمم المتحدة .

لقد كان لرأيه أهمية تستحق الدراسة ، وان كنا نرى أن الدافع

الاساسي لانشاء أجهزة المخابرات الحديثة في الدول العصرية هو المحافظة على أمنها القومي في عالم تتخبط فيه العقائد المختلفة وتتشابك فيه المصالح الدولية .

ولذا يحسن بنا أن نسرّد فيما يلي قول مستر آلين دالاس في هذا الصدد .

« اولا الشيوعيون لرحبت بحكومتنا بأن تترك مسؤولية حفظ السلام للامم المتحدة . وفي يالتا استفسر ستالين من روزفلت عن المدة التي تتوقع أن نحفظ فيها بقواتنا في أوروبا . وأجاب الرئيس بأنه يتوقع بقاءها مدة عامين . وبالنسبة للأحداث التي تابعت بسرعة في سنوات ما بعد الحرب ، اتضح انه في المدة ما بين عام ١٩٤٥ ، ١٩٥٠ قرر ستالين وماوتسي تونج ألا ينتظرا حتى تسحب بانتظام من أوروبا وآسيا وأن يقوموا بطردنا منها .

« وأقامت موسكو نظام حكم شيوعي في بولندا ورومانيا وبلغاريا قبل أن يجف مداد الاتفاقيات التي وقعت في يالتا وبوتسدام . ووجه الكرملين تهديده الى ايران في عام ١٩٤٦ ، وعقب ذلك فرض نظام حكم شيوعي على المجر ، كما أثار حربا أهلية في اليونان واستولى على تشيكوسلوفاكيا ، ونفذ حصار برلين . وفي عام ١٩٥٠ انضم ماو الى ستالين في الهجوم على كوريا الجنوبية ، وفي نفس الوقت ازدادت قوة مركز « ماو » في الصين الأم . وأوضحت هذه الضربات الموجهة الى جهات العالم المختلفة الحاجة الى وجود نظام مخابرات على مستوى عالمي » .

ويستشهد دالاس تأييدا لوجهة نظره - بما جاء بخطاب الرئيس ترومان الذي ألقاه أمام الكونغرس في ١٢ من مارس عام ١٩٤٧ حيث أعلن أن الاعمال الشيوعية تهدد الولايات المتحدة ، كما صرح بأن سياسة الولايات المتحدة يجب أن تبنى على مساعدة الشعوب الحرة

للاحتفاظ بأنظمتها الحرة وسلامتها الوطنية ضد الحركات العدوانية التي تسعى الى فرض أنظمة الحكم الجماعية عليها . وأضاف الرئيس ترومان أنه لا يمكن أن تسمح الولايات المتحدة باجراء تغييرات في الحالة الراهنة نتيجة اجبار ، أو نتيجة تسلل سياسي أو غيره من الطرق السرية .

ويعود دالاس فيقول : « انه لما وضح أن الامم المتحدة لن تستطيع أن تلعب دور « الشرطي » طالما أن الاتحاد السوفيتي يملك حق الفيتو . كما وضح أيضا أن أمامنا فترة طويلة من الازمات . وتحت هذه الظروف اتخذت الحكومة سلسلة من الاجراءات لتحويل كلماتنا الى أعمال . وكان من بين أولى الاجراءات اعادة تنظيم أمر بناء دفاعنا الوطني الذي تطلب توحيد الخدمات العسكرية تحت رئاسة وزير الدفاع ، وكذلك انشاء مجلس الامن الوطني » .

وان كنا نوافق على وجهة نظر مستر آلين دالاس من ناحية وجود دافع اساسي لانشاء المخابرات المركزية هو وجود خصم قوي للولايات المتحدة يختلف اختلافا بينا عنها سواء في العقيدة او النظام الاقتصادي والسياسي ، الا اننا نرى ان ذلك ليس هو السبب الوحيد لانشاء المخابرات المركزية ، فان العصر الذي نعيش فيه تسوده نواح سيكولوجية عديدة تؤثر على افكار الشعوب ، كما ازدادت فيه اساليب التجسس بدرجة رهبة معتمدة في ذلك على التقدم التكنولوجي الذي يسر افشائها وحل كثيرا من المشاكل التي كانت تواجه المخابرات في الازمان الغابرة . ولذا لا يمكن لاي دولة ان تعيش في أمان ، دون ان تمتلك جهاز مخابرات ضخم وعلى مستوى عال من الكفاءة .

وعلى كل فقد اوصى الرئيس ترومان — بناء على تقرير مقدم من جنرال دونوفان — بانشاء وكالة مخابرات مركزية كجهاز دائم يتبع الحكومة؛

ووافق الكونجرس الجمهوري كما وافق الحزبان الديمقراطي والجمهوري على ذلك طبقا لقانون الامن الوطني لعام ١٩٤٧ •

ولم تنشأ وكالة المخابرات المركزية على غرار مكتب الخدمات الاستراتيجية ، او على غرار أي منظمة مخابرات معاصرة في البلاد الاخرى • كان نظامها بصفة عامة فريدا في قوعه ، حيث كان يجمع تحت قيادة واحدة عملية تحليل المخابرات السافرة وتنسيقها مع عمليات المخابرات المختلفة •

وفي الوقت نفسه قصد من الجهاز الجديد أن يملأ الفراغ الذي كان موجودا في جهاز المخابرات القائم ، دون أن يحل محل وحدات المخابرات الامريكية الاخرى التابعة لوزارة الخارجية ووزارة الدفاع او منافسها •

كذلك كان مفهوما أن وزارة الخارجية التي كانت تعتمد في معلوماتها على التقارير التي تصلها من السفارات الدبلوماسية في الخارج ، وأن القوات المسلحة التي كانت تعتمد على ملحقها ، لا تتوقع ان تجمع معلومات عن كل اجزاء العالم التي يصعب الوصول اليها ، أو أن يكون لها قائمة من ضباط المخابرات المدربين • ولهذا السبب منحت وكالة المخابرات المركزية حق انشاء جهاز سري خاص بجمع المعلومات ، وهو مستقل عن الجهاز التابع للوكالة الذي يختص بجمع وتقييم المعلومات عن اجزاء الحكومة الاخرى •

على أن احدث تطور في نظام المخابرات الامريكية هو توحيد ادارة الفروع المختلفة للمخابرات التابعة للقوات المسلحة • ففي اغسطس ١٩٦١ أنشئت وكالة مخابرات الدفاع «DIA» طبقا لقرار اصدارته وزارة الدفاع ، وعين أول مدير لها لفتانت جنرال جوزيف كارول ، وكان يعاونه ضابطان كبيران من ضباط المخابرات •

وقد اسهم بنصيب خاص في انشاء مجلس مخابرات الولايات المتحدة USIB الاميرال صمويل فرانكل - رئيس اركان حرب - في الفترة التي خدم فيها آلين دالاس مديرا للمجلس • ولم تكن وكالة مخابرات الدفاع عبارة عن ادماج لفروع مخابرات القوات المسلحة ، ولكنها كانت محاولة لتحقيق اكبر تنسيق وكفاية بين عمليات المخابرات في الاسلحة الثلاثة •

وكان تكوين وكالة مخابرات الدفاع - كسابقها وكالة المخابرات المركزية - نتيجة مجهود مدروس لاعطاء المخابرات مركزها الملائم •
ويعلق آلين دالاس على هذا التنظيم بقوله :

« هناك احتمال أن تصبح هاتان الوكالتان القويتان - وكالة المخابرات المركزية ، ووكالة مخابرات الدفاع متنافستين • ولكن بعض التنافس قد يجري ولكنه اذا زاد عن حده أصبح خطرا باهظ التكاليف ، ولذلك كان من الضروري عمل تحديد واضح لمهام كل منهما وهذا هو ما حدث » •

والواقع ان هذا الرأي من وجهة نظري سديد ، فاقني بخبرتي فسي أعمال المخابرات في السنين العديدة التي قضيتها رئيسا للمخابرات العامة ، ورئيسا لهيئة المخابرات كنت أشجع التنافس ، ولكنني كنت لاحظ في بغض الاحوال أن هذا التنافس كان يحاول ان يتغلب على المصلحة القومية ، ولذا كنت اسارع الى كبح جماحه ، واين للاجهزة المختلفة خطورة هذا السلوك •

□ المخابرات السوفيتية :

ساعدت الظروف المخابرات السوفيتية في أعمال المخابرات ، اذ أن

الحزب الشيوعي مكن السوفييت من استخدامه خارج الاتحاد السوفيتي في عمليات الجاسوسية ، ولكن ثمة نقطة ضعف تكمن في هذا الاسلوب ، اذ كلما كان يكتشف خارج الاتحاد السوفيتي أحد عناصر الحزب الشيوعي المحلي في عملية تجسس ، يشعر هذا الحزب بالعار كمنظمة سياسية مثالية ، حيث يظهر أمام الوطن كأداة معادية ومن أذئاب موسكو!

وفي كل مرة تعرض فيها الحزب للانكشاف — كما حدث في اوروبا في حقبة العشرينات — لوحظ هبوط حاد في أعمال المخابرات التي تقوم بها الأحزاب الشيوعية المحلية . أضف الى ذلك أن قيمة استخدام عملاء لم ينالوا التدريب الكامل في أعمال المخابرات أمر مشكوك فيه ، لأن هؤلاء الهواة لا يقتصرون على الكشف عن أنفسهم ، بل يكشفون كذلك عن عمليات المخابرات التي تقوم بها أجهزة المخابرات الصحيحة ، وعموما فإن معظم الدول الجماعية تنشئ جهازين يتميز كل منهما باختصاصات معينة ، بينما تتداخل أعمالهما من آن لآخر .

أحد هذين الجهازين هو جهاز المخابرات العسكرية الذي تديره القوات المسلحة ، ويختص بجمع المعلومات العسكرية والفنية في الخارج ويسمى هذا الجهاز في الاتحاد السوفيتي باسم GRV أي ادارة المخابرات الرئيسية . أما الجهاز الاخير فهو جهاز الامن ، وواجبه الاساسي الضرب على أيدي المنشقين وحماية نظام الحكم .

ولما كان جهاز الامن هذا من نتاج الحزب الذي يتولى الحكم ، فإن مناصبه تسند دائما الى الزعماء السياسيين ، ويسعى الجهاز دائما الى السيادة والسيطرة على جهاز المخابرات العسكري ان لم يستطع امتصاصه .

وسواء صادف جهاز الامن في الدولة الجماعية أو لم يصادف نجاحا من جهة السيطرة على الجهاز العسكري ، فمما لا شك فيه أنه دائما الجهاز الاقوى . ففي عام ١٩٥٨ وضع خروشوف أكثر رؤساء جهاز الامن الذين

يثق فيهم - جنرال ايفان سيروف - على رأس الجهاز العسكري ليراقبه، ولكن يبدو أن سيروف تعرض لظروف سيئة ويقال أنه تم القبض عليه في حركة تطهير خارج نطاق أجهزة المخابرات ، وقد تسلم رئاسة جهاز الامن بعد ذلك زعماء سياسيون مثل شلبين وشبيتشاشي .

وفي عام ١٩٣٤ أصبحت الادارة السياسية للدولة GRU وهي جهاز الامن جزءا من قوميسارية الشعب للشؤون الداخلية NKVD ، وكان من نتيجة هذا الاندماج في النهاية أن وضعت تحت وزارة واحدة كل أجهزة الامن المدقية وكل أجهزة المخابرات - السرية والسافرة والاجنبية . وفي الوقت الذي كان الفرع الخارجي للامن السوفيتي يتسع ليصبح جهازا للجاسوسية والعمل السياسي على نطاق عالمي ، كان الفرع المحلي ينمو حتى صار رهيبا . ويقال أنه في عهد ستالين كان واحد من كل خمسة مواطنين سوفيت يقدم تقريرا له . وبالإضافة الى ذلك فانه كان يسيطر على كل الميليشيا الخاصة بالحدود ، وكانت له ميليشيا داخلية خاصة به ، وكان يدير كل السجون وكل معسكرات الاعتقال ومعسكرات العمل ، وكان يفرض رقابته على الحكومة وعلى الحزب الشيوعي نفسه .

كانت تكمن سلطة جهاز الامن المخيفة - كشرطة داخلية - في أن له سلطة في القبض على الناس والحكم عليهم بالاعدام بناء على أوامر الدكتاتور أو جلاديه دون الرجوع الى محاكمة قانونية ، ودون سيطرة أي جهاز من أجهزة الحكومة .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها انقسم هذا البناء الكبير لقوميسارية الشعب للشؤون الداخلية ، ثم أعيد توحيدهم ثم انقسم مرة أخرى ثم أعيد توحيدهم مرة ثانية ، وانقسم أخيرا الى جهازين منفصلين

فأصبح جهاز الامن للدولة مسئولاً عن أعمال الجاسوسية الخارجية وعن الامن الداخلي على مستوى عال ، واحتفظ الجهاز الآخر بكل مهام البوليس غير المتصلة اتصالاً مباشراً بأمن الدولة على المستويات العليا وأطلق عليه اسم MVD أي ادارة الشؤون الداخلية .

واضح أن أي فرع سري يمكنه أن يتدخل ويسيطر على الحياة العامة — حتى في أعلى طبقات السلطة — وهو يخضع لاشراف الدكتاتور المطلق ، وهكذا كان لا بد أن يظهر وأن يضعف حتى لا يتلع كل شيء بما في ذلك الدكتاتور نفسه .

ويعرض تاريخ جهاز أمن الدولة السوفييتي — تحت أسمائه المختلفة — دورات كثيرة عن تزايد قوته ثم يتلو ذلك تطهير ، ومن ادماج ثم انقسام ومن سلسلة من جرائم القتل السياسي احياناً بواسطته وأحياناً أخرى ضده .

وبعد ان يقوم الزعيم باستغلاله فترة من الزمن حتى يبقى في الحكم، يعمد الى تصغير حجمه أولاً ، لانه اصبح يعرف أكثر مما يجب أن يعرف ، وثانياً خوفاً من أن يقوى ويصبح خطراً عليه . ويحدث الشيء نفسه بعد ان يموت دكتاتور محافظة أمن خليفته .

وفي أوائل الثلاثينات استخدم ستالين الادارة السياسية للدولة GRU لغرض النظام الجماعي وتصفية القولا ق ، وفي منتصف الحقبة نفسها استخدم قوميسارية الشعب للشئون الداخلية NKVD للقضاء على كل الناس الذين لا يثق فيهم ، او الذين لا يحبهم داخل الحزب او داخل الجيش أو الحكومة .

وفي عام ١٩٣٧ أجرى ستالين تطهيراً في جهاز التطهير نفسه لان رؤسائه وكبار ضباطه كانوا يعرفون أكثر مما يجب عن جرائمه ، ولانه أصبحت لهم السلطة التالية لسلطته .

وفي عام ١٩٥٣ — وبعد موت ستالين — أصبح جهاز الامن يشكل

مرة أخرى القوة الكبرى في الصراع من أجل الحكم ، وشعرت القيادة الجماعية أنها لن تكون في مأمن إلا إذا تخلصت من قائده لا فرتى يريا فقتله كما قتلت جلاديه .

وفي خطاب خروشوف الذي ألقاه أمام المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي عام ١٩٥٦ ، والذي كشف فيه عن جرائم ستالين ركز خروشوف على الجرائم التي ارتكبها ستالين بمعاونة قوميسارية الشعب للشئون الداخلية .

ولم يقتصر هذا الخطاب على أن يكون فاتحة هجوم خروشوف على الستالينيين في وقت كان الستالينيون ما زالوا فيه في الحكم ، بل أن هدفه كان تبرير حركة التطهير التي كانت تقوم بها أجهزة أمن الدولة ، والتي قام بهالتقوية مركزه كدكتاتور .

وحتى يوهم الشعب السوفيتي والعالم الخارجي أن عهدا جديدا من المساواة الاشتراكية قد بدأ ، عمد خروشوف الى القضاء على صورة جهاز الامن كجهاز تنفيذي للكبت ، ومن بين الخطوات التي اتخذها انه اعلن في ٣ سبتمبر عام ١٩٦٢ تغيير اسم ادارة الشئون الداخلية الى ادارة القانون العام والنظام ، ولكنه لم يوضح عمل هذه الادارة الجديدة ، وان كان قد وعد بأنه لن تجري محاكمات لمواطنين سوفيت يكون قد حكم عليهم سرا .

ولكن ما زالت أجهزة الرقابة الداخلية موجودة وان اتخذت اشكالا جديدة ، فمثلا صدر قرار في ٢٨ من نوفمبر سنة ١٩٦٢ بإنشاء نظام رقابي مفصل يكون بمقتضاه - طبقا لما نشرته صحيفة نيويورك تايمز في ٢٩ من نوفمبر ١٩٦٢ - أن يصبح كل عامل في كل عمل رقيا على تنفيذ كل توجيهات الحزب والحكومة .

وعلقت صحيفة البرافدا على القرار بالاشارة الى ضبط عمليات تزوير واختلاس ورشوة وبيروقراطية ، وصرحت بأن النظام الجديد

سوف يكون سلاحا حادا ضد هذه الانحرافات وضد الروتين وضد استغلال النفوذ وضد بعثرة أموال الدولة ، واطلق على هذا الجهاز الرقابي الجديد اسم لجنة رقابة الحزب ورقابة الدولة .

ونتيجة لهذا العدد الكبير من المبلغين ضد مجموعات واسعة من الجرائم وسوء السلوك ، كان من الممكن الزج بأي شخص في السجن في أي وقت . وكانت الصحف مليئة بالتقارير عن محاكم الاتحاد السوفيتي التي كانت تصدر احكامها بالاعدام أو بالسجن مددا طويلة لجرائم تعتبر جنحا في الدول الاخرى .

وقد اسندت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي رئاسة جهاز الرقابة الجديد الى الكسندر شلين الذي كان رئيسا لجهاز أمن الدولة السوفيتي والذي خلف الجنرال ايفان سيروف عام ١٩٥٨ . وفي ٢٠ ديسمبر ١٩٦٢ ظهر مقال في صحيفة برافدا كتبه سينشاشنى رئيس جهاز أمن الدولة السوفيتي بدأ بهذه الكلمات : —

« في مثل هذا اليوم منذ خمس واربعين سنة بتوجيه من فلاديمير اليتش لينين » واستمر في وصف أول جهاز أمن سوفيتي — التشيكا — في عام ١٩١٧ وأخذ يلخص تاريخ الشرطة والمخابرات السوفيتية زهاء خمسة وأربعين عاما . ومع أن هذا المقال يهدف بلا شك الى تحسين الصورة التي في ذهن الجماهير عن هذا النظام المكروه المخيف ، الا أن أهميته بالنسبة للمراقب الاجنبي تكمن في الاعتراف بنفس المفهوم ، اذ أنه بالرغم من التغييرات التي طرأت على الاسم وعلى القيادة ، فان السوفييت لا زالوا ينظرون الى هذا الجهاز على أن له استمرارا محددًا غير مقطوع منذ اليوم الذي تم فيه انشاؤه .

على أنه يسود الغرب تساؤلات عما اذا كانت هذه النضالات من أجل الحصول على السلطة في الداخل تؤثر في مركز وسلطة رجال جهاز أمن الدولة السوفيتي ؟ ان ثمة تخمينات من المراقبين في الغرب أيضا بأن

بمسير رجال أجهزة أمن الدولة السوفييتي هو التطهير والتنحية ، ولكن ليس معنى ذلك أن يصل الامر فقط الى تنحية كبار رجاله أو اعدامهم - كما حدث مع رؤساء الجهاز السابقين مثل يزوف وياجودا وبيريا - ولكن المفروض هو أن يحدث التطهير في كل الصفوف .

ولقد كان المنافس الرئيسي للحصول على السلطة هو الجيش الذي كثيرا ما هبطت قيمته بواسطة الدكتاتور وذلك لحساب جهاز أمن الدولة لان الاخير هو أداة الدكتاتور الشخصية التي يستعملها كي يراقب الجيوش بواسطتها .

وبعد هذا العرض يمكننا أن نستخلص عدة مبادئ رئيسية تحدد وضع أجهزة المخابرات في الدولة ، وكذا علاقة المخابرات السياسية بأجهزة الدولة الاخرى . وان اختلفت تنظيمات المخابرات في الدول المختلفة تبعا للعوامل المتشابهة التي تحدد تنظيماتها ، الا أن الواجبات المنوطة بالمخابرات لا يمكن أن تستغني عنها دولة في هذا العصر . والنقاط التي سنشرحها فيما بعد هي مجرد دراسة للاسترشاد بها ، وآراء خاصة وان كانت تعتمد على التجربة والبحث .

□ البناء القانوني الإداري للمخابرات :

ومن ثم نجد أن المخابرات هي نشاط تحضيرى مساعد للحكومة وأن انشاء ادارة المخابرات كمؤسسة حكومية يدخل نطاق السلطة التنظيمية التي تستمد اختصاصها من أعلى سلطة على قمة الهيئة التنفيذية الحكومية .

ولقد أظهرت أغلب الدول منذ الحرب العالمية الثانية الميل نحو خلق إدارة مخابرات موحدة وصارمة عن طريق انشاء أجهزة جديدة تارة ، أو عن طريق انشاء تنظيم أعلى يكون مسئولاً مباشرة أمام أعلى مستوى في الدولة ، ويضع أجهزة المخابرات القائمة في قبضة يده تارة أخرى مثل الولايات المتحدة وفرنسا .

بيد أن هذا التطور لم ينته بعد ، ذلك أن مبدأ اللامركزية ما زال مسيطراً على أكثر من الدول .

وعلى ذلك فإن المخابرات لا تتكون من جهاز اداري مستقل وحيد، وإنما من فروع ادارية منبثقة من الوزارات . ومن أمثلة ذلك وزارة الخارجية ووزارة الحرب أو الدفاع ووزارة الداخلية كل منها يتحمل جزءاً من إدارة المخابرات .

والواقع أن الاحتفاظ بالنسبة بمثل هذه المخابرات اللامركزية ، إنما هو أمر يتعلق بمسألة الميزانية ، أو بمعنى آخر بالسؤال عما إذا كانت الدولة تستطيع تحمل العبء المالي لتكاليف جهاز اداري واحد متعدد الاقسام ، أو لاستغلال هذه الاجهزة في رقابة بعضها كما يحدث في الدول الجماعية .

على أن مهام الدولة لا تحتاج دائماً وبالضرورة الى أن تقوم بها الجهات الحكومية وحسب ، ذلك أنه من اليسير أن يعهد بمثل هذه المهام الى ثمة شكل مستقل من أشكال المؤسسات ، على ألا يمارس النشاط المطلوب الا تحت اشراف الدولة ورقابتها . ومثل هذه الاشكال التي تضمنى عليها صفة العمومية يمكن أن تذكر شركة شل ، وشركة الكيمائيات البريطانية ومراكز الثقافة خارج الدولة . وبالنسبة للمخابرات فإن من المستطاع الاستفادة من هذه الامكانيات ، أي أن يعهد باختصاصها الى جهة مستقلة غير تابعة لاي جهاز اداري حكومي ، بغية التستر على نشاطها بصفة خاصة ، ففي الرايخ الالماني حتى عام ١٩٤٥

عهد بمكافحة الجاسوسية وكذلك بالتجسس في مجال اقتصاديات الكيمياء الى حد ما الى شركة صناعة الالوان في ليفر كوزن .

ان جزءا كبيرا من أعضاء المخابرات يمارسون نشاطهم في ظل قانون خدمة تحدد فيه أجورهم ومسئولياتهم والجزاءات التي توقع عليهم واحالتهم الى التقاعد ... الخ ، كما أن ثمة جزءا آخر قد يكلف بمهام بمكافآت أو بدون أجر ، ومع ذلك فإن نشاط المخابرات الذي يمارسه هؤلاء أو أولئك له نفس القيمة من ناحية المظهر الحكومي تماما مثل الموظفين الضباط في سلطات الدولة العليا .

ويستتبع ذلك أن يصبح من حق هؤلاء الاعضاء المطالبة بالمساعدات العامة التي تقدمها سلطات الدولة لأعضائها ، وبالحماية التي يوفرها قانون العقوبات .

والمخابرات غالبا ما تنظم أصلا على اساس النظام الاداري والبيروقراطي Monocratic وذلك بهدف أن تصبح الخدمة بما تتطلبه من توافر خاصتي السرعة حرية التصرف مأمونة الجوانب ، الامر الذي لم يعد النظام الاداري الجماعي يضمن وجوده .

الطابع الخاص المميز للمخابرات هو اتباع مبدأ الانغال لحد بعيد . فالعميل لا يعرف بوجه عام الشخصية الحقيقية لرئيسه . كما أن الموظفين الوسطاء يظلون على جهل بشخصيات ومكان السلطات الرئيسية للمخابرات ، بل تظل صورة الموظفين الذين يعملون معهم غير واضحة ... ذلك أن التعليمات التي يتلقاها هؤلاء العملاء والموظفون تصل اليهم عن طريق وسائل معينة بهدف التستر على الشخصيات الحقيقية لمن يقومون باصدار التكليف بالعمل وكذا اخفاء اسلوب عمل رئاسة جهاز المخابرات ... وتتبع نفس هذه الوسيلة في توصيل المعلومات من أسفل الى أعلى أي من المصدر الاصلي حتى تصل الى مراكز الجمع والتحليل .

□ المخابرات كعنصر من عناصر تشكيل قوات الدفاع :

في جميع الدول يوضع جزء هام من المخابرات في أيدي القوات المسلحة ، ومرد ذلك الى حقيقة أن الغالبية العظمى من أسرار الدولة التي ينبغي حمايتها من التجسس أو المعرضة للتجسس ، لها ثمة علاقة بالدفاع عن الدولة .

والقوات المسلحة بناء ذو طابع خاص له سلطته الكاملة تماما الى جانب النظام الاداري . والظاهرة التي تفرق بين القوات المسلحة كتنظيم ذي صفة خاصة وبين بقية الاجهزة التنفيذية الاخرى التي تربطها علاقات قانونية ، هي ظاهرة القوة العسكرية .

ويعني ذلك اشتداد حدة خضوع الاشخاص للقانون ، اذا ما قورنوا بغيرهم من العاملين في جهات السلطات الاخرى . ذلك أن أفراد القوات المسلحة ملزمون بالطاعة الاوامر بدون قيد ، الا اذا كانت الاوامر التي يصدرها الرؤساء مخالفة للقانون ، وكان هؤلاء الرؤساء يدركون ذلك . ويستند المركز القانوني الخاص للقوات المسلحة الى وجود قانون خاص بهذه القوات المسلحة ، وهو ينظم القوات المسلحة القانوني في الدولة .

ولا شك في أن هذا المركز الخاص للقوات المسلحة بالنسبة لبقية الاجهزة الادارية الاخرى في الدولة يوضح أن من المناسب جعل عمل المخابرات ونشاطها عنصريين من عناصر تشكيل وتركيب القوات المسلحة . على أن القول بأن المخابرات منظمة خاصة بالقوات المسلحة لا يعني وجوب أن يكون أعضاء المخابرات من العسكريين ولكن اذا ما كان الامر يتعلق بأفراد مراكز الخدمة ، فإن هؤلاء يتكونون من جنود

وموظفين حكوميين يعملون في القوات المسلحة ، ومن موظفين مدنيين يعملون في هذه القوات ، ولكن يخضع هؤلاء جميعا لسلطة القيادة العليا خضوعا كاملا أو الى حد بعيد .

ويحرم القانون الدولي اجبار الاجانب وخاصة أولئك الذين يقطنون المناطق المحتلة على القيام بأعمال تجسس ضد وطنهم (١) .
وعلى العكس من ذلك لا يعتبر خرقا للقانون الدولي أن يستخدم رعايا دولة معادية طواعية منهم واختيارا كجواسيس ضد دولتهم .

□ المخابرات وانتمثيل الدبلوماسية :

يختص موظفو السلك الدبلوماسي بتمثيل الدولة في علاقاتها واتصالاتها مع الدول الاخرى تمثيلا رسميا . ولقد جرت العادة على أن تزود وزارة الخارجية في جميع أنحاء العالم بتقارير عن العلاقات بالدول المضيفة ، وذلك عن طريق ممثليها في الخارج سواء أكانوا سفراء أو وزراء مفوضين أو قائمين بالاعمال أو ملحقين أو قناصل .

وطالما كانت المسألة تمس العلاقات السياسية واتجاهات الدولة المضيفة ، فإن التقارير التفصيلية السرية عن هذه الموضوعات هي إحدى المهام الملقة على عاتق السفراء والوزراء المفوضين .

وفيما يتعلق بالمسائل العسكرية فإن الملحقين العسكريين والجوئين والبحريين العاملين في البعثات الدبلوماسية هم المختصون بها ، وكثيرا ما يتكرر القول بأن هؤلاء الملحقين يقومون بنشاط تجسس أو شبه تجسس .

(١) المادتان ٤٤ ، ٤٥ من لائحة لاهاي للحرب البرية .

غير أن الحقيقة المعمول بها في العلاقات الدولية هي أن هؤلاء الملحقين ملزمون بإرسال تقارير دقيقة موثوق فيها عن الشؤون العسكرية في الدول المضيفة ، ولذا فإنهم غالبا ما يعملون على جمع المعلومات السرية .

والدول المضيفة ليست ملزمة بقبول هؤلاء الملحقين في بلادها طوعية وحسب ، بل هي ملزمة أيضا بدعوة هؤلاء الملحقين لمشاهدة المناورات ومختلف الاستعراضات العسكرية .

هذا من ناحية ، أما من الناحية الأخرى فإنه يجب على الملحقين العسكريين ألا يسيئوا استخدام مركزهم بأن يعملوا كرؤساء ومراكز جاسوسية ضد الدولة المضيفة ، أو ضد دولة أخرى ، إذ أنه في الحالة الثانية يخرق الملحق الذي يقوم بنشاط تجسس حيلاد الدولة المضيفة .

ولا ريب أن الحدود الفاصلة بين الحصول على المعلومات كعمل مصرح به وبين التجسس على أسرار الدولة المضيفة ، مسألة رهيبة الحلق والحصافة الدبلوماسية .

إن استخدام العملاء ودفع الأموال في نظير الحصول على المعلومات ، هما أساس التصرف الخاص بالتجسس المحرم على الملحقين العسكريين ، ذلك أن مثل هذا التصرف يعتبر جريمة ضد القانون الدولي .

* * *

ويختص القناصل بإرسال تقارير رسمية عن الأحوال والاحداث الاقتصادية ، ومعلوماتهم في هذا الخصوص ليست ذات طابع سري على وجه عام ، ذلك أن في استطاعتهم دائما الوصول الى الدوائر الاقتصادية والاتصال بها .

ويقوم القناصل بجمع المعلومات الاقتصادية وارسال الاحصائيات مثل المعلومات عن الجمارك وحظر الاستيراد والتصدير والضرائب ومسائل الخطوط الملاحية والمواصفات الاجنبية للسلع وحالة السوق .
والى جانب ذلك يحتفظ القنصل بمكتب استعلامات عن مسائل الجمارك والتجارة . ولا يمارس القناصل نشاطهم هذا لمصلحة الشركات والجهات الحكومية في دولهم وحسب ، وانما يمارسونها لمصلحة الدولة المضيفة فيما يختص بالمعلومات الاقتصادية والتجارية التي تتعلق ببلادهم .
واذا ما تمكن القنصل من الحصول على معلومات موثوق فيها عن شركة اجنبية ما ، فان المسألة في هذه الحالة لا تتعلق بتجسس على أسرار الدولة ، أما اذا حاول الحصول على معلومات سرية عن الدولة - ربما يكون بتكليف من ادارة مخابرات بلاده - فان معنى ذلك أنه قام بارتكاب خيانة ضد الدولة المضيفة ، مما يستتبع ضرورة اتخاذ الاجراءات المناسبة .

وتمشيا مع كرم الضيافة الدولية فانه يجب الا يلقي القبض على القنصل الذي يرتكب مثل هذه الجريمة السياسية ، وانما يكتفى بطرده (١) .

* * *

وطالما كانت التقارير الدبلوماسية والقنصلية التي ترسل تلخ في حدود الاختصاصات المسموح بها ، فانها تصبح بمنأى عن الجاسوسية أو التجسس على أسرار الدولة ، وذلك على عكس ما يذهب اليه بعض الكتاب خطأ (٢) . ذلك أن هذا النوع من المخابرات لا تتوافر فيه

(١) حادث قنصل لبنان في الاسكندرية ، وقنصل الولايات المتحدة بالاسكندرية لاشتراكهما في اعمال التجسس .
(٢) يطلق أدلر Adler على التقارير الرسمية جاسوسية رسمية معترف بها .

الوقائع الواجب توافرها في التجسس على أسرار الدولة ، اذ أن الحصول على هذه المعلومات لا يتم بصفة سرية أو من وراء ستار زائف ، كما أن الدولة المضيفة تعلم سلفاً أن الوزير المفوض أو القنصل من واجبه أن يحصل على معلومات موثوق بها ويرسلها الى بلاده ، وان لم تقف الدولة المضيفة على تفاصيل هذه التقارير .

ذلك أن الجريمة لا تقترف ، الا اذا لجأ الدبلوماسي الى وسيلة خفية يصل بواسطتها الى ما وراء أسرار الدولة المضيفة .

وفي مثل هذه الحالات يكون الدبلوماسي قد تصرف تصرفاً من شأنه أن يكون الوقائع التي أوردتها التشريعات الخاصة بخيانة الدولة والمتعلقة بالدولة المضيفة .

☐ المخابرات والشرطة :

ان الطابع الذي تنفرد به الجاسوسية يستلزم أن لا تشن المخابرات هجوماً مباشرة علناً عند قيامها بحماية أمن الدولة الخارجي ، وانما تقوم بذلك سرا في داخل نطاق الدولة الاجنبية ، ولذا فان أعمال التجسس تلحق الضرر بالامن الداخلي للدولة التي تتجسس عليها .

ولذا فان حماية الدولة ضد الهجوم الذي يوجه لامنها الداخلي يعد في مقدمة واجبات الشرطة . ومن ثم ينبغي البحث عما اذا كان ثمة تعارض فيما بين مسئوليات المخابرات — وخاصة ما يتعلق منها بمكافحة الجاسوسية — وبين مسئوليات الشرطة . واذا وجد مثل هذا التعارض فما هو مداه ؟

ان الشرطة تمثل عملها بطريقة ذات أوجه ثلاثة :

- ١ - أن من واجبها وسلطاتها حماية الدولة ضد الاخطار ، وبالتالي مراقبة التصرفات التي يعاقب عليها القانون ، أي أن نشاطها هنا وقائي .
- ٢ - متابعة التصرفات المعاقب عليها وذلك كجهة مساعدة للدعاء .
- ٣ - اعتبارها سلطة يطلب منها تقديم المساعدة داخل نطاق المعونة الادارية العامة .

على انه فيما يختص بمراقبة التجسس فان من النادر ان تقوم الشرطة بممارسة أي نشاط مستندة الى سلطاتها ، فهذا الواجب الجانبي يقتصر على مراقبة الاشخاص في نطاق وسائل نقل الاخبار ، وخدمة المعلومات ، ومراقبة الاجانب .

وعلى ذلك فان المكافحة الوقائية للتجسس وخيانة الدولة ، التي تشن بناء على مخطط ، ليست من واجبات الشرطة . ولكن اذا تلقت الشرطة معلومات خاصة بحالة تجسس ، أو بجريمة من جرائم خيانة الدولة ، وجب عليها احالة هذه المعلومات الى الادارة المختصة بمكافحة التجسس في أجهزة المخابرات .

والواقع أن مكافحة الجاسوسية لا تعرف مبدأ الشرعية في ممارستها لاعمالها ، كما يمكن لها أن تحول عميل مخابرات اجنبية ليتجسس لمصلحة الطرفين في وقت واحد ، أي تحوله الى عميل مزدوج .

ولا تستخدم مكافحة الجاسوسية في هذا الشأن مواد « لعب » أي معلومات زائفة حينما تحاول طمأنة المخابرات الاجنبية على سلامة نشاط عملائها ، وانما تستخدم في هذا ايضا أسرار غير ذات أهمية اذا كانت الفائدة المنشودة من هذه الوسيلة ستؤدي الى الكشف عن شبكات جاسوسية خطيرة ، او الى الحصول على أسرار هامة من الدولة الاجنبية، على أن تكون هذه الفائدة المنشودة تفوق الاضرار التي يمكن أن تلحق بالدولة نتيجة هذه الاسرار غير الهامة .

وليس أمرا نادرا أو غريبا أن تترك إدارة مكافحة الجاسوسية عملاء المخابرات العادية يزاولون نشاطهم أساييع ، بل سنوات طويلة تحت عيونها ، ثم تشن هجومها ضدهم بمجرد أن يكشف النقاب عن الشبكات المعادية بأكملها وبكل متعلقاتها .

يبد أنه ليس من اختصاص المخابرات أن تقوم بنشاط تنفيذي بنفسها ، ذلك أن واجب المخابرات لا يتجاوز نطاق الحصول على المعلومات . وإذا ما حتمت الضرورة أن تقوم مكافحة الجاسوسية بالاعتقال ، أو التحقيق ، أو مطالبة الغير بالقيام بعمل معين ، فإن ذلك لا يتأتى الا بتعاون الشرطة والنيابة العامة . وهاتان الجهتان تعملان عندئذ كسلطتين تطلب منهما المساعدة .

وعلى ذلك فإن نشاط كل من المخابرات والشرطة مكمل للآخر ، حتى يمكن ضمان أمن الدولة ، وحتى لا تكشف مكافحة الجاسوسية عن رجالها .

□ أهمية المركزية في المخابرات :

الواقع أن التطور الحديث والحالة السياسية الراهنة تطلبان وجود إدارة مخابرات موحدة على أساس مبدأ المركزية ، بحيث تكون تحت سلطة الرئيس المسئول عن توجيه سياسة الدولة .

وإذا لم تزود مثل هذه المخابرات بتفويض تشريعي خاص يقضي بأن تتصرف المخابرات حسب معيار حر ، فإنه يجب عليها أن توجد لها أسسا خاصة تستمد منها طبيعة الامور التي تواجهها .

إذا ما هي الاسس التي يجب أن تبنى عليها المخابرات ، وما هي النتائج التي يمكن أن تسفر عنها ؟

أولا : يجب أن لا تنتمي المخابرات الى السلطة الادارية بالمعنى الضيق ، وانما هي تمثل نشاطا تحضيريا مساعدا للحكومة ، ولا ينطبق ذلك على خدمة الاخبار السرية وحسب ، بل ينطبق أيضا الى حد بعيد على مكافحة الجاسوسية التي لا دور للمخابرات فيها من ناحية التحقيق وهو دور الادعاء . والمخابرات تمارس حق مكافحة الجاسوسية بأعمال جاسوسية مضادة ، ولذا يجب أن تنتمي المخابرات الى مضمار الادارة الحرة المطلقة للدولة . وهذا المضمار الذي يخضع في اتجاهه الى القيادة السياسية محدود بما يفرضه القانون من قيود .

ثانيا : أن أساس العمل الحكومي أو دليله هو الرعاية الالزامية للمصلحة العامة ، ولكن يجب على الدولة أن تمنح موظفيها حرية التصرف بقدر معين ، دون أن يكون ذلك عائقا أمام أدائهم لواجباتهم .

والمصلحة العامة تقضي بأن يكون تنظيم المخابرات ونشاطها طلي الكتمان ومن ثم يجب أن يخول موظفيها سلطة اتخاذ الاجراءات التي تتطلبها هذه السرية . ومن أمثلة هذه الاجراءات أن يحمل بعض موظفي المخابرات أسماء مستعارة ، وأن يزودوا بأوراق شخصية بهذه الاسماء المستعارة كدليل على صحتها الظاهرية ، وأن يطلق على مراكز خدمة المخابرات السرية أسماء ودية مثل « ادارة البحوث التكنولوجية » أو « ادارة الاشغال العامة » .

ثالثا : أن حدود المعيار الحر للجهات الحكومية في الدولة رهين بتوزيع الاختصاصات في النهاية .

والمخابرات مختصة بالحصول على المعلومات السرية ، وهذا الاختصاص في حد ذاته يطلق يدها في التصرف الحر ، غير أنه يضع الحدود للتصرفات في نفس الوقت .

فتفتيش المنازل والاعتقال ليست من اختصاص المخابرات ولكنها
من أعمال الشرطة والنيابة .

وعلى عكس ذلك فانه يدخل ضمن الواجبات الملقاة على عاتق
المخابرات ، ولا يتعدى حدود معاييرها مراقبة الاشخاص المشتبه في
قيامهم بنشاط خيانة الدولة ، وتحويل العملاء الاجانب للعمل لمصلحة
الدولة أو العمل كعميل مزدوج .

الفصل الرابع



مُهَمَّةُ المَخَابِرَاتِ

مهمة المخابرات
الكيان السياسي
للمخابرات - وظائف
المخابرات - وظيفة
الحماية - الجاسوسية
المضادة - تضليل
المخابرات الاجنبية -
مهام امن خاصة .

□ الكيان السياسي للمخابرات :

السياسة هي الادراك الموجه « للشئون العامة » التي ترتفع عن المجال الشخصي الفردي . وتحت فكرة « الشئون العامة » ، يحتل المكان المرموق تحقيق الامن ، ووضع القانون وتنفيذه ، وكذا تنظيم العلاقات الاقتصادية تنظيميا جديدا .

وهكذا نتحدث عن سياسة خارجية ، وأخرى دفاعية ، وثالثة اقتصادية وما الى ذلك ، كفهوى مادي لاحد الفروع المتخصصة المنبثقة من الشئون العامة .

والحرب مظهر خارجي للسياسة الخارجية ، فسرهما كلاوز يفيتش « بأنها عمل من أعمال القوة يراد به ارغام الخصم على النزول على ارادتنا » كما فسرهما بأنها : « استمرار للسياسة بوسائل أخرى » . لذا فان القوة هي أداة الحرب ، كما أن الدبلوماسية أو بمعنى آخر المفاوضات هي أداة السلام .

ولما أصبحت الحرب الوسيلة النهائية للسياسة بمظهرها الخارجي ، فانها — أي الحرب — لم تبتعد اطلاقا عن نطاق السياسة ، وحينما تنشب الحرب فانها تعمل على التخریب الكامل المطلق بلا أدنى مراعاة لاية اعتبارات . ذلك أن القانون الدولي لم يستطع وضع حد لوقف هذا التطور .

ان غرض كل سياسة هو وضع شكل مناسب للشئون العامة في المستقبل . وعلى ذلك فان معايير التصرف السياسي هي الملاءمة والقانون . والملاءمة تتطلب من رجل السياسة أن يقدر الامور في كل موقف تتعرض له تصرفاته ، وذلك من حيث موقع هذه الامور من جانبي

المصلحة ، هل هي في صالح دولته أو ضدها ؟ كذلك تستلزم الملاءمة البحث عن الوسيلة والطريق المؤدين لتحقيق الغرض المنشود ، كما تتطلب سبر غور التدابير الصحيحة التي اتخذت الى آخر الامكانيات المتاحة .

وينبغي أن يسبق دائما أي تصرف سياسي حكم دقيق على الموقف . ذلك أن كل حكم على الموقف انما يخفي في طياته عدم طمأنينة ، نتيجة الجهل بوجهات نظر وظروف ونوايا الخصم السياسي الحقيقي المحتمل ، ذلك انه في حالة وجود منازعات على المصالح وبخاصة الساخن منها الذي يؤدي الى نشوب حرب ، فان الخصم يعد الى ستر جميع ظروفه ، بل انه من المحتمل جدا أن يلجأ الى الخديعة بغية اخفاء وجهات نظره الحقيقية وامكانياته الواقعية .

لذا فان الحصول على المعلومات الموثوق بها عن الآخرين ، وان كان ذلك ضد رغبتهم ، امر جوهري مباح بالنسبة لاي سياسة خارجية . وتستعمل جميع الدول لتحقيق هذا الغرض وسيلة العملاء السريين منذ القدم ، وتحفظ بهم الدول وتستخدمهم في وقتنا الحاضر عن طريق انشاء « المخابرات السرية الحكومية » .

ولا يتوقف ذلك على ما اذا كانت السياسة الخارجية لدولة ما ترمي الى تحقيق اهداف عدوانية او دفاعية ، كما انه ليس سرا أن نذكر ان اي دولة تفكر في الدفاع عن حيادها مثل سويسرا ، تقيم وزنا كبيرا لجهاز المخابرات السرية .

ولما كان الاحتفاظ بمخابرات سرية حكومية هو — في المقدمة — احد التدابير الضرورية الخاصة بمعيار الملاءمة ، فانه ينبغي أن يخضع للتقييم الذي يضع القانونون اسسه ، شأنه فسي ذلك شأن أي تصرف سياسي .

فالقانون هو الذي يضع الحدود التي تتصرف الدولة في نطاقها .
وعلى ذلك ترتبط حكومة الدولة في الداخل بالتشريع وخاصة بالدستور ،
كما عليها أن تكون معاملاتها السياسية الخارجية متفقة مع القانون
الدولي .

وفي حالة وجود أي تعارض بين القانون وبين الملائمة ، كأحد
معياري التصرفات السياسية ، فإن القانون له الغلبة دائما ، ذلك أن
القانون هو الأساس لكل تعايش جماعي بين البشر . وعليه فإن خرق
القانون موجه في النهاية ضد الوجود البشري، بينما التصرفات غير
الملائمة لا تضر سوى المصلحة الخاصة لمجموعة من الناس او لدولة من
الدول .

□ وظيفة المخابرات :

يميز المخابرات صفة « السرية » وهذه الصفة لها ثلاثة معان :

- ١ - أن مهام المخابرات هي الحصول على أسرار الدول الاجنبية
وحماية اسرار الدولة الخاصة ضد التجسس الاجنبي .
- ٢ - أن نشاط المخابرات يمارس في سرية تامة .
- ٣ - ان انشاء جهاز المخابرات نفسه لا بد ان يظل طي الكتمان
الى أبعد ما يمكن .

وعلى ذلك يتركز نشاط هذا الجهاز الحكومي في وظيفتين رئيسيتين:
وظيفة المعلومات ووظيفة الحماية . وكلتا الوظيفتين مرتبطة بالآخرى
ارتباطا وثيقا من الصعب قطعه ، طالما أن امتدت الوقائع للاستفادة منها
الى الجاسوسية والى مكافحة الجاسوسية . ومن ثم فإن التنظيم الداخلي

لمعظم اجهزة المخابرات يدخل في حسابه كلتا المهمتين في خطين متوازيين معينين •

ان الاهمية المتزايدة للعلم والتكنولوجيا بالنسبة للاستعداد الاقتصادي ولادارة الحرب ، قد ضيقت الفواصل بين مكافحة التجسس العسكري ومكافحة التجسس الاقتصادي •

ولقد أكد « بورينهام » في كتابه استراتيجية الحرب الباردة ذلك فقال : « في الوقت الحاضر أصبح انتاج الاسلحة في الحقيقة مماثلا للصناعة • ذلك أن التسليح يتطلب المواد الخام والسلع الجاهزة الصنع • فالمحركات الكهربائية ذات قوة حصان واحد مهمة تماما مثل البارود ، والصمامات الحساسة والاخرى الالكترونية تقوم بدور هام يفوق دور البنادق • ولكي يمكن كسب المعارك فان مسحوق ابادنة الحشرات مهم تماما مثل القنابل ، والالمونيوم والصلب والنحاس والكهرباء والنايلون والكبريت والسكر والبنسلين ، بل كل ما يمكن ان يذكر انما هو جزء جوهري بحق في آلة الحرب • وعليه فان الاقتصاد الحربي لا يختلف في شيء عن الاقتصاد بصفة عامة » •

وعلى أية حال فما زال العمل يجري عادة على التفرقة بين مكافحة التجسس العسكري ومكافحة التجسس الاقتصادي عند ممارسة نشاط خدمة المخابرات السري • ولقد فص في التشريعات الخاصة بالدفاع على هذا التقسيم الثلاثي ، ومن امثلة ذلك قانون العقوبات السويسري الصادر بتاريخ الفاتح من يناير عام ١٩٤٢ في المواد ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، وفي المانيا وقع تطور منذ عام ١٩٣٤ عن طريق تصنيف نمطي للوقائع ، تضمنها التشريع الصادر بقانون العقوبات ، والغاء قانون الجاسوسية لعام ١٩١٤ ، الذي كان يهتم بمكافحة التجسس العسكري فقط ، وبذلك أدخل التطور المذكور التقسيم الثلاثي المشار اليه في الاعتبار •

□ وظيفة الحماية :

(١) الجاسوسية المضادة هي العمل على الكشف عن منظمة المخابرات الاجنبية ونشاطها ، عن طريق مزاولة نشاط تجسس ، ونشاط مكافحة التجسس . فهي اذن تمثل الحماية الفعالة الخاصة للدولة ضد الجاسوسية . ومن ثم فان المخابرات السرية لا بد ان تعمل في السر كما ان عليها الاحتفاظ بنتائج عملها هذا طي الكتمان .

لا جرم كثيرا ما يحاول مرتكب الفعل الاجرامي العام اخفاء جسم جريمته لتضيق معالمها ، الا أنه في معظم الحالات تكتشف الجريمة طالما أن لهذا الفعل نتائج ، فاختفاء الشيء المسروق لا بد وان يكتشف سريعا .

بيد أنه في حالات افشاء الاسرار عن طريق التجسس وخيانة الوطن فان الامر يختلف ، ففي الغالب تظل الدولة التي يصيبها الضرر على غير بينة بأن اسرارها تفشى منذ مدة طويلة ، هذا فضلا عن أنه يندر ان تتمكن أجهزة الشرطة من أن تضع يدها على حالة من حالات افشاء أسرار الدولة في دائرة اختصاصها ، اذ أن هذه الأجهزة تلتزم بالحدود الدولية ، لدى ممارسة نشاطها في متابعة الافعال الاجرامية السياسية خارج الحدود العامة للمنطقة التي وقعت فيها .

غير أن النشاط الذي تمارسه المخابرات السرية في مكافحة الجاسوسية ، لا يعرف حدودا دولية ، ذلك أن المخابرات - عن طريق الجاسوسية المضادة - تقوم باقتفاء أثر مخططات مخابرات الخصم ، والوقوف على نواياه بوجهات نظره في عقر داره . كذلك تقوم بمتابعة اتصالاته في الدول الاجنبية المحايدة ، وتعمل على اكتشاف العملاء

الاجانب ومراقبتهم في داخل نطاق رقعة هذه الدول المحايدة ، دون أن تقف تشريعات العقوبات في هذه الدول حائلا دون هذا النشاط .

ومن الممكن أن توصف الجاسوسية المضادة بأنها « أعلى مدرسة » لكل نشاط تمارسه المخابرات . ذلك أن هذا النوع من النشاط يتمثل في مخابرات تقف في مواجهة مخابرات بصفة مباشرة مع ما يقتضيه ذلك من استخدام جميع أنواع الخبرات والدهاء والخداع . وثمة بعض الاساليب التي يمكن استخدامها في هذه الحرب منها ما يأتي :

١ - قيام العملاء الخاصين بالدولة وثقاتها بالعمل في خدمة الاخبار السرية الاجنبية .

٣ - ادخال مواد معلومات زائفة - وهي ما تسمى بمواد لعب - على المخابرات الاجنبية . وليس الغرض من ذلك تزويد المخابرات الاجنبية بهذه المواد الزائفة وحسب ، وانما ايضا للوقوف على صلات خدمة الاخبار السرية لدى الخصم عن طريق متابعة سريان هذه المواد الزائفة .

٤ - لعبة الاذاعة اي اقامة محطات اذاعة مشروعة معادية ، على نفس ارض الدولة ، حتى يلقي في روع مخابرات الخصم أن عملاءه يقومون بعملهم على خير وجه ، دون أي حائل ، وعن طريق هذه المحطات يمكن تجميع اتجاهات نشاط الخصم والوقوف عليها ، وكذلك معرفة مدى اتساع نطاق معلومات الخصم عن الدولة .

وغني عن البيان أنه لكي يجري القيام بهذه الاجراءات بنجاح كبير ينبغي أن تكون الجهة المنفذة موحدة ، وأن يكون القائمون على التنفيذ من المتخصصين ذوي الدربة والدراية الواسعة .

ذلك انه ليس من مصلحة الدولة استخدام قوة غير مدربة في تصيد الجواسيس ، فكثيرا ما يحدث أن يؤدي القول الزائف المزعوم الى تصيد أحد الجواسيس ، كما أنه كثيرا ما يحدث أن يصبح التظاهر بالمعرفة ، أمرا لازما في حالة وجود علاقات خيانة وطنية .

(٢) تضليل المخابرات الاجنبية

ان المنظمة التابعة لمخابرات أجنبية ويكشف النقاب عن وجودها في الدولة ، يمكن عن طريق الشرطة القضاء عليها او تحطيمها وهدمها ، طالما وجدت داخل نفوذ وسلطة الدولة التي لحق بها الضرر .

أما تلك التي توجد خارج نفوذ تلك الدولة التي لحقها الضرر ، فإن هذه الدولة تستطيع أن تشل حركتها من وقت لآخر اذا ما كانت المنظمة موجودة في دولة محايدة ، وذلك دون ان يتمكن من القضاء عليها نهائيا .

هذا وتستطيع الدولة التي لحقها الضرر ان تضلل مراكز مخابرات الخصم الموفودة على ارضه . ويحدث هذا التضليل عن طريق ادخال معلومات زائفة ، أي معلومات سرية مزعومة على مخابرات الخصم مثلما يحدث في ممارسة الجاسوسية المضادة .

ويقول هاجن : « أنه في اثناء الحرب العالمية الثانية قام الجانب الالماني بحوالي خمسمائة « لعبة اذاعة » مع المخابرات السوفيتية ، الامر الذي أدى الى حصول السوفييت على معلومات زائفة كانت سببا في تكبدهم خسائر جسيمة .

(٣) مهام أمن خاصة

يدخل ضمن اختصاص خدمة مكافحة الجاسوسية ، أو ما يطلق عليه الجاسوسية المضادة مهمة جانبية الا وهي كفالة الامن لحملة اسرار الدولة بطريقة مباشرة . وحملة اسرار الدولة هم على وجه الخصوص التابعون للسلطات الحكومية ولمراكز الخدمة العسكرية والاقتصادية ، ولهيات البريد والمواصلات ، وجهات الابحاث العلمية . وفي وقت السلم يقتصر امر حماية هؤلاء على مجرد اتخاذ اجراءات وقائية .

هذا ويمكن أن يوكل امر هذه الحماية في داخل الصناعة الخاصة بالنسبة للمنشآت الصناعية الخطيرة ، وذلك عن طريق مجموعات أمن مشكلة بواسطة هذه المنشآت . وعلى هذه المجموعات ان تنشئ في أماكن العمل والمصانع جهاز مخابرات مستقل عن طريق تدخل المكلفين من ادارة المخابرات السرية . وعلى سبيل المثال فان المؤسسات الصناعية والشركات التجارية تحتفظ بمكاتب أمن لحمايتها من التجسس على العامل والاسرار الكيماوية ، وهذه المكاتب لا تتعاون مع المخابرات فحسب ، بل تتعاون ايضا مع جميع اجهزة الامن . وتظل مجموعات الامن هذه على صلات وثيقة برئاسات ادارة المخابرات السرية الحكومية ، وتتلقى منها التعليمات الخاصة بالعمل وتتبادل معها المعلومات .

الفصل الخامس



الأفراد

الأفراد

الظروف تخلق
الرجال - تنوع
الأشخاص - مؤهلات
ضابط المخابرات -
البعد عن الشهرة -
الحاجة لأخصائيين
وفنيين - الحاجة لكادر
من المحترفين - النساء
في المخابرات - وظيفة
المطل والمنفذ - مهمة
معاهد التدريب -
العمل المثالي .

هناك عبارة شهيرة تقول ان الظروف قد تخلق الرجال • وقد يصح ذلك في مهنة المخابرات على مشاهير الرجال الذين عرفهم التاريخ ، الذين عملوا في ميدان الخدمة السرية امثال روبرت لينكولن ، الذي كان ينظر اليه كشخصية تصلح للعمل في جميع فروع الخدمة السرية ، أو لورنس العرب ، أو بول ديوكس وغيرهم ، حيث كان في استطاعتهم ان يقوموا بأعمال في الخارج تشمل نشاط المخابرات السري المتعدد •

ولا تحتاج ادارة المخابرات الى ان يكون كل افرادها من العباقرة طالما كان على رأسها عبقرى • ويدل تاريخ المخابرات على أن النتائج العظيمة تتصل مباشرة ليس بالذكاء الجماعي لافراد المنظمة بقدر ما ترجع الى ذكاء رئيسها •

وللتدليل على ذلك ، فان الخدمة السرية البريطانية ضاع بريقها ، وضعف نشاطها لمدة مائتي سنة بعد ذهاب رئيسها السير فرنسيس ولسنجام في عهد الملكة اليزابيث وجون تورلو في عهد كرومويل •

كما ازدهرت المخابرات الالمانية في عهد بسمارك برئاسة ولهم ستير ، وفي عهد الرايخ الثالث برئاسة كناريس ، لدرجة انه كان يقال كما ذكر سلفا « ان المخابرات الالمانية هي كناريس ، وان كناريس هو المخابرات » •

كما كان يطلق على دونوفان الامريكي انه هو ادارة المخابرات السرية •

ومن المزايا التي يشترك فيها الجميع هي القدرة الفائقة على التنظيم والمقدرة على بعث روح الولاء فيمن هم تحت رئاستهم ، والفتنة الغريزية في عمل الخدمة السرية ، وذاكرة وقادة وادراك بالتاريخ ، وعلم شامل بالمواضيع الفنية العلمية المعقدة ، وغريزة حب استطلاع شرهة ،

ثم ذلك الطابع الثقافي المتزن والطبع الهادئ ، والتفكير السليم ، الذي يعتمد على دراسة الجنس البشري •

ومنذ ان أصبحت القبيلة وحدة جماعية اجتماعية ، وابتدأ القتال بين قبيلة واخرى بدوافع الغيرة ، أو حب السيطرة ، أو حماية ابنائها ، أضحت للمخابرات مكانة في التنظيم الاجتماعي •

ولئن كانت الدول قد اطلقت قديما على أعمال المخابرات كلها كلمة تجسس ، ولم تعرف التنظيم الحديث لحرفة المخابرات ، فان الهدف لم يتغير ، وهو محاولة قادة أي تنظيم اجتماعي ، معرفة كل ما يمكن عن قوة أو ضعف قوة الاقتتال في عدوهم ، المحتمل •

ومن مظاهر سوء فهم الرجل العادي لدور المخابرات في الشؤون الدولية ، انه يتصور ان واجب المخابرات ينحصر في ميدان النشاط العسكري فحسب ، ذلك لان قوة الاقتتال او المقاومة لاي أمة ، انما تتوقف على استقرار اقتصادياتها بقدر ما تتوقف على قوتها العسكرية وكفاءتها • كما ان استقرار النظام السياسي والجهة الداخلية له أثره الكبير في امكانيات الانتصار أو الفشل •

وفي هذا العصر بعد ان تطورت اجهزة المخابرات وأصبحت تعمل بشكل تنظيمي وعلى أسس علمية ، لم يعد ثمة نجاح ممكن في هذا النشاط ، الا اذا ضمت اجهزة المخابرات كفاءات معينة مختلفة في طبيعتها وأهدافها •

فأجهزة المخابرات الحديثة حينما تفكر الدولة في انشائها تحتاج الى مجموعة متنوعة من الاشخاص ، فهي لا تستطيع أن تمارس نشاطها دون وجود المحلل المتزن ، وجامع المعلومات الخام من افحاء العالم ، كما تحتاج الى الرجل الفني الذي ينتج ويشرف على كل المعدات العلمية المستخدمة في جمع المعلومات ، والى الضباط العاملين وضباط البحوث •

كل هذه المهام المتباينة تتطلب مهارات عالية وتدريباً دقيقاً .

على أنه يجب أن تفرق هنا بين ضابط المخابرات الذي هو موظف في أحد أجهزة الدولة الرسمية ، ويتمتع بكل الحقوق ، ويلتزم بكل الواجبات ، كأبي موظف رسمي في الدولة ، وبين العميل الذي يدفعه عديد من العوامل لاختيار العمل في نشاط التجسس . ومن ثم كان من الأهمية بمكان أن تفرق بين ضابط المخابرات وبين العميل وهو ما نعرض له في هذا الفصل .

□ أولاً : ضابط المخابرات

الواقع أن الصعوبة في اختيار أفراد منظمة المخابرات تكمن في أن أعمال المخابرات - كما سبق أن ذكرنا - متشعبة ، وتتسع لمجالات عديدة لأنواع كثيرة من المواهب .

وفي داخل كل مجال من أنواع النشاطات المختلفة ، قد ينجح البعض في بعضها ، بينما لا يستطيع أن يقوم بنوع آخر من النشاطات الأخرى . ولذا فليست هناك صفات ثابتة يمكن الاستعانة بها عند اختيار العاملين . ولكن بالرغم من ذلك فثمة متطلبات معينة لا يمكن بدونها لأي رجل من رجال المخابرات أن يؤدي واجبه بنجاح .

ولقد أدرج آلين دالاس في كتابه « حرفة المخابرات » بعض المؤهلات الرئيسية التي يجب أن تتوفر في ضابط المخابرات الناجح هي :

- يجب أن يكون تمييزه للناس حاداً .

- يجب أن يكون قادراً على أن يعمل مع الآخرين تحت ظروف شاقة .

- يجب ان يتعلم كيف يميز بين الحقيقة وبين الخيال •
- يجب ان يكون قادرا على التفرقة بين ما هو ضروري وما هو غير ضروري •
- يجب ان يكون لديه حب استطلاع •
- يجب ان يكون على شيء كبير من البراعة والتفنن •
- يجب ان ينتبه الى التفاصيل •
- يجب ان يكون قادرا على ان يعبر عن الافكار بوضوح واختصار، وبطريقة مشوقة •
- يجب ان يتعلم متى يلزم الصمت •
- يجب ان يكون متفهما لوجهات النظر الاخرى ، وطرق التفكير الاخرى ، وطرق السلوك الاخرى ، حتى ولو كانت اجنبية بالنسبة له •
- يجب الا يغالي في طموحه او قلقه من حيث الجزاء الشخصي على شكل شهرة او ثروة ، فهذه لن يحصل عليها في عمل المخابرات •
- والواقع ان هذه الصفات والمؤهلات تعد جامعة الى حد كبير ، وان كنا نود أن نضيف اليها بعض الصفات الاخرى ، التي تعد ضرورية لنجاح ضابط المخابرات وهي :
- يجب ان يبذل كل جهده في الحصول على المعرفة سواء في مجال الفنون او العلوم الاجتماعية وخاصة علم التاريخ والجغرافيا •
- يجب أن يكون على وعي سياسي ، يجمع بين مواهب الثقافة والادراك •
- يجب أن يكون مرنا في التفكير ، فان ضيق الافق لا يخلق من الشخص رجل مخابرات ناجح •

— يجب أن يكون قادرا على الموازنة بين الجرأة واجراءات الامن •
— يجب أن يكون ملما بلغة اجنبية وخاصة لغة المنطقة التي
يعمل بها •

— يجب ان يكون على دراية بالعوامل السيكولوجية التي تحدد
سلوك الانسان كفرد في المجتمع •

— يجب ان يكون دافعه للمهنة هو ايمانه بالرسالة التي يؤديها
مثله مثل الجندي المجهول الذي يضحي بحياته في ميدان الحرب دون ان
يذكر اسمه ، بل يعد رمزا للتضحية والفداء •

— يجب ان تكون لديه ملكة الابتكار ، وأن يمارس هوايات
تساعده على قتل الملل الذي يعتريه نتيجة تعقيدات وأسلوب عمله •

هذه بعض الصفات والمؤهلات الرئيسية التي يجب ان تتوفر في
ضباط المخابرات وان كانت هناك بعض المؤهلات الاخرى الخاصة التي
تطلبها بعض الانشطة الخاصة بأعمال المخابرات والتي سنتحدث عنها
بعد ذلك •

* * *

والواقع ان ما يؤيد ما ذكرناه الآن من ناحية العمل — بعيدا عن
الشهرة — قد عبر عنه الرئيس الراحل جون كيندي في ٢٨ نوفمبر عام
١٩٦٢ ، وهو يفتح المقر الجديد للمخابرات المركزية الامريكية ، اذ وجه
لرجال المخابرات كلمة جاء فيها :

« ان نجاحكم لا يعلن عنه ، ولكن اخفاكم يغالى في تصويره » ،
ثم اضاف كلمة تشجيع لافراد المخابرات فقال :

« ... ولكنني واثق أفكم تدركون اهمية العمل الذي تقومون

به ، كما تدركون اهمية المجهودات التي تبذلونها عندما يحكم عليها التاريخ • ولذلك فلاني اود ان أعبر عن تقديري لكم في الوقت الحاضر ، وانا واثق انكم سوف تستحقون تقدير بلادنا لكم في المستقبل كما استحققتموه في الماضي » •

والواقع ان حديث الرئيس كيندي يعني انه يدرك تمام الادراك رسالة المخابرات ، وطبيعة عملها ، ومهمتها ، واساليبها •

وليس من السهل ان تتوقع فهما حقيقيا وتأيدا لاعمال المخابرات في بلدنا ، اذ ان معظم الناس يجمعون معلوماتهم عن المخابرات اما من القصص التي يرويها كتاب بعيدون عن أعمال المخابرات ، او من الافلام السينمائية التي يلعب فيها خيال المخرج ما يشوه من رسالة المخابرات ، او من نزوات الحاقدين والمنحرفين والخونة والجهلاء •

ولا يمكن ان تتجاهل - مهما تكن الظروف - ناحية القلق النفسي التي تعترى أي انسان حينما يفكر في مستقبل حياته ، ولذلك فان اجهزة المخابرات تواجهها مشاكل عديدة في اختيار الافراد •

فالفرد مهما كانت دوافعه ، يوازن حينما يرشح للعمل في المخابرات بين عوامل عديدة متشابكة قبل أن يقرر رغبته الاكيدة في الالتحاق بالوظيفة •

ولذلك فان البحث بعمق في حياة وعقل رجل مخابرات المستقبل ، هو الضمان الوحيد الذي يستطيع ان يوجه اجهزة المخابرات في عملية الاختيار •

ولكن عملية تحريات الامن تعتبر جانبا سليما في الاختيار ، فبينما

تستطيع التحريات ان تظهر في حياة المرشح السابقة ضعفا خلقيا أو سلوكا معيبا ، الا انه من العسير عليها ان تكتشف ما اذا كان هو الرجل المناسب لمهنة المخابرات ، وذلك لتشعب أعمال المخابرات •

وقد يكون في الاختبارات الشخصية والنفسية بعض النفع في اظهار بعض المواهب والدوافع للمرشحين ، ولكنني لاحظت اثناء رئاستي لجهاز المخابرات ، أن بعض الافراد الذين حصلوا على درجات عالية في هذه الاختبارات ، لم يكونوا من ضمن ضباط المخابرات الناجحين •

وهنا تكمن المشكلة ، ولذا حاولت أن أتغلب على هذه المشكلة باستمرار البحث عن الافراد المطلوبين ، وذلك بوضع أعيننا على بعض الافراد الذين يظهرون نبوغا في مواضيع التخصص المطلوبة ، ثم نختار منهم الافراد اللائقين بعد دراسة دقيقة قد تستمر لسنوات دون ان يحس المرشح بذلك •

وفي بدء انشاء جهاز المخابرات ، قد يكون ذلك من الامور الصعبة، نظرا لحاجته الى افراد متخصصين في مهارات مختلفة ، وكذا الى ضرورة تدريبهم الطويل الشاق قبل ان توكل اليهم مهام اعمالهم •

* * *

على ان هناك حاجة دائمة الى الاختصاصيين والفضيين لشغل وظائف معينة تتطلب مهارات عالية •

ان ضابط المخابرات الجيد لا يخلق عن طريق السحر والشعوذة ، ولا يصاغ في قالب بطريقة رياضية ، انما هو ثمرة النظام التعليمي في بلاده ، ونتاج بريطانيا لبعض ضباط المخابرات الممتازين ، جاء نتيجة نظام تعليمي ينمي فيهم المواهب الثقافية التي يحتاجها مثل هذا العمل •

كادر من ضباط المخابرات المحترفين من الشباب ، ممن لديهم القدرة على وبالإضافة الى ذلك فهناك حاجة ملحة ومستمرة لتجديد وتدريب القيادة التنفيذية ، لانهم سوف يضطلعون بمسئولية كبار ضباط المخابرات وقادتها . ويطلق على هذا اسم برنامج تدريب صغار الضباط - وهم يمرون في سلسلة من برامج التدريب تكون بدايتها ذات طبيعة عامة ، ثم يتبعها برامج أخرى يزداد التركيز فيها على عمليات المخابرات ، وهي تعد المرشح كي يؤدي نمطا معيناً من الاعمال . ويتبع هذا فترة تجربة يطبق فيها ما حصل عليه أثناء التدريب . وهذا ما يحدد صلاحية الشخص للتعين . وفي الفترة التي يكون الشخص فيها تحت التدريب ، يقوم ضابط بمراقبته بمنتهى العناية ، والنظر اليه كفرد يبذل مجهوداً متواصلاً ، كي يضعه في العمل الذي يناسبه تماماً ، وقد اثبتت هذه العملية نجاحها عند التطبيق .

وحتى تستطيع اجهزة المخابرات ان تجد الرجال الموهوبين الذين يبشرون بالخير ، فانها يجب الا تعتمد فقط - او أساساً - على الاشخاص الذين يتقدمون للوظيفة ، بل تخرج للبحث عنهم في الكليات والجامعات في جميع أنحاء البلاد . فالشباب الذي يتخرج من كليات الجامعة المختلفة ، يكون غالباً صالحاً لان يخطو مباشرة الى نسوع من عمل المخابرات ، وذلك بسبب ما تهتم به هذه الجامعات من دراسات خاصة بأحوال الانسان والتاريخ والجغرافيا واللغات الاجنبية .

وهذا هو السبب في ان رجلاً مثل ت. ه. لورنس ، او يتر تشرشل ، او بوتوماس ، استطاعوا ان ينقلوا مباشرة من مهمتهم التي تخصصوا فيها في وقت السلم ويرعوا فيها ، الى اعمال المخابرات في وقت الحرب وتفوقوا فيها ، فقد كانت هناك حلقة مباشرة بين تعليمهم وبين احتياجات الخدمة السرية ، وهذا هو السبب فيما تتصف به المخابرات

البريطانية من ثقافة وحصافة واطلاع علمي • وقد ندهش اذا علمنا أن اسلوب تقارير المخابرات البريطانية كان يوضع بواسطة بعض الكتاب الموهوبين •

وتقوم اجهزة المخابرات بوضع خطة الخدمة بغرض تحديد عدد السنوات التي يجب ان يقضيها الموظف في كل وظيفة وفي كل منصب • وتستند الخطة الى رغبة الموظف وميوله والتي تقارن باحتمالات السبل المفتوحة امامه - كما تقارن كذلك بالحكم الذي يصدره المراقب على كفاءة المرشح • ويحدث أن يقوم الشبان الطامحون برسم خطة اساسها الاحلام عن مستقبلهم لانها غير عملية ، وسببها مغالاتهم في تقدير كفاياتهم • ويساعد برنامج التدريب والتوجيه الجيد على التخلص من هذه الاطماع مقدما ، مع تزويد الموظف بتقييم حقيقي لمستقبله • ان الدافع وراء ذلك هو الرغبة في تجنب تغيير الوظائف ، ومحاولة جعل سلسلة الوظائف التي يشغلها الرجل في فترة سنين تتسم بسمة الاستمرار •

واذا كانت اجهزة المخابرات يعمل بها نساء داخل التنظيم ، فانهن يمررن بنفس التدريب الذي يمر فيه الرجال ، ويؤهلن لنفس الاعمال فيما عدا الوظائف خارج ارض الوطن • وسبب ذلك هو عدم استساغة معظم البلاد قيام المرأة بدور ادارة رجال ، وخاصة في أعمال المخابرات ، فالعمل الذي نشأ مؤمنا بهذا التقليد لا يرتاح الى تلقي الاوامر من امرأة ، ولا يمكننا ان نغير تفكيره في هذه الناحية •

وهناك فرق واضح بين وظيفة المحلل والمنفذ Operator في أعمال المخابرات ، فالرجل الذي يوجه اهتمامه الى المواضيع الفكرية أكثر من اهتمامه بالناس ، والرجل الذي يهتم بالملاحظة والفكرة أكثر من اهتمامه بالعمل ، يصلح أن يكون محللا أكثر من صلاحيته لان يكون منفذا • ولهذا السبب لا نعجب عندما نشاهد ان الاشخاص ذوي المهن الاكاديمية

بشغلون كثيرا من وظائف التحليل • اما المنفذون فيأتون من كل مكان •
وليس هناك معيار او نمط معين ، انما المعيار الاساسي هو أن يتسموا
بالحيوية وحب الاستطلاع وعدم الملل ، وان يكونوا ممن يهتمون
بالناس •

ومع ذلك فان حرفة المخابرات فريدة في نوعها الى حد تبدو قليلة
تلك الكليات التي تتوفر فيها دراسات من شأنها ان تضع الشخص في
موقف مفضل في عالم المخابرات بطريقة اوتوماتيكية ، والاثر الوحيد
الذي تحدثه الدراسات السابقة او الخبرة السابقة على مستقبل الشخص
في المخابرات ، هو توجيهه الى الناحية التحليلية ، او ناحية الجمع ، او
ناحية منطقة جغرافية من مناطق العالم أكثر من منطقة اخرى ، او اذا كان
خبيرا فنيا فتوجهه الى منطقة تخصصية من مناطق المخابرات •

وعلى كل حال فاذا كان الشخص الذي يعمل في ميدان التحليل
يكرس حياته لمنطقة معينة ، او لموضوع معين مسدة سنوات ، فالمنفذ لا
يفعل ذلك لان قدراته في المعرفة نفسها أهم من أي موضوع تخصص ،
او منطقة من مناطق المعرفة • انه يتوقع النقل مرات كثيرة في حياته ،
كما انه يحصل على معلوماته عن الحرفة من مدارس التدريب والمعاهد
التي يديرها جهاز المخابرات ، ومن عمله كضابط صغير بين زملائه ،
واخيرا من المأموريات التي يضطلع بها خارج البلاد معتمدا على نفسه •
وتتبع معاهد التدريب الخاصة بالمخابرات طرقا كثيرة تستخدم في
المهن الاخرى ، بقصد اعطاء ضابط مخابرات المستقبل لا المعلومات
فحسب ، بل الخبرة والثقة • وعلى خلاف مهن كثيرة اخرى ، فان
المخابرات ليست مهنة يمكن اغفال الاخطاء الصغيرة والكبيرة فيها
بإتسامة يعقبا ترديد حكمة معينة •

وتعد معاهد المخابرات برامج كثيرة عن المناطق وعن اللغات ، وهي

لا تختلف في كثير من مناهج الجامعات الا في شيء واحد ، هو انها تركز على الاشياء التي تهم ضابط المخابرات بصفة خاصة . كذلك تعطى برامج عن المخابرات نفسها ، كيف تعمل اجهزة المخابرات ؟ كيف تحلل المعلومات ؟ كيف تكتب التقارير ... الخ ؟ ولكن أهم ما في هذا التدريب هو العمليات الميدانية ، ولتعليم ذلك تلجأ مدارس المخابرات الى طريقة خلق او تهيئة مواقف يتصرف فيها الذين يتدربون ، كما لو كانوا يعملون مستقلين معتمدين على انفسهم في بلد اجنبي .

ويقوم الافراد بدراسة العمليات السابقة الخاصة بالمخابرات ، وكذا عمليات اجهزة المخابرات في البلاد الاخرى . وحتى يستطيع الدارس ان يواجه نفس ظروف العمليات وترتيبها التاريخي ، فانه يتسلم صوراً من الملفات ، تحتوي كل الرسائل والتقارير والتعليمات والحركة بين مقر الرئاسة وبين المراكز ، ومواد العميل ونتائج التحريات ورجال المراقبة مرتبة ترتيباً ذهنياً ، حتى يستطيع الدارس ان يرى تقدم الحالة وتسلسلها . ويكون للدارس هنا ميزة رؤية الشيء مؤخراً ، فنعرف أين وقعت الاخطاء ، وهل كان يمكن التنبؤ بها ، وما الظروف التي ساعدت على منع وقوع هذه الاخطاء ؟

ويستطيع دارس المخابرات عن طريق دراسة قضايا حقيقية بكل تفاصيلها ، ان يلاحظ كيف ان ضابط المخابرات في مناسبة ما ، أهمل في ان يسأل عميله السؤال الذي من شأنه ان يوضح الدور المزدوج الذي يلعبه ، او كيف نسي ان يعطيه اشارة الخطر التي يجب ان يستعملها عند الضرورة ، او كيف تعثر نقل المعلومات نتيجة استخدام طريقة اتصال معقدة بين العملاء ، أو لماذا فشلت عملية ما لان احد الاشخاص لم يستطع ان يتذكر ماذا كان يجب عليه ان يعمل في موقف معين .

ان دراسة هذه الحالات تسلط الضوء على نواحي الضعف

البشري الذي يملأ تاريخ المخابرات ، والذي يغرس في الضابط الشاب تقدير العناصر العديدة التي لا يمكن التنبؤ بها ، والتي تلعب دورا في عمله ، حيث يصبح من واجبه الاستعداد لها وتوقعها ، في كل مهمة تسند اليه فيما بعد .

وعلى ضابط المخابرات أن يدرس بتفصيل دقيق معظم الحالات المشهورة في تاريخ المخابرات الحديث ، مع الاهتمام بدراسة اسباب النجاح واسباب الفشل .

وفي دراسة للطرق الخاصة للمخابرات ، يحصل الدارس على دراسة مقارنة لنواحي الضعف ونواحي القوة في أجهزة المخابرات المختلفة . ويبدأ في رؤية خصائص وأهداف قومية معينة كما تعرضها هذه الطرق ، بنفس الطريقة التي يرى فيها دارس السياسة الاجنبية أو دارس الفنون العسكرية حيناً يقوم بدراسة الامم في حالة الحرب . وبنفس الطريقة يتعلم الدارس ما الذي يتوقعه من بعض خصوم المستقبل .

وتقصد المواقف الحية في مدارس التدريب نفس الهدف الذي يستهدفه تدريب الجنود بالذخيرة الحية ، والتي يطلق عليها العسكريون عبارة « التطعيم للمعركة » .

وقد تم عمل رائد طبقا لهذه الخطوط في اثناء الحرب العالمية الثانية في مدارس الجيش الامريكية التي كانت تدرب المستجوبين لاسرى الحرب . كان المدرب على عملية الاستجواب يقف أمام رجل يرتدي ملابس ضابط أو جندي من ضباط أو جنود الاعداء ، ويمثل دور الشخص الذي تم القبض عليه لتوه ويشكلم الالمانية أو اليابانية . ويجب أن يكون المدرب مثلاً قديراً ، وأن يختار لهذه العملية بعناية ، وأن يقوم بكل حيلة ممكنة ليضلل الشخص المستجوب بكل الطرق التي

يعرفها • وقد يرفض الكلام ، او يغرق المستجوب في سيل من المعلومات التافهة او الرتيبة ، وقد يكون فظا او وقحا ، وعند ذلك قد يقوم بتهديد المستجوب • وبعد ان يمر في دورات من هذا النوع ، يمكن للمستجوب أن يكون معدا لان يتولى عمليات استجواب حقيقية خاصة بأسير حرب او بهارب •

هذه هي الطريقة المستخدمة في مراكز تدريب المخابرات في الوقت الحاضر • وبطبيعة الحال تكون المواقف أكثر تعقيدا من المواقف التي تواجه المستجوب • كذلك تخطو مدارس المخابرات خطوة أخرى في خلق مواقف يمكن مقارقتها بعملية تدريب الممثل النفساني ، الذي يجب ان يمر هو نفسه في عملية تحليل حتى يثبت أن لديه استعدادا للقيام بعلاج المريض عقليا •

ولا تقتصر المواقف الحية التي يوضع فيها الشخص تحت التدريب على المواقف التي قد يقع فيها في يوم من الايام في عمله كضابط مخابرات ، بل يجب أن يلعب كذلك دور العميل ، حتى يبدأ في فهم ما يشعر به العميل ، وحتى يستطيع ان يكون لديه العطف والادراك للناس الذين سوف يعملون تحت امرته ، يأخذون اوامرهم منه ، وغالبا ما يضحون بحياتهم من أجله •

وفي عمل المخابرات - في مستوى التخصص - يكون الامام الشامل بالمواضيع الفنية امرا ضروريا ، وقد يقتضي الامر الامام بلغة معينة ، أو قد يكون علم الاثار أو دراسة تاريخ وجغرافية إحدى الدول ، أو بعض مظاهر ثقافتها ، أو علم طبقات الارض لبعض الاقاليم النائية من المواضيع الجوهرية • وعلى سبيل المثال نجد أنه في خلال الحرب العالمية الثانية ، طلب من المخابرات الامريكية أن تقدم معلومات عن خواص التربة في شمال افريقيا ، حتى يمكن تكييف فعال أحذية

الجنود الامريكيين ، لتلائم طبيعة هذه الاراضي الخاصة .

ولقد كانت هذه احدى البيانات البسيطة من بين مختلف المعلومات المطلوبة من المخابرات ، استعدادا لعملية ازالة القوات في شمال افريقيا عام ١٩٤٢ .

ومن ثم نجد ان وظيفة رجل المخابرات متشعبة متعددة الخواص . وتحتاج لخبرات ومهارات خاصة . وهنا يكمن الشكل في اعداد أنواع عديدة من الشخصيات التي لا يمكن لاي منظمة ان تحصل عليها الا بعد جهد شاق متواصل ، وتدقيق ذكي في اختيار الافراد الملائمين لتكوين البنيان الصلب ، والذي يلقي عليه العبء الرئيسي لامن الدولة القومي .

□ ثانيا : العميل :

وبعد الحديث القصير عن ضابط المخابرات ، يمكن ان نتحدث عن نوع معين آخر من رجال المخابرات وهو العملاء . وهناك فرق شاسع بين ضابط المخابرات المكلف بجمع معلومات بالطرق السرية - حسب ما سبق ان شرحنا في مهمة جمع المعلومات - وبين العميل .

فالاول عضو في جهاز المخابرات وهو مواطن ينتمي للدولة ، ويقوم بعمله في مكان ما كأي موظف آخر في الدولة ، سواء كان هذا العمل داخل البلاد او خارجها .

أما الشخص الذي يكتشفه ضابط المخابرات ويستأجره ويدربه ويوجهه لجمع المعلومات بطرق سرية ، فهو العميل الذي قد ينتمي لاي جنسية ، وقد يأتي بالمعلومات بنفسه ، او قد تكون له صلة بمن يعملون

في داخل الهدف حيث يمدونه بالمعلومات .

وتستمر علاقته بجهاز المخابرات ، طالما أن الطرفين يجدان هذه العلاقة مرضية ومجزية .

وعمل الجاسوسية يعمل بصفة مطلقة في الحصول على المعلومات السرية ، وهو بذلك يؤدي مهمة ليست الا جزءا ، وان كان هذا الجزء صغيرا الا انه عظيم الاهمية في اجمالي جهد المخابرات . وعليه في اثناء عمله ان يخفي شخصيته ، وان يعمل تحت ساتر لاختفاء طبيعة مهمته ، وهو في هذا السبيل ينتحل شخصية زائفة ، ويراعي السرية الدقيقة في كل نواحي عمله .

ويجب على ضابط المخابرات ان يتأكد من الدوافع التي تجعل العميل يعرض خدماته كما يجب عليه ان يضعه تحت رقابة ودراسة شديدة خشية أن يكون مرسلا من الخصم كمتسلل .

على أن التجربة اثبتت ان العميل الذي ليس له معنويات ، فان اخلاقه لا بد ان تنفت في حياته كعميل .

ومما لا شك فيه أن سجل التاريخ فيه عملاء حمقى غير متزني التفكير والقوى العقلية ، وكان بينهم البعض ممن عرف عنهم الاثرة ، وحب النفس . اولئك الذين وصفهم وليم بوليثوب بأنهم : متشردون كسالى لا يتوفر لهم الشعور بالارتباط بواجب ما .

وكان من بينهم ايضا من يحبون المغامرة ، والذين وجدوا في هذه المخاطر ما يرضي نفوسهم ، دون ان يكون لهم اي هدف غير ما في الجاسوسية من مواجهة الاخطار .

ولكن ثمة ايضا عملاء دفعوا للعمل في الجاسوسية نتيجة الكراهية ، أو الشعور بالاضطهاد ، أو بسبب مركبات النقص ، أو

دفعهم لهذا العمل الاطماع والحقد العميق ، او حب الغنى ، او ميسر
الحاجة الملحة للنقود .

وقد اثبتت الدراسات العملية ان غير المتزنين عقليا لا يكونون
جواسيس ناجحين ، وعلى النقيض من هذا اثبتت هذه الدراسات ان
العميل الجيد هو « المواطن الصالح » الذي يعمل بوحى وطنيته ، والذي
ينظر الى هذه الاعمال السرية على أنها أعمال موقوتة لغرض وطني
صالح ، ولهذا فانه يخضع لنظام محكم راضيا باتباع هذا النظام ، مؤديا
ما يطلب منه على اكمل وجه مهما واجه من الاخطار .

ويضع آلين دالاس الدافع الايديولوجي في قمة الدوافع واسماها
التي تجعل العميل يعرض خدماته في العمل السري ويقول في ذلك :

« ... فالمتطوع الايديولوجي — اذا كان مخلصا — هو رجل
لا مجال للشك في اخلاصه ، وهو ليس مثل اولئك الذين يعملون من
اجل الحصول على المال ، او الرغبة في المخاطر او المغامرات .

« وفي الحقيقة ان كلمة « ايديولوجية » ليست هي ادق كلمة
تعبّر عما تعنيه، ولكننا نستخدمها لاننا لا نجد أفضل منها . فقلة من
الناس هم الذين يكلفون أنفسهم مؤونة القيام بعملية تحليل واثبات
— لانفسهم — ان ثمة نظاما حكوميا معيناً يفضل نظاما آخر ... قلة
من الناس هم الذين يحاولون الوصول الى تبرير عقلي للخيانة ، مثلما
فعل كلاوس غوش الذي يدعي بأن في مقدوره ان يقسم على الولاء للتاج
البريطاني ، ثم في نفس الوقت ينقل الاسرار البريطانية الى الاتحاد
السوفياتي ، لانه يستطيع ان يستخدم فلسفته الماركسية في تقسيم عقله
الى قسمين منفصلين . ولكن الاكثر احتمالا ، هو ان تستند وجهات
النظر والاحكام على المشاعر وعلى الاعتبارات العملية . فكبار

الاشخاص في البيروقراطيات الشيوعية - الذين يرون كيف تعمل الدولة التي تستخدمهم - لا يمكن ان يروا كيف يسود التنازع على السلطة بين الطبقات والمناصب العليا ، وان الشعب هو فريسة للشعارات الماركسية وتشويه الحقيقة . فالشيوعية هي نظام يعامل الجميع بشسدة فيما عدا المتمسكين بها ، والذين عرفوا كيف يستفيدون منها . ففي كل دولة شيوعية اشخاص قاسوا من الدولة ، او اشخاص كانوا على مقربة من الذين قاسوا ، وكثير من هؤلاء الاشخاص يكونون على استعداد لان يشتركوا في التجسس على نظام حكم لا يحترمونه وهم ساخطون عليه او خاب أملهم فيه » .

وان كانت هذه وجهة نظر خصم للشيوعية ، فليس المجال هنا مجالا لتقييم الايديولوجيات ، الا ان هذا الرأي يوضح دافعا من دوافع عرض العملاء خدماتهم .

ويضيف دالاس بعد ذلك قائلا :

« ان العميل المثالي من هذا النوع لا يشترك في عملية التجسس بسهولة . انه يفضل في بداية الامر ان يلتحق بحركة سرية - اذا كانت ثمة مثل هذه الحركة - او يشترك في النشاط السياسي الذي يقوم به المنفيون ، هذا النشاط الذي يستهدف مباشرة قلقلة نظام الاستبداد الذي يسود بلاده » .

ويضرب بذلك مثلا حدث لاحد عملائه في المانيا في الحرب العالمية الثانية ، وكانت معلومات هذا العميل ذات اهمية عظيمة لمجهود الحلفاء في الحرب ، وقد حاول اقناع دالاس بأن يسمح له بالاشتراك في المجهود السري الذي كان يبذل للتخلص من النازي . وفي كل مقابلة مع العميل كان دالاس يشير له بأنه اذا فعل ذلك سوف يلغى النظر اليه وسوف يهدد أمن المجهود السري . كما كان يوضح له ان قدرته

على الاستمرار في الحصول على المعلومات التي كان الحلفاء في مسيس الحاجة اليها لها قيمة اعظم من الاشتراك في المجهود السري .

ولكن كان هذا العميل يشعر بالخيبة ، اذ كانت له وجهة نظر اخرى ، ذلك انه اذا وضعت الحرب اوزارها فان عمله لن يجعله امام الناس بطلا ، لانه كان يمد الحلفاء بالمعلومات ، ومما يؤسف له انه كان محقا في ذلك .

وثمة عميل آخر ضد النازي كان متعاوناً مع الحلفاء ، كما كان على استعداد لان يمدهم بكل نوع من انواع المعلومات ، الا ما كان يؤدي بطريقة مباشرة الى قتل مواطنيه في المعركة .

هذه كانت أمثلة من الدوافع الايديولوجية التي كانت تدفع البعض الى انتهاج سبيل معين ، ويستخدم كل جهاز مخابرات اشخاصا يعملون اساسا من أجل المال ، او حبا في المغامرات او المؤامرات . ان بعض الناس شغوفون بأعمال التضليل والزيف ليس الا لمجرد الرغبة في ذلك ، وهم يحسون بالرضاء اذ يرون انفسهم المحركين غير المرئيين للأحداث .

وعموما فان العميل يختار الجاسوسية عملا له اما مدفوعا بعامل الوطنية واما أن يكون على علم بأن لديه من المواهب والمميزات ما يجعله أصلح ما يكون لهذا العمل ، واما ان يكون مدفوعا بعامل الكره لايديولوجية معينة . واما ان يكون مدفوعا جريا وراء المال ، او متورطا تحت ضغط ظروف قاسية .

وقد يكون الدافع وراء العميل رغبته في الظهور بمظهر الاهمية ، سواء بالنسبة للحكومات او الاجهزة التي يعمل لحسابها ، ان ثمة أشياء كثيرة متناقضة تدفع العميل لاختيار ميدان التجسس لاشباع رغباته .

وهناك فقرة جميلة في قصة احد الجواسيس في الحرب العالمية الاولى كتبها سومرست موم عن رجل احترف الجاسوسية • كتب موم يقول :

انه لا يعتقد أن كايبور قد اصبح جاسوسا لمجرد حبه للمال • لقد كان رجلا ذا أذواق متواضعة ••• وكان رجلا من أولئك الذين يفضلون الطرق الملتوية عن الطرق الصحيحة المباشرة •• انه يشعر باللذة من تضليل الناس ••• انه يجد لذة في خداع كبار الشخصيات الذين لم يعرفوا حتى بوجوده • ربما يكون الغرور هو الذي يدفعه ، او الشعور بأن مواهبه لم تصادف الاعتراف الجدي بها ، وربما يكون لديه رغبة شيطانية في الاذى والضرر » •

ان ما يريد ان يوضحه موم هنا هو حقيقة يعرفها كل كاتب قدير ، ويعرفها كل عالم نفساني ، ويعرفها كل ضابط مخابرات ايضا • هذه الحقيقة هي ان الدوافع نادرا ما تكون خالصة ومفردة ، بل انها في الغالب مختلطة ، فقد يكون المال او الحماية هي التي ترجح الكفة بالنسبة للشخص ذي الدوافع الايديولوجية •

ومن بين الاشخاص الذين يعملون في الجاسوسية من اجل المال أولئك الذين يقعون في ضائقة مالية - اما ديون لا يستطيعون تسديدها أو اختلاس أموال حكومية لا يستطيعون ردها • ولما كانوا يخشون أن يكشف أمرهم ولا يستطيعون الحصول على المال من مصدر مشروع ، فانهم يلجأون الى جهاز مخابرات أجنبي يعرضون عليه معلوماتهم اذا قبل الجهاز ان يدفع لهم ما يكفي لانقاذهم •

ومثال هذا النوع من العملاء ، العميل الهولندي « مويس جود سوارد » عالم الآثار الذي جنده اسرائيل للتجسس علينا • ففي عام ١٩٥٥ كان مويس مرهقا ماليا ، وكان ينظر الى المستقبل

نظرة تشاؤم ، كما كانت عليه التزامات يجب ان يفي بها لزوجته المطلقة ،
ولما كان له اصدقاء من اليهود في امستردام ، فقد أحسوا بحالته المالية
وأدركوا مدى الضائقة التي يعانها ، فاتهمزوا هذه الفرصة وعرضوا عليه
أن يعمل مع « دافيد كنج » وقدموه له ، فعرض عليه أجرا طيبا واتفق
معه على السفر الى مصر ليجمع له بيانات خاصة .

وقد تبين بعد ذلك ان « دافيد كنج » هذا كان قنصل اسرائيل
في امستردام ، جاتفق مع موسى على اجر قدره ٢٠٠ دولار شهريا خلاف
مصاريف السفر وغيرها .

وثمة قضية اخرى هدفها اغراء المال ، وهي قضية اليونانيين نيقولا
جورج كوبس مهندس الديكور اليوناني الذي كان يعمل في ميلانو ،
واغراه المال فانضم لمنظمة اسرائيل واتفق معها على التراسل ، ثم جند
للمنظمة زميله جورج استراتيوس استماتيو الموظف بمحلات جويبي .
وقد استطاع المذكوران تقديم بعض المعلومات الخاصة بأسرار
دفاعنا ، واستغلت اسرائيل أهمية الثاني ، الذي كان يخدم في المآدب
والحفلات التي يحضرها كبار رجال الدولة ، والذي كان يسعى ببلاغهم
عنها ، فضلا عن المسائل العسكرية الاخرى واسرار الدفاع التي
أفشيها .

وقد ثبتت التهمة ضدتهما ، ولكن المحكمة رأفت بهما لانهما
أجنيبان ، وحكمت عليهما بالسجن .

كما ان هناك صورة غريبة استخدمتها احدى منظمات الغرب ،
فقد استغل أحد ضباط المخابرات الامريكيين في مصر الضعف المادي
لدى بعض الطلبة المصريين في التعرف اليهم ، بغرض تجنيدهم تحت
ساتر قيام هؤلاء الطلبة باعطاء دروس في اللغة العربية لبعض ضباط
المخابرات الامريكية نظير اجر معين .

وقد طبق هذا الاسلوب في تجنيد طالب بكلية الاداب وعريف
مؤهلات بسلاح المدرعات •

وتطور هذا الغرض وهو اعطاء دروس في اللغة العربية الى
احتياجات من المخابرات الامريكية للحصول على معلومات عن سلاح
المدرعات •

ولقد وضعنا في أماكن أخرى صوراً من دوافع عمل العميل في
الجاسوسية • ولذلك نرجو القارئ الرجوع إليها ، وآثرنا عدم ذكرها
هنا منعا للملل والتكرار •

ولقد بذلت عدة جهود عملية ولا سيما في الولايات المتحدة التي
تهتم بالدراسات النفسية ، لتكوين الكيان المادي لشخصية العميل او
الجاسوس المثالي •

وعلى أساس هذه الدراسات العلمية والنفسية وضعت الخطوط
العامة لعشر مجموعات رئيسية من الصفات ، يجب توافرها في العميل
حتى يكون صالحا لعمله وهي :

— أن تكون روحه المعنوية عالية ، وأن يكون راغبا في العمل
الذي سيقوم به •

— أن يكون نشطا ميالا للقيام بالاعمال التي تتطلب الجرأة والجسارة،
متحمسا لعمله •

— أن يكون عملي التفكير سريع البديهة وان تتوافر له دقة الحكم
مع صواب الرأي وأن يعرف كيف يعامل الناس والأشياء ، وكيف
تناقش الآراء ، وان تتوافر له القدرة العملية في المسائل التي

تحتاج الى المهارة المهنية .

— ان يكون متزن العاطفة أي لا تهزه المؤثرات العاطفية ، وان تتوافر له الطاقة والاحتمال تحت الظروف المجهدة ، وان يكون صبورا هادئ الطبع موفور الصحة .

— أن تتوافر له القدرة على مسايرة غيره من الناس ، وأن يعمل كفرد في طاقم وان يفهم نقط الضعف والحماسة في الآخرين ، مسع تخلصه هو نفسه من نقط الضعف أو الحماسة هذه .

— أن يعرف كيف يوجد في غيره روح التعاون ، وأن يكون قادرا على تنظيم وإدارة قيادة الآخرين ، وان يكون راغبا في احتمال المسؤولية .

— أن يكون دقيقا في عمله صائب الرأي دقيق الحكم ، يعرف كيف يعقل لسانه ويعلق فهمه ، أمينا على الاسرار .

— ان يكون جريئا سريع الحركة ، صلب العود خشنا .

— ان تتوفر له القدرة على ملاحظة كل شيء ، وعلى دقة تذكر التفاصيل ، وان يكون قادرا على اعداد التقارير بمهارة ودقة وفي يسر ، وأن يقدر قيمة ملاحظاته . وان يرويها ثانية في وضوح مهما كثرت ، وتعقبت مشاهداته .

— ان يكون قادرا على الخداع والتضليل عندما يكون هذا الخداع أو التضليل ضرورة ملحة .

ومن الطبيعي ان الافراد القادرين ، هم الذين يستطيعون أن يجمعوا كل هذه الصفات والخصايات في نطاق شخصياتهم . وقد وجد ان الرجال الموفوري الذكاء هم قادة أقوياء ، كما انهم يكونون عادة دقيقي الملاحظة ، يحسنون صياغة التقارير ، ولكن في ذات الوقت

يكون اتزانهم العاطفي منخفض المستوى ، وتكون اتصالاتهم الاجتماعية أقل مما يجب •

وقد وجد ان الافراد المتزنين عاطفيا يكونون رجال مجتمع من طابع جيد ، كما يكونون قادة مهرة ، صائبي التفكير ، دقيقي الحكم على الاشياء • ولكن ذكاءهم يكون في مستوى أقل ، كما انهم لا يكونون دقيقي الملاحظة ، ولا يجيدون اعداد التقارير •

لقد وجد ان العميل المثالي ليس هو في العادة الانسان التابع ، بل هو الرجل العادي الذي يتصرف ويسلك سلوك الانسان الطبيعي •

* * *

على انه يمكن ان نطلق كلمة عميل على كل من يمارسون الجاسوسية ، والذين يعرفون باسم الجواسيس ، وفي غمرة هذه التسمية الطليقة نجد مختلف الانواع • فالاشخاص الذين يعملون في الجاسوسية المباشرة ، هم الذين يخرجون تحت ساتر مزيف ، ويخفون شخصياتهم في سبيل الحصول على معلومات سرية ، وهؤلاء يمكن ان نطلق عليهم عبارة (العملاء السريين) •

ويشتمل هذا النوع على العملاء المقيمين ، أي الذين يقيمون باستمرار في اماكن محددة ويعملون على اساس مستديم ، وعلى مدى واسع للعمل في الجاسوسية بصورة عامة •

وهناك هؤلاء الذين يسمون (بالعملاء المؤقتين) يكلفون بمهام عارضة ، قد تصيب أو تخيب ، وقد تخفق أو تنجح •

وبالإضافة لذلك يوجد نوع آخر من العملاء ، مهمتهم الاحتفاظ بالاتصال بالعملاء في الميدان ، ويطلق عليهم في حرفة المخابرات « عميل اتصال » ، وهذا النوع من العملاء لا يشتركون في الجاسوسية في ثقة مباشرة ، ولكنهم يقومون فقط بنقل المعلومات التي يحصل عليها العملاء .

وهناك العملاء المحرضون ، الذين يكون عملهم هو التسلّل الى منظمة الجاسوسية للعدو للتعرف عليها ، أو كشف أسرارها ، والوقوف على وسائلها ، ومعرفة أفرادها .

كما ان هناك عملاء واجبهم الوحيد تجنيد الاشخاص ، أي اصطيادهم للعمل في الجاسوسية ، ومهمتهم هنا تنحصر في التقاط من يتوسمون فيهم صلاحيتهم للعمل في شبكات الجاسوسية ، وهؤلاء الوسطاء يكونون حلقة اتصال بين جاسوسين ، او بين جاسوس وشخص أعلى تكون شخصيته مخفية عن العميل .

وثمة من يسمون « بصناديق البريد » الذين يستخدمون فقط كنقطة تحويل أو اتصال في نظام مواصلات الجاسوسية ، وهم غالباً أشخاص ذوو مظهر بريء لا ينم ولو من بعيد على أي نشاط غير مشروع ، وهؤلاء يوضعون في الدول المحايدة لكي يتسلموا الرسائل من العميل ، ويقدمونها بدورهم الى مركز رئاسة منظمة الجاسوسية .

وفي الجاسوسية المضادة يطلق على العملاء اسم « العملاء السريين » أو « العملاء المضادين » ، أي العملاء الذين يعملون ضد

التجسس ، كما يوجد بها ايضا مخبرون او مندوبون مهمتهم تقديم معلومات عن اي نشاط يتعلق بالامن .

وفود ان تشير هنا الى انا سنتحدث في كتاب الحرب الخفية بالتفصيل عن هذه النقاط ، حينما نعرض لاستخدام العملاء في ميادين الخدمة السرية .

الفصل السادس



التخصُّصُ في مَوَاضِيعِ البَحْثِ

التخصُّصُ في مَوَاضِيعِ
البَحْثِ
المعرفة أساس
التخصُّص - تعدد
الصور - التقسيم
النوعي للمخابرات -
المخابرات الإيجابية -
المخابرات الوقائية -
مخابرات الأمن -
التخصُّص الموضوعي -
المخابرات الاستراتيجية.

المخابرات القومية عملية متشابكة ، تستقي معلوماتها من جميع المصادر الاكاديمية : الاجتماع والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد السياسي والفلسفة الحربية والعلوم الطبيعية وغيرها . وفي العادة يكون ضباط المخابرات أخصائيين في أحد هذه الفروع ، بالرغم من أنهم قد يكونون على علم تام بأكثر من فرع من فروع هذه المعرفة اذا كانت مسئولياتهم قاصرة على مناطق جغرافية صغيرة . ومن ثم فان التخصص على أساس نوع المعرفة ، هو القاعدة في مخابرات اليوم ، كما هو القاعدة في العالم الاكاديمي .

ويتفق كل من واضعي سياسة الدولة والقادة العسكريين الذين يقومون بالتخطيط العسكري ، على أنه يجب أن يكون لديهم صورة دقيقة وكاملة عن العدو المحتمل : مثل تكوين حكومته ، والتكتلات السياسية داخل بلاده ، وأهدافه القومية واغراضها ، ومقوماته الصناعية والاقتصادية ، وتكوينه الاجتماعي والاخلاقي ، الى آخر تلك المعلومات التفصيلية التي تؤثر تأثيرا حيويا على الخطط السياسية والعسكرية . كما يجب على قادة القوات الذين يعملون في بلاد أجنبية ، أن يخطرأ بهذا كله اذا كان من واجبهم القيام بدور مؤثر فعال ضد حركات المقاومة والعصابات التي تدار في أرض العدو ، أو اذا كان واجبهم ادارة الحكومة المحلية على أساس عسكري ، أو أن يقوموا بتنفيذ برنامج سيكولوجي معقول وعلى أساس سليم .

على أنه بازدياد مسئوليات المخابرات ، وتعدد ميادينها مع التطور العلمي الحديث أصبحت المخابرات متعددة الصور والاقسام ، أولا من ناحية ميدان العمل وثانيا من ناحية التخصص داخل منظمات المخابرات المعقدة ، وخاصة على مستوى الدولة . . . اي على المستوى الاستراتيجي .

وعلى سبيل المثال فان « المخابرات العسكرية » التي كانت في وقت ما اصطلاحا شاملا لاعمال المخابرات الخاصة بالمسائل العسكرية ، استبدلت من الناحية العملية بمخابرات الجيش والبحرية والطيران ، وكل من هذه الاقسام الثلاثة لها ميادين متعددة لاعمال المخابرات ، ويختص بنوع من المعلومات اللازمة ، فالمعلومات الخاصة بتنظيم المعركة تعني بصفة عامة التنظيم والقوة والتوزيع والمهمات والمعدات والتسليح والتدريب والتكتيكات للقوات المسلحة .

أما المعلومات الجغرافية فهي الاصطلاح الشامل للمعلومات عن البر والبحر والجو اللازمة لخطط ولعمليات عسكرية ، وهي بالغة الاهمية لاي عمليات حربية مثل المعلومات الطبوغرافية ، أو « الهيدروجرافيا » وهو علم التقلبات الجوية وارصادها .

والمعلومات الخاصة بالنقل التي كانت في وقت ما جزءا مكملدا داخل نطاق المعلومات الجغرافية صارت وحدها ميدانا رئيسيا منفصلا ، وأدى التقدم الواسع المدى في الاسلحة والمعدات الحربية ، وكذا التطور العلمي ورقه ، الى بروز نوع من المخابرات الفنية كميدان بالغ الاهمية للامن القومي في جميع أنحاء العالم . وتعتبر المخابرات العلمية جزءا حيويا من المخابرات الفنية ، وقد جاءت معها بسلالة من المعلومات المتخصصة في انشطار الذرة والالكترونات والمقذوفات الصاروخية الموجهة والمواصلات والمعلومات للحرب الكيميائية والبيولوجية ، كما سيجيء بالتفصيل فيما بعده .

تقسيم المخابرات النوعي

وبل ان نحاول أن نسر غور التقسيم الموضوعي للمخابرات ، أو بمعنى آخر التخصص في مواضيع البحث نود ان نشير الى أن المخابرات

يمكن تقسيمها بصورة عامة الى قسمين رئيسيين .. مخبرات ايجابية
Positive Intelligence مخبرات وقائية Passive Intelligence

□ المخبرات الايجابية :

يشمل نشاط المخبرات الايجابي الاجراءات التي تتبعها المخبرات لتحصل على المعلومات سواء بالملاحظة والمتابعة أو بالقيام بعمل ايجابي « أعمال التجسس ، أو بعبارة أخرى هو النشاط الذي يهدف الى الحصول على جميع المعلومات التي يجب أن نعرفها قبل أن نبدأ في اتخاذ طريق معين ، حتى يكون المسئولون على علم مقدما بما سيواجههم به العدو من اجراءات قبل وقوعها . ومثل ذلك الامر ينطبق على المخبرات السياسية والاقتصادية والعسكرية والعلمية وغيرها .

ويشمل نشاط المخبرات الايجابي أيضا أعمال التخريب ، والاعمال السياسية والمظاهرات ، والدعاية وحرب الشائعات ، وكل ما يتطلب القيام بخطط ايجابية ، لتنفيذ أغراض معينة للمعاونة في التغلب على العدو في أي ميدان من ميادين الحياة العسكرية او السياسية او الاقتصادية ... الخ .

□ المخبرات الوقائية :

أما المخبرات الوقائية فهي اصطلاح شامل لجميع الاجراءات والعمليات التي تقوم بها الدولة لتحقيق أمنها ، ووقاية أسرارها من نشاط الجواسيس والتخريب المادي والمعنوي والدعاية ، هادفة بذلك الى

المحافظة على هذه الاسرار في الداخل والخارج ، وحماية حدودها ومنشأتها والمحافظة على كيانها . كذلك تشمل المخابرات الوقائية جميع الاجراءات التي تحرم العدو ومنظمات مخابراته من مفاجئتنا ، بالإضافة الى الاجراءات الوقائية التي تمكننا من الحصول على التفوق على العدو ، والانتصار عليه في النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية ، ونحو هذا . ويطلق عليها في بعض الاحيان اسم المخابرات المضادة .

وتنقسم المخابرات الوقائية الى العناصر الآتية :

أ (مخابرات الامن ومسئولياتها : مكافحة التخريب ، مكافحة التآمر والتمرد ، ومكافحة النشاط الهدام والامن بمفهومه الشامل من أمن شخص وأفراد ومنشآت ومعلومات ... الخ .

ب (مقاومة التجسس :

وليس الحاجز كبيرا بين نشاط المخابرات الايجابي والوقائي ، فلكل منهما جوانب عظيمة الاهمية بالنسبة للآخر ، فاذا فرضنا أن دولة ما أقامت في بلادنا تنظيما للتجسس ، كانت متابعة هذا التنظيم من صميم اختصاص فرع مقاومة الجاسوسية التابع للمخابرات الوقائية أو المخابرات المضادة ، مما لا يدخل في اختصاص المخابرات الايجابية على الاطلاق من الناحية النظرية . وواقع الامر أن هذه الحقيقة صحيحة الى حد ما ، ولكن ثمة ارتباطا آخر في انتاج كل منهما . فلو فرضنا أن نشاط مخابراتنا في مقاومة التجسس نجح في التسلل الى شبكة تجسس العدو وتمكن من الوصول الى مركز يمكنه من قراءة المراسلات والتوجيهات التي ترد لمنظمة الجاسوسية ، فإن هذه الوثائق لن تكون مجرد وثائق وصفية تبين نشاط جاسوسية العدو فقط ، انما من المحتمل أن تكشف عن قدر كبير من نشاطه العام وسياسته وخططه ، وقد تحوي معلومات ظل رجال المخابرات الايجابية في حاجة اليها وقتا طويلا .

بناء على ذلك فانه في الوقت الذي يوجد فيه نوع من نشاط المخابرات يطلق عليه اسم المخابرات الوقائية او المخابرات المضادة ، حيث يتضمن نسبة كبيرة من معلومات المخابرات الوقائية ، فان ثمة جوانب اخرى من هذه المخابرات الوقائية تعبر الحاجز الصناعي الذي أنشأته ، وتختلط اختلاطا معقدا بالمخابرات الايجابية .

□ مخابرات الامن : Security Intelligence

ويقصد بمخابرات الامن المجهودات التي تبذل لاختفاء السياسة القومية والمعلومات العسكرية او القرارات الدبلوماسية وغير هذا من المعلومات ذات الطابع السري الذي يؤثر على أمن الدولة وسلامتها ، ومنع تسرب هذه المعلومات لغير المختصين عن طريق تحديد وصولها الى الاشخاص المسؤولين الذين يجب أن يلموا بها وحدهم .

وأساس مخابرات الامن الاختفاء بصفة عامة ، ويتشعب اختصاصها في مختلف النواحي في الدولة ، فهي تستصدر القوانين والتشريعات التي تمنع الافراد من محاولة الحصول على معلومات ليس من حقهم الحصول عليها ، وهي تتولى اختيار الاشخاص الذين يمكن الوثوق بهم ، والذين تتوافر لديهم موهبة تقدير أهمية الامن للقيام بالاعمال الخاصة ، وهي تضع الخطة اللازمة لصيانة الموارد الطبيعية ومناطق الانتاج الصناعي ضد أعمال المخابرات والجاسوسية والتخريب التي يلجأ اليها العدو ، وبالإضافة الى ذلك تقوم بعمليات مخادعة لتضليل العدو عن طريق نشر معلومات غير صحيحة .

وهناك فرق واضح بين مخابرات الامن ومقاومة التجسس بالرغم من وحدة الهدف التي تربط بين الاثنتين ، واعني منع العدو من الحصول

على المعلومات ذات الطابع السري . فاذا قلنا ان عملية مخابرات الامن هي عملية وقائية فان مقاومة الجاسوسية هي عملية ايجابية تهدف الى اصطياد الجواسيس والقبض عليهم قبل أن يرسلوا معلومات ذات قيمة للاجهزة التي يعملون لحسابها . ولذا فان أعمال مخابرات الامن تتسم بطابع التوجيه والتوعية ، اكثر من أجهزة مقاومة الجاسوسية التي يتسم عملها بالطابع الايجابي . ولعلنا نكون قد أوضحنا بعد هذا التقديم لواجبات مخابرات الامن ، مدى ضخامة المسؤوليات الملقاة على عاتقها .

□ التخصص الموضوعي :

بعد هذا الشرح البسيط للتقسيم النوعي للمخابرات ، نستطيع أن نقول أن الهدف الاول للمخابرات هو الامداد بالمعلومات التي تمكن واضعي السياسة القومية من اصدار قرارات صحيحة بالنسبة للدول الاخرى ، ومن ثم فان الامداد بالحقائق والتقديرات الجيدة السليمة هي النتيجة النهائية لعملية المخابرات ، وتلك العملية تمر بمرحل متتالية لا حصر لها : من جمع المعلومات الخام ، وتصنيفها ، وتحليلها ، ثم تحول في النهاية الى اولئك الذين يحتاجون اليها .

على أننا قبل أن ندخل في موضوعات التخصص ، نشير الى اصطلاحين هامين يستخدمان في لغة المخابرات ، ولهما أهمية كبيرة في تفهم مسؤولياتها ، وهما : المخابرات الاستراتيجية ، والمخابرات التكتيكية .

فالاولى تعني المعلومات الخاصة بنوايا وامكانات الدول الاجنبية ، وكذا المعلومات الخاصة بنقط الضعف فيها ، وهذه المعلومات التي يحتاج اليها واضعو السياسة والتخطيط لرسم سياسة الامن القومي اللازمة للدولة في وقت السلم ، كما تكون أساسا للتخطيط للعمليات العسكرية

في وقت الحرب • والعناصر الاساسية للمخابرات الاستراتيجية تشمل
مواضيع سياسية - عسكرية - اقتصادية - جغرافية - تاريخية -
اجتماعية - سيكولوجية •

اما الثانية وتسمى أحيانا المخابرات الخاصة بالقتال ، فانها تعني
عادة بالمعلومات اللازمة بقيادة الميدان الذين يشتركون في عمليات تكتيكية •

ولكي نفرق بين المخابرات الاستراتيجية والتكتيكية نذكر حرب
السويس عام ١٩٥٦ فان المعلومات التي كان لها اثرها على قرار بريطانيا
وفرنسا واسرائيل بالقيام بعمليات تعرضية ضد مصر يمكن أن تسمى
استراتيجية ، أما المخابرات التي استخدمت في تحضير الحملة اللازمة للغزو
والخطط التي استخدمت في التنفيذ فهي تكتيكية •

ومثل آخر ان المعلومات التي أثرت على قرار الحلفاء بالقيام بانزال
القوات على ساحل شبه جزيرة نورماندي في الحرب العالمية الثانية ،
كانت معلومات من المخابرات الاستراتيجية ، على حين أن المعلومات
التفصيلية التي استخدمت للتجهيز للخطط العسكرية وتنفيذ القرار
الاستراتيجي ، كانت مخابرات تكتيكية •

□ المخابرات الاستراتيجية :

ولنعد الآن الى المخابرات الاستراتيجية وهي مجال بحثنا الان ،
فنقول أنها المعلومات التي ينبغي أن تستقر فوقها علاقات الدولة بالدول
الاجنبية وقت الحرب والسلم على حد سواء ، فاذا كانت السياسة
الخارجية هي الدرع الذي يحمي الدولة ، كما عرفها ولتر ليمان - فان
المخابرات الاستراتيجية هي الشيء الذي يضع الدرع في المكان الصحيح

في الوقت الملائم ، كما أنها أيضا الشيء الذي يقف متأهبا لتوجيه السيف .
ففي أية دولة هناك المسئولون عن وضع السياسة والتخطيط لها ،
ولكي تكون هذه السياسة ذات أثر فعال ، يجب على واضعي خطوطها
الرئيسية وتفاصيلها ومنفذها أن يكونوا قادرين على اختيار الوسائل
الأكثر اقناعا من قائمة احتمالات مطولة : هل تكون هذه الوسيلة قرارا
تتخذه الأمم المتحدة ؟ أو تكون الدبلوماسية ؟ أو هل تكون ترغيبا أو
تهديدا سياسيا واقتصاديا ؟ أو تكون دعاية أو أنباء ؟ أو تكون قوة ؟ أو
تكون خليطا في كثير من هذه الوسائل ؟

كذلك يجب على واضعي الخطط وتفاصيلها وكذا منفذها ، أن
يعرفوا أيضا أين وكيف ومتى يستعملون الأدوات التي اختاروها ؟
وقبل أن يقدم الساسيون على اتخاذ أي قرار يحسن بهم أن يكونوا
على اتم علم بما يأتي :

١ - كيف سيستقبل البلد الآخر السياسة المشار إليها ، وما الذي
أعده ليرد به على هذه السياسة ؟

٢ - ماذا ينقص البلد الآخر من فاحية قوته الدفاعية ، أي ما مدى
مواطن الضعف المحددة في هذا البلد ؟

٣ - ماذا يفعل البلد الآخر لتنظيم قوته الدفاعية ؟

٤ - ما هي قدرته لاصلاح تقط الضعف المحددة فيه ؟
وهكذا يجد الساسة انهم بحاجة الى قدر كبير من المعلومات عن
البلاد الاجنبية . انهم بحاجة الى معلومات كاملة دقيقة تقدم اليهم في
الوقت الملائم . ولكي يضعوا سياستهم الايجابية موضع التنفيذ ، يجب
عليهم أن يعرفوا أولا وقبل كل شيء ، كل ما يمكن معرفته عن الدول
الآخري باعتبارها أهدافا موجودة مثال ذلك :

١ - صفات هذه البلاد ، أو بعبارة أخرى طوبوغرافيتها ويشتها والمنشآت الدائمة المتعددة الاشكال التي أنشأها سكانها في رقعتها (مدنها ومشروعاتها الثقافية والصناعية ووسائل النقل بها الخ ...) .

٢ - سكانها ، كم عددهم وكيف يعيشون وبم يشتغلون ؟

٣ - حالة الفنون والعلوم والتقدم الصناعي بين هذه الشعوب .

٤ - طبيعة نظمها السياسية واقتصادياتها وجماعاتها الاجتماعية .
وقوانينها الاخلاقية والعلاقات الداخلية السائدة بينهم جميعا .

٥ - حالة قواتها المسلحة ومدى القوى الضاربة التي تمتلكها .

وحيثما يتسلح زعماء السياسة الايجابية بهذه المعلومات ، فانهم يستطيعون المضي في عملهم وهم واثقون على الاقل من أنهم اذا فشلوا، فلن يكونوا هدفا للهجوم أو اللوم نتيجة عدم المامهم بهذه الامور .

وقد رأيت تبسيطا للقارئ، أن أقسم التخصص الى اربعة أقسام رئيسية سنتحدث عنها بالتفصيل وهي : المخابرات السياسية ، والمخابرات الاقتصادية والمخابرات العسكرية ، والمخابرات العلمية وذلك في الفصول التالية .

الفصل السابع



المخابرات السياسية

للمخابرات السياسية
اهمية المخابرات
السياسية - المخابرات
وتخطيط الدولة -
العنصر التاملي - التأثير
الاستراتيجي - نقص
الضعف القابلة للهجوم
- المخابرات السرية .

إذا استخدمنا أحد الأقوال المأثورة عن كلاوزفيتز Clausewitz
فإن السلام في بعض معانيه ما هو إلا امتداد للحرب بوسائل أخرى ،
فالاستراتيجية الحربية وتكتيك الحرب يخضعان لسياسة وقت السلم
ومناوراتهم .

ومن ثم كان للمخابرات السياسية مركزها الحيوي في تخطيط
سياسة الدولة .

وثمة معوق هام يصادف ضابط المخابرات السياسية ، وهو صعوبة
التكليف الكمي للمعلومات والحقائق ، فالمخابرات الاقتصادية قد لا
تزيد دقة إحصائيات الإنتاج والتجارة ، وقد تكون المخابرات الحربية
واقعة في الخطأ بالرغم من ادعاءاتها الدقة في حساب القوات العسكرية ،
وسواء أكانت مخطئة أم مصيبة فإنها تمدنا بتنظيمات حساية عن مواطن
الضعف أو القوة .

وعلى العكس فإن التقديرات الخاصة بالديناميكية السياسية تتعامل
مع ما لا يقاس أو يوزن ، ولذا فعلى من يضع السياسة أن يتقبل المعلومات
التي تعوزها الدقة التي يتغنيها ، فمثلاً قد يوصف موقف فئة من الشعب
بالتبدل أو التبرم ، إذ ليست هناك مقاييس دقيقة ميسورة تدل على درجة
العداوة الشعبية لنظام من النظم الحكومية . ومن ثم فإن المهارة التعبيرية
تميز المحلل السياسي أكثر مما تميز فرداً آخر في المخابرات . لأن تحليلاته
تتعلق بالشرح أكثر من اهتمامها بالجداول . ولما كانت قدرته على
الاعتماد على الأعداد محدودة ، فإنه يعتمد على دقته اللغوية في كتابة
تقاريره ، أو عند القيام بالتحليل السياسي .

ويجب أن تبدي التقارير التي تقدمها المخابرات السياسية اعظم

قدر من الاهتمام بالتغيرات ذات الطبيعة الدستورية الأساسية ،
والأحداث الهامة التي تحدث بين يوم وآخر في أي مكان آخر في العالم .
ويجب على هذه التقارير ان تبين كيف تصطف وحدات القوة السياسية
في الأحداث الهامة ، وكيف يمكن ان تنقسم مثل هذه الوحدات الى شيع
وجماعات ، وكيف يمكن ان تندمج في جماعات أخرى او تنضم اليها مكونة
كتلة سياسية . وعليها ان تلاحظ التغيرات التي تطرأ على المبادئ السياسية
الأساسية لهذه الجماعات ، كما يجب عليها ان تلاحظ التغيرات التي تطرأ
على العلاقات القائمة بين السلطات السياسية المركزية والمحلية ، وكذا
التغيرات الكبيرة التي تطرأ على سياسة هذه الجماعات حيال المشكلات
الوطنية والاجنبية والاستعمارية . ويجب عليها ايضا ان تتابع التشريعات
الجديدة التي تؤثر في التعبير عن الآراء السياسية يجعله أكثر تحررا أو
أقل تحررا ، وعليها ان تراقب نتائج الانتخابات الوطنية والمحلية وظهور
الزعماء السياسيين الجدد ، وعليها ايضا ان تتابع المجرى الذي تسلكه
جماعات الضغط الجديدة وغيرها من أنواع المنظمات التي لها نفوذ سياسي
في الدولة .

□ العنصر التاملي - التقديري :

يلعب هذا العامل دورا كبيرا في المخابرات السياسية ، فالدول يعيش
بعضها مع البعض في هذا المجتمع الدولي ، تربطها علاقات دولية . ولكل
منها كعضو في هذا المجتمع التزامات سواء بالنسبة للمنظمات الدولية
او الاقليمية ، كما يسود المجتمع الدولي خلافاً مذهبية وعقائدية ، ويقوم
فيه صراعات تأخذ اشكالا مختلفة من عنف وتهديد وتآمر الى غير ذلك
من أنواع الصراعات التي عرفت منذ فجر التاريخ .

والدولة تضع مصالحها القومية في الدرجة الاولى حينما تضع سياستها الخارجية ، ومن ثم كان لا بد لها ان تتكهن بالعواقب بالنسبة لاي قرار سياسي تتخذه .

ولنضرب لذلك مثلا بأحداث عام ١٩٥٦ ، حينما حاولت الولايات المتحدة الضغط على مصر فسحبت قرارها بتمويل السد العالي ، وكان رد الرئيس الراحل عبد الناصر على ذلك هو تأميم قناة السويس وما تبع ذلك من عدوان من الدول الاستعمارية واسرائيل ، نجد ان العوامل التي ربطت السياسة الداخلية والخارجية في ذلك الوقت كان لها تأثير كبير على الموقف . فلو حللنا الموقف الداخلي لرأينا في ذلك الوقت ان الامكانيات الداخلية والمعنوية كانت مناسبة لاتخاذ هذا القرار ، فالدولة تملك قوة عسكرية تمكنها من مواجهة أي اعتداء ، واقتصادها راسخ يسند هذه القوة ، والتعبئة المعنوية بلغت ذروتها ، لان الشعب كان غير مستعد لان يفرض ايدا في الحرية التي استردها . وفي المحيط الخارجي نجد ان الرأي العام العالمي لم يعد يؤيد عمليات الارهاب المسلح ، بالاضافة الى ظهور مبادئ جديدة تبلورت في قرارات مؤتمر باندونج التي جذبت انتباه شعوب آسيا وافريقيا . كما كان للمواقف الايجابية التي وقفتها شعوب الامة العربية مع مصر ومقاومتها العدوان في مجالات مختلفة ، اثر فعال في المساعدة على كسب المعركة ، فاذا اضفنا لذلك هبة مصر وسمعتها في المحافل الدولية ، وفاعلية مبادئ الثورة لدى شعوب المناطق التي كان الاستعمار مسيطرا عليها ، بالاضافة الى توتر الموقف الدولي ، واشتداد الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية ... لو حللنا الموقف في ضوء هذا كله لاستطعنا ان نخرج بأن قرار

التأميم في ذلك الوقت قد اتخذ بعد تقويم دقيق للعوامل والعناصر المؤثرة على سياسة الدولة في الداخل والخارج .

واتنا حينما ننفذ هذا المقدار الهائل من الاعمال الشديدة التعقيد ، يجب أن نتكهن بالعواقب . ولذا يجب أن تكون الدولة على استعداد للمستقبل ، كما يجب ان تبذل كل جهد مستطاع لتحقيق الغايات التي تستهدفها سياستها الخارجية ، كذلك يجب ألا تؤخذ على غرة بحادث غير متوقع ، لاز الاستراتيجية العظيمة الكاملة لا يمكن ان يحدث فيها شيء غير متوقع .

ان المشكلة الاساسية للمخابرات السياسية ، هي تحليل ما ينبغي على الدولة أن تعرفه ، حتى يمكن ان تتكهن بالعواقب ، وكذا تحليل ما يجب عليها ان تعرفه عن موقف الدول الاخرى في المستقبل ، والاتجاه العملي الذي يحتمل أن تبدأه أو تمضي فيه استجابة لحافز خارجي . ان المعلومات المتاحة هنا تعتبر تأملية او تقديرية اكثر من أن تكون وصفية ، وتقارير الاحداث الخارجية والحصول على هذه المعلومات ، يضع عبئا كبيرا على قدرة باحث هذه المعلومات في التقدير والتفكير ، وهذا هو السبب في تسمية هذا العامل بالعنصر التأملي او التقديري .

ويمكن ان نتساءل : ما المعلومات التي يجب ان تملكها اي دولة عن مستقبل الدول الاخرى ، حتى تستطيع ان تتكهن بالعواقب المطلوبة؟ يجب ان تعلم الدولة أمرين رئيسيين عن هذه الدول ، وهذان الأمران هما :

١ - ما التأثير الاستراتيجي لكل منها ؟

٢ - ما نقط الضعف القابلة للهجوم في كل منها والتي تعد جزءا

من قوتها الاستراتيجية ؟

□ التأثير الاستراتيجي :

أما التأثير الاستراتيجي فهو اصطلاح يطلق على مقدار التأثير الذي تستطيع الدولة الاجنبية ان تحدثه في أي موقف دولي تتأثر به مصالح الدولة .

والمقصود بكلمتي « موقف دولي » هي العلاقات في الرأي وسوء التفاهم والمشاحنات - تافهة كانت او كبيرة - التي قد تحدث بين الدول ، والتي قد يكون لها تأثير بعيد او مباشر على الامن العالمي . أو بمعنى آخر أي اضطراب قد يطرأ على العلاقات القائمة بين دول العالم والذي قد يؤدي بطبيعته الى احداث تأثير عكسي على أمن دولة ما ورفاهيتها المادية .

ان ما نعنيه بكلمة تأثير ، هو التأثير الذي يحدث بواسطة اية وسيلة من الوسائل التي تستخدمها الدول في وقت السلام او وقت الحرب ، مثل الاقناع الادبي والدعاية والتهديد الاقتصادي والسياسي ، والترغيب والعقوبات الفعلية ، او عن طريق الاعمال الانتقامية والتهديد بالحرب أو الدخول في الحرب فعلا .

ولمعرفة التأثير الاستراتيجي يجب على المخابرات ان تعرف اشياء عدة ، أهمها « الموقف الظاهري » المحتمل الذي يمكن ان تحدث فيه الدولة الاجنبية بعض التأثير أو تزيده ثقلاً . وهناك على الاقل عنصران في أي موقف ظاهري يحتمل ان يوجسدا دائما ، وهما العنصر الجغرافي وعنصر الوقت ، كما ان هناك عناصر اخرى يحتمل ان تختلف من موقف لآخر . واذا أردنا ان نذكر عددا قليلا منها جزافا رغبة منا في ضرب الامثلة، فان معنى ذلك ان نضع قائمة للاشياء غير الملموسة مثل درجة الخطورة الحقيقية ، او الاهمية التي يشتمل عليها الموقف ، وتقدير شعب الدولة

الاجنبية للخطورة ، ودرجة قبول الشعب للتضحية التي سيقدم عليها لتصفية الموقف ، وقوة الصف . او بعبارة اخرى من هم الاصدقاء الذين يمكن للدولة الاجنبية ان تعتمد على تأييدهم في الموقف ، وما مدى هذا التأيد ؟ ومن هم الاصدقاء الذين تستطيع الدولة ان تعتمد على تأييدهم ضد الدولة الاخرى ؟

ان العوامل الثابتة والمتغيرة في الموقف الذي اشرنا اليه آنفا تكون غالبا ذات أهمية مهيمنة ، او بمعنى آخر ان الموقع الجغرافي للدولتين المتنازعتين والوقت وقوة الصف يمكن ان تكون هي الفاصل . ومن ثم فان الموقف يوصف بالطريقة التي تتلاءم معها . بيد ان ثمة مواقف كثيرة اخرى تطرأ لا يكون لهذه العوامل القول الفصل فيها . وفي هذه المناسبات الاخيرة يوجد امران على أعظم جانب من الأهمية يجب على المخابرات ان تعرفهما قبل ان تبدأ في تقدير النفوذ الاستراتيجي للدولة الاجنبية : اول هذين الامرين هو ثقل وقابلية تطبيق وتأثير الوسائيل غير العسكرية التي تستخدمها الدولة الاجنبية في السياسة والاستراتيجية، وثانيهما : هو ما يطلق عليه اسم امكانية الحرب . وسنتناول ذلك في الفصل القادم .

☐ **نقط الضعف القابلة للهجوم :**

لا يكفي عند التفكير في مستقبل دولة اجنبية مجرد تحليل موجوداتها الاستراتيجية ، فهناك اختلالات يجب اجراؤها قبل أن نأمل في اجراء تقدير واقعي لمستقبل قوتها في العالم واتجاهات العمل المحتملة التي قد تختار احداها ، أو تضطلع بها استجابة لحافز خارجي . ان العناصر السلبية في المشكلة هي ما يمكن ان نطلق عليه « نقاط الضعف القابلة للهجوم » .

ولسنا نعني بهذا الاصطلاح عدم قابلية حدودها للدفاع عنها بصفة عامة ، ولا قابلية مدنها للتدمير او اي شيء من تلك الاشياء التي يمكن أن تصبح فقط ضعف استراتيجية يوجه اليها عدو قوي هجومه العام ، اذا لم يعد ثمة مفر من وقوع الحرب ، انما الذي نعنيه مواقع التعرض الضعيفة التي يمكن مهاجمتها سواء كانت عسكرية أم سياسية أم اقتصادية ... الخ ، وهنا نستطيع أن نسأل : : ما الذي يجب على المخابرات ان تلم به لكي تعرف مواضع وطبيعة نقاط الضعف للدولة الاجنبية القابلة للهجوم ؟

الاجابة عن هذا السؤال هي انه يجب ان تتوافر لها معرفة موسوعية عن هذه الدولة ، ومنها تختار المواد لكي تقوم بعملية تحليل وجوه حياة هذه الدولة التي تكون اكثر قابلية للمهاجمة بالاسلحة التي تملكها الدولة الاخرى ، وهذه الاسلحة من انواع متعددة : نفسية وسياسية واقتصادية وعسكرية .

ومن ثم اذا كانت المخابرات تملك معلومات عن المركز الاستراتيجي للدولة الاجنبية ، وكذا معلومات عن نقاط الضعف المحددة القابلة للمهاجمة ، كما انها اذا عرفت مركز ونقط الضعف المحددة القابلة للمهاجمة بالنسبة للدول الاخرى التي لها شأن في الموقف ، فانها تكون بذلك قد قطعت شوطا بعيدا في طريق التنبؤ باتجاهاتها المحتملة للعمل ، ولتقوية ثقتها في تكهناتها ، يجب عليها ان تملك مجموعتين اضافيتين من المعرفة .

أولا : يجب ان تلم باتجاهات العمل التي سلكتها الدولة الاجنبية في الماضي .

هل سيكشف تاريخ سياستها الخارجية عن طابع خاص ستمسك به ؟ هل سلكته سلوكا دوليا معيناً فترة طويلة الى درجة جعلت هذه الخطوط ترسخ وتتخذ شكل التقاليد التي تدل على اهميتها ؟ او ان هذه

التقاليد لا تعدو ان تكون خرافات نشأت من اشياء غير معقولة ؟ وهل تحدث هذه التقاليد أو هذه الخرافات أي تأثير — ولو كان تأثيرا غير منطقي على طريقها الحالي المحتمل للعمل ؟ هل لهذه الدولة دولة صديقة قديمة لا يمكن ان تتخلى عن صداقتها ؟ وهل كانت خلال الاعوام الطويلة في حاجة فعلية الى حليف ؟

ان معرفة من هذا القبيل على جانب كبير من الاهمية ، ولكن يجب استعمالها بحذر . اذ انه بالرغم من ان للتقاليد قوتها ، فقد تكون اللحظة الحاضرة هي اللحظة التي تقرر فيها الدولة الاجنبية ان تتخلى عن الماضي .

ثانيا : يجب على المخابرات ان تعرف بدقة — قدر المستطاع — تقدير شعب هذه الدولة لمركزه في الموقف الناشيء . ان أي دولة ليست معصومة من اصدار قرار خاطيء . ومن ثم فمن الجائز ان تسيء تأويل الموقف أو تعالي في تقدير فرص نجاحها أو تهون من شأن قوة غريمتها .

ويمكننا ان نقول بايجاز انه اذا تسلحت المخابرات بمختلف انواع المعرفة ، واذا سيطرت على لب الحقيقة الذي يكمن خلفها ، فانها يجب أن تكون قادرة على اجراء تكهنات ذكية — تقديرات كما يطلق عليها عادة — بالنسبة لما يحتمل ان تفعله اية دولة اخرى في أي ظروف .

ويجب على المخابرات الا تدعي انها معصومة من الخطأ في تنبؤاتها ، وانما تستطيع ان تقول ان الاجابة التي تقدمها هي نتيجة تقديرها القائم على اساس عميقة ذات غاية محددة وتفكير دقيق . وبهذه الطريقة يجب ان يكون للمخابرات رأي سديد عن السياسات التي يحتمل ان تنتهجها إحدى الدول من تلقاء ذاتها في غضون العام المقبل .

وحينما تقوم الدول برسم سياستها الخارجية فانها لا تعني فقط معالجة الموضوعات والمشاكل القائمة ، ولكن يجب عليها أن تتكهن وتتنبأ بما يحمله المستقبل القريب والبعيد من احداث .

وفي هذا المجال نجد مثلاً واضحاً لذلك في منطقتنا ، فبعد تفاقم
الازمة الالمانية العربية الى قمتهما في الستينات ظهرت من الولايات المتحدة
بواذر سياسة جديدة تجاه مصر محاولة استخدام الضغط الاقتصادي
كوسيلة للتهديد . ففي مثل هذه الحالة ، يجب علينا ان لا ننظر للمشكلة
بوضعها الراهن فقط ، بل يجب ان نتبأ بما يحمله المستقبل من تطور
في العلاقات لا بيننا وبين الولايات المتحدة فقط بل بجميع الدول وخاصة
المحيطة بنا في المنطقة ، وعلينا دراسة كل الوسائل المحتمل ان تستخدمها
الولايات المتحدة للضغط علينا ، وابعاد هذه السياسة في المدى القريب
والبعيد .

□ المخابرات السيرية

ما دمنأ تحدثنا عن المخابرات ائسياسية ، فالواجب ان نشير الى
نوع هام من المخابرات له ارتباط كبير بها وهي المخابرات التي تتعلق
بتراجم حياة الافراد ، اذ انه بلا جدال ان تفهمنا للاحداث السياسية
سيزداد بمعرفتنا للرجال الذين يشكلون هذه الاحداث او على الاقل
يسهمون فيها .

فمع كل انتخاب سياسي وكل ثورة وكل تشكيل وزارة ، يجب على
المخابرات ان تكون مستعدة لوصف الشخصيات البارزة ومعرفة
اهدافهم . فاذا كانت منظمة المخابرات مستعدة لهذه العملية ، فانها تكون
قد انتهت من هذا العمل قبل الاحداث بزمن طويل ، لان المخابرات
السرية لا تتضمن تجميع المعلومات عن البارزين فحسب ، ولكنها تتضمن
ايضا ملفات للشخصيات المجهولة والمتوقع لهم الظهور على المسرح
السياسي ، ولذا فهي تقوم في وقت مبكر بتسجيل خصائصهم وخبراتهم .

وحيث انه من المستحيل ان يحتفظ بملف لكل شخص من البلايين الثلاثة المكونين لسكان العالم ، فانها تعنى بالاشخاص الذين يتقدمون سريعا نحو القوة السياسية . ولذا نجد ان الثورات في هذا العمل قليلة نسبيا ، لان الوجوه التي تستجد في الصفوف الاولى عقب تغير دستوري لا تكون وجوها جديدة في مسرح السياسة ، ولكنها وجوه اشخاص كان لهم تأثيرهم ونفوذهم في الدولة ، فمناصبهم السابقة في الحزب الذي ينتمون اليه لو كانت تستأهل التسجيل ، لا بد ان تظهر اسماءهم في ملفات الشخصيات .

على انه في حالة قيام الثورات المسلحة ، قد يصعب على المخابرات السرية ان تتنبأ بالافراد الذين سيصلون الى مراكز القوة اذا كان القائمون بها من رتب صغيرة مثل تلك الثورة التي وقعت في كوبا « الرقيب باتستا » ، اما اذا كان القائمون بها من شخصيات ذات رتب عالية او متوسطة ، فلا بد ان تكون منظمات المخابرات الاجنبية تحتوي غالبا على ملفاتهم مزودة بالمعلومات المعقولة عنهم .

ان الثورات العسكرية المتعددة التي قامت في كثير من الدول بواسطة العسكريين من الرتب العالية والمتوسطة ، كان افرادها بلا شك محل دراسة لكثير من منظمات المخابرات الاجنبية التي يهملها الامر .

وكثير من المخابرات السيرية يتكون من مجرد الترتيب الزمني للاحداث الهامة في حياة الشخص مثل ترقياته في المناصب الحزبية والحكومية ، واستقالاته وامراضه ورحلاته وحضوره او تغيبه عن المناسبات العامة ، وليس الامر محتاجا الى قدرات تحليلية نادرة للقيام بتجميع مثل هذه الحقائق والبيانات ، فهي مهمة تتعلق بالكتابة على الآلة الكاتبة وبالحفظ داخل الملفات وبالتقطيع واللصق .

والمحلل السيري المدرب يكون اسرع بكثير من الكاتب على الآلة

الكاتبة ، وهو لا يقنع بمجرد تعداد هيكلي لخصائص الاشخاص ، ولكنه يحاول ان يكون صورة واضحة عن الشخص بوصف اخلاقه ومطامعه وافكاره ونقط ضعفه واصدقائه واقاربه وولائه الخاص للجماعة التي يصطفها في حزبه . وهذا المحلل يكون على استعداد لان يعطي الاجابة عن سؤال مثل « من المرشح أميناً للجامعة العربية ؟ » ، وهو ايضا على استعداد لان يضمن تقريره عناصر تنبؤية ، مثلاً عن طبيعة الخطط المتوقعة من رئيس دولة في ضوء تصريحاته ، وفي ضوء المعلومات الاخرى التي جمعت عنه .

وبالرغم من الفائدة المرجوة من ملفات الشخصيات ذوي الرتب المتوسطة والعالية حين يبرز احدهم الى الصف الاول ، فالمخابرات السيرية في حاجة ايضا الى التنبؤ بأسماء من يحتمل ان يقفوا الى القيادة العليا . ففي الثورة الثقافية التي سادت الصين غالباً ما قامت المخابرات السيرية بتحليل الشخصيات التي ستخلف ماوتسي تونج المسن كزعيم للصين ، ويكون عنصر التخمين هنا كبيراً ، فهو محدد تحديداً ضيقاً .

ان المخابرات السيرية عليها ان تقرر المرشحين المحتملين للوصول الى مراكز القوة في الدولة الاجنبية وكذلك مؤيديهم ، ويدخل في التحليل عناصر مثل الصداقات المعروفة ، والروابط الاسرية وغير ذلك . وقد تفيد هنا دراسة الملاحظات العامة دراسة دقيقة ، مثل تصريحات المسؤولين السياسيين ، وظهورهم او اختفائهم ، وفي مثل هذا التقدير تبدو ضخامة غير المحسوسات ، ولكن الموضوع أهم من ان يهمله التحليل .

الفصل الثامن



المخابرات الاقتصادية

المخابرات الاقتصادية

اهتمامات المخابرات
الاقتصادية - تطيل
امكانيات الحرب -
الموارد الطبيعية - القوى
البشرية - القدرات
الصناعية - النقل
والتجارة والتمويل -
اجمالي الانتاج القومي -
الملاءمة والتنسيق -
المخابرات الاقتصادية
وقت الحرب - دور
المخابرات .

ان حجم نمو الاقتصاد الاجنبي وهيكله ومدى قدرته على الاسهام في القوة العسكرية - وتلك هي الامكانيات الاقتصادية من اجل الحرب - هو الذي يحظى بالاهتمام الاساسي في المخابرات الاقتصادية .

وفي الحرب العالمية الثانية ظهرت نظرية شائعة تقول ان نجاح الدولة في الحرب يتوقف اساسا على تحويلها الموارد الاقتصادية الى قوة ضاربة، ويعتمد اعتمادا كليا على قاعدة التعبئة الاقتصادية من القوى البشرية والمخزون والقدرة الانتاجية ، فضلا عما يخصص للاحتياجات المدنية الاساسية .

ولكن بظهور القوى النووية ، أصبح هذا الرأي موضع اخذ ورد ، وكما يرى بعض المحللين ، فان القوات العاملة يجب ان تكون العامل الاساسي في تحديد نتيجة الصراع النووي الشامل ، ولا محل للامكانيات الاقتصادية اللازمة لاستمرار العدوان ، حيث يكون مقضيا على قاعدة التعبئة بالزوال السريع . وبقدر ما تكون الامكانيات النووية رادعا للحرب الشاملة ، فانه ينظر الى العدوان على انه نمط للحروب المحدودة التي لا تتطلب « الاقحام » الكامل لقاعدة التعبئة الاقتصادية .

ومهما كانت حجج وجهة النظر هذه ، فان التدمير الكامل لقاعدة التعبئة لا يقبله العالم كحقيقة مؤكدة في الصراع الشامل . وعلى أية حال فانه لا داعي لمعادلة الامكانيات الاقتصادية للحرب ، بامكانيات النظرية التقليدية لقاعدة التعبئة ، بخاصة في حالة قيام حرب نووية شاملة .

ولكن من ناحية اخرى يمكن اسناد هذه الامكانيات الاقتصادية الى القاعدة الاقتصادية التي تبنيتها الدولة لمساندة القوات الضرورية العاملة قبل نشوب حرب شاملة او محدودة . وحينما يكون الانتاج الدفاعي وقت السلم على نطاق حربي ، فانه يجب ان تبقى الامكانيات الاقتصادية

لمساندة الحرب — أو على الأقل موقف الحرب — محل الاهتمام الاساسي للمخابرات الاقتصادية •

□ تحليل امكانات الحرب :

المقصود بامكانات الحرب هي القوة الضاربة التي يمكن ان تساهم في الجهود الحربية ، وهنا يجب ان نفرق بين القوي الموجودة فعلا والقوي القابلة للتعبئة ، بالرغم من ان هذه التفرقة تبدو غير طبيعية ، حيث ان القسم الاكبر من القوي الموجودة غالبا ما يكون في حد ذاته معبأ تماما ومتاسقا ، أي انه ليس مستعدا للقيام والانطلاق بمجرد الانذار •

ويوضح شيرمان كنت ذلك بمثال من الحرب العالمية الثانية فيقول : « كان المفروض أن قوات حاميتنا العسكرية في جزيرة اوهاو قوة معبأة في صباح اليوم الذي وقع الهجوم فيه على بيرل هاربور • الا انه بينما كان الهجوم مستمرا كانت ثمة بعض هذه القوات تقوم بعملية سحب الاسلحة من جاويز الامدادات • وكان الاخير وهو رجل متقدم في السن يطالب كل جندي بالتوقيع على ايصال يبين فيه ما اخذه » • هذا مثل لما نغنيه بكلمة « مستعدة » في الموقف الخطير •

ان التأكد من استعداد احدى الدول للتعبئة — او بعبارة اخرى امكاناتها للحرب — أمر صعب ومعقد ، فاذا لم تكن هذه الامكانات هي العنصر الاكثر أهمية في تأثيرها الاستراتيجي ، واذا لم تكن معرفة هذا العنصر امرا هاما لخصومها ، ما حاول البحث عنه ومعرفته •

ان ذلك يوضح لنا ان القوة المجردة أو التهديد بها غالبا ما تكون عنصرا حاسما في حل او تصفية اكثر الخلافات الدولية ، ومن ثم كان

هدف منظمات المخابرات في الدول المختلفة ان تتقصى وتقدر لخصومها امكانات الحرب التي تستطيع ان تحشدتها في احوال معينة .

على ان الاحصاء الذي ينبغي على المخابرات ان تحاول القيام به أمر ضخّم ، فهو يشتمل على محاولة الحصول على اجابة على الاسئلة الضخمة التالية :

ما مقدار القوة العسكرية العاملة للدولة الخصم ؟ وكم عدد ومدى تدريب رجال الوحدات البرية والبحرية والجوية ؟ وما الاسلحة المعدة للقتال الحديث التي تستطيع هذه الدولة ان تقدمها في اية فترات محدودة ، والى أي مدى تستطيع أن تعد هذه القوة بحيث تهيب أكثر الميزات الاستراتيجية في أرض المعركة ؟ ما الذي ينبغي على المخابرات ان تعرفه لتجيب عن مثل هذه الاسئلة الضخمة ؟ يجب عليها ان تعرف عددا كبيرا جدا من الحقائق ، كما يجب عليها ان تعرف وسيلة لمزجها . وعليها ان تعرف الشيء الكثير عن موارد هذه الدولة النشطة والخاملة ، ويجب ان تتوفر لديها الارادة والحكمة والحدق الفني العالي في ترتيب معلوماتها عن هذه الحقائق ، مثلما يرتبها عادة رجال هيئة اركان حرب جيش الخصم وادارة التعبئة التابعة لها .

والواقع انه ليس ثمة شيء في عملية المخابرات التي يتدرب عليها محترف انتاج المعلومات اهم من تدريبه على الحصول على مثل هذه المعلومات ، فان عملية تركيب المعلومات التي يقوم بها من العمليات التي تحتاج الى كفاية عالية جدا في علم او أكثر من العلوم السياسية والاقتصادية والجغرافية والفن العسكري . ومن ثم ينبغي الا يقوم بها الا من كان ملما الماما كاملا بأساليب وفنون هذه المعرفة .

ولكن قد تتساءل : ما موارد الدولة الاجنبية التي تحاول المخابرات الاقتصادية ان تبحث عنها ؟

غالباً ما يحدث خطأ في تقدير هذه الموارد ، بل ان الاشخاص الذين يعالجون شؤون التعبئة وأسس القوة الوطنية قد يتحدثون في هذا الموضوع لدرجة يشعر فيها الانسان في بعض الاحيان ، ان موضوع طاقات الحرب ما هو الا مسألة معرفة عدد الرجال وكميات الصلب والآلات الميكانيكية وخطوط السكك الحديدية والسفن والعربات، الخ. ثم جمع هذه الكميات واستخلاص نوع من العدد التقريبي من نتيجة هذا الجمع .

ولكن هذه الطريقة ليست سليمة في تقدير امكانيات الحرب ، فان تحليل الامكانيات الاقتصادية من اجل الحرب يتكون الى حد كبير من استخلاص مقاييس الامكانيات في الدولة وفي تجهيز قواتها الضاربة . وقد تكون هذه المقاييس محدودة او اجمالية . والامثلة على المقاييس المحدودة هي القدرة على بناء السفن وكفاءة القوى البشرية في سن التجنيد ، واقتاج البترول والخامات اللازمة . وتنتمي المقاييس الاجمالية الى الاقتصاد بصفة عامة ، او الى قطاعات الاقتصاد العريضة مثل الارقام القياسية للاقتاج الاقتصادي الكلي . ومناقشة هذه المقاييس من شأنه أن يوضح العناصر التي تدخل في تحليل المخابرات الاقتصادية لامكانيات الحرب .

□ الموارد الطبيعية :

ليس هناك الآن اقتصاديات حديثة تظهر تماماً بالاكتماء الذاتي تماماً ، فمثلاً نجد ان الجزر البريطانية ودول الدرجة الثانية التي كانت هي الدول العظمى أمس ، أصبحت اليوم في وضع سيئ ، لان عليها ان تنظر خارج حدودها للحصول على كثير من احتياجاتها من المواد الخام . فبالإضافة

الى الموارد المعدنية ، فان تحليل امكانات الحرب يجب ان ينظر ايضا الى الموارد الزراعية • فمثلا كان يساند اليابان قبل الحرب العالمية الثانية - على اعتبارها دولة عظيمة - قدرتها على التحكم في واردات الاغذية من تايوان والاراضي الاسيوية ، وسيكون عدم كفايتها من المواد الغذائية نقطة ضعف خطيرة في أي حرب اخرى • ويمكن معالجة النقص في الموارد الطبيعية - ولو لفترة على الاقل - بواسطة التخزين • ولذلك يجب ادخال تقديرات المخزون في حساب امكانات الحصول على الموارد على اعتبارها مقابلة للاحتياجات ، كما ان تحليلات المخبرات الاقتصادية تعترف بالمواد البديلة في عمليات الحساب هذه - المطاط الصناعي بدلا من المطاط الطبيعي مثلا ، او البلاستيك بدلا من المعادن التي تعاني نقصا •

□ القوى البشرية :

ان حجم الجيوش هو دليل تقريبي على القوة العسكرية ، ولكنه قد يبعدنا عن مجال التحليل • فالدول الصغرى لا يمكن ان تكون لديها جيوش كبيرة بسبب الافتقار الى القوى البشرية • ولا يمكن للدول المتخلفة اقتصاديا ان يكون لها جيوش كبيرة لقلة الاتفاق عليها • فالصين مثلا التي كان يبلغ عدد سكانها ثلاثة اضعاف سكان الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية ، وضعت في الميدان اقل من نصف الجنود المجندين في القوات المسلحة الامريكية • ان الدول الكبرى المتقدمة صناعيا هي التي تستطيع تعبئة اكبر الجيوش وقت الحرب • وحساب امكانات الحصول على القوات البشرية يعتمد اولا على تقديرات السكان الاجمالية ، مرتبين على اساس السن والجنس • ويكون الرجال الذين هم في سن التجنيد عنصرا هاما في هذا التقدير ، ويدخل

في هذا الاعتبار المستوى الصحي للسكان الذي يحدد امكانية التجنيد للخدمة العسكرية . وتعد انتاجية العمل عاملا في تقدير احتياجات القوى العاملة المدنية ، فكلما انخفضت الانتاجية كبر العدد الذي يجب الابقاء عليه في الحقول والمصانع . كما ان تدريب القوى العاملة عامل آخر يحدد انتاج الاسلحة الحديثة واستعمالها ايضا ، ودائما يدخل في التقديرات النساء وتلاميذ المدارس والمحالون الى المعاش - الذين عادة ما يكونون خارج سوق العمل - حيث يضافون الى القوة العاملة وقت الحرب .

□ القدرات الصناعية :

ترتكز تقديرات امكانات الحرب الى حد كبير على حساب القدرة الصناعية للدولة في انتاج الآلات والمعدات الالكترونية ومصنوعات الصلب والطائرات والقوى الكهربائية وبناء السفن والذخيرة والسيارات وغيرها . وبطبيعة الحال فان درجات التفوق او التخلف لا يمكن ان تظهر بمجرد ايجاد مجموع الامكانات . فبال تفصيل الدقيق ، تبين التقديرات نسبة الطاقة التي يمكن تخصيصها للانتاج الحربي ، فكلما قل عدد سيارات النقل التي تخصص للمدنيين ، حصل الجيش على أكبر عدد منها ، وكانت امكانية الدولة للحرب اعظم .

واحصائيات الانتاج التي تشرها الحكومات الاجنبية هي مصدر كبير لتقدير امكانيات الصناعة فيها . وفي السنوات الاخيرة وجدت كثير من الحكومات أنه من خير وسائل الدعاية ان تصدر الاحصائيات التفصيلية عن الاعمال الاقتصادية العظيمة ، وما يتم في مشروعات السنوات الخمس او السبع . وقد يكون على المخابرات الاقتصادية أن تقوم بتعديلاتها لهذه الارقام ، ولكنها تصلح لان تكون بمثابة

أسس تعتمد عليها في التحليل •

وفيما يتعلق بقطاعات الاقتصاد التي لا تصدر عنها اية احصاءات - مثل انتاج الطائرات - فانه يجب على المخابرات الاقتصادية ان تستخدم الطرق غير المباشرة • وقد تكون معلومات نظام المعركة Battle Order وجدول المعدات عن القوة الجوية أساسا للتحضير • وقد يكون حصر المصانع المعروفة باقتاج كل منها ، محسوبة من الحقائق المعروفة عن حجم المصنع وعدد المستخدمين او المعلومات الاخرى ، وقد تتخذ اساسا لتقدير آخر • واذا لم تكن الفروق بين التقديرات كبيرة جدا ، فان المخابرات الاقتصادية يمكن ان تستقر على رقم تقريبي •

□ النقل :

مما لا شك فيه ان شبكات المواصلات تلعب دورا كبيرا في تقدير امكانيات الدول العسكرية ، وقد يتوافر للدول ثروات ضخمة وقدرات صناعية مناسبة ، ولكن اذا افترقت الى شبكات المواصلات اللازمة لقاعدة التعبئة ، فانها غالبا ما تؤثر تأثيرا فعالا على سير الحرب •

فلو نظرنا مثلا الى الحرب الروسية اليابانية عام ١٩٠٤ ، وقصرنا تحليلنا العام على اعتبارات الموارد والقوى البشرية والقدرة الصناعية ، نجد ان امكانيات روسيا في ذلك الوقت كانت تفوق كثيرا قدرات اليابان • ولكن روسيا هزمت في هذه الحرب لانها لم تستطع ان تنقل قوتها الى المسرح الذي يتقرر فيه مصير الصراع وهو الشرق الاقصى •

وكما يبدو من هذا التفسير، فان مقارنة الامكانيات الحربية لا معنى لها الا بالنسبة للفروض عن نوع ومكان العدوان • ويكون النقل عنصرا هاما في تقدير امكانيات الدولة للحرب في

مشرح معين • فانتهاى الصين الشعبية فى عام ١٩٥٣ من مد الخط
الحديدي الى حدود الصين الهندية زاد كثيرا من امكافات « فيت منه »
ضد الفرنسيين • واسطول الولايات المتحدة البحرى التجارى الكبير فى
الحرب العالمية الثانية ، مكنها من الاستمرار فى نضالها ضد قوى المحور
فى جبهتين بعيدتين منفصلتين كثيرا عن بعضهما •

وتحليل امكانات النقل يحتاج الى مجموعة من المعلومات الهائلة
عن قاطرات السكك الحديدية - العدد والنوع ، والحجم - وحموله
البواخر بالطن ، والسيارات بما فيها السرعة والصيانة وتسهيلات
الموانئ • الخ • وفى الحروب المحلية قد لا يكون أى من هذه العناصر
محددا ، وقد يتحول التحليل الى تقدير حمولة خط حديدي معين ،
ويعنى ذلك عدد الاطنان التى يمكن نقلها فى كل طريق يوميا ، على
افتراض تحويل قاطرات السكك الحديدية من بعض مناطق الدولة •

□ التجارة :

مهما تكن مزايا التجارة بالنسبة للاقتصاد وقت السلم : فان التبادل
التجارى عنصر خطير فى الحرب • فمثلا ، فان واردات هونج كونج
الغذائية من الصين تعتبر مفيدة اقتصاديا وقت السلم ولكنها نقطة ضعف
عند الهجوم • ومع ذلك ، فليس من المحتمل ان يعتبر ضابط المخابرات
الاقتصادية النمط التجارى للدولة انه اخطر العوامل فى امكاناتها الحربية
لان أنماط التجارة غالبا ما تتكيف مع الضروريات السياسية والعسكرية •

فمثلا كانت معظم تجارة يوغوسلافيا قائمة مع الكتلة الشرقية عام
١٩٤٨ ، وبعد الانفصال عن ستالين أصبح الغرب هو السوق الاساسية
ليوغوسلافيا ومصدر امداداتها ، ولم يحدث هذا التغيير أى هزات خطيرة

على اقتصاد بلجراد ، وكانت تجارة السوفييت مع الصين صغيرة في الأربعينات ، وحينما جاء نظام الحكم الشيوعي في بكين أصبح الاتحاد السوفييتي بسرعة هو الشريك التجاري الرئيسي للصين ، وحينما تدهورت العلاقات بين كل من الصين والاتحاد السوفييتي في عام ١٩٦٠ ، سحب الاتحاد السوفييتي الفنيين من الصين ، وبدأ الصينيون يحشون عن أسواق أخرى ومصادر أخرى للتموين •

ومع ذلك فبالنظر الى بعض السلع تكون الانماط التجارية جامدة بعض الشيء • فقد تستطيع الصين الشعبية ان تعيد توجيه معظم تجارتها، ومع ذلك فعليها ان تستورد المطاط من خارج الكتلة • وقد يتحول التحليل هنا الى الجغرافيا ، ولا بد ان تتساءل هل خطوط التموين عرضة للاعتراض في موقف الحرب ؟ والاجابة على ذلك بسيطة ، اذ ان خطورة التعرض تتوقف على المصدر الذي تحصل منه الدولة على احتياجاتها ، ومدى قدرتها على حماية خطوط مواصلاتها •

وبوجه عام ، فان التجارة مع الدول القريبة الصديقة هي أفضل شيء بعد الاكتفاء الذاتي وقت الحرب • والتجارة مع الدول البعيدة غير الصديقة قد تكون تكاليفها باهظة في النقل ومجهددة في التوزيع •

وتخضع التجارة الداخلية لنفس التحليل ، شأنها شأن انماط التجارة الخارجية • وحتى في الدول التي تتمتع نسبيا بالاكتفاء الذاتي ، فان تخصص المنطقة هو القاعدة ، حيث تنفصل مراكز الصناعات الثقيلة عن مراكز الصناعات الخفيفة بمسافات مختلفة • كما ان بعض المحصولات التي تستخدم في الصناعة كالقطن ينمو في مناطق معينة • وهنا تقوم التجارة بربط تلك المناطق وتحدد قوتها في الدولة ، كما تكيف قابلية الاقتصاد للهزات حينما يتعرض لنمط معين من الضربات العسكرية •

□ التمهيد :

يختلف التحليل المالي الذي تقوم به المخابرات الاقتصادية في أية دولة تبعا للنظام الاقتصادي الذي تنتهجه الدول الأجنبية • ففي النظام الرأسمالي نجد ان بالتحليل المالي قصورا في تقدير امكانات الاقتصاد الرأسمالي في أي حرب شاملة ، فعالبا ما يفضل المحلل ان يقوم بتحليله على اساس الارقام الحقيقية وليس على اساس نقدي •

وقد تستطيع الدول الرأسمالية والمتقدمة صناعيا ان تسيطر — بطريقة او بأخرى للتمويل — على كل الموارد — وليس المال — هو العامل المحدد •

أما في الدول الشيوعية فان عملية التحليل تكون أسهل ، حيث تسيطر الحكومة على كل وسائل الانتاج ، مما يساعد كثيرا على سهولة الحصول على الارقام الحقيقية •

وبوجه عام فان دراسة ماليات الحكومات التي تسيطر على اقتصادياتها ، قد يعطي المخابرات الاقتصادية بعد نظر جديد ، لان كثيرا من النشاط الاقتصادي للدولة — مثل مقدار الاستثمار الجديد في الصناعات — ينعكس في ميزانيات هذه الدول •

وحيثما لا تملك الحكومة القوة ولا الادارة في السيطرة على الموارد ، وتجاوب مقاومة شعبية قوية نتيجة اعباء ضريبية متزايدة ، أو ضغط تضخمي مستمر ، فان حالة الميزانية تصبح عاملا مجددا في قدرة الدولة على رد العدوان العسكري ، فقد أثر الضغط على الميزانية الفرنسية مثلا على مدى جهود فرنسا في السيطرة على موقعها في الهند الصينية • والتحليل المالي يعد منهاجا نافعا ايضا في دراسة موقف الدول

القليلة الموارد داخل حدودها ، كذلك تلك الموارد التي يجب ان تحصل عليها عن طريق التجارة او المساعدة من الخارج . فاعتماد الاردن على المساعدة الاجنبية لدعم قوته المسلحة من السهل ادراكه بسرعة بواسطة عرض لما ليتها المتأرجحة . وامكانيات المملكة العربية السعودية الاقتصادية للحرب تعتمد على الاسلحة والمعدات التي تستطيع شراؤها من دخل البترول .

□ اجمالي الانتاج القومي :

ان اكبر مقياس جامع شامل للانتاج الاقتصادي هو مجمل الانتاج القومي ، أي القيمة الكلية لكل السلع والخدمات التي تنتجها الدولة في السنة . وتعد المقارنات الدولية لاجمالي الانتاج القومي مفيدة من حيث هي مؤشرات للامكانيات الحربية .

ويمكن ان نسأل : هل يحل مفهوم اجمالي الانتاج القومي على أساس الفرد او المجموع ، واي طريقة منهما اكثر نفعا لتحليل امكانيات الحرب ؟ في الحقيقة لا نجد اجابة سريعة ، فطالما عكست الارقام المنخفضة على أساس الفرد في بعض الدول مستويات المعيشة التي لا تستطيع نظم الحكم فيها ان تخفضها اكثر من ذلك ، ومن ثم تكون امكانيات تلك الدولة محدودة . ولكن من جهة اخرى فان كثيرا من تركيبات اجمالي الانتاج القومي أهم في المجموع من المتوسطات على أساس الفرد . فالمجموع الكلي للدبابات في القوات المسلحة - وليس الدبابات على أساس الفرد - هو الذي ينظر اليه عند مقارنة القوة العسكرية لدولتين .

ويعتمد تحليل اجمالي الانتاج القومي على تكوينه بقدر ما يعتمد على مجموعه . فالانتاج الكلي يتكون من معدات وامدادات عسكرية

وسلع رأسمالية وضروريات وكماليات المستهلك ، وغير ذلك من الخدمات •

فالدولة التي تنفق كثيرا على السلع والخدمات الحربية هي الاسرع في بناء قوتها العسكرية • ومن جانب آخر ، فان المبالغ التي تستطيع الدولة ان تنفقها على الترفيه والكماليات الاخرى لا يمكن تجاهلها ، فهي تمثل الجهد الذي يمكن تحويله الى انتاج حربي بعد التعبئة • وربما كان اجمالي الانتاج القومي بعد استبعاد المبالغ الضرورية للاحتياجات المدنية الاساسية ، هو أحسن مقياس لقدرة الدولة على انتاج السلع والخدمات الحربية في حالة الطوارئ •

ان المشكلة تقبع في تحديد الاحتياجات المدنية الاساسية ، وعموما فان الاقتصاديات ذات الاجماليات المرتفعة بمعدل الفرد ترتبط بالاحتياجات المدنية المرتفعة • ولا يعني هذا ان المواطنين الذين يتمتعون بمستوى عال للمعيشة ، يقاومون الحرمان الذي يتحمله الفقير في الدول الاخرى ، فنفس هيكل الاقتصاد المتقدم يحتم زيادة المطالب المدنية • فمثلا ، حينما تكون المساكن بعيدة عن المصانع ، فانه يجب تخصيص كمية من البترول - لتوصيل الناس من وإلى اعمالهم - اكبر مما لو كانوا يسكنون على مقربة من عملهم ويستطيعون الوصول اليه سيرا على الاقدام او مستخدمين دراجات •

وغالبا ما يكون معدل النمو عاملا هاما في تقدير مجمل الانتاج القومي • فمنذ الحرب العالمية الثانية وامكانات الاتحاد السوفييتي الحربية ترتفع مع الزيادة في اجمالي ناتجها القومي • وعلى أية حال ، فان الدول ذات معدلات النمو العالية تكون معدلات ادخارها واستثمارها عالية • وهذا يعني ان تحويل الموارد الى القطاع الحربي يحتم تخفيضها عميقا في مبالغ الاستثمار ، بحيث يحتم المجهود الحربي تضحية ببرامج

التمية ذات الاولويات المرتفعة .

□ الملاءمة والتنسيق :

على ان الموارد التي ذكرت ليست كل ما تبحث عنه المخابرات الاقتصادية ، فثمة كثير من المعلومات والمواضيع التي يجب البحث عنها ، حتى تكمل الصورة لامكانية الحرب في الدولة الاجنبية التي تبحثها المخابرات الاقتصادية .

فمثلا يجب ان تلم بعملية التعبئة ومشاكلها المعقدة ، وعليها ان تعرف ذلك قبل ان تتمكن من استخدام هذه المعلومات للحصول على نتائج نافعة .

ويمكن القول ان التعبئة في جوهرها مسألة تنظيم او اعادة تنظيم داخلي . فالدولة التي نظمت على اساس رفاهية مواطنيها وأمنها ، يجب عليها ان تضع امنها في المقدمة ورفاهية مواطنيها في الدرجة التالية . أما الدولة التي يبدو انها لا تضع رفاهية مواطنيها في المقدمة ، فانها تتغاضى عن هذا الاعتبار لدرجة كبيرة ، وقد تتجاهله .

ففي وقت الحرب ، نجد ان نسبة مئوية كبيرة معينة من الناس الذين يعتبرون اكثر اتجاها بين السكان - وهم الذين تتراوح اعمارهم بين ١٧ ، ٤٥ سنة - ينتزعون من الحياة المدنية ليرتدوا البذلة العسكرية . وقبل القيام بالتعبئة قد يكون عدد افراد هذه الطبقة ١٠٪ وربما اكثر من مجموع السكان . ومعنى ذلك ايضا ان هذه المجموعة يجب أن يهيأ لها الطعام والمأوى والملبس والعناية الطبية والنقل ووسائل الاتصال والتأمين ، بمستوى أعلى بقليل من ذلك الذي كانت تتمتع به في حياتها المدنية .

كما أن هذه المجموعة من الناس يجب أن تزود بأدوات الحرب المعقدة باهظة الثمن ، ويجب أن تتعلم كيف تستعمل هذه الادوات بأحسن طريقة فعالة ، ولا بد اذن من اجراء ملاءمات او تعديلات تتفق مع هذا الموقف الجديد . اذن ما هي الملاءمات وما مدى النجاح الذي يحتمل ان تصل اليه الدولة في تحقيق هذه الغايات ؟

ان اولى هذه الملاءمات هي البدء في تقدير طاقة الدولة الاجنبية على التعبئة ، وهنا يجب على المخابرات الاقتصادية ان يكون لديها « كتالوج » كامل من المعرفة السياسية ، وبوجود هذا الكتالوج يجب عليها ان تحاول ان تتكهن بدرجة النجاح الذي يمكن ان يبلغه ساسة الدول الاجنبية في تنسيق سياسة وقت السلم بحيث تلائم الحرب .

اما الملاءمة الثانية او التنسيق الثاني الهام الذي ينبغي ان تشرف عليه الدولة الاجنبية ، فهو تنسيق اقتصادها . ولذلك فقبل ان تتأمل المخابرات قطاعات محددة من اقتصادها لتعرف كيف تؤدي عملها ، فان ثمة ثلاثة اشياء تتعلق بموضوع الاقتصاد يجب على المخابرات ان تعرفها ، وهي اشياء شاملة تؤثر في كل قرار يتخذ فيما يتعلق بالانتاج الحربي ومستوى المعيشة المدنية ، وهذا يؤثر على قوة التعبئة التي تستطيع الدولة ان تحشدتها . هذه الاشياء الثلاثة هي :

١ - هيكل الاقتصاد .

٢ - البطء الاقتصادي .

٣ - مدى المرونة في الاقتصاد .

ان المقصود من هيكل الاقتصاد هو الطاقات الاقتصادية التي تمثلها الدولة ، وكذا الخدمات الاستهلاكية التي تؤديها للشعب ، ويدخل في ذلك الممتلكات سواء كانت في ارض الوطن او خارجه ، وتوفر المواد

الخام ، ثم الاعتمادات المالية اللازمة لشرائها من الخارج دون الحاجة لاصدار اوراق نقد جديدة ، كذا توفر عدد كبير من المصانع ومدى انتاجها ، وتوفر الاسطول التجاري اللازم للنقل البحري ، وغير ذلك من طاقات الانتاج المعروفة .

ويدخل في الخدمات والاستهلاك اشياء كثيرة مثل التوسع في الخدمات الطبية ، وبناء المساكن الجديدة والتوسع في التعليم ، وتوفير الاغذية التي توفر للشعب سعرا حاريا معينا في اليوم . . . الخ .

اما المقصود بالبطء الاقتصادي فهي تلك الاشياء التي تؤثر على الانتاج ، كتقليل ساعات العمل في الاسبوع ، ومد فترة تعليم الشباب وقلة نسبة النساء في الطبقة العاملة ، وعدم توظيف القوة العاملة ورأس المال على السواء ، واستخدام المهمات استخداما جزئيا . . . الخ .

اما المرونة فتعني قدرة الاقتصاد على تحويل سكين المحصرات والخطافات مثلا الى أسلحة في وقت قصير جدا ، أو بمعنى آخر قدرة الفنيين على تحويل مصانع الآلات الكاتبة الى مصانع مدافع رشاشة ، وتحويل مصانع الطعام المحفوظ الى مصانع آلات حربية . كما تعني ايضا انتاج السلع الصناعية من الخرقة عندما تقل الموارد الطبيعية .

ويجب ان تقع الملاءمات بداخل المجال الاقتصادي في خطين اساسيين، اذ أن على الاقتصاد ان ينتج كمية هائلة متزايدة من السلع أكثرها ذخائر . وفي الوقت ذاته يجب عليه ان يهيئ مستوى معيشة معقولا للسكان المدنيين . ولتحقيق هاتين الغايتين يجب ان يهيئ الاقتصاد هذا عنيقا ، ومن ثم فما الذي ينبغي على المخبرات ان تعرفه حتى تتمكن من تقدير درجة الاهتزاز والنتائج المترتبة عليه ؟

يجب عليها ان تعرف كيف يستطيع الاقتصاد التوسع في ادوات رأس المال الموجود ومصادر القوة والقوة العاملة ، ويجب عليها ان تعرف كيف

يمكن الحصول على الكميات الهائلة من المواد الحربية الهامة والمواد التي يوجد بها عجز ، ومدى ما يصادفه الاقتصاد من نجاح في انتاج مواد بديلة لتلك التي نقصت ، وعليها ان تعرف مدى سرعة وكفاية تحويل الصناعة الثقيلة من انتاج الات السلع الى انتاج الات الحرب ، ومدى السهولة التي تحول بها الصناعة الخفيفة من انتاج السلع الاستهلاكية الى انتاج الذخيرة وقطع الرادار والاسلحة الصغيرة .

كما يجب عليها ان تعرف هذه الاشياء بقدر ما تستطيع ان تعرفها او تقدرها ، ومئات اخرى من الاشياء المماثلة . وبعدئذ يجب ان يكون في وسع المخابرات أن تقدر بدقة مدى قدرة الحكومة على القيام بنصيبها من هذا التنسيق : كيف تدبر المواد الاولية ؟ وكيف تبرم عقودها مع المؤسسات الخاصة ؟ وكيف تحول الكتل الهامة للصناعة الحربية ؟ وكيف تنظم توزيع السلع الاستهلاكية النادرة توزيعا عادلا ؟ وعليها أن تعرف : كيف تستطيع الحكومة ان تجعل الحياة الشاقة هينة على المدنيين الذين يجب عليهم ان ينتجوا ادوات الحرب ، وأن يقاسوا من متاعبها الاقتصادية وان يتحملوا مآسيها ؟ وهم في هذه الظروف يظلون محرومين من ضروب التشجيع التي تجعلهم يقومون بقسطهم من العمل في نشاط .

على أن معرفة اي شيء من الاشياء التي ذكرت لا يمكن ان تتحقق بنفس الطريقة التي يستطيع المرء ان يعرف بها عدد أميال الطرق الممهدة في مدينة ما ، او عدد مصانع تكرير السكر في منطقة ما . فالحصول على المعلومات الضرورية لتقدير امكانية الحرب من الناحية الاقتصادية ، يجب ان يتوفر للمخابرات شيء اكثر من قائمة حصر للسلع الاساسية والقوة العاملة والمواد الخام .

يجب عليها ان تحصل على قدر كبير من المعلومات العامة عن قدرة

الدولة الاجنبية على حشد هذه الموارد معا ، ومدى قوة سلطاتها السياسية ووحدها وتصميمها وكفاية ادارتها ، كما يجب على رجل المخابرات ان يكون مستعدا أن يضع نفسه موضع موظف الدولة الاجنبية الذي يعهد اليه بتولي عملية التعبئة ، وعليه ان يدرك ان المواقف التي ينبغي عليه أن يواجهها مواقف لها أهميتها العظمى من ناحية حياة الشعب ، وأنه لا بأس عليه من أن يلجأ الى اية خدعة معروفة - سواء أكانت غير مشرعة او غير متعارف عليها او غير معقولة - طالما أنها خليقة بتحقيق نتائج حسنة .

والمجموعة الثالثة الكبرى من عملية الملاءمة او التنسيق التي تجرى عند التعبئة ، والتي يجب ان تعرف المخابرات بأمرها ، وهي مجموعة الملاءمة او التنسيق الاجتماعي ، وعليها ان تعرف كل شيء عنه اذا ارادت ان تكمل استنتاجاتها عن امكانية الحرب .

يجب عليها ان تعرف كيف سيكون الشعب نفسه بالنسبة لفقدان أسباب الرفاهية ، والكماليات ، بل وحتى الضروريات ؟ وكيف سينفعل حيال الطعام الارداً وربما الاقل من ناحية الكم ، وحيال حرمانه من الملابس او الاقلال منها ، وحيال أحوال المعيشة الاكثر ازدهاما ، وحيال الاقلال من الحرية المدنية ؟ وكيف سيواجه رحيل شبابه وتشتيت شمل الاسرة واعمالها ، وما يتوقع من خسائر فادحة في الارواح ؟

وكما هو الحال في الملاءمات الاقتصادية فان اشياء قليلة فقط من هذه الاشياء يمكن أيضا معرفتها بطريقة ايجابية حاسمة . ومن ثم يجب على المخابرات ان تعتمد الى اجراء تقديرات تقديرية تسفر عنها أحيانا طرق البحث غير المباشرة . مثل ذلك اذا لم تستطع المخابرات أن تكتشف من اتجاه الرأي العام كيف انفعل الشعب حيال تحديد المواد الغذائية ، فقد تجد ادلة غير مباشرة على ذلك بتتبع التغيرات التي تدخل على

التعليمات الحكومية لتوزيع المواد الغذائية • ويمكن معرفة هذه التعليمات من الصحف • كما أنها قد تشير الى مدى ازدهار السوق السوداء او مدى رضوخ المدنيين للاحوال الجديدة التي يعيشون فيها • ان ذلك يؤكد أهمية الدنو غير المباشر للبحث ، حيث يستحيل الدنو المباشر ، وهو في حد ذاته عمل من أعمال المخابرات كما انه جزء هام من عمليات المخابرات كلها •

□ المخابرات الاقتصادية وقت الحرب :

توجه الاستراتيجية العسكرية الحديثة نفسها - جزئيا فقط - الى التدمير المباشر للجيش المعادية ، واصبح اضعاف قاعدة اقتصاد العدو هو الهدف الاول في الحروب • فتقوم قاذفات القنابل البعيدة المدى بالبحث عن أهم الاهداف في اقتصاد العدو ، وتتقدم القوات الارضية نحو المراكز الصناعية الرئيسية للاستيلاء عليها ، وتحاول الاساطيل البحرية قطع الواردات الاساسية عن العدو • وحينما تأتي الحرب ، فان على المخابرات الاقتصادية ان تلعب دورا رئيسيا في دعم المجهود الحربي •

وقد زادت أهمية المخابرات الاقتصادية وقت الحرب بزيادة تكنولوجيا الحرب من امكانيات الوصول الى ما وراء الخطوط الامامية • فقد نقلت الطائرات الحرب الى المصانع ، وعلى المخابرات الاقتصادية ان تبلغ عن اهم الاهداف المفيدة • وقد حتم هذا من ضرورة جمع الوثائق التي تتعلق بالاهداف : ملفات عن المصانع ، ومعامل تكرير البترول والمنشآت الاخرى ، وعدد العمال وانواع الانتاج وغيرها من المعلومات • ويجب اعطاء الاهداف اولويات مختلفة من حيث الاهمية ، ومن الواضح أن أهمها هو الذي يسبب تدميرها اخطر الاضرار لمجهودات العدو

الحربية •

والعوامل التي تدخل في تحديد الاولويات كثيرة جدا ، هل يمكن الحصول على موارد بديلة ؟ اذا كان الامر كذلك ، فان تدمير المصنع ليس مضرا كما يبدو • هل يمكن الحصول على مخزون اثناء اصلاح المصنع ؟ او هل ستعوض مصادر الامدادات الاجنبية الخسائر التي تحدثها القنابل ؟ اذا كان الامر كذلك ، فان المصنع ليس هدفا ممتازا • ما هو وضع الهدف في العملية الصناعية ؟ ان تدمير مصنع لانتاج شموع الاحتراق لن يؤثر على انتاج السيارات مباشرة كما يؤثر تدمير مصنع السيارات نفسه ، ما هو الوضع فيما يتعلق بالامكانات الزائدة ؟ اذا كانت المصانع لم تستغل استغلالا كاملا ، فان زيادة الانتاج في احداها يعوض بسرعة تدمير المصنع الاخر •

وحيثما تضرب الاهداف الخاطئة بالقنابل ، فانه يمكن مساواة خسارة العدو بالمزايا المعوضة • فقد أدى ضرب البريطانيين لمدينة هامبورج بالقنابل في صيف ١٩٤٣ الى تخریب ثلث المدينة ، ولكن المصانع افلتت من الضرر الخطير • وكانت النتيجة هي انتهاء النقص الخطير في العمال بالمدينة مثل كتبة المخازن وعمال الجراجات ، واصحاب المحال وغيرهم ، الذين تحولوا من الاماكن التي ضربت بالقنابل والتي كانوا يعملون بها الى الصناعات الحربية ، ومن ثم عاد بسرعة الانتاج الحربي في هامبورج الى حالته الطبيعية •

وبخلاف مساعدة المخابرات الاقتصادية المباشرة للعمليات العسكرية ، فانه يجب عليها وقت الحرب أن تساهم في التقديرات الاستراتيجية المتلاحقة التي تعطي كبار المسؤولين في الدولة صورة واضحة عن حالة العدو ، والفترة التي يمكن ان يصمد فيها ، ونوع

المفاوضات التي قد يستجيب لها • وموضوعات المخابرات الاقتصادية هنا هي تقريبا الموضوعات نفسها التي سبق ان وصفناها : القوى البشرية ، والانتاج الصناعي ، واحتياطي المخزون ، والتجارة ، والمال واجمالي الانتاج القومي • كما أن طرق الجمع والتحليل هي نفسها ايضا ، مع أنه يصعب الحصول على الاحصائيات التي تشر وقت الحرب •

ومن جهة اخرى ، قد يصبح من السهل الحصول على مصادر المعلومات الاخرى من الصور الجوية او المعدات التي يستولي عليها من العدو • فمثلا كان أحد المصادر التي أثبتت أنها ذات قيمة خاصة للمخابرات في الحرب العالمية الثانية هو علامات المصانع التي توضع على المعدات الصناعية التي تم الاستيلاء عليها •

والعلامات هي الاسم ، وطوابع الفحص ، والارقام المسلسلة التي تصب على المطاط او المواد الاخرى • وقد يكشف العلامات عن المنتجين ، او زمان الصناعة ومكانها ، وخواص التشغيل ، والكمية المنتجة والامكانيات • وفي الحرب العالمية الثانية كان لتحليل العلامات فائدة كبيرة في تصحيح تقديرات خاطئة لانتاج العدو بواسطة طرق اخرى •

فبدراسة الارقام المسلسلة والعلامات الاخرى على حوالي ١٣٠٠٠ من الاطارات الالمانية ، استطاع ضباط المخابرات الاقتصادية في الولايات المتحدة ان يحسبوا عدد الاطارات التي يتم صنعها كل شهر صناع الاطارات الالمانية ، وبينت دراسة الارقام المصبوبة على الاطارات عدد القوالب التي استخدمها المنتجون ، وبمعرفة امكانية القالب الواحد ، أمكن حساب كل امكانيات الانتاج للصانع الالمان ، ومكنت العلامات على الاطارات التي تبين النسبة المئوية للمطاط المستعمل - ضباط

- المخابرات من تحديد كيفية استخدام الالمان للمخزون من المطاط الخام .
- وامكن بحساب اطارات الطائرات مراجعة تقديرات انتاج الطائرات .

وكشف تحليل الارقام المسلسلة على الدبابات الالمانية ان العمليات الحسائية السابقة لانتاج الدبابات الالمانية كان يزيد عن الرقم الصحيح بكثير . ودلت الارقام المسلسلة على أن انتاج عام ١٩٤٢ كان ٣٤٠٠ مقابل العدد ١٨٠٠٠ الذي كان مفهوما قبل ذلك . وكانت العلامات على صندوق التروس ومدافع الدبابات واجهزة التبريد ومحركات ادارة الابراج وبوجي العجلات وبعض المركبات الاخرى ، هي بمثابة معلومات اضافية تخضع لمراجعات مستقلة عن العمليات الحسائية لانتاج الدبابات . ومن بين المنتجات الالمانية الاخرى التي تعرضت لتحليل العلامات ، السيارات والمدافع والذخيرة والقنابل الطائرة والصواريخ . وقد اكدت المقارنة بالمعلومات الالمانية الرسمية - التي أمكن الحصول عليها بعد الهدنة - ضرورة الاعتماد الكبير على التقديرات المستخلصة من تحليل العلامات .

☐ دور المخابرات في الحرب الاقتصادية :

ان الضغوط الاقتصادية على العدو في اثناء الحرب - الحظر الاقتصادي ، تحريم الشراء ، وتجميد الاموال مثلا - انما هو عمل مكمل للهجوم العسكري . هذا بالاضافة الى أن الحرب الاقتصادية تطبق أيضا في المواقف التي لم تصل الى الحرب الفعلية لكي تقلل من امكانيات الدول غير الصديقة على العدوان .

وللمخابرات الاقتصادية علاقة تاريخية وثيقة بالحرب الاقتصادية . ففي بريطانيا ، كانت وزارة الحرب الاقتصادية تعمل بمثابة وكالة

المخابرات الاقتصادية في بداية الحرب العالمية الثانية • وفي الولايات المتحدة تحملت هيئة الحرب الاقتصادية مسؤولية المخابرات الاقتصادية ، وقد بينت التجربة حيوية المخابرات الاقتصادية الدقيقة في اختيار وسائل الحرب الاقتصادية وتعزيزها •

ففي عمليات الرقابة على السفن فإن التصاريح الملاحية ومستندات السفن والقيود على تموين السفن - يقصد من ورائها منع الشحنات المرسلة الى دولة غير صديقة او بواسطتها ، والمخابرات الاقتصادية التي تأتي غالبا من المصادر السرية ، ضرورة في تحديد ما اذا كانت هذه الشحنات مرسلة من اجل اغراض غير ودية • وقد تصدر اشارات للاسطول البحري لاعتراض البواخر على أساس المعلومات التي وصلت من المخابرات الاقتصادية •

وعند ادراج التجار في الدول المحايدة التي يكتشف أنهم يتاجرون مع الدول غير الصديقة في القائمة السوداء ، وفرض الحظر على الصادرات اليهم او بعض المعاملات التجارية الاخرى فان المخابرات الاقتصادية هي المسؤولة عن تجميع الوثائق التي تبين أسماء الشركات التجارية ، والملاك الحقيقيين ، والعلاقات مع الشركات الاخرى ، وسجل الصفقات المشبوهة وغيرها من المعلومات •

كما أن من واجب المخابرات الاقتصادية أن تساعد في اختيار المنتجات التي يعتبر تصديرها فائدة استراتيجية للدول غير الصديقة • وقد يشمل هذا تحديدا للاحتياجات المدنية المشروعة لتلك الدول ، حتى يستطيع الضباط العاملون فرض رقابة على كمية صادرات السلع المختارة التي تزيد على تلك الاحتياجات •

وحيثما تجمد اموال أجنبية ، تصدر تعليمات الى البنوك القومية بعدم السماح بعقد صفقات تدرج في حسابات تلك الدول او في حسابات مواطنيها . ومن شأن المخابرات الاقتصادية ان تقدم المعلومات التي تبين ان لشركات معينة مصلحة في الحسابات التي يملكها الآخرون . وكمثال لذلك كان رجال الاعمال السويسريون - الذين يعملون باسم الالمان - هم ملاك حسابات الدولار الامريكسي الكبيرة في الحرب العالمية الثانية .

وغالبا ما تسعى الدول المعادية الى تغطية ملكيتها للممتلكات ، والاوراق المالية وبعض الاصول الاخرى في الخارج . ومن شأن المخابرات الاقتصادية مرة اخرى ان تقدم معلومات تبين الملكية الحقيقية لهذه الاصول .

وفي حالة الشراء المانع الذي يهدف الى منع سلع هامة من الوصول الى أيدي العدو ، فان القرار باتخاذ هذه العملية الباهظة التكاليف يتوقف على قرار المخابرات الاقتصادية بما يوضح بأن هذا الانتاج ناقص فعلا في الدولة وانه حيوي جدا للانتاج الحربي للعدو . وقد ادى شراء الحلفاء لآلات التوجيه من السويد الى تحديد امكانية حصول الالمان على هذه المنتجات في الحرب العالمية الثانية .

الفصل التاسع



مخابرات القتال

مخابرات القتال

مشمات المالمات

المسكربة - تقدر القوة
المسكربة - معلوماء
المخابراء المسكربة
المطبل ومراقبة
المطورات - المالمات
المطوغرافية - اهمية
المالمات الاسترائيجية.

ان الوضع الحربي لدولة هو أحد المكونات العظمى لقوامها الاستراتيجي ، بدرجة أن تقديرات وقت السلم تحتاج لتحليل شامل لمخبرات القوات المسلحة ، كما أنها لحقيقة مرذولة أن يكون الحصول على مخبرات القوات المسلحة وقت السلم أصعب بكثير من الحصول عليها في وقت الحرب . فالاستطلاع الارضي والجوي واستجواب أسرى الحرب وحصر مهمات العدو المستولي عليها ، كل ذلك يوصل الى حقائق مستمرة في اثناء العمليات الحربية ، أكثر بكثير مما يمكن الحصول عليه في وقت السلم .

□ مشتملات المعلومات العسكرية

وتشمل المعلومات العسكرية تفاصيل عن النظريات العسكرية ، وعن البناء الحربي للعدو على كل المستويات ، والنظم الاساسية لقواته المسلحة ، وخطته الحربية ، وخطته في توزيع قواته وتعبئتها ، ونظمها الاستراتيجية والتكتيكية . كما يدخل في ذلك جداول تنظيم القوات المسلحة ، وما يطلق عليه تنظيم القوات للمعركة التي بدورها تشمل المعلومات العامة عن أماكن الوحدات البرية والبحرية والجوية ، والبيانات الفرعية كأسماء الضباط ورتبهم والشارات المميزة للوحدات .

وتشمل المعلومات العسكرية المطلوبة أيضا تفاصيل عن تطورات التسليح والاسلحة المختلفة ، وكذا توزيع القوات المسلحة في قطاعاتها، والملابس العسكرية ومهمات الجنود ، وتاريخ حياة الضباط .

وتجميع الحقائق والمعلومات المشار اليها من شأنه ان يرسم التشريح - على حد القول - للمؤسسات الحربية في وضعها المادي ، فتعداد الماديات

يلقي ضوءا الى حد ما على قوة فاعلية القوات المسلحة ، ولكن لكي تكتمل الصورة يجب أن يوجه الانتباه الى غير المحسوسات ، وهذا يتطلب بالضرورة تغيير الروح المعنوية وكذلك طرق التدريب ، والنظريات الاستراتيجية والتكتيكية .

كان نابليون يبدي اهتماما كاملا بالصفات الخلقية للقادة الاعداء ، وكان « كارل شولينستر » رئيس مخابراته يحصل على جميع انواع المعلومات عن الحياة الخاصة وعادات قواد العدو . وكان نابليون حينما يضع خطط حملاته الحربية يوجه اهتماما كبيرا الى دراسة اخلاق قواد العدو ونقائصهم ، بقدر ما يوجه من اهتمام باوضاع الجيوش التي يقودها ومهماتهما .

والمخابرات عن عمليات نقل القوات وتموينها تحتاج الى بحث المحسوسات وغير المحسوسات مجتمعة ، فالاحتياجات من التعيينات والوقود والذخيرة والمعدات الطبية والمواد الاخرى يجب ان تحصى ، وكذلك يجب ان يحصى عدد القاطرات والسفن وسيارات النقل والطائرات ووحدات المواصلات الاخرى المطلوبة لنقل الرجال والعتاد في ظروف خاصة ، وينبغي أن توزن الاحتياجات في ضوء الامكانيات ، مع اعطاء اعتبار خاص لاحتمال تعرضها لاي معوقات .

والطوارئ في المخابرات الحربية تحدث عندما يظهر نشاط جديد ، مثل تحرك القوات الى الحدود ، وتراشق المدفعية بين قوتين متخاصمتين ، ونقل العتاد الحربي من دولة الى اخرى ، وتجربة او ادخال اسلحة جديدة مثلا . وكثيرا ما يحدث أن تعجز المخابرات الحربية بمفردها عن عمل التقييم ، وهنا يلزم البحث المشترك مع المخابرات السياسية وغيرها لتقدير المغزى الكامل للنشاط . فمثلا تدفق الاسلحة الى اسرائيل ،

واستمرار الشحن البحري للأسلحة والمعدات لأي بلد يتطلب ذلك تقييما
في ضوء العوامل السياسية والحربية والاقتصادية السائدة في هذا البلد .

□ تقدير القوة العسكرية

ولندخل الآن في شيء من التفصيل ، ونسأل : ما المعلومات التي
يجب ان تعرفها المخابرات لتقدير القوة العسكرية لدولة ما ، تلك القوة
التي تعتمد عليها في خوض غمار الحرب ؟

هناك كثير من المعلومات يجب ان تلم بها ، ولكننا سنكتفي بذكر
اهم المعلومات التي يجب ان نحصل عليها :

- ١ - عدد الرجال الموجودين تحت السلاح .
- ٢ - نسبة توزيعهم على الاسلحة الحربية الثلاثة : القوات البرية ،
القوات الجوية ، القوات البحرية .
- ٣ - تنظيمها التكتيكي والاداري ، ونوع عتادها وكميتها ،
والاسلحة الكبيرة والصغيرة بحسب نوعها وادائها ، ووسائل الدفاع
الثابتة ، وبيان الطائرات والبواخر الحربية بحسب نوعها ووظيفتها ،
وطبيعة المنشآت الحربية : الترسانة ، المطارات وورش الاصلاح ، احواض
السفن . . الخ .
- ٤ - طبيعة امداداتها والخدمات الطبية .
- ٥ - طرق التجنيد المتبعة ووسائل التدريب ودرجته .
- ٦ - الخبرة تحت السلاح والخبرة في اثناء القتال .
- ٧ - طراز الضباط وعددهم .
- ٨ - نوع عمل الموظفين .

- ٩ - شخصية الضباط ذوي الالهيية .
 - ١١ - درجة تقدير الشعب للقوات المسلحة .
 - ١٠ - طبيعة التقاليد العسكرية وقوتها .
- كل هذه الاشياء تنطوي تحت عنوانين كبيرين هما :

(١) المهارة العسكرية .

(٢) الروح المعنوية .

ولو توسعنا قليلا في الشرح لتضاعفت هذه العناوين ، فمثلا اذا طلب من المخابرات معلومات عن مطار للعمليات ، فما المعلومات التي يجب ان تحصل عليها ؟

التطيل ☐

يمكن للمخابرات أن تنظر الى هذه المشكلة من عدة زوايا :

اولا : يجب ان يطل المطار من وجهة النظر الآتية :

١ - كيف يمكن لعدو محتمل ان يستخدمه ؟ وما درجة كفايته من ناحية تحقيق أغراض هذا العدو ؟ وأين موضعه تماما على الخريطة وموقعه بالنسبة لغيره من المطارات ومراكز الامدادات ؟ وما مدى ارتفاعه عن سطح البحر ؟ وما تسهيلات الامدادات التي يتمتع بها ؟ مثل موضعه في شبكة النقل والمواصلات وفي شبكة القوة الكهربائية ؟ وطبيعة ورشة وعناصر الطائرات الموجودة به وثكناته ، ومخازن الوقود والشحوم ومخازن الذخيرة .

٢ - ما نوع الطائرات التي يمكن ان يستوعبها وكم عددها ؟ وما

مدى صلاحيته لهبوط انواع الطائرات ؟ وما اخطار الملاحة الجوية التي تحيط به مثل الطقس ، والمناخ ، الجبال ، وغيرها من العقبات الطبيعية ، واين توجد المدافع المضادة للطائرات ، وما وسائل اطلاق الدخان الموجودة به ؟

ثانيا : يمكن تحليل هذا المطار نفسه من جانب تعرضه للهجوم . وفي هذه الحالة يمكن تطبيق كثير من الخصائص التي ذكرناها سابقا وان تكن هناك خصائص اخرى جديدة أهمها ما يلي :

١ - ما الخصائص المميزة للمطار كما ترى من الجو ؟

٢ - ما مدى امكان التغلب على الجانب المادي من اجزاء المطار التي أنشأتها الدولة ؟ ومدى امكان اصلاحها لو انها تعرضت لقذف القنابل من الجو ؟

ثالثا : يمكن تحليل هذا المطار من جانب فائدته لمن يستولي عليه . وقد يستدعي هذا التحليل عددا آخر من المعلومات التفصيلية عن المعدات الموجودة في المطار :

١ - هل يمكن استخدام معدات الورش اذا استولينا عليها لاصلاح طائراتنا ؟

٢ - هل يمكن ايضا استعمال الدراوي ومواقف الطائرات ؟

واذا لم يكن ذلك مستطاعا فما مدى التعديل اللازم اجراؤه بها ؟
... الخ . وعندما تكتمل المعلومات التي تعطي الاجابة على هذه الاسئلة وكثير غيرها فيما يتعلق بجميع الطائرات الجوية الموجودة في البلاد ، عندئذ يكون قد اكتمل هذا الجزء الذي يعتبر احد اجزاء القوى العسكرية . والموضوعات التي من هذا القبيل والتي تنطبق ايضا على جميع المنشآت الاخرى او القطع الحربية الكبيرة ، كالقواعد البحرية

والترسانات والبوارج الحربية • وهنا ايضا تكون المعلومات التي تجمع
للإجابة على الاسئلة التي تتعلق بها جزءا من مادة المعلومات
الاستراتيجية •

□ مراقبة التطورات :

هذا ومن أهم واجبات المخابرات العسكرية ، مراقبة كل ما يطرأ
على القوة العسكرية للدولة الأجنبية من تطورات وتعديلات ، ويجب
أن تبين تقاريرها التشريع الجديد الذي سيقدر حجم القوة العسكرية
وصفتها في العام نفسه او الاعوام القادمة • كما ينبغي تتبع أثر سياسات
التجنيد ومدى نجاحها أو فشلها ، وتتبع أثر التغييرات التي تدخل على
تدريب الجند والضباط حديثي العهد بالخدمة • كذلك يجب عليها أن
تعرف التحسينات التي تدخل على تعليم القوات والمستوى الاجتماعي
الذي يجند منه الضباط الجدد والمركز المالي والاجتماعي للجنود
والضباط • ومهما يكن من شأن الصعوبات ، ينبغي على هذه التقارير أن
تتبع تلك التغييرات التي يعتبرها هذا البلد الآخر بحسب من اسراره
العسكرية الخاصة مثل :

- ١ - الطرادات الجديدة •
- ٢ - انواع الطائرات الجديدة •
- ٣ - الاسلحة الجديدة من جميع الانواع الفتاكة •
- ٤ - الادوات الجديدة التي تستهدف تحسين الكفاية في القتال •

□ المعلومات الطبوغرافية :

والمعلومات الطبوغرافية بالنسبة للمخابرات العسكرية على غاية من الأهمية . لقد كان أول تقرير مخابرات من هذا النوع هو ما اعد لتحوتمس الثالث عام ١٤٧٩ ق.م في حملة ارماجيدو .

كان أمام جيش تحتمس الذي كان متجها نحو مدينة « يما » الواقعة على بعد ١٦ ميلا جنوب غرب مجيدو ، أن يختار طريقا من ثلاثة طرق تؤدي الى المدينة . وكان التحرك في طريق قريب من العدو مسألة دقيقة ، ففكر تحوتمس في نشر قواته على أفضل الطرق الثلاثة ، فبعث رجال الاستكشاف ، وعادوا اليه بمعلومات عن الطرق المختلفة وقام بتقدير قيمة هذه المعلومات بواسطة رئيس أركان حربه الذي أوصى باستخدام الطريق الأوسط ، ولكن تحوتمس رأى استخدام الطريق الشمالي ، وغض النظر عن توصية رئيس أركان حربه .

وتحرك صوب مجيدو على الطريق الشمالي الذي أثبت في الواقع أنه كان مثاليا في صلاحيته للمناورة .

وتقدمت المخابرات العسكرية الحديثة في جمع المعلومات الطبوغرافية التي استرعت اهتمام القادة في القرن التاسع عشر ، ففي هذا الوقت كانت المعلومات الخاصة بالأراضي تعتبر أكثر أهمية من معرفة طبيعة وقوة الجيوش الأجنبية .

واليوم ما زالت أعمال المساحة العسكرية واعداد الخرائط العامة ، وكذلك الخرائط البحرية تكون جزءا أساسيا في عمل مخابرات الجيش والبحرية . ان اعداد الخرائط يعتبر من أعمال المخابرات المستمرة ، وهي عملية لا تتوقف أبدا ، ذلك لان الحدود السياسية والتغيرات التي يحدثها الانسان على الارض لا تنقطع أبدا .

وقد تكون بعض الحقائق والمعلومات التي يريدها ضابط المخابرات الطبوغرافية في يد حكومة أجنبية ، وعندئذ فإن جزءا كبيرا من عمله يتكون من مقارنة المواد المستقاة من مصادر علنية ، ويتوقف الكيف في هذا العمل الى حد كبير على مكتبات الخرائط التي تحتفظ بها المخابرات الطبوغرافية . ومن ثم فبفضل مساعدة المصادر العلنية والمواد المصنفة تتمكن المخابرات الطبوغرافية من الحصول على المعلومات الطبوغرافية . مثل التضاريس وأشكال ارض وأنماط الصرف ، وكذا معرفة المناطق التي تعتبر أضعف مناطق الدفاع الطبيعي ضد الهجوم . كما تمكنها من الحصول على معلومات عن الجو والطقس مثل درجة الحرارة والسحب والضباب والرطوبة والرياح ، وتستطيع ان تعرف متى تكون العواصف خطرا على العمليات الجوية أو البرمائية .

ومعلومات المخابرات الطبوغرافية عن المناطق الجغرافية تكون كافية لاصدار تقديرات عن امكانية الدفاع عنها وامكان حركة المرور فيها « أنماط الشوارع وانواع الابنية وأماكن المرافق والمنشآت الحيوية الاخرى وتوزيع السكان » . كذلك تجمع معلومات عن الشواطىء ونقط الارساء وعن المد والجزر والاحداثيات والمنحدرات . كما أن دراستها فيما يختص بالسكك الحديد والمظاهر الاخرى للمواصلات ، تسهم في معرفة المواقع المحتملة لقواعد المقدوفات .

وغالبا ما تقوم المخابرات الطبوغرافية بتقديم المعلومات عن التقسيم الجغرافي للدولة وتاريخ كل منطقة ، وخطوط تقسيم المياه ، والمسالك الرئيسية ، والخصائص الجنسية للسكان المحليين والاعتبارات الاخرى المتعلقة بهذا الموضوع .

ويعاون المخابرات الطبوغرافية المخابرات الاقتصادية باعداد خرائط وتفصيلات أخرى معينة ، مثل درجة الارتفاع ، ودرجة الحرارة ، وسقوط

الامطار التي تؤثر على النشاط الانتاجي • وكلما امتد مجال الاسلحة الحديثة وجدت المخابرات الطبوغرافية فرصة للتعاون مع المخابرات العلمية • فالتأثيرات المزودة بالرجال في الحرب العالمية الثانية كان في استطاعتها أن تميز اهدافا لم تكن معروفة معرفة دقيقة • ومن يتولون استخدام الارض ، واطهار المجري الرئيسي للمرور ، وتدفق السلع قذف الاسلحة الصاروخية يجب أن يكونوا على علم بالاماكن الواقعة على كوكب ما ، والتي لا يمكن تعيينها على الخرائط تعيينا كافيا • هذه كلها والمشاكل المتعلقة بها قد عادت بالمخابرات الطبوغرافية الى ما قبل عهد موسى عام ١٥٠٠ قبل الميلاد ، عندما ارسل جواسيسه الى أرض كنعان قائلا لهم « اصعدوا الجبل وانظروا الى الارض » • ان مكتب المخابرات الطبوغرافية الذي يقوم اليوم بدراسة ما هي الارض ؟ هو في طبيعة التطورات الواقعة في علم المساحة ، وفي علم المحيطات ، وعلم الطبقات الجوية ، وعلم الجاذبية الارضية •

□ اهمية المعلومات الاستراتيجية وقت الحرب :

وفي اثناء الحروب تكون للمعلومات العسكرية التي تجمعها المخابرات أهمية كبيرة وأثر أكبر على سير المعارك • واذا أصابت القيادة السياسية عقدة الغرور ، وعدم الرغبة في معرفة شيء عن كارثة وشيكة الوقوع ، فإن النتيجة التي لا مفر منها هي حدوث الكارثة وعدم امكان تداركها ، لأن الفرصة السانحة تكون قد ضاعت •

ونذكر الاحداث التالية في العام الاخير من الحرب العالمية الثانية
كمشال :

في عشية اليوم الاول من عام ١٩٤٥ جلس القائد العام الالماني

« هينزجوداريان » في مقر أدولف هتلر في انتظار وصول تقرير عسن الموقف العسكري . كان جوداريان قد اضطر للجلاء عن مقر قيادته في بروسيا الشرقية نتيجة ضغط الهجوم الروسي ، فانتقل الى « تسينجبرج » في « هسن » . وأخيرا انتقل الى برلين حيث مقر القيادة العامة والقيادة العليا للجيش .

كانت حقيقة جوداريان تحمل ما لا تصل اليه احلام أي قائد عام ، ذلك أنها كانت تحوي الخطة الكاملة لهجوم العدو ، وكان جوداريان يعرف تماما كيف يواجه هذا الهجوم ، وأدرك جوداريان أنه يجب سحب جميع القوات من الجبهتين الغربية والجنوبية فورا وبلا تردد لاستخدامها في مواجهة الهجوم الروسي الضخم . كانت هناك فترة عشرة أيام يمكن فيها اتخاذ هذا الاجراء ، فقد تنبأ الجنرال جيلين رجل المخابرات الذكي بعدم قيام الروس بهذا الهجوم قبل العاشر من شهر يناير سنة ١٩٤٥ ، ولم يكن هناك ما يثير شك جوداريان في مضمون تحليل المخابرات للموقف ، وهكذا توافرت عشرة أيام لاتخاذ الموقف في الجبهة الشرقية ، ولكن ما قول « الزعيم » في ذلك يا ترى ؟

لقد ترك « الزعيم » القائد العام في انتظاره حتى ينتهي من اضاءة كنائس قرى هسن العليا احتفالا بالعام الجديد .

وكان مشهدا مثيرا حينما فتح ضابطان باب الغرفة أمام القائد العام ، تلك الغرفة التي كان يجلس فيها مجنون يلعب آخر ما لديه من ورق ، كان يستطيع بموجبه انقاذ دولته ، ولم تكن هذه البقية من الورق سوى الخرائط التي استعملها في القيام بلبسته ، وبهذه الخرائط أخذ يلوح في وجه القائد العام .

لم يتأثر القائد العام بما فعل الزعيم ، واخرج ورقته من جيبه ثم قام بتقديمها الى الزعيم وهو يوضح انتصارات العدو .

غير أن هتلر كان قد فقد الرغبة في اللقاء نظراً على ما يقدم له ، ومن ثم تدهورت الامور . فما أن رأى هتلر ما قدم له ، حتى هب واقفاً وانتفخت أوداجه وارتعشت شفتاه غضباً ، ثم صاح بأعلى صوته : « من ذلك الذي يشير هذا الغباء ؟ » نظر جوداريان الى الارض ثم رد بصوت هادئ : ان الحكم على الموقف يرجع الى الجنرال جيلين يا سيدي الزعيم ! هاج هتلر وماج وهو يقول : « حري بهذا الرجل ان يدخل مستشفى الامراض العقلية ! »

عندئذ تراجع الضباط الآخرون الموجودون بالغرفة خطوة الى الوراء بلا قصد منهم ، فقد كانت عيونهم معلقة بجوداريان ، اذ كانوا يسألون انفسهم كيف يستطيع الخروج من هذه الورطة ؟

ولم يستسلم جوداريان . ذلك ان الامر كله كان معلقاً بمصير جبهة بأكملها ، فاجاب بهدوء وبطء ، وبأسلوب يحمل معنى التهديد : لا يمكن ان يوجد في أي قيادة عامة في العالم شخص مثل الجنرال جيلين في مجال تقدير الانباء يا سيدي الزعيم ، واذا أردت ادخاله مستشفى الامراض العقلية فهل لي أن اطلب حجز الزنزانة المجاورة له لنفسي ، انني انتظر أوامركم ؟

وما ان نطق جوداريان الكلمات الاخيرة حتى وقف معتدلاً وضرب كعبي حذائه في بعضهما منتظراً ما يصدره القائد الاعلى من حكم . غير أن القائد الاعلى للحرب لاذ بالصمت ولمع في عينيه بريق جنوني ، ثم استند بكلتا يديه على المكتب ولم ينظر الى القائد العام . لقد تجرأ جوداريان على أن يخاطب الزعيم بطريقة لم يسبق لاحد من قبل ان استخدمها . وفيما يتعلق بالزعيم فقد كان يعتقد أن مسألة الهجوم « الاحمر الشتوي » قد سويت .

بعد ذلك سافر جوداريان الى تسوسن Zesser حيث التقى

بجيلين ، وشرح له ما دار مع الزعيم ؟ ورد عليه جيلين بهز كتفيه وحسب .
لقد فهم جيلين ما يعني جوداريان ، غير أن الرجل الذي تنبأ بهجوم
الروس على شرق ووسط ألمانيا لم يشأ أن يستسلم . فشجع الرجل
رئيسه وسافر الرجلان الى مقر الزعيم في تسيجنبرج بهسن .

وهناك وقف جيلين الرجل ذو الرأس التي تتفجر ذكاء أمام الزعيم
الرجل المريض ذي الاعصاب المحطمة والوجه المكدود .

نظر جيلين بعين نفاذة الى القائد الاعلى للحرب وهو يوضح له أنه
سوف يفقد المعركة الاخيرة . تحدث جيلين بهدوء وبصوت خافت ولم
يرتفع صوته حينما أخذ يشرح للزعيم قوة الفرق المدرعة السوفيتية في
كل قطاع من قطاعات الجبهة . وظل صوته على نفس هذه الوتيرة حينما
كان يتحدث عن تنبؤاته عن الوحدات التي سوف يستخدمها الجيش
الاحمر في الهجوم على كل مكان في الجبهة .

أصغى هتلر الى كل كلمة قالها جيلين ، غير أنه لم يفهم اي كلمة
مما قيل ، اذ لم يكن ثمة ارتباط بين اذنه وذهنه . وهكذا لم يشأ هتلر
ان يفهم . فقد كان الموقف في نظر هتلر يتلخص في ان السوفييت
مجرد مجموعة عصابات لا رحمة في قلوبها ولا انسانية ، عصابات
ضعيفة لا يمكن أن تضع خطة هجومية بمثل هذه الدقة . كان ذلك هو
الموقف في نظره ولا موقف سواء . ومن ثم كان في استطاعة جيلين
الانصراف ، وتبعه جوداريان الذي ادرك في تلك اللحظة أنه قد فقد
جيشه . وبعد أربعة ايام بدأ الهجوم الاحمر ، وفي كل ليلة تمر على
هذا الهجوم كان جيلين يقارن بين ما وقع فعلا وبين ما سبق ان تنبأ
بوقوعه .

ولقد بدا لجيلين عندئذ انه يكاد يدير ويوجه القوات السوفيتية ،
بيد أن جيلين كان أبعد نظرا فيما يتعلق بما ينشده الهجوم الروسي من

أهداف ، ذلك أنه كان ينظر الى السنوات القادمة ويأسى لما تخبئه
الاقدار .

ولقد عرف جيلين وقت ذاك أنه كان ورقة « الآس » التي لا تغلبها
ورقة اخرى في لعبة الورق في مضمار تقدير المعلومات . وعلى ذلك
ربما يأتي يوم يحتاجون فيه اليه مرة اخرى ، لذا كان عليه ان يبدأ من
جديد بمهارة .

ان تنظيم العدو الخاص بتوزيع القوات للمعركة ، يعتبر في نظر
كل ادارة مخبرات عسكرية او بحرية او جوية من الامور الاساسية
التي يجب عليها البحث عنها . انه عبارة عن كشف يبين قواته وطريقة
توزيعها ، ونظام تكوينها وضباطها ، والشارات التي تستخدمها . انه
يقدم كل المادة الخام الاساسية التي يستخدمها القائد في الميدان لتحضير
خطته .

وبالرغم من الصعوبات الهائلة التي كان يتطلبها جمع المعلومات في
حرب الباسفيك ، فان الولايات المتحدة قد نجحت بواسطة بعض الوسائل
التي تبدو سحرية في الحصول على توزيع قوات المعركة - والتي يطلق
عليها العسكريون « التنظيم للمعركة » الخاص بالجيش الياباني .

وفي صيف عام ١٩٤٤ بعد الاستيلاء على « سيان » في الباسفيك،
كانت الفرقتان ٥٠ مشاة ، ١٣٥ مشاة من ضمن الوحدات التي دمرتها
القوات الامريكية ، وكان ذلك نتيجة المعلومات التي حصلت عليها
المخابرات الامريكية عن تنظيم المعركة الياباني ، والذي ذكر أن هاتين
الفرقتين كانتا جزءا من جيش كواتونج المرابط في منشوريا .

ولم يكن ثمة خطأ اذ كانت الفرقتان فعلا جزءا من جيش كواتونج،
وقد ابديتا فعلا في سيان التي تبعد بضعة آلاف الاميال عن القوات
الاصلية .

وكان من نتيجة ذلك أن حصلت المخابرات الامريكية على معلومات عن جميع الفرق اليابانية التي كانت موجودة في الباسفيك .

ومن هذه المعلومات اكتشف ان جيش كواتونج لم يكن الا قوة خيالية ، فلم يعد في منشوريا أي وحدة من الوحدات الامبراطورية التي كان يتكون منها هذا الجيش العظيم تستطيع ان تشن حربا مخيفة مستقلة ، فقد تم تدمير معظم وحدات هذا الجيش ، كما نقلت الاخرى الى مسارح عمليات اخرى سواء في بعض الجزر الاخرى من الباسفيك ، او جزائر الفلبين أو الصين .

وحينئذ بدأت المخابرات البريطانية في جمع معلومات عن جيش كواتونج الجديد . وبمساعدة « توزيع القوات للمعركة » الخاص بالجيش الياباني ، والذي وضعته المخابرات البريطانية ، اكتشف أن هذا الجيش الجديد يحتوي على فرق من درجة ثالثة او رابعة ، وكان بعضها عبارة عن قوة لواء فقط وتتكون من جنود رديئة جمعتهم طوكيو من حثالة قوتها البشرية .

وتعد هذه العملية من انجح عمليات المخابرات ، اذ أن تأثيرها يمكن ان يمتد الى الاستراتيجية بل والى السياسة . كان من الواضح أنه اذا كان جيش كواتونج ليس اكثر من قوة خيالية ، فلا حاجة اذن الى الجيش الاحمر ليقاقله ، واذا لم تكن هناك حاجة الى الجيش الاحمر في الشرق الاقصى ، فانه ليس ثمة حاجة اذن للتدخل السوفييتي ضد اليابان .

وفي ذلك الوقت كان الزعماء العسكريون في الولايات المتحدة يؤمنون ايمانا صادقا بمخابراتهم ، كما كان الجنرال دوجلاس ماك آرثر في الميدان يؤيدها الى اقصى حد .

وفي ٢٥ من فبراير عام ١٩٤٥ في اثناء انعقاد مؤتمر فورستال في مانيل قال ماك آرثر : « يجب أن يؤدي التزام الروس بشن حملة قوية

ضد اليابانيين في منشوكو الى شل حركة جزء كبير من الجيش الياباني » •
وكان الكابتن ايليس زاكرياس قد عاد الى واشنطن في ديسمبر
من عام ١٩٤٤ للعمل بصفة شخصية مع وزير الحرية مباشرة ، وقدم
تقريراً يحث على ضرورة تدخل السوفييت في الشرق الاقصى •

وحينما أصبح معروفاً أن الرئيس روزفلت يضع خطته لمقابلة
ستالين في يالتا ، وأنه يجري اعداد الاوراق الخاصة بالموقف ، ظل
الجنرال مارشال متمسكا بقبوله لتقدير مخابرات الجيش ، وألح على
الرئيس بأن يعمل على ادخال الاتحاد السوفيتي في حرب الشرق الاقصى •
ولم يتغير الموقف حتى حينما أصبح استخدام القنبلة الذرية
حقيقة واقعة • وعندما ذهب الرئيس ترومان الى بوتسدام في صيف عام
١٩٤٥ ، اخبر الجنرال دوايت ايزنهاور أن احد اهدافه الرئيسية استدراج
الاتحاد السوفيتي للدخول في الحرب في الشرق الاقصى •

كان هذا التصميم من جانب الرئيس ترومان مبني على بحث دقيق
من جانب كبار مستشاريه العسكريين في بوتسدام ، ولكنه كان ضد
نصيحة وزير الخارجية جيمس برنز ، الذي كان يتلهم على انتهاء عملية
اليابانيين قبل دخول السوفييت •

وأبدى الجنرال ايزنهاور للرئيس ترومان أن السوفييت يتلهفون
على الدخول في حرب الشرق الاقصى ، وأنه في رأي ايزنهاور أن
اليابان قد انتهت امرها ، وان هزيمتها أصبحت أمراً لا ريب فيه •

كما رجا السفير هاريمان الرئيس ترومان ان يقي السوفييت خارج
الحرب ضد اليابان ، ولكن الجنرال مارشال في النهاية ، مؤيداً من
وزير الحرية هنري ستيمسون ، ساد في النهاية ، ولكنه كان مبني على
معلومات خاطئة •

ودخل الروس الحرب ، وتحطم أمامهم جيش كواتونج الذائع
الصيت . • وحينما عرفت الفرق اليابانية المقاتلة في منشوريا ، اتضح أن
توزيع القوات للمعركة الذي كان موضوعا بمعرفة مخابرات الجيش
الأمريكي كان خاطئا ، وأن التوزيع الذي كان موضوعا بمعرفة
البريطانيين كان صحيحا . •

الفصل العاشر



المخابرات العلمية

المخابرات العلمية
مظاهر المخابرات
العلمية - استخدام
موجات الراديو -
الصاروخ بعيد المدى -
القنبلة الطائرة - غزو
نورماندي - القنبلة
النرية - مجال المخابرات
العلمية - علاقة لمخابرات
العلمية بالفنية -
مخابرات المواصلات
والإلكترونيات - أبحاث
الفضاء .

تعد المخابرات العلمية في الواقع إحدى السمات الرئيسية لمخابرات هذا العصر ، حيث يلعب العلم والتكنولوجيا دورا أساسيا في حياة الإنسان .

وعلى الرغم من أن هذا الموضوع من أصعب فروع المعرفة التي تتناولها منظمات المخابرات ، فقد يكسبون من إيسر الطرق لفهمه أن نستخدم الأسلوب التاريخي على أساس أنه أقصر الأساليب اقناعا لما يحويه من خبرة وتجارب الماضي ، وليكون مقدمة لشرح مجال المخابرات العلمية في الوقت الحاضر . على أنني أسمح القارئ عذرا في سرد التفاصيل والإطالة ، مما جعل هذا الفصل يشذ في حجمه ، ولكن نظرا لأهمية المخابرات العلمية على أساس أنها مخابرات العصر ، رأيت أن أسلك هذا المنهج ولو شردت قليلا .

□ مظاهر تطور المخابرات العلمية :

في سبتمبر عام ١٩٣٩ ألقى هتلر خطابه المشهور عن إنتاج المانيا لأسلحة سرية جديدة ، وساد الذعر بريطانيا بعد إذاعة هذا الخطاب نتيجة خطأ في ترجمة الخطاب . وفي الواقع لم يحو خطابه أية إشارة تتعلق بالأسلحة السرية ، فإن النص الذي سجلته الإذاعة البريطانية لهذا الخطاب لم يشرف فيه هتلر إلى سلاح معين بالذات ، ولكنه كان يشير إلى سلاح الطيران الألماني Luft Walf بصفة عامة .

وفي نفس الوقت قامت المخابرات البريطانية بمحاولة للحصول على المعلومات وقلقها فقد استطاعت المخابرات البريطانية أن تستنتج أنه لا بد المعلومات ولتها فقد استطاعت المخابرات البريطانية أن تستنتج أنه لا بد أن يكون هناك أسلحة معينة يجب أن ينظر إليها بعين الجدد ، وهذه

الاسلحة تشتمل ، على ما جاء في اول تقرير تقدمت به المخابرات ، على
قنابل موجهة وطائرات موجهة ومدافع بعيدة المدى وصواريخ •

وفي الاوقات العصيبة التي واجهتها بريطانيا مثل الفترة التي تلت
قيام الحرب والفترة التي تلت خطاب هتلر ، كانت مصادر المعلومات التي
لديها رغم حجمها الكبير غامضة قليلة القيمة ، وكانت تعتمد على اناس
اعتقدوا تحت ضغط الموقف وشدته ان لديهم معلومات خطيرة ، مع ان
القسط الاكبر من هذه المعلومات كان عديم القيمة •

على انه في الايام التي أعقبت الخطاب الذي القاه هتلر ظهر بالصدفة
مصدر كان لمعلوماته أهمية كبرى •

ففي يوم من الايام تسلم الملحق البحري الانكليزي في اوسلوا
رسالة من شخص مجهول يخبره فيها انه اذا كانت بريطانيا ترغب في
الحصول على تقرير عن التطورات التكنولوجية في المانيا ، فكل ما عليها
أن تفعله هو أن تغير المقدمة التي تسبق اذاعة النشرة الاخبارية التي تذاع
باللغة الالمانية من اذاعة لندن في ليلة معينة لكي تقول : هالو •• هنا
لندن ، بدلا من الصيغة التي اعتادت أن تقدمها بها • وعندئذ سيعرف
مرسل الخطاب ان بريطانيا ترغب في الحصول على هذه المعلومات فيقوم
بارسالها • غيرت الاذاعة البريطانية مقدمة النشرة الاخبارية في الوقت
الذي عينه المندوب ، وفعلا وصل التقرير بعد ذلك •

ومن التقرير عرف الانجليز ان الالمان لديهم نوعان من اجهزة الرادار،
وانهم كانوا يقومون بتطوير صواريخ ضخمة ، وانه يوجد في مدينة
« بنيموند » مؤسسة هامة للتجارب ، وان الالمان يقومون في هذه
المؤسسة باجراء تجارب على القنابل الموجهة التي تحملها الصواريخ •
وكان التقرير يحتوي ايضا على معلومات اخرى كانت من الكثرة الى
درجة ان الكثيرين اعتقدوا ان التقرير لا بد ان يكون خدعة دبرها

الامان ، لانه من المستحيل على رجل واحد ان يعرف كل هذه المعلومات التي يتضمنها التقرير . ولكن بمرور الايام بدأت التطورات تظهر في صورة حقيقية تدريجيا ، واصبح من الواضح ان التقرير كان يضم معلومات صحيحة .

حدث هذا في اوائل نوفمبر عام ١٩٣٩ ، وبعد مضي شهر رفع للمسؤولين في بريطانيا اول تقرير بانشاء منظمة للمخابرات العلمية ، وبالرغم من التقارير الكثيرة المتتالية التي كانت تحت على اهمية انشاء هذه المنظمة ، فان القليل منها وجد قبولا لدى السلطات .

كانت هذه التقارير تحت على ضرورة اقامة منظمة مستقلة للمخابرات العلمية ، تعمل بصفة عامة في خدمة الاجهزة المختصة بشؤون الدفاع . وقد كان من الاسباب التي دعت الى تقديم هذا الاقتراح تعدد الجهات التي تهتم بالاسلحة الجديدة ، فالبحرية الانجليزية مثلا كانت تهتم بالقنبلة الموجهة طراز «H.Sr293» لان سفنها كانت هدفا لهذا النوع من القنابل ، وفي نفس الوقت كان سلاح الطيران البريطاني لا يقل اهتماما عن البحرية بهذه القنبلة ، لا لانه كان من واجبه ان يسقط الطائرات التي تحمل مثل هذه القنابل فحسب ، ولكنه ايضا ومن جهة اخرى يمكن الاستفادة من المعلومات الفنية عن هذه القنبلة في تطوير صناعة القنابل في بريطانيا .

وفضلا عن ذلك ، فان تركيز اعمال المخابرات العلمية في جهاز واحد يقلل من عدد العلماء الذين سيعملون في ميادين عدة ، في الوقت الذي كانت تفتقر فيه بريطانيا للعدد الكبير من العلماء ، هذا الى ان المخابرات العلمية تتطلب رئيسا واحدا فقط لادارتها والاشراف عليها .

وادركت بريطانيا ان المخابرات العلمية اليقظة بما تستخدمه مما يستجد من وسائل تطبيق الابحاث العلمية على اساليب الحرب لدى

العدو ، هي بمثابة الحارس الذي يقف على خط دفاعها الاول . ولا يكفي ان يقوم هذا الحارس الامين بالكشف عن الخطر قبل وقوعه ، ولكن ينبغي عليه ان يسبق ناقوس الخطر لينذر بقرب وقوعه في الوقت المناسب ، وليس قبل الاوان ، حتى لا ينتج عنه تبدل اتجاه الخطر بسبب كثرة الرنين ، ولا بعد فوات الاوان ، لانه قد يتعرض بذلك لكارثة مأساوية . كما انه ينبغي على الحارس الا يطلق انذاره الا عندما يسلوح خطر حقيقي لا خطر زائف .

□ الامان يستخدمون موجات الراديو :

في شهر يونيو سنة ١٩٤٠ وصلت للمخابرات البريطانية معلومات يعتمد عليها عن موضوع كان يشغلها ، وهذه المعلومات اوصلتها الى حقيقة هامة ، هي ان الالمان استطاعوا تطوير طريقة تستخدم فيها موجات لاسلكية لالقاء القنابل بصورة آلية ، اي بدون رؤية الهدف بالعين ، وهي الطريقة التي عرفت باسم « القصف الاعمي » Blind Bombing كان الالمان حريصين على اخفاء جهاز الارسال في طائراتهم التي صممت للقيام بعملية القصف الاعمي ، ولكن الانجليز استطاعوا ان ينجحوا في ازاحة الستار عن هذا الجهاز . وكانت اهمية هذا الكشف عظيمة ، ففي ذلك الوقت كانت القوات البريطانية قد اجليت عن دنكرك ، وكان نظام الدفاع الجوي يؤدي مهمته خير اداء في اثناء النهار ، الا انه كان عاجزا عن ادائها في الليل . وكان في استطاعة جميع قاذفات القنابل الالمانية ان تغير على بريطانيا وتسقط جميع قنابلها على المنطقة التي تتقاطع فيها اشعة الراديو التي كانت تمتد حوالي نصف ميل فوق لندن . وفي ليلة ٢١ من يوليو عام ١٩٤٠ قامت طائرات الاستكشاف التابعة لسلاح الطيران

البريطاني ، واستطاعت ان تكشف الاشعة في الوقت والمكان المتوقع •
وكان الانجليز قد بدأوا حتى قبل ان تكتشف الاشعة بصفة نهائية
في تنفيذ بعض الاجراءات المضادة لتجميع هذه الاشعة وتعطيلها ، وكانت
هذه الاجراءات المضادة لتجميع هذه الاشعة وتعطيلها هي بداية حرب
الراديو بينهم وبين الالمان • وعندما بدأ الالمان في استخدام الاشعة بصورة
جدية في الايام الاولى من فترة الغارات الجوية الليلية ، كان الانجليز قد
استطاعوا ابتكار ما يكفي من الوسائل لايجاد اضطراب في خطوط سيرها،
وعلى ذلك سقط عدد كبير من القنابل على مناطق مكشوفة في الريف ،
في حين كانت معدة لاسقاطها على هدف كبير مثل مدينة لندن • وثمة
قصة ظلت تروى اكثر من شهرين خلال تلك الفترة وخلصتها انه لم يكن
هناك من لديه الشجاعة الكافية ليخبر جورنج ان اشعته قد عطلت ، ذلك
لان جورنج كان قد صرح بعد ان فشلت غارته الجوية النهارية على
بريطانيا انه سيتحول الى الهجوم الليلي بواسطة استخدام الاشعة التي
كان يعتقد انه لا يمكن تعطيلها •

وكانت فترة القصف الاعمى من امتع الفترات التي صادفت المخابرات
البريطانية ، الا انها لم تخل من مخاوف • ففي هذه الفترة ادرك
المسؤولون في المخابرات لأول مرة الخطر الذي قد تتعرض له المخابرات من
آراء الاخصائيين والخبراء • فالحقائق المتعلقة بالقصف الاعمى التي
توصلت اليها ، اعطيت في نفس الوقت الى احد العلماء ممن يعملون خارج
نطاق المخابرات ، والذي كان يعد مرجعا معترفا به في شؤون انتشار
موجات الراديو • وصرح هذا العالم ان الحل الذي اوجدته المخابرات
لهذه المشكلة لا بد ان يكون خاطئا ، لانه من المستحيل ايجاد شعاع من
الموجات القصيرة ينشي حول الارض بصورة كافية ويمكن التقاطه في
قاذفة قنابل تحلق فوق لندن ، واقترح هذا العالم حلا آخر كان من
الواضح انه لا يتفق مع ما لدى المخابرات من ادلة ، وكاد يؤدي ذلك

الى الغاء الرحلة الجوية التي قامت بها طائرة الاستكشاف التي أكدت صحة الحل الذي توصلت اليه المخابرات ، ولولا الامر الذي أصدره تشرشل بصفته الشخصية لظل موضوع اشعة الراديو سرا مغلقا .

ولقد ثبت خلال فترة الحرب ان الخبراء الانجليز كثيرا ما كانوا يخطئون في آرائهم المتعلقة بالاسلحة الالمانية الجديدة ، بالرغم من انهم قد اثبتوا مرارا انهم يفوقون زملاءهم الالمان في الميدان الذي تخصصوا فيه ، كما ثبت ان هناك عاملا ادى الى وقوعهم في هذه الاخطاء . ان الشيء الذي لم يستطع احد ان يدركه في ذلك الوقت ، هو ان الخير في موضوع علمي لا يعتبر خير رجل يعهد اليه بتفسير المعلومات التي تصل الى المخابرات من المصادر التي تعمل في خدمتها . فهذا الخبير لا يستطيع ان يقوم باعمال المقارنة والتصنيف ، انما هو في الواقع مصدر من مصادر المعلومات ، فهو ذلك المصدر الذي يتجسس على قوانين الطبيعة الى المدى الذي يؤثر فيه على الاسلحة موضع الدراسة ، فهو اذن مصدر قيم للمعلومات لان قوانين الطبيعة لا تعترف بحدود سياسية ، ولكنه ايضا بشر غير معصوم من الخطأ كما هو الحال في جميع مصادر المعلومات . وعلى ذلك فانه اذا تعارض رأيه مع الصورة التي رسمتها المخابرات من الادلة التي جمعتها من مصادر المعلومات الاخرى ، فينبغي في هذه الحالة اعادة النظر في هذه الادلة ، ولكن اذا ظهر رأيه معقولا بصورة قاطعة في هذه الحالة يجب العودة الى ادلة الخير، وفحصها فحفا دقيقا بنفس الطريقة التي تتبع مع الادلة التي تأتي عن طريق المصادر الاخرى . ولهذا السبب الذي يندر ان يقدره الخير لا ينبغي ان تكون الكلمة الاخيرة في الموضوع من جانبه ، بل ينبغي ان تأتي الكلمة الاخيرة من جانب علماء آخرين لهم دراية واسعة بفن المخابرات .

هذه الحقائق هي التي ينبغي ان تكون الاسس التي يبنى عليها

صرح منظمة للمخابرات العلمية قائمة بذاتها ، وجميع التجارب التي اجريت في فترة الحرب اثبتت انها حقائق سليمة .

والان نعود مرة اخرى الى الغارات الجوية الليلية التي كان يشنها سلاح الطيران الالماني على بريطانيا . لقد اشتبك الانجليز في معركة حامية مع اشعاعات الراديو خلال الشهور الاخيرة من عام ١٩٤٠ بعد ان أدرك الالمان ان القصف الاعمى قد فشل . ويرجع السبب في قيام هذه المعركة الى ان الالمان ابتدعوا طريقة اشعاع جديدة تتميز بدقتها الشديدة ، وتستخدم جهازا اطلق عليه اسم « جهاز اكس » للتعمية ، غير ان الانجليز سرعان ما اكتشفوا طبيعة جهاز اكس هذا والطريقة التي يعمل بها . وكان هذا الجهاز يستعمل بواسطة تشكيل واحد فقط من الطائرات طراز «Kampf Grupp» الذي اعد للقيام بعمليات القصف التي تتطلب دقة واحكاما . ولكن بالرغم من ان الانجليز قد استطاعوا في الوقت المناسب تعطيل الاشعة الجديدة ، فانهم لسوء الحظ وقعوا في خطأ فني كان من نتيجته ان اصبحت عملية تعطيل الاشعة غير فعالة حتى نهاية العام تقريبا . وفي نفس الوقت خصص الالمان بعض الطائرات من طراز K. G. 100 لاسقاط القنابل الحارقة ، وبذلك تحدد الهدف لبقية الطائرات الالمانية المزودة بأجهزة القصف الاعمى . وكانت هذه هي بداية الطريقة التي عرفت باسم كشف الطريق ، والتي اتبعتها قيادة قاذفات القنابل البريطانية فيما بعد . كانت منظمة « كوفتري » هي اول هدف يهاجم بهذه الطريقة الجديدة التي تسببت في احداث دمار كبير ، أمكن للانجليز مقاومتها في شهر يناير عام ١٩٤١ .

وبعد الفشل الذي مني به جهاز اكس حاول الالمان القيام بخدعة اخرى سببت باسم جهاز « واي » « Y Apparatus » ، وفي هذه المرة كان نجاح الانجليز محققا لانهم كانوا على علم به قبل ان يستخدمه الالمان . وهذا يرجع الى حد ما الى توفيقهم للتكهن به ، كما يرجع ايضا الى تقرير

« اوسلو » الذي سبق أن أشرنا اليه . فبينما كانت طريقة اكس تعتمد على اقامة تقاطع من موجات الراديو على منطقة الهدف كانت طريقة « Y » تستعمل موجة او شعاعا واحدا فقط تتبعه قاذفة القنابل في طيرانها .

وكان تقرير اوسلو قد ذكر ان الالمان يقومون باجراء تجارب على مثل هذه الطريقة لتحديد المدى — والعجيب ان التقرير لم ترد به مطلقا اية اشارة عن الاشعة — غير ان المخابرات ادركت ان جهاز « Y » سوف يستخدم هذه الطريقة . وكان هذا التكهّن بمثابة انذار — بما سيفاجأ به الالمان ، كما انه اتاح للانجليز فسحة من الوقت لاعداد الوسيلة لمقاومة الطريقة الجديدة . وفي اول مناسبة قررفها الالمان الاعتماد على جهاز « Y » لتحديد الهدف ، فوجئوا بنجاح الانجليز في افساد هذه الطريقة . ومنذ ذلك الوقت ، وجد الالمان انفسهم مضطرين الى قصر غاراتهم الجوية على أهداف تقع على الساحل ، حيث لا يتطلب الامر استخدام الاشعة ، وبذلك زال الخطر بصفة مؤقتة .

ولقد اوضحت كل هذه الاعمال ما تستطيع المخابرات العلمية ان تقوم به من خدمات على الاقل من أجل سلاح الطيران ، الامر الذي جعل السلطات تسمح للمخابرات بالحصول على بعض العلماء لمعاونتها في العمل .

وعندما انتهت فترة الغارات الجوية الالمانية على بريطانيا ، اصبح في مقدورها ان تعطي مزيدا من الاهتمام لمخابرات الهجوم ، وأعني بذلك الحصول على معلومات تتعلق بوسائل دفاع العدو التي تستفيد منها عند القيام بهجومها عليه .

ولقد اتضح للمخابرات الانجليزية ان مهمتها الجديدة اكثر صعوبة ، ذلك لانه في فترة الغارات الجوية الالمانية كان لديها سيل لا ينقطع من الاسرى ، ومن المعدات والوثائق التي تحصل عليها من حطام الطائرات

التي كانت - عاجلا او آجلا - تهديها الى الطريق الصحيح ، ولكن في مخبرات الهجوم تنعدم أغلب هذه المصادر مما يجعل المهمة شاقة .

وعندما تحول الانجليز الى الهجوم ، كان على مخبراتهم ان تقرر الطريقة التي تستطيع بها ان تحقق اعظم النتائج بجهودها المحدودة .

لقد كانت معظم جهود الانجليز العلمية في ذلك الوقت موجهة الى تطوير الرادار ، اذ كان الدفاع الليلي لديهم يعتمد الى حد كبير على أجهزة الرادار ، وبتزايد الغارات الجوية التي كانت تشن على المانيا كان ثمة احتمال كبير في ان يبادر الالمان الى الاعتماد على الرادار . وفي المحاولات التي قام بها الانجليز للكشف عن أجهزة الرادار الخاصة بالالمان قامت المخبرات البريطانية بشن هجوم أساسي على نظم الدفاع الالمانية .

كانت الوسائل التي لدى المخبرات البريطانية والتي ستستخدمها في هذا الهجوم ضئيلة ، ولذا كان لا بد ان يكون هدفها الاول محدودا ، فوجهت هجومها الرئيسي على سلسلة محطات الرادار التي أقامها الالمان على ساحل المانش ، لان هذه المحطات كانت ضمن مجال طائرات الاستطلاع الفوتوغرافي ، بالإضافة الى انه يمكن بذلك التقاط الاشارات التي ترسلها بواسطة الراديو . وقد نجح هذا الهجوم المزدوج في تحقيق النتيجة المطلوبة في نفس الوقت تقريبا ، اذ استطاعت وحدة الاستطلاع الفوتوغرافي ان تحصل على صورة جانبية من موقع قريب لاول نوع من محطات الرادار الالمانية ، في نفس الوقت تقريبا الذي استمع فيه أحد الضباط لاول مرة الى الاشارات التي ترسلها ، وكان ذلك في شهر فبراير عام ١٩٤١ . وبعد النجاح في الكشف عن اول محطة كان من اليسير على الانجليز ان يكتشفوا محطات مشابهة ، وبمرور الاعوام استطاعوا تدريجيا جمع المعلومات التفصيلية عن سلسلة محطات الرادار

• الساحلية

وبالطبع لم تكن هذه السلسلة هي الحزام الرئيسي لوسائل دفاع
الامان الليلية ، وكان على الانجليز ان يواصلوا عمليات الكشف ، ولكن
اختراق وسائل دفاع الالمان أصبح عملية يسيرة للغاية بعد المعلومات
التي تجمعت لديهم عن صفات نوع واحد على الاقل من اجهزة الرادار
الالمانية . وكان في استطاعتهم حينئذ وضع خطة لهجوم اوسع نطاقا ،
كما كان في استطاعتهم الاستماع الى المحادثات التي تجري بين طياري
المقاتلات الالمانية بواسطة التليفون اللاسلكي ، وكانت هذه المقاتلات
قد بدأت في ذلك الوقت في الظهور بطريقة تشكل خطرا كبيرا . وكان
وكان في استطاعتهم تحليل هذه المحادثات بالرغم من انها كانت بالطبع
تستخدم الشفرة . وتمكنت المخابرات البريطانية بعد حل هذه الشفرة
من ان تستنتج منها كل ما يتعلق بالوسائل التي كان الالمان يستخدمونها
للمراقبة ، كما كان في مقدورها ايضا ان تركز اهتمامها على محطات
الارسال الالمانية ، وبذلك استطاعت ان تكتشف مواقع المناطق التي
توجد بها الطائرات للمقاتلة الليلية . ولما كان عدد كبير من محطات
الارسال يقع في الاراضي التي احتلها الالمان ، فقد كلفت المخابرات
البريطانية عملاءها في هذه المناطق بالبحث عن محطات رادار تشبه تلك
التي اقاموها على الساحل ، وكان في مقدورها بعد دراسة المعلومات
الضئيلة التي كانت تصلها عن طريق هؤلاء العملاء ، ان ترسل احدى
طائرات الاستطلاع الفوتوغرافي للحصول على صور لهذه المحطات ،
وطائرة اخرى خاصة لالتقاط اشارات الرادار التي ترسلها - خلاصة
القول ان الانجليز تمكنوا من تجميع كل المصادر التي في متناولهم للقيام
بهجوم واحد كبير . وغالبا ما كانت توحى الاسلحة الجديدة للانجليز
بمصادر جديدة ، فالرادار مثلا هو الذي اوحى لهم بطائرة الاستكشاف
المزودة بأجهزة الاستماع التي سرعان ما تطورت واصبحت احد مصادر

المعلومات الذي تستخدمه بصورة منتظمة .

□ غارة برونيغال :

وقد يكون من ايسر الاشياء على المرء ان يروي قصصا تدور حول الهجوم الذي شنته المخابرات الانجليزية على وسائل الدفاع الليلية التي ابتدعها الالمان ، غير ان المجال لا يسمح الا بسرد قليل منها . ومن هذا القليل غارة برونيغال ، لقد كانت تلك الغارة طعنة من الطعنات التي وصفها الالمان انفسهم فيما بعد بانها طعنة الاستطلاع الفني العنيف ، وكانت تعتمد على صورة فوتوغرافية ، ولكن وراء هذه الصورة كانت القصة التالية :

بعد مطاردة امتدت من البحر الاسود الى المانش ، عشر احد افراد المخابرات الانجليزية على بقعة ظهرت في احدى الصور الفوتوغرافية ، وكانت البقعة من الصغر بحيث جعلت المختصين في المخابرات يفحصون عدة صور اخرى ، للتحقق من ان هذه البقعة ليست بقعة من الغبار ، ولقد عثر على هذه البقعة بواسطة عملية من عمليات الاستنتاج ، ذلك ان الانجليز كانوا يعلمون ان الالمان لديهم نوع من اجهزة الرادار عرف باسم « جهاز فورزبورج » Wurzburg Apparatus ، وكانت الشكوك تساورهم في ان يقوم الالمان باستخدام هذا الجهاز بشكل ما للتحكم في الطائرات المقاتلة الليلية . وتكهنت المخابرات الانجليزية بأن هذا الجهاز لا بد ان يكون صغيرا جدا لدرجة يصعب العثور عليه بدون مساعدة خارجية تأتي عن طريق الصور الجوية ، ولكن كان من حسن طالع الانجليز ان قام الالمان بوضع هذا الجهاز الى جانب بعض الاجهزة الكبيرة التي كانت قد اكتشفت من قبل . وعلى ذلك قام الانجليز بفحص جميع الصور التي التقطت للجهاز الكبير ، بأمل العثور على بقعة او بقع من هذا النوع . واخيرا عثروا على بقعة قريبة من برونيغال وكان عليهم بعد

ذلك. ان يلتقطوا صورة لها • ولكن قبل ان تتاح للمخابرات الانجليزية الوقت لتقديم طلب رسمي لالتقاط هذه الصور ساورت الشكوك « توني هيل » قائد السرب الذي يعمل على طائرات التصوير الجوي • وعلى الفور استقل طائرته بصفة غير رسمية ليلقي نظرة على الجهاز • وعاد يحمل انباء مثيرة بان الجهاز يشبه وعاء عميقا كبيرا « سلطانية » وهو الشيء الذي توقعته المخابرات الانجليزية ، وكان الطيار يشعر بالخيبة لان آلة التصوير في طائرته قد تعطلت عن العمل • وفي اليوم التالي كان « توني » على وشك الصعود بطائرته مرة اخرى بصفة غير رسمية ايضا عندما صدرت الاوامر بوقفه عن الطيران ، لان ثلاث طائرات من سرب آخر كانت قد صدرت اليها اوامر رسمية لالتقاط صور لنفس المنطقة في نفس الوقت • غير ان « توني » رفض اطاعة الامر الذي صدر بمنعه من الطيران ، واتجه بطائرته الى الهدف ، وعاد يحمل الصور المطلوبة ، وهذه الصور هي التي قادت الانجليز مباشرة للاغارة على برونيغال •

وقام « توني هيل » فيما بعد بالتقاط صور لخطر الزوايا لمحطات الرادار ، ولا شك في ان الانجليز كانوا مدينين له بالشيء الكثير لبرايعته وشجاعته •

والى جانب « توني هيل » كان ثمة عدد كبير غيره من مهرة الطيارين عملوا بوحدة الاستطلاع الفوتوغرافي ، وقاموا بأعمال مجيدة • ويمكن في هذا المجال ان تقارن بين أعمال وحدة الاستطلاع الفوتوغرافي في كل من المانيا وبريطانيا • فالامان لم يحصلوا على صورة استطلاعية واحدة للندن التي تبعد ٥٠ ميلا فقط من خط الساحل في الفترة ما بين ١٠ من يناير سنة ١٩٤١ الى ١٠ من سبتمبر سنة ١٩٤٤ ، في حين تمكن الانجليز من الحصول بصفة مستمرة على صور لا من برلين فحسب ، ولكن من بولنسده ومن « بروستر اورت » بالقرب من

كوينجسبرج ، حيث كان الالمان يظنون انهم في مأمن للتدريب على قتابل الطائرات •

ونجاح الغارة التي قام بها الانجليز على برونيغال كان يعتمد في النهاية على الرقيب س. و. ه. كوكس ، الذي كان يعمل ميكانيكي راديو في سلاح الطيران الانجليزي ، ولم يسبق له مطلقا مغادرة انجلترا لا برا ولا جوا ، الا انه تطوع للقيام بهذه العملية الخطيرة • وبعد فترة قصيرة من التدريب ، اسقطته احدى الطائرات بالمظلة على برونيغال • والواقع ان ما أبداه هذا الرقيب من مهارة وبرود في عملية تجريد جهاز فورزبرج الذي لم يره قط من قبل تحت جناح الليل وتحت وابل من النيران ، هو الذي جعل من الغارة على برونيغال عملا ناجحا مرموقا بالرغم من ان الفيلم السينمائي الذي عرض باسم « مدرسة الاسرار » كان يوحي موضوعه بأن النصر الذي احرزته بريطانيا في برونيغال ، يرجع الى العلماء المدنيين • صحيح ان عالما مدنيا اشترك في الغارة مع الجانب البحري منها ، وأبدى عدد كبير آخر رغبته في التطوع ، ولكن ليس ثمة شك في أن الرقيب كوكس الجندي المجهول كان له الفضل الاكبر في هذه العملية •

□ العملاء السريون :

بالرغم من ان الغارة على برونيغال كانت عملا مجيدا ، فان الاعمال التي قام بها بعض العملاء السريين ، وخاصة البلجيكيين ، كانت لا تقل عنها فاعلية • ومع انهم كانوا عرضة لنيران رجال الحرس الالماني ، كما كانوا عاجزين عن معرفة ما اذا كانت المعلومات التي يرسلونها تصل بانتظام ، وما اذا كانت مفيدة او غير مفيدة ، فانهم لم يتوقفوا عن

ارسالها بكميات هائلة . ومن جميع قصص هؤلاء العملاء يمكننا ان نختار قصة واحدة ، هي قصة العميل الذي طلبت منه المخابرات الانجليزية ان يزودها ببعض المعلومات عن الانوار الكاشفة الالمانية ، فبدلا من تحمل مشقة الذهاب الى الريف ، حيث يمكنه ان يكتشف مواقعها ، آثر ان يقتحم الكوخ الذي يقيم فيه الضابط الالماني المكلف بقيادة وحدة الانوار الكاشفة التي وضعت في اماكن متفرقة من بلجيكا ، وحصل على خريطة توضح مواقع الانوار الكاشفة ومحطات الرادار التي تقع تحت قيادته . كانت هذه الخريطة عوننا هائلا للمخابرات البريطانية ، فقد زودتها في الواقع بدليل حيوي ، ازال كثيرا من الغموض الذي يكتنف الصورة التي رسمتها المخابرات لسلاح الانوار الكاشفة .

وثمة قصة أخرى . ففي نهاية سنة ١٩٤٢ تقريبا اصبح واضحا أن الالمان قد قرروا اخيرا تزويد عدد كبير من معتقلاتهم الليلية بأجهزة الرادار ، وكان ثمة نقطة او نقطتان تتعلقان بالارسال الفعلي لهذه الاجهزة في حاجة الى التأكد من صحتها . وعلى ذلك كلفت احدى طائرات الاستكشاف التابعة للسلاح الجوي الانجليزي ، بتتبع موجات هذا الجهاز امام احدى المقاتلات الليلية الالمانية ، لترى ما اذا كان في الامكان الاستماع اليها . ونجحت الطائرة في اداء مهمتها بالرغم من تعرضها احدى عشرة مرة لهجوم شنته عليها احدى الطائرات المقاتلة الالمانية ، وبالرغم من اصابة جميع أفراد طاقمها تقريبا ، وكذا اصابة الضابط « جوردون » الذي كان يعمل على جهاز الاستقبال بشظية مدفع في رأسه ، الا انه واصل الاستماع وواصل تحذير قائد طائرته من اقتراب الطائرة المقاتلة الالمانية . واخيرا استطاعت الطائرة الانجليزية أن تعود الى الوطن ، غير أن قائدها اضطر الى اسقاط الجرحى بالمظلات فوق كانتربري ومعهم المعلومات الحيوية التي استطاعوا الحصول عليها ، ثم عاد بطائرته الى الساحل مرة أخرى وهبط في البحر ، ذلك لان الطائرة كانت في حالة

سيئة جدا لا تمكنها من الهبوط على البر ولكن امكن انقاذ الجميع •
هذه نماذج قليلة من قصص كثيرة حدثت خلال فترة الهجوم الذي
شنته المخابرات الانجليزية على الالمان ، والذي انتهى في اواخر عام
١٩٤٢ ، بالحصول على كافة المعلومات عن نظم الدفاع الالمانية الموجودة
في ذلك الوقت •

□ الصاروخ البعيد المدى :

غير ان مشكلة الدفاع الليلي بالنسبة للانجليز عادت الى الظهور
مرة اخرى بمجرد ان لاح تهديد جديد • هذا التهديد كان يتمثل في
الصاروخ البعيد المدى • وربما كانت القصة التي تكمن وراء هذا
الصاروخ قصة عادية ، او يصح ان تحل هذه المشكلة عن طريق تطبيق
الوسائل الانجليزية المعروفة في الهجوم ، تلك التي اصبحت في ذلك
الوقت على درجة كبيرة من الكفاءة ، ولكن لسوء حظ الانجليز تسبب
قسم من اقسام المخابرات الانجليزية - بالرغم من انه فسر التقارير
الاولى التي تسلمتها المخابرات بانها تشير الى صاروخ بعيد المدى ،
وبالرغم من انه كان موقفا في هذا التفسير - في وقوع اضطراب لا نهاية
له لانه دق ناقوس الانذار قبل الاوان • ولقد ادى ذلك الى بث الرعب
في النفوس ، واشاع الاعتقاد في شهر مايو عام ١٩٤٣ ان لندن ستعرض
بعد بضعة اسابيع الى هجوم بواسطة صواريخ تزن ٨٠ طنا ومزودة
برؤوس تزن عشرة اطنان • وكانت منظمة المخابرات العلمية قد حصلت
على نفس المعلومات ولكنها لم تحاول ان تدق ناقوس الانذار مطلقا ،
واكتفت ببلاغ بعض كبار الضباط بانها تتابع الصاروخ الذي يجري
عليه الالمان تجارب في مدينة ينيغوند لان ما لديها من معلومات عنه لم

تكن كافية ، ومن المؤكد ايضا انه لم يكن لدى احدا اية معلومات تكفي لاتخاذ اي تدابير مضادة في هذا الشأن . والشيء الذي أوصت به منظمة المخابرات العلمية هو عدم اثارة الذعر والهلع بل طالبت بالسعي للحصول على معلومات وحقائق جديدة ، اذ ان السعي وراء المعلومات الجديدة هو العقيدة التي ينبغي ان يؤمن بها ضابط المخابرات .

ومرة اخرى وضعت خطة للهجوم ، وعن طريق محاولة طويلة استطاعت المخابرات الانجليزية ان تصل الى أعماق الاسرار الخاصة بالسلاح الالماني الجديد ، وكان هناك شك في استطاعتها القيام بمثل هذه المحاولة بدون الخبرة التي تجمعت لديها من الهجوم الذي وجهته ضد اشعاعات الراديو وضد وسائل الدفاع الليلية . وهذه المحاولة بالذات تثبت اكثر من أي شيء آخر حدث في اثناء الحرب قيمة الخبرة في أعمال المخابرات .

ولكن المحاولات المستمرة كانت تحتاج الى وقت طويل لتصيب الهدف ، ولذلك كان على الانجليز في نفس الوقت الاستمرار في العمل بواسطة الوسائل المباشرة ، وعلى ذلك التقطت صور لينييموند من الجو ، وأوعز للعملاء السريين بالانضمام الى جيش العمال الاجانب الذين كانوا يعملون هناك . وظهر في احدى الصور شكل لا يدع مجالا للشك في انه صاروخ كبير ، وكان ذلك كافيا لتأكيد صحة المعلومات التي كانت لدى المخابرات الانجليزية ، ولكن طالما كان بعض خبرائهم حتى الان يعتقد ان مثل هذا الصاروخ الكبير شيء يتعذر انتاجه ، فقد جادلوا بأنه خدعة أراد بها الالمان ان يصرفوا انتباه الانجليز عما لديهم من تطورات أكثر اهمية . ولكن اذا كانت مسألة الصاروخ خدعة حقا فقد كان من الواجب على الانجليز الاغارة على بينيموند ، ولكن الالمان لم يحاولوا قط اغراءهم بالقيام بمثل هذا العمل ، وهذا

يثبت ان بينيموند هي محطة حقيقية تجري فيها تجارب جدية • وقد أكد هذه المعلومات دليل كان يبدو عديم الاهمية حصلت عليه المخابرات من مصادر تبعد كل البعد عن عملاتها •

هذا الدليل جاء على شكل نشرة صادرة الى جميع محطات التجارب التابعة لسلح الطيران الالماني وعليها توقيع كاتب صغير في وزارة الطيران الالمانية ، وتتضمن تعليمات بشأن طلب كوبونات البترول، وكانت النشرة تتضمن ايضا قائمة بأسماء وعناوين كل محطات التجارب كتبت حسب ترتيب أهميتها ، وكان اسم محطة بينيموند مكتوبا فوق اسم بعض المحطات الاخرى التي كان الانجليز متأكدين من أهميتها • وفي الواقع كان الكاتب الصغير الذي لم يدر بخلده ان نشرته الصغيرة سوف تقع في ايدي الانجليز شاهدا - دون ان يدرك ذلك - على أهمية محطة التجارب في بينيموند ووضعت هذه النشرة نهاية للقصة ، فقد اوضحت ان بينيموند هي محطة تجارب حقيقية •

□ قصف بينيموند بالقنابل :

وبعد المعلومات التي تجمعت لدى الانجليز قامت قيادة القاذفات بالاغارة على بينيموند في ليلة ١٧ من اغسطس عام ١٩٤٣ •

ومن كتاب السيد آرثر هاريس قائد الاساطيل الجوية الذي صدر بعنوان « هجوم قاذفات القنابل » يتضح ان جدلا اثير حول نتائج هذه الغارة ، وبالرغم من ذلك فانه يمكننا ان نستخلص بعض الحقائق عنها • قتل في هذه الغارة كبير مصممي النفاثات ، واحرقت جميع الرسوم الخاصة بانتاج الصاروخ الكبير ، في الوقت الذي اعدت فيه لنقلها الى المصانع ، وقرر الالمان الذين اقلقهم الدمار الذي احدثه الانجليز

بمصنع التجارب في بينيموند وكذا الدمار الذي حل « بفرد ريشهافن »
Friedrichshafen التي قصفت هي الأخرى بالقنابل بناء على نصيحة
الانجليز ، ان يقيموا مصنع انتاج الصواريخ تحت الارض ، وان ينقلوا
الاعمال الخاصة بالتجارب الى بولنده . كانت هذه الاجراءات تعني
تأجيل انتاج الصاروخ عدة شهور ، لولا هذه الاجراءات لظهر الصاروخ
قبل القنبلة الطائرة بوقت كاف طويل ، ولولا هذه الاجراءات ايضا
لتعرضت بريطانيا الى هجوم أطول في مدى اقصر - اذ كان من المفروض
ان تطلق الصواريخ من فرنسا - ، ولتعرضت وسائل الدفاع الانجليزية
ايضا الى نوعين من الهجوم في نفس الوقت : هجوم بالصواريخ وهجوم
بالقنابل الطائرة .

وعلى ذلك فليس ثمة ادنى شك في ان الغارة على بينيموند كانت
عملا عظيما حقق النتائج المرجوة .

□ القنبلة الطائرة :

بينما كانت المخابرات الانجليزية تتقصى الحقائق عن تطور
الصواريخ البعيدة المدى ، اكتشفت ان القنبلة الطائرة كانت هي الأخرى
تحت الاختبار في بينيموند ، وان مشروع القنبلة الطائرة بالرغم من انه
كان من أحدث المشروعات ، فان العمل في انتاجها كان قد احرز تقدما
كبيرا وسريعا أيضا . وقد استطاع الانجليز ان يحصلوا على جميع
التفاصيل الخاصة بالطريقة التي تؤدي بها عملها وذلك قبل حلول عيد
الميلاد في سنة ١٩٤٣ ، كما استطاع سلاح قاذفات القنابل ان يتخذ جميع
الاجراءات الضرورية لتجريد مواقع اطلاقها من كل فاعليتها . وقد نجح
لدى الانجليز ما يكفي من التفاصيل لتصميم وسائل دفاع مضادة

للمقاتلات والطائرات المغيرة الاخرى ، لا سيما بعد ان زودهم الامريكيون ببعض افكار الخاصة بصناعة اجهزة جديدة للانذار باقتراب الطائرات المفسيرة .

□ غزو نورماندي :

وقبل ان يستخدم الالمان القنبلة الطائرة في عملياتهم العسكرية ، كان على الانجليز ان يقوموا بأعمال كثيرة في سبيل النزول الى اوروبا ، او بمعنى آخر اعادة فتح الجهة الاولى . وكان الاجراء الذي يتوقع ان يتخذه انجليز هو اصطياد جميع محطات الرادار الالمانية ، لايمانهم بضرورة تعطيل هذه المحطات عن اداء وظيفتها ، لكي تضمن نجاح عملية هبوط قواتهم على سواحل اوروبا . كانت عملية تحديد مواقع محطات الرادار الالمانية احدى مهام المخابرات الانجليزية ، ولذلك استطاعت ان تكشف خلال فترة الحرب حوالي ٧٤٥ محطة منتشرة في جميع بقاع أوروبا التي احتلها الالمان . وكان هناك ما بين دنكرك ، جورنسي Guernsey وهي المنطقة التي سيبدأ منها الغزو حوالي ١٢٠ قطعة من المعدات الكبرى استطاع الانجليز تحديدها جميعا .

ويبدو ان الهيئة المكلفة بوضع خطط الغزو لا تشارك المخابرات في ايمانها بضرورة تعطيل هذه المحطات عن العمل الا قبل اليوم المحدد للغزو بفترة قصيرة . ولكن لحسن حظ الانجليز عندما صدر في النهاية القرار الخاص بشن الهجوم على هذه المحطات كانت المخابرات قد اعدت كل شيء . ولو انها انتظرت حتى تصدر هيئة العمليات تعليماتها لما استطاعت ان تعد كل شيء في الوقت المناسب . هذه حالة من الحالات التي ينبغي فيها على المخابرات ان تتوقع وان تحس سلفا باحتياج العمليات الحربية .

وبالرغم من العجلة التي تمت بها العملية فإن نجاحها كان فائقا ، وكان هذا النجاح يرجع بصفة خاصة الى المهارة وشجاعة أفراد قطاعي ٢٠ ، ٢٢ من قوات العاصفة ، وهؤلاء كانت قدرتهم على اصابة مثل هذه الاهداف الصغيرة تدعو الى الاعجاب . وعندما بدأ الغزو لم يستطع سوى ١٠٪ فقط من مجموع محطات الرادار الالمانية من ان يؤدي عمله ، وهذا العدد الضئيل كان في حالة يرثى لها الى حد انه سقط بسهولة في ايدي الانجليز ، ولقد تعدوا ذلك حتى يعتقد الالمان ان عملية النزول ستم الى الشرق من نهر السين .

وبعد سبعة ايام من بدء غزو الحلفاء لاوروبا ، بدأ الالمان هجومهم بالقنابل الطائرة ، وهو الهجوم الذي تأخر عن مواعده وضعفت حدته . ومرة اخرى استطاعت المخابرات الانجليزية لدرايتها بطبيعة السلاح ان تعرف المكان الذي يصنع فيه ومنطقة التخزين . وهذا الكشف ادى الى كشف مصانع فولكس فاجن في فالرسلين التي دمرتها قاذفات القنابل التابعة لسلاح الطيران الامريكي ، كما انه ادى ايضا الى كشف مستودعات التموين الرئيسية لهذا السلاح في فرنسا ، وهذه المستودعات كانت عبارة عن كهوف يقع معظمها في وادي اويس «Oise» وقام سلاح القاذفات بالاغارة عليها ، واستطاع الامريكيون في غارة واحدة فقط ان يدفنوا عددا لا يعرض من القنابل الطائرة يقدر بحوالي ٢٩٨ قنبلة .

وجاء الصاروخ في اعقاب القنبلة الطائرة في شهر سبتمبر عام ١٩٤٤ ، بعد ان قام الحلفاء بتغيير الطريقة التي يعمل بها تقريبا كاملا . وفي تقييمهم له لم يتعدوا كثيرا عن الواقع في جميع النقاط الفنية والتكتيكية والاستراتيجية . وقد تعارضت تقديرات خبراء الصواريخ مع تقديرات المخابرات ، اذ قدر خبراء الصواريخ مجموع وزن الصاروخ بثمانين طنا ، وقدروا وزن رأسه بعشرة اطنان ، في حين توقعت المخابرات أن يكون وزنه الاجمالي ١٢ طنا ورأسه طنا واحدا . وفي ذلك الوقت لم

يصدق المسؤولون تقدير المخبرات ، ولكن الاحداث سرعان ما أثبتت صحة تقديرها ، وهذه الحقيقة هي احدى الحقائق التي تعطي صورة واضحة القنبلة . والاجابة بالنفي أمر من اصعب الامور التي تواجه المرء في اثناء اذا كان هو او من ينتقدونه على صواب .

□ القنبلة الذرية :

كانت القنبلة الذرية احدى المشكلات الهامة التي واجهتها المخبرات . وفي هذه المشكلة كان على الحلفاء ان ينفوا وجود مثل هذه القنبلة . والاجابة بالنفي أمر من اصعب الامور التي تواجه المرء في اثناء عمله في المخبرات ، وذلك لانه ينبغي القيام ببحث دقيق للغاية قبل ان يكون في امكان اي احد ان يقرر في ثقة ان العدو لا يفعل شيئا . صحيح ان الحلفاء اكتشفوا في وقت مبكر ان الالمان يقومون بفعل شيء ما ، وهذا الاكتشاف جعلهم يغيرون على الإنروج و يدمرون مصنع انتاج « الماء الثقيل » ، وتدمير هذا المصنع - كما قال أحد الخبراء الالمان فيما بعد - منعهم في الواقع من القيام بالتجربة الحيوية ، التي كان يصح ان تقنعهم بامكان صناعة القنبلة الذرية . والذي حدث هو أنهم قرروا أن القنبلة شيء لا يمكن عمله ، وعلى ذلك تخلوا عنها في النهاية .

وكانت قضية جواسيس الذرة هي قضية تسليم علماء انجليز ثلاثة عينات من الاورانيوم مع معلومات عن طرق شطر الذرة الى العملاء السوفيت ، وهي تعطي مثلاً واضحاً في جمع المعلومات السرية العلمية .

أول العلماء : آلان نان ماي الذي سلم للعملاء السوفيت أنبوبة صغيرة فيها عينة من الاورانيوم مع بعض المعلومات عن الطاقة وعن

انشطار الذرة ، وقد اتصل بالعملاء السوفييت في كندا ثم في لندن بعد عودته اليها على أثر انتهاء مهمته في امريكا .

وثانيهم : كلوز فوخس وكان يسلم للسوفييت تقارير كاملة ، هي صورة بالكربون من ابحاثه التي يجربها ولا سيما عن كمية اليورانيوم ٢٣٥ اللازم لنجاح الانفجار .

وثالثهم : برونو بنتكروفو وهو أصلا ايطالي الجنسية منح الجنسية البريطانية وكان خيرا في الاشعة الكونية فضلا عن درايته باستخدام وسائل الراديو في بحوث اليورانيوم والزيوت .

وكان برونو بنتكروفو هو الوحيد الذي استطاع الفرار الى الاتحاد السوفييتي ، اما الاولان فقد قبض عليهما وحوكما ، وقد رحل « نان ماي » الى غانا في غرب افريقيا بعد اطلاق سراحه ، اما فوخس فقد رحل الى الاتحاد السوفييتي . وفي الوقت الذي كان فيه آلان نان ماي يمد السوفييت بمعلومات هامة عن الذرة ، كما كان يمدّها بعينات من مختلف انواع الاورانيوم ، نجح « جوليوس روزنبرج » في الخروج بجهاز اليكتروني من المصنع داخل الحقبة التي يحمل فيها طعامه ، وسلم الجهاز لاحد عملاء الخدمة السرية السوفيتية .

وفي الولايات المتحدة نجحت شبكة « اناتولي ياكوفليف » نائب القنصل السوفييتي بنيويورك مستخدمة « هاري جولد » كحامل للمعلومات في ارسال المعلومات الفنية التي قدمها الدكتور كلاوس فوخس ، كما قدمت رسوما للمفرقات التي تستخدم في القنبلة الذرية مع تقرير من اثنتي عشرة صفحة كتبته على الآلة الكاتبة « ايثيل روزنبرج » . ويستند التقرير الى المعلومات التي حصل عليها جوليوس روزنبرج من مناقشاته مع المهندس « دافيد جرينجلاس » .

وفي كندا قدم « دافيد لوانان » المعلومات التي حصل عليها من

« درنفورد سميث » Durnford Smith وكانت تعد أهم معلومات سرية في الطبيعة النووية ، وهي عن المادة المشعة التي توجد الطاقة ، وقد استلزم هذا أن تطلب موسكو تزويدها بعينات من الأورانيوم ٢٣٥ فقدمها طواعية واختيارا الدكتور « آلان نان ماي » وارسلت العينة لموسكو مع الملازم موتينوف •

وهكذا في بداية ربيع سنة ١٩٤٥ كان الاتحاد السوفيتي في الحقيقة يعرف عن القنبلة الذرية أكثر مما تعرفه غالبية دول العالم الغربي ، ولكن الأهم من هذا انه كان يستطيع معرفة اي شيء بسبب وجود رجاله وسط معامل الأبحاث والتطورات الذرية •

ومن المسلم به أن قوات مكافحة الجاسوسية في العالم الغربي لم تكن تعرف شيئا من هذا كله ، ولم تكن تحذر قط أن هذه الشبكات من الجواسيس قد زود موسكو بكل هذه المعلومات السرية ، ولولا هروب « ايجور جوزنكو » من السفارة السوفيتية بكندا ، والتجاؤه الى السلطات الكندية لكانت هذه الهيئات المختصة بمكافحة الجاسوسية لا تزال غافلة عن هذه الحقائق الخطيرة •

والواقع أننا نجد في قضية جواسيس الذرة مسألتين لهما أهمية خاصة :

الاولى - قيام بعض علماء الذرة في بريطانيا وأمريكا بتسليم اسرارها الى السوفييت •

الثانية - ارتداد جوزنكو كاتب السفارة السوفيتية باوتاوه عاصمة كندا عن الشيوعية وتسليم وثائق من مكتب الملحق العسكري السوفيتي بسفارتها في كندا تحمل الادلة على العلماء الخونة وتكشف عن الشبكة التي تضم جواسيس الذرة في نصف العالم الغربي •

والملاحظات الرئيسية بالنسبة للمسألة الاولى أن العوامل الدافعة الى الخيانة يمكن ان تجمل فيما يلي :

١ - الاعتقاد بان هذا لصالح البشرية بأجمعها ، ولم يكن العلماء سياسيين ذوي خبرة بأمور العالم ، ثم انهم لم يزوروا الاتحاد السوفيتي ليحكموا على الشيوعية حكما صحيحا .

٢ - سقم تفكيرهم لمؤثرات لحقت بهم من سن المراهقة والشباب ، أي في السن التي تتأرجح فيها الاتجاهات بين الافكار والاحلام ، مع عدم توافر التوجيه الصحيح والقيادة الحازمة في المجتمعات التي عاشوا فيها .

٣ - عدم توافر الوعي القومي والشعور بالمسئولية .

٤ - الانحراف لسبب او لآخر .

□ **التحليل :**

كلما كانت الطرق الفنية للاكتشاف ناجحة ، فان ذلك يساعد ضابط المخابرات العلمية كثيرا في تحليله . ومع ذلك ، فان الاكتشاف الفني غالبا ما يكون دون درجة الكمال في نقله للمعلومات . فمثلا يتعرض تحليل غبار النشاط الاشعاعي لخطأ كبير في حساب موقع التفجير النووي بالدقة . وفي معظم هذه الحالات فان ضابط المخابرات العلمية يقع تحت الالتباس الذي لن تحله الوسائل التجريبية والمعملية الطبيعية ، فهو يرتكز في تحليله على التقارير الملحقة واكتشافات المندوبين واعلانات الدعاية وغيرها من المصادر . وهو يقيم المعلومات التي يستلمها بتمشيها مع الحقائق الاخرى المعروفة . وتقوم نتائجها على أساس الاحتمالات

البعيدة ، لا على أساس الاحتمالات التي يمكن قياسها او تقديرها ، والتي تناولها في دراسته الاكاديمية .

وهكذا يجد ضابط المخابرات العلمية نفسه — مع انه يعتمد كثيرا على تدريبه الدراسي في العلوم الطبيعية — يباشر عمله بطريقة الباحث في العلوم الاجتماعية . وليس في الواقع ثمة بديل لهذا الاسلوب حينما يتعلق الموضوع المطلوب بحثه بالناس والنظم . فمثلا في مناهج كليات الهندسة والعلوم ، والخريجين سنويا من المدارس الفنية ، واقتقال الفنيين في شئون الصواريخ الى أماكن اخرى — كل هذه موضوعات يعالجها ضابط المخابرات العلمية بوسائل مألوفة لتحليل المخابرات .

وتحتم سرعة التقدم التكنولوجي بالضرورة اهتماما اكثر بالمخابرات العلمية في هذا القرن . اذ ان التسابق السريع في هذا المضمار بين الدول وبخاصة بين قطبي المعسكرين يعطي اهمية حيوية للمخابرات العلمية . ويعتمد أمن الدولة ضد مفاجأة التهديدات التكنولوجية الجديدة على قدرة المخابرات العلمية وكفاءتها في اثبات الحقائق والتأكد منها .

□ الافراد :

وضابط المخابرات العلمية بطبيعة الحال رجل له دراية بالعلوم . ولا داعي لمواهبه ان تؤدي دورا خلاقا في المعرفة العلمية ، ولكنسه يجب ان يكون قادرا على تقييم اهمية هذا الدور بالنسبة للامن القومي . وقد يستطيع في حالات كثيرة ان يطلب الخدمات الاستشارية من الخبراء البارزين ، وعليه ان يتحدث بلغتهم . الا انه من جهة اخرى ، عليه ان يتحاشى استعمال اللغة الفنية — قدر المستطاع — حينما يعرض نتائج عمله على مخططي السياسة والمسؤولين عنها . فحاجته الى هذه الموهبة

لتقليل لغة الاصطلاحات إلى الحد الأدنى ، تفوق حاجة المحلل السياسي أو ضابط المخابرات السياسية أو الحربية ، الذي يتحدث إلى مخططي انسياسة أو القادة بنفس لغتهم . وأحيانا يكون الحل العلمي لمشكلة اللغة هو إلحاق تقرير فني مفصل بتقرير مخابرات قصير لمخططي السياسة .

وبالرغم من أن طلب الخدمات الاستشارية من الخبراء له مزايا واضحة ، فإن ضابط المخابرات العلمية يجد من المبررات ما يدفعه إلى أن يضع ثقته الكبرى في نتائجه . وقد يرجع إخفاق الخبراء المهني — مع أنهم غالبا ما يكونون على حق — إلى عدم اللجوء في مناهج أبحاثهم لتقييم الامكانيات في الدول الأجنبية — فالخبراء البريطانيون مثلا في الحرب العالمية الثانية الذين كانت خترتهم بالصواريخ المعدة للاستخدام تقتصر على الأنواع التي تحترق دون دخان في غلاف من الصلب ، نظروا إلى الصور الخاصة بصاروخ الماني في « بينيموند » وقدروا الوزن بثمانين طنا . أما المخابرات البريطانية — من ناحية أخرى — التي تعتمد جزئيا على تقارير المندوبين والأسرى والتي تبين أن وسائل الأوكسيجين هو أحد أنواع الوقود ، جاءت بالتقدير أكثر دقة وهو أن وزن الصاروخ ١٢ طنا .

□ مجال المخابرات العلمية :

المخابرات العلمية هي نسيا أحسدى الخواص الجديدة التي أضيفت إلى أعمال المخابرات في جميع أنحاء العالم . ومجالها يتركز في ميدان التطورات العلمية في البلاد المختلفة التي تعتبر هدفا من أهداف الاهتمام بالنسبة لمسؤوليات المخابرات . وبالرغم من أن تركيز الاهتمام

بالمخبرات العلمية يرجع الى عهد قريب نسبيا ، فان اهميتها تأخذ في
الازدياد يوما بعد يوم . وجمع المعلومات في هذا الميدان يجمع بين
عمليات المخبرات المكشوفة التي هي نتيجة تحاليل في غاية الدقة ، وبين
البيانات التي يمكن الحصول عليها نتيجة لاعمال التجسس .

ويهتم المتخصصون في المخبرات العلمية بالحصول على تفاصيل
تطورات العلوم الجديدة التي تهتم بلادهم او التي يمكن لها أن تفيد منها .
وعلى العموم يمكن ان تحدد الاقسام الرئيسية ذات الاولوية من
اهتمام المخبرات العلمية في ثلاثة مجالات : -

١ - مجال المعلومات الذرية والنووية .

٢ - مجال الجديد في العلوم الطبيعية (الفيزيائية) .

٣ - مجال التطورات الجديدة في العلوم البيولوجية .

ولقد اصبح العلم اكبر عضد للمخبرات ، اذ يوفر لها الوسيلة التي
تستطيع بها ان تجمع المعلومات . ان الطبيعة الفنية لكثير من اهداف
المخبرات هي التي أوحى بابتكار الوسيلة التي تمكننا من تحقيقها .

والنتائج الباهرة التي حققتها البلاد الاجنبية في العلوم والتكنولوجيا
تبين لنا ضرورة قيام مخبرات الدول المتطورة بعمل تقديراتها على
اساس التكهن بنتائج البحوث العلمية والتطورات العلمية في البلاد
الاجنبية . ان هذا من شأنه أن يجنبها المفاجأة العلمية والتكنولوجية ،
كما انه يهيء لها الوقت للقيام ببرامج التنمية في بلادها . وبطبيعة الحال
لا يمكننا ان نتوقع الدقة المتناهية او التأكد الكامل عندما نقوم برصد
التنبؤات العلمية ، ولكن من جهة اخرى يمكننا ان نصل الى الطريقة
التي نستطيع بواسطتها استغلال البيانات التي حصلنا عليها في محاولة
تحقيق اهداف علمية مستقبلية . كما ان هذه الطرق التي يمكن تطويرها

ليست الا محاولة للتعرف على الدلائل والاتجاهات والانماط ، التي تعيننا الى حد معين على معرفة التجديدات العلمية والتكنولوجية ، وان تكون معرفتنا لها بدرجة كبيرة من الدقة لكي يمكن الاعتماد عليها .

وهناك زوايا ثلاث يمكننا ان نعالج بها هذه المشكلة :

الاولى : عن طريق التعرف على المناطق التي نأمل الافادة منها في حدود البحث العلمي ، كذا الدراية بالاتجاهات البارزة في مجال البحوث العلمية والدولية .

الثانية : عن طريق القيام بعمل تحاليل مقارنة للعوامل البيئية والاجتماعية بالنسبة لما حققه العلم في الماضي بصفة عامة ، ثم في البلاد الهدف بصفة خاصة .

والثالثة : عن طريق القيام بتحليل دقيق لبرامج البحوث التي تقوم بها الدولة الهدف .

ان افضل مصدر للتعرف عن مناطق الاهداف الهامة وعلى الاتجاهات البارزة في مجال العلوم ، هو حكم قادة العلماء المبني على التأمل والتفكير ، ولتحقيق هذا الغرض يجب أن تكون آراء العلماء وتنبؤاتهم المفصلة والموثوق بها بشأن المستقبل معسدة وذلك بجمع المطبوعات العلمية من جميع انحاء العالم في كل الميادين الاساسية .

لقد ثبت ان التقارير السنوية وعمليات المسح العام والمقالات التي تنشر دسمة جدا في هذه المادة . ويجب ان يضاف الى هذه المواد المنشورة ما يقوم به قادة العالم في البلاد بمسح للموضوعات المختلفة في شتى المجالات والاحاديث التي يجرونها مع الصحفيين وغيرهم .

ان الرأي الناتج عن تحليلنا لهذه المعلومات لا يعيننا على التعرف على اعلى عدد من الاتجاهات العلمية الجديدة فحسب - مثل استغلال

الرياضيات ومثل التفسير النظري للظواهر في كل فروع العلوم — ولكنه يساعدنا ايضا على التعرف على كل المشاكل الكبرى والاهداف والتكهنات في ميادين فرعية لعلوم الطبيعة والعلوم البيولوجية ، مثل الجاذبية وفناء المادة والبلازما والآلات الحاسبة وذاتية الحركة والوقود وميكانيكا الذرة والكيمياء البحرية والسيطرة على الجو وبيولوجيا الذرة ووظيفة المخ والبحوث الخاصة بالبيئة . ان تحديد اهداف البحث في ميدان من الميادين والتنبؤ بتقدم العلم في هذا الميدان شيء ، وتحديد زمن تحقق هذه الاهداف واي البلاد هي التي ستنجح في تحقيقها شيء آخر . مثال ذلك : بالرغم من ان علماء الدول يبحثون في نظرية الجزيئات الأولية ، Elementary particles ويعتقدون ان نجاح بحثهم اصبح غير بعيد ، فقد يتحقق هذا الهدف في واشنطن أو في لندن أو في موسكو وربما في بكين .

وفي بعض الاحيان نستطيع ان نربط بين احتمال نجاح علمي باهر في المستقبل بصفة عامة ، وبين مستقبل العلم في بلد ما بصفة خاصة اذا ما عرفنا اهداف البحوث الخاصة التي تقوم بها هذه البلاد او استطعنا التنبؤ بها .

ان بناء بعض انواع من المنشآت العلمية او بعض الاجهزة التجريبية او بعض الآلات قد يشير الى الاهداف المراد تحقيقها ، كما يساعد على تحديد امكانية الوصول اليها .

ان النظرة السلبية للتقدم العلمي غالبا ما تضيق مجال المشتغلين بالتنبؤ العلمي ، ومن جهة اخرى فان التمسك في عناد بنظرية غير موثوق بها قد يخلق نظرية سلبية .

فالشك الطويل والاثر القوي لنظرية لينسكو «Lysenko» التي فندها السوفييت حديثا تفنيدا كاملا والخاصة بالوراثة ظلت في

نظر كثير من علماء الغرب اساسا كافيا لتوقع نتائج هامة من علم الوراثة في نظر السوفييت ، كما ان هناك أثرا سلبيا نتيجة عجز أجهزة البحث أو هيئة الباحثين • فالعجز الذي يعاني منه السوفييت في الآلات الحاسبة الرقمية قد يكون سببا في تأخير العمل في بعض ميادين البحث الثانوية •

وثمة شيء آخر يشير الى طبيعة الاهداف العلمية في بلد من البلاد ، وهو المجهود الذي تبذره لجمع البيانات في ميدان من الميادين . وقد يكون جمع هذه البيانات من جانب واحد هو جانب البلد الهدف وقد يكون بالاشتراك مع بلاد اخرى •

ان المعالجة البيئية لطريقة العمل في التنبؤ بالتقدم العلمي هي في أساسها محاولة للتأكد من مظاهر أو اتجاهات التفوق العلمي • ويمكن اجراء تحاليل لبيئة البحث في البلد الهدف كمحاولة لمعرفة الآثار التي قد تكون حاسمة في تحقيق التقدم العلمي • ولكن كثيرا ما يحدث ان تكون البيانات التي تحصل عليها المخابرات العلمية من القلة بدرجة تجعل هذا الاجراء غير المباشر منتج ، ولكن يمكن ان ينظر اليه بعين الاعتبار في الاحوال التي يمكن فيها الحصول على تفاصيل بالنسبة الى خصائص العلوم التطبيقية أو الاكتشافات العلمية في بلد من البلاد •

وقد تكون لتحاليل البرامج العلمية المرسومة عونا كبيرا ، كما يجب الكشف عن العلاقة التي بين توجيهات البحث التي تنشر أو بسين البرامج المرسومة وبين ما يقابلها من اعمال ناجحة ، والتي يعلن عنها من آن لآخر • ويمكن جمع التصريحات التي تنشر في المطبوعات بخصوص البحوث المرسومة ، سواء كانت هذه المطبوعات عبارة عن توجيهات رسمية أو مراجع مباشرة ، ويكون جمعها شاملا لعدة سنوات ماضية • ان البيانات التي أمكن الحصول عليها توضح كيف ان

التوجيهات والمنشورات والتصريحات الخاصة بالبحوث وبمناطق الاهتمام هي اساس حيوي للتنبؤ بنشاط البحث وبما يحققه من نتائج باهرة .

ان تنمية القدرة على التنبؤ بالنسبة للعلوم والتكنولوجيا في بلد من البلاد يمكن ان تسير وفق الخطوط الآتية :

١ - التعرف المستمر على اكثر المناطق تطورا في ميدان البحوث العلمية طبقا للحكم الذي يصدره أئمة العلماء .

٢ - استمرار تجميع برنامج الدولة الهدف في مجال البحث العلمي بشكل تفصيلي منظم ، وكذلك تقييمه مع عناية خاصة بالتغيرات التي تطرأ على التوجيه والجهود .

٣ - دراسة حدود البحث النظري والتجريبي في البلد الهدف .

٤ - التعرف على اكثر العلماء ابتكارا في البلد الهدف - مع التعرف على ما يهتمون به في ميدان البحث وعلى قدرتهم الخاصة . ان عمليات التجسس بقصد تجنيد مثل هؤلاء الافراد هي احدى نتائج هذا التحليل .

٥ - استخدام الوسائل الفنية الخاصة في جمع الانباء .

ان المخبرات الذرية والنوية لها المركز الاول والهام بالنسبة للدول العظمى . لقد اصبحت الدول الاخرى توليها أهمية وعناية . فاذا عرفنا ان هناك ١٢٠ مفاعلا ذريا خارج الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا ، أدركنا ان ثمة دولا كثيرة في الوقت الحاضر تهتم بأن تسير التغيرات التي تطرأ على هذا الميدان . وفوق ذلك فهناك تطبيقات كثيرة قد طرأت على علم الفيزياء النووي نتيجة لما استجد على علوم الفيزياء . ان جمع المعلومات الخاصة بالذرة سوف يحتاج باستمرار

الى عمليات تجسس سرية ، لان الطرق الفنية وغيرها من طرق التحليل لا يمكن ان تؤدي الى الحصول على المعلومات المطلوبة •

لقد تنبأ المتخصصون في المخابرات العلمية بالولايات المتحدة بالتفجير الاول الذي قامت به الصين الشعبية في اكتوبر سنة ١٩٦٤ ، ففي الصين كمية وفيرة من عنصري اليورانيوم والثوريوم Uranium & Thorium كما ان لديها المواهب والعقول العلمية التي سبق تدريبها في الولايات المتحدة وفي الاتحاد السوفيتي •

وقد ذكر رامك - وزير الخارجية الامريكية السابق - في ٢٩ من سبتمبر ١٩٦٤ ان تقارير المخابرات تشير الى نشاط غير عادي في صحراء « تاكوماكان » غربي الصين ، حيث تأكد ان حكومة ماوتسي تونج تبني منشآت نووية • وبعد ان تم تفجير القنبلة في الموقع المسمى باسم « لوب نور » lop nor في شهر اكتوبر ، التقطت عينات من الاشعاعات الذرية المختلفة بواسطة طائرات تطير على ارتفاع كبير بغرض اجراء تجارب معملية دقيقة عليها • وقد سبق التكهّن للمخابرات الامريكية بدرجة انخفاض نتيجة التجربة النووية الاولى للصين • وقد كشفت هذه الاشعاعات الذرية المختلفة عن الحقائق الآتية :

١ - ان وزن القنبلة كان حوالي ٢٠ كيلو طن • ومعنى هذا أن قوة انفجارها تساوي تقريبا قوة انفجار أول قنبلة للولايات المتحدة في اغسطس عام ١٩٤٥ •

٢ - ان القنبلة انفجرت بالقرب من سطح الارض تقريبا •

ويقول الخبراء انها كانت قد اطلقت من فوق برج وكان المنتظر ان تنفجر على ارتفاع بضغ مئات الاقدام من سطح الصحراء •

٣ - ان القنبلة استخدمت بطريقة معقدة • فقد استعمل اليورانيوم

«U.235» وهو ايزوتوب Isotope الاشعاع الذري لعنصر اليورانيوم الطبيعي الذي يجب ان يستخرج من خام اليورانيوم ، ومعنى هذا ان الصينيين لديهم اليورانيوم ولديهم مصانع الانفجار الغازي ومصانع عزل الغازات .

وعندما خرج السوفييت من الصين في عام ١٩٦١ بعد ان ساعدوا العلماء الصينيين في بناء اول مصدر لهم لانقسام الذرة - وهو مفاعل ثوته ١٠ر٠٠٠ كيلوات لانتاج عنصر البلوتونيوم - كان لدى الصينيين مقدار من البلوتونيوم وزنه ٢٠ كيلوجرام .

ولا جرم ان الصينيين قد زادوا من قدرتهم النووية منذ ان توقف السوفييت عن مساعدتهم . لقد اقيمت مفاعلات ذرية أخرى قوة ١٠ر٠٠٠ كيلوات منذ عام ١٩٦١ ، ويدل التقرير على ان كمية البلوتونيوم القابل للانقسام التي كانت لدى الصينيين قبل تجربة اكتوبر لم تكن تزيد على ٥٠ كيلوجراما .

ويقول التقرير ان معنى وجود اليورانيوم U.235 في التجربة يدل على ان مصانع انقسام الغاز ما زالت مستمرة في انتاجها . واذا كان هذا هو الحال فمعناه ان الصين سوف تتمكن من زيادة كمية المواد المستخدمة في اجراء التجارب .

ان التحليل الدقيق لمخلفات القذيفة الاولى يدل على حجم الانفجار والمواد المستخدمة في التفجير . وبحساب هذه العملية من نهاية التفجير أمكن للولايات المتحدة أن تحدد التركيب الاساسي لوسيلة اجراء التجربة ، وان تصل الى نتائج معينة بالنسبة لما لدى الصينيين من معلومات خاصة بصناعة القنابل الذرية .

ان الاختبارات التالية للصين كانت كفيلا بأن توقف الولايات المتحدة على مدى نجاح الصينيين في الاستفادة من تفجيرهم الاول . ولا يعتمد

قياس قوة القنبلة النووية على وزن ما بها من مواد متفجرة بل على النسبة بين قوتها ووزنها . ان التحسين الكبير الذي ادخلته الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على بناء الجهاز الذي يحافظ على النسبة سالفة الذكر في مئات التجارب الذرية التي اجريت في طبقات الجو العليا قبل توقيع اتفاقية حظر التجارب عام ١٩٦٣ ، هي التي اكسبت هاتين الدولتين السيطرة والتفوق السريعين في مجال القوة النووية .

وحتى يمكن تصميم قنبلة يجب رسم منحني يبين العلاقة بين نتائج التجارب ، ثم يترجم هذا ليدخل في تصميم الفلزات والمواد التي تتركب منها القنبلة . وهكذا اذا كان الصينيون يستخدمون في قنابلهم المتتالية وسائل ذات احجام طبيعية متساوية ، وتكون النتيجة هي نفس كميات مخلفات الاشعاع الذري في كل مرة ، فيكون معنى هذا ان العلماء الصينيين انما يكررون نفس تجاربهم . وانهم ما زالوا بعيدين كثيرا في بحوثهم عن الوصول الى ما وصل اليه غيرهم من مراعاة النسبة بين القوة وبين الوزن في القنبلة .

وجاءت تقارير لم تثبت صحتها بعد تقول ان الصينيين يقومون في الوقت الحاضر ببناء مصنع غازي لاستخلاص اليورانيوم القابل للانقسام الذاتي U.235 ، من اليورانيوم غير القابل نسبيا للانقسام الذاتي « يورانيوم 235 » ، فاذا امكن لهذا المصنع ان يبدأ انتاجه ، فمعنى هذا ان الصينيين لن يتمكنوا من زيادة ما لديهم من المواد التجريبية فحسب ، بل انهم ايضا سوف يتمكنون من بدء مقدرتهم العسكرية في ميدان انتاج الاسلحة النووية .

ويجب ألا نخط من قدرة الصينيين على صنع قنبلة انقسامية Themonucleau أما في صنع القنبلة الهيدروجينية فلم يفد الصينيون من تجربة السوفييت . ان تكنولوجيا القنبلة الهيدروجينية أكثر تعقيدا

من القنبلة الذرية • وعلى أسوأ الفروض لا بد أن تمضي خمس سنوات أو يزيد قبل أن يتمكن العلماء الصينيون من اجراء برنامج تجاربهم الخاص بالقنبلة الانقسامية •

□ العلاقة بين المخابرات العلمية والفنية :

هناك علاقة متشابكة في العمل بين المخابرات العلمية والمخابرات الفنية ، ومن المناسب هنا ان نتناول الاثنين معا • فالمخابرات الفنية — كما يعرفها قاموس المصطلحات العسكرية للاستعمال المشترك في الولايات المتحدة Dictionarc Us. Military terms joint usage . تتعلق بالتطورات التكنولوجية الاجنبية التي تقدمت الى حد التطبيق العملي لاغراض الحرب ، والمخابرات العلمية تشمل التطورات التكنولوجية ايضا ولكن خلال البحث ومرحلة التطور فقط • وبلاضافة الى ذلك ، فانها تشمل مجالات البحث التي تفوق النواحي التكنولوجية والعسكرية البحتة ، وذلك مثل الرياضيات والطب ، والطبيعة البحتة ، وعلم الاثریات ، وعلم الفلك ، وجغرافية البحار والمحيطات ، وقد يمكن جمع المعلومات العلمية وتحليلها بواسطة المنظمات الاخرى ، مثل لجان الطاقة الذرية •

ولسنا في حاجة الى تأكيد الاهمية المتزايدة للمخابرات العلمية والفنية في عصر يرتبط فيه الامن القومي ارتباطا وثيقا بالتقدم في الطبيعة النووية والصواريخ ، والالكترونات والطب ، هذا اذا ذكرنا عددا من الميادين التي تتميز بالانطلاقات المثيرة التي تحققت في السنوات الاخيرة •

وكما رأينا من شرح مظاهر المخابرات العلمية نجد ان الاهتمام

الكبير « بأسلحة العدو السرية » في بداية الحرب العالمية الثانية كان دافعا قويا للتوسع في المخابرات العلمية والفنية لكل من المحور وقوات الحلفاء . فمثلا ، تشير التقارير في ملفات المخابرات البريطانية حينما بدأت الحرب الى التطورات التي قام بها الالمان بالنسبة للقنابل الانسيابية « Gliding Bombs » والطائرات الموجهة ، والمدافع البعيدة المدى ، والصواريخ ، ولم تمر على الحرب سنة الا وقد أصبح البريطانيون مقتنعين بأن الالمان قد قاموا بتطوير نسوع من « أشعة الراديو » « Radio Beams » لا استخدامه في عمليات القذف الاعمى للطيران .

واكتشاف البريطانيون للأشعة يوضح الطريقة التي تربط بها المخابرات العلمية دائما المصادر التقليدية لمعلومات المخابرات - تقارير المندوبين والمنشورات العلنية . . . الخ بالوسائل الفنية لتأكيد المعلومات . وفي هذه الحالة ، التزمت الوسائل الفنية بإرسال طائرات استكشاف اكتشفت سر الأشعة الالمانية في المكان المتوقع والزمن المحتمل . واستطاعت الطائرات الالمانية بأجهزة الاستقبال التي صممت للهبوط الاعمى « Blind Landing » ان تطير فوق الجزر البريطانية ليلا ، وان تلقي بقنابلها عند تقاطع الأشعة على الاهداف التي اختيرت من قبل ، ومع ذلك ، فبعد ان اكتشف البريطانيون الأشعة ، استطاعوا ان يوقفوا عملها وان يطلقوا قاذفات القنابل الليلية الالمانية .

وتحديد موقع محطات الرادار الالمانية يوضح مرة اخرى الجمع بين استخدام الطرق الفنية والطرق التقليدية في الحصول على المعلومات ، فالاستطلاع الفوتوغرافي والاكتشاف بواسطة الراديو لمحطات الرادار في اثناء ارسالها كشف كثيرا من مواقع الرادار الساحلي . وفي حالة الارسال الداخلي استطاع البريطانيون ان يحددوا المواقع العامة بالتقاط ارسالات الراديو ، وتوجيه المندوبين بعد ذلك لتحديد المحطات الداخلية . وبعد ذلك كان الحصول على التفاصيل يتم بواسطة الصور الجوية . وبهذه

الطرق ، استطاعت المخابرات البريطانية كما بينا ان تحدد اكثر من ٧٤٠ محطة رادار ألمانية في أوروبا ، ولم تترك اكثر من ست محطات اكتشفها القوات الارضية بعد الانتصار على النازية .

مخابرات المواصلات والالكترونيات :

وقد يكون من المناسب هنا ان نشير الى ما يطلق عليه الغرب « مخابرات المواصلات والالكترونيات » وهي التي تستخدم في السنوات الاخيرة الطائرات والاشعة تحت الحمراء وغيرها ، مثل الطائرات المزودة بأجهزة الاستقبال للاستطلاع على طول الحدود السوفيتية لاكتشاف المعلومات عن طبيعة تركيبات الرادار الروسية ، كذلك تستخدم الرادار بعيد المدى لتتبع تجارب الصواريخ في الاتحاد السوفيتي ، وكذلك تحليل الجزئيات الجوية لاكتشاف التجارب النووية ، وتقوم بالتصوير الجوي البعيد المدى - كما فعلت الطائرة «U2» لتصوير المنشآت الصناعية والقواعد العسكرية . وتستخدم ايضا بالونات المراقبة التي تحلق عاليا وهي مجهزة بحيث تكتشف المفاعلات الذرية وخطوط المواصلات السرية الكهربائية .

وكذلك تستخدم للاستماع والتعرف على الرسائل التي تتبادلها الحكومات الاجنبية عن طريق اكتشاف الرسائل السرية وكشف رموزها .

ولقد تزايد استخدام الاقمار الصناعية في عملية الاستطلاع ، ولكن بالرغم من أن البيانات الهامة التي أمكن الحصول عليها بهذه الوسيلة ما زالت قليلة ، فانه يمكننا ان نجزم بان التجسس على الفضاء في طريقه الى خلق ثورة في أنماط خاصة من أنماط أعمال المخابرات .

ونتيجة للتقدم التكنولوجي الكبير ، والتسابق بين الشرق والغرب في ابحاث الفضاء ، ازداد عبء المخابرات العلمية من ناحية الحاجة الى تقديرات متكررة منتظمة عن تطور اسلحة كل طرف ، ويشمل ذلك برامج الصواريخ ومراحل تقدمها والرؤوس النووية والغواصات النووية وانماط الطائرات ذات المستوى العالي أو أي شيء خارق في أي مجال من هذه المجالات أو في مجال الفضاء . ومن الصعب دائما التنبؤ بمقدار التركيز على نظام معين حتى تنتهي مرحلة البحث والتطوير ، وحتى تتم الاختبارات ، وحتى تتسلم المصانع الامر بالانتاج الفعلي .

وتكون التقديرات في المراحل المبكرة أي قبل الانتاج مركزة على الامكانيات والنوايا المحتملة، ولكن عندما تأخذ الحقائق شكلها الانتاجي، يكون من الممكن اعطاء تقدير عن البرنامج الفعلي للنظام .

ففي عام ١٩٥٤ مثلا وجد ان الاتحاد السوفيتي كان ينتج قاذفات قنابل ثقيلة بعيدة المدى وعابرة للقارات يمكن مقارنتها بالطائرات الامريكية طراز «B52» ، وفي اول الامر كانت الدلائل كافة تشير الى ان السوفييت ينوون استخدام هذا السلام كعنصر كبير من عناصر قوتهم الهجومية ، وانهم يخططون لانتاج قاذفات قنابل تكون سرعتها بقدر ما يسمح به اقتصادهم وتكنولوجياهم . ولقد طالبت وزارة الدفاع الامريكية بتقدير عن تركيب هذه القاذفة في مدى السنوات القليلة القادمة ، وقام مجتمع المخابرات بتقديم المطلوب .

وكان هذا البيان قائما على أساس معرفة صناعة الطائرات السوفيتية وطراز الطائرات التي كانت في طريقها الى الانتاج . وتضمن البيان كذلك التنبؤات بخصوص السرعة المستقبلية على أساس سرعة الانتاج الحالية ، والتوسع المنتظر في القدرة الصناعية .

كان ثمة دليل قوي على قدرة السوفييت على انتاج قاذفات قنابل بسرعة معينة اذا ارادوا ذلك . وفي الوقت الذي قدم فيه هذا التقرير كان الدليل القائم يشير الى انهم كانوا يريدون ذلك ، وانهم ينوون تحويل هذه القدرة الى برنامج فعلي . ولقد ادى كل هذا الى التكهّن من جانب الولايات المتحدة بوجود فجوة في انتاج قاذفات القنابل .

وبطبيعة الحال اخذت المخابرات الامريكية ترقب الاحداث عن كثب . ولم يرتفع الانتاج بالسرعة التي كانت محتملة . وتجمعت الادلة التي تشير الى ان اداء قاذفات القنابل الثقيلة كان اقل من المستوى المرضي . وحوالي عام ١٩٥٧ بدا ان الزعماء السوفييت قرروا تحديد انتاج قاذفات القنابل الثقيلة تحديدا ملموسا . ولم يتحقق قط ما كان يقال عن وجود فجوة في نتاج قاذفات القنابل . ولقد بدا هذا مفهوما عندما قام الدليل على ان برنامج انتاج الصواريخ السوفيتية من نوع عابرة القارات قد بدأ في الظهور كما بدأ يسبب القلق . وهكذا بينما ظلت التقديرات الخاصة بإمكانيات انتاج قاذفات القنابل سليمة ، فقد استلزمت التغييرات الجديدة في السياسة اجراء تقدير جديد خاص بالتطورات المستقبلية في هذا النظام المعين .

وقد تنبأ السوفييت في وقت مبكر - ربما قبل الولايات المتحدة - بأهمية الصاروخ كسلاح للمستقبل ، كما رأوا الاثر السيکولوجي الكبير الذي تحدثه انجازات الفضاء . لقد رأوا ذلك حتى قبل ان يتضح امكان وضع رؤوس نووية خفيفة الوزن وصغيرة الحجم بحيث تستطيع السير مسافات شاسعة جدا . واذا نظرنا الى موقعهم الجغرافي ، نجد انهم قد ادركوا ان صاروخا قصير المدى او متوسط المدى سيكون له قيمة كبيرة في برنامجهم الخاص بالسيطرة على اوروبا .

وترجع اصول البرنامج الى نهاية الحرب العالمية الثانية عندما قام

الاتحاد السوفييتي - بعد تتبع التقدم الذي كان الالمان قد أحرزوه بصواريخهم من طراز ٧٠١ ، ٧٠٤ - يبذل كل مجهود مستطاع لجمع كل ما يمكن جمعه من خبراء الصواريخ الالمان اثناء غزوهم لالمانيا الشرقية . كذلك استأجر السوفييت عددا كبيرا من الخبراء الالمان ، بالإضافة الى العدد الذي قاموا بالقبض عليه ثم ترحيله قسرا .

ومن الخطأ ان تنسب الفضل في كفاءة صواريخهم العالية الى الالمان . فللسوفييت أنفسهم تاريخ طويل في هذا الميدان ، كما ان كفايتهم تطورت بسرعة ، اذ أنهم لم يثقوا بالالمان ثقة كاملة ، ولكنهم استنزفوا كل ما كان لديهم من معرفة ، واحتفظوا بهم لعدة سنوات على لوحات الرسم بعيدا عن مناطق التجارب ، ثم قاموا بارسالهم بعد ذلك الى بلادهم . وبينما كان هؤلاء الناس مصدرا نافعا من مصادر المخابرات بالنسبة للغرب ، الا أنهم لم يتصلوا اتصالا فعليا بالتطور السوفييتي ، ولذلك لم يكن لديهم ما يروونه خارج ما اسهموا هم به شخصيا .

ففي السنوات العشر الاولى بعد نهاية الحرب كانت معلومات الولايات المتحدة عن تقدم السوفييت في مجال الصواريخ هزيلة . كانت لوحات الرسم لا تتكلم ، كما كانت الصواريخ قصيرة المدى لا تشير ضجة كبيرة . ولكن عندما بدأت الاساليب العلمية تعمل ، وعندما وصلت الصور التي التقطتها الطائرة U2 في عام ١٩٥٦ ، بدأت المعلومات الصلبة تصل بكميات مناسبة الى القائمين على امر التقديرات في الولايات المتحدة وكانوا في عجلة من امرهم ، فان التخطيط في مثل هذا الميدان يستغرق سنوات طويلة . ولذلك شعرت وزارة الدفاع الامريكية أن لديها ما يبرر ان تطلب من مجتمع المخابرات التنبؤ لعدة سنوات قادمة بما يمكن ان يحققه البرنامج السوفييتي .

وكان على المخابرات الامريكية اعداد الارقام الاولى عن الانتاج

السوفيتي للصواريخ على أساس الانتاج المقدر وامكانيات التنمية في فترة مستقبلية ، كما كان عليها تحديد كيفية توزيع المجهود العسكري في الاتحاد السوفيتي . ما مقدار ما سيخصص للصواريخ ؟ ما مقدار ما سيخصص لزيادة الامكانية النووية ؟ ما مقدار ما سيخصص لقاذفات القنابل وللطائرات المقاتلة وللدفاع من الارض للجو لمقاومة هجومات قاذفات القنابل المعادية ؟ ما مقدار ما سيخصص للغواصات ؟ وعلى وجه العموم ما مقدار ما سيخصص لعناصر الهجوم ثم مقدار ما سيخصص لعناصر الدفاع ؟

كان من نتيجة عدم التأكد هذا ان نشأ في اواخر الحقبة الخمسينية الجدل حول ما اطلق عليه « فراغ الصواريخ » . وبعد ذلك اجريت تقديرات حول الصواريخ والرؤوس النووية التي سوف تكون معدة لعدة سنوات قادمة . واستندت المخابرات الامريكية في اعدادها على الامكانيات التي أمكن اثباتها ، وعلى وجهة نظرها بالنسبة لنوايا السوفيت واستراتيجيتهم الشاملة .

لا ريب في أن تجارب الصواريخ السوفيتية التي اجريت عام ١٩٥٧ وبعده ، اثبتت كفاءة عالية في مجال الصواريخ ذات الرؤوس النووية عابرة القارات ، وقد قاموا بالدعاية الكبيرة للصواريخ السوفيتية التي يبلغ مداها من ٧٠٠٠ الى ٨٠٠٠ ميل في الباسفيك ، كما قاموا بالدعاية لاطلاق سفينة الفضاء « سبتيك » الاولى . ولا بد ان تجاربهم في المجالات المتوسطة المدى كانت ايضا مرضية . ولكن هل يستخدمون الجيل الاول من الصواريخ الذرية عابرة القارات الذي وان كان مؤثرا الا انه كبير الحجم قبيح الشكل ؟ او هل ينظرون حتى ينتجوا جيلا ثانيا أو جيلا ثالثا ؟ هل هم من العجلة بحيث يركزون على لحظة تفوق محتل في عالم الصواريخ لدرجة أنهم يضحون ببرنامج أكثر تنظيما ؟ والاجابة على هذا السؤال — كما ثبت بعد ذلك — أنهم

اختاروا البرنامج المنظم • وحالما وضع هذا الدليل قاموا بإعادة النظر في تقديرات الصواريخ ذات الرؤوس النووية عابرة القارات كما فعلوا في الماضي في حالة قاذفات القنابل •

وتتيجة للصراع الايديولوجي تبذل كل من مخابرات الولايات المتحدة والمخابرات السوفيتية جهودها للحصول على معلومات منتظمة عن التطور العلمي في الطرف الآخر ولا سيما في أبحاث الطاقة النووية والفضاء ، وهو أمر ضخم لا مجال لمناقشته في هذا الكتاب ، إنما يعطي مؤشرا فعالا لأهمية المخابرات العلمية في عصر الصواريخ والفضاء ، حتى لو تحقق أمل العالم في وصول الاقطاب الى وفاق يخفف من حدة التوتر الدولي ، ويبعد شبح الدمار •

الفصل الحادي عشر



مراحل الإنتاج

مراحل الإنتاج
مهمة جمع المعلومات
- المخابرات السافرة -
الجمع السري - تنظيم
وصفات الممثل - اليقظة
للتفاصيل - مراحل
التحليل - تعريف
المشكلة - تقويم المعلومات
- الدراسة والتفسير
والتقدير .

ان الوصف التقليدي للمعلومات التي تصل ممن يقوم بجمعها هو « مخابرات خام » او « معلومات المخابرات » ، وهي لا تعتبر « المخابرات المصقولة » الا بعد مرورها في مراحل التقويم والتفسير بواسطة الخبراء . وفي حالات العجلة فان المخابرات الخام قد تصل مباشرة الى متخذي القرارات ، فالأخفاء في تبليغ قائد الجيش في هاواي عن رؤية غواصة يابانية بها رجلان في بيرل هاربور قبل الهجوم الياباني بساعة ونصف ، كان احدى الثغرات العديدة السابقة على الكارثة . ومع ذلك فاذا سمح الوقت فان المخابرات المصقولة هي التي تصل الى متخذي القرارات .

وفي هذا الفصل سنحاول ان نشرح المراحل التي يمر بها انتاج المخابرات ، وقد قسمناها الى أربع مراحل : جمع المعلومات ، وتنظيمها ، وتحليلها ، ثم المرحلة الاخيرة وهي التوزيع .

مهمة جمع المعلومات :

المخابرات السافرة

ان عملية جمع المعلومات الخارجية يمكن ان تتم بطرق ليست على تفاوتها واختلافها غامضة أو سرية . وهذا ينطبق بصفة خاصة على المخابرات المكشوفة التي تستقي معلوماتها من الصحف والكتب والمطبوعات العلمية والفنية والتقارير الرسمية والاذاعة والتلفزيون ، وقد تتضمن قصة أو مسرحية معلومات نافعة عن حالة أمة من الأمم .

وفي منظمات المخابرات الحديثة ، نجد أن حقيقة المحلل تمتلئ يوميا بالمعلومات التي جمعتها شبكة واسعة الانتشار من الافراد الذين

يجمعونها ، ومن ثم فإن حقيقة المحلل هي بتعبير ما حقيقة بريده التي يجمع فيها المجلات والجرائد ووسائل المعلومات التي تجعل الفرد مواطنا مطلعاً ومثقفاً . والمصادر العلنية تمد رجل المخابرات بالجانب الاعظم من المعلومات المأمونة ، وفي كثير من الأحيان لا تختلف النتائج التي يصل اليها محلل المخابرات اختلافاً كبيراً عن النتائج التي قد يصل اليها الاكاديميون من معلوماتهم التي يحصلون عليها من مكتبات الجامعات .

وتسهم خدمات الصحافة سواء في العالم الحر أو في العالم الاشتراكي بدرجة كبيرة في مهمة جمع المعلومات ، فوكالات الانباء مثل رويتر والصحافة اليومية وغيرها غالباً ما تقوم بنشر أول الانباء عن كثير من الاحداث ، مثل الثورات التي تقوم في انحاء العالم ، أو استقالة كبار الموظفين ، أو نص بيان مشترك صدر عقب انتهاء زيارة رسمية للدولة . وكثير من المحللين قد اضطروا الى مغادرة فراشهم الدافئ في ساعات الصباح المبكر ليعدوا تقريراً سريعاً لسبق صحفي . وخلال الساعات التي لا تشتد فيها زحمة العمل ، قد يستغل المحلل ثراء المعلومات التي تقدمها الصحافة الاجنبية أو الوطنية يومياً والمستمدة من المراسلين في عواصم البلدان . وقد لا تكون هذه المعلومات دائماً متفقة مع المعلومات التي في ملفات المخابرات ، ولكن نوع البلاغات يتفق على أي حال مع ما تتلقاه حقيقة المحلل من معلومات المخابرات .

أما في المعسكر الاشتراكي فهناك على سبيل المثال مصدران للمعلومات السافرة في الاتحاد السوفيتي ، وهما صحيفتا « ازفستيا » و « برافدا » - اي « الاخبار » و « الحقيقة » على التوالي - الأولى هي لسان حال الحكومة والثانية هي لسان حال الحزب . وهناك « ازفستيات » و « برافدات » أخرى صغيرة منتشرة في الاتحاد السوفيتي .

وبالرغم من أن الصحافة في الاتحاد السوفيتي تمثل لسان الحزب او الحكومة ، فانه يمكن أن يعرف منها ما ينشره السوفيت وما يتجاهلونه ، وكذا كيف يفسرون التطورات المخرجة التي يضطرون الى نشرها .

والمطبوعات الاجنبية التي تجمع عن طريق الاشتراكات او الشراء تكون جانباً قيماً من مصادر المخابرات العلنية في جميع فروع المعلومات، سواء آكانت سياسية أم علمية أم اقتصادية .

وعلى سبيل المثال تستطيع المخابرات بمساعدة المطبوعات الاجنبية أن تظل على علم تام بحالة برامج المقذوفات الموجهة ، وكذلك المفاعلات الذرية ومنشآت القوى الكهربائية التي لا حظير على ظهورها ، وفي مقابل رسم ضئيل يمكن الحصول على أوصاف فنية للمخترعات من مصلحة براءات الاختراع في الدول الاجنبية .

على ان الوقت الذي يمر بين النشر ووصول المعلومات الى الحقيقة، يحدد الفائدة المرجوة من المطبوعات الاجنبية للمخابرات الجارية ، فأهميتها للمخابرات هي أن تمدّها بالتفصيلات التي يمكن ان تجمع وتنظم في شكل دراسة لبحث من البحوث ، وفي حالة عدم وجود مطبوعات أجنبية، فان خدمات المخابرات تجد أن دورها في الابحاث من الصعوبة بمكان . ففي الحرب العالمية الثانية مثلاً كان الدليل الياباني المعروف والمسمى « من هو » الصادر عام ١٩٤٠ يحوي ١٥٠ ألفاً من تواريخ الحياة المختصرة ، ويبدو أنه لم يكن في امريكا نسخة واحدة من هذا الدليل قبل يرل هاربر ، وكان من اللازم الالتجاء الى نسخة انجليزية من هذا الدليل في اثناء الحرب فاذا بها تحوي فقط ٣ آلاف تاريخ حياة .

وتمدنا اذاعات الراديو الاجنبية بجانب كبير قيم من المادة التي تلخل في اتاج المخابرات الجارية ، فبينما تجد بعض المعلومات فسي

الاذاعات طريقها الى أعمدة الصحافة اليومية فان كثيرا منها لا ينشر .
وعلى كل حال فان الاخبار قد تحرف أحيانا ، ولا بد من مراجعتها على
النص الاصيلي . ويوجد غطاء من الدعاية في بعض الاذاعات يعرقل
التمييز بين الحقائق والاكاذيب ، ومع ذلك فان دراسة اذاعات العدو
في اثناء الحرب العالمية الثانية قد أظهرت أن تحليل الدعاية المركبة قد
أنتج نفاذ بصيرة الى الحقائق ، مما دعم المعلومات الاخرى الميسرة لرجان
المخابرات .

وفي وقت السلم قد يوحى النحس الواعي للعبارات المبهمة بكثير
من النوايا التي ستقوم بها الدولة محل البحث .

وبالرغم من أن موظفي وزارة الخارجية لا يستطيعون أن يشتغلوا
بأي نشاط يشتم منه التجسس ، فانه من خلال متابعة واجباتهم يستطيعون
تقديم أفكار يعتمد عليها في مسائل سياسية واقتصادية وثقافية . وقد
قدموا في عديد من المناسبات معلومات ذات أهمية بالغة للامن القومي .
ففي عام ١٩٣٥ كانت وزارة بلدوين في لندن قد قررت التوسع في قوة
الطيران البريطانية نتيجة حديث جرى بين جون سيمون وزير خارجية
بريطانيا وهتلر ، وقد ابلغ هتلر سيمون أن المانيا قد وصلت فعلا الى حد
المساواة مع قوة الطيران في بريطانيا ، وستظل المانيا تنمي هذه القوة
الى أن تصبح معادلة لقوة بريطانيا وفريسا مجتمعين . كما أن التقارير
الدبلوماسية من سفارة امريكا في طوكيو قد حفلت بمعلومات حيوية
عن التوتر الآخذ في التوسع في الباسيفيكي ، فقد كتب السفير الامريكي
كرو عام ١٩٤١ ما يلي : «لقد ابلغ احد أعضاء السفارة بواسطة زمبلي
..... انه قد سمع من عدة مصادر من بينها مصدر ياباني ، أن هناك
تخطيطا للقيام بهجوم مفاجيء على بيرل هاربر بواسطة القوات الحربية
اليابانية ، وذلك في حالة وقوع اضطرابات بين امريكا واليابان ، ويتضمن

هذا الهجوم استخدام جميع التسهيلات اليابانية • وقد قال زميلي أنه مدفوع الى تبليغ هذا النبأ بسبب وصوله اليه من عدة مصادر ، بالرغم من أن هذه الخطة تبدو خيالية •

والمحققون مثلهم كمثل موظفي وزارة الخارجية يستطيعون في اثناء ممارستهم لوظائفهم تجميع معلومات مخبرات دون الرجوع الى الوسائل المكتوبة ، ونظرا لانهم يسعون لمشاهدة المناورات ولزيارة المنشآت ولتبادل المعلومات مثل كتب التدريب ، ففي استطاعتهم الحصول على معلومات واسعة التنوع •

ومن الممكن أن يكون الملحق العسكري جامع معلومات مفيدا جدا اذا كان في دولة تعتبر القوات المسلحة فيها من القوة المحركة للسياسة ومن خلال اتصالاته الرسمية قد يتلقى معلومات ذات أهمية سياسية كبيرة •

ومن المدنيين من يعملون ملحقين في سفارات الدولة بالخارج كالملحقين الثقافيين والتجارين والعلميين ، الخ ••••• ، والمعلومات التي يجمعونها معلومات علنية ، ولكنها ذات قيمة في انتاج المخبرات الاقتصادية والعلمية •

والصورة المتحركة والثابتة لها اعتبار خاص في التطبيقات المتعلقة بتحليل الاهداف او حساب طاقات المصانع ، وبينما تؤخذ بعض الصور خلصة فان البعض الآخر قد يجمع من دوريات الدعاية التي تنشر بين حين وآخر • وكثير من الصور يحصل عليه عن طريق التذكارات السياحي للاشخاص العاديين • فالصورة التي سجلها احد السائحين في جزر سليمان قبل الحرب العالمية الثانية ، شكلت جانبا مفيدا من المعلومات للفرقة البحرية الاولى لدى توجيهها الى جوادال كنال «GuadalCanal» في أغسطس سنة ١٩٤٢ •

والتصوير الجوي في اثناء الحرب يعوض أضعاف تكاليفه ، فقد أظهر موضع اطلاق الصواريخ الالمانية في بينيموند ، واعاقت عملية قذف القنابل التي قام بها سلاح الطيران الملكي البريطاني انتاج المقذوفات الالمانية لعدة شهور . وحديثا أكد التصوير الجوي الفوتوغرافي ما ذهبت اليه المخابرات من وجود الصواريخ الروسية في كوبا .

ان كل المعلومات المكشوفة هي على حد تعبير الين دالاس «طحنة» تدخل طاحونة المخابرات . ولكن ثمة من تلقوا تدريبا يمكنهم من ان ينتقوا حبة القمح من بين جبال « التبن » . فمثلا حدث في خريف سنة ١٩٦١ أن تلقت الولايات المتحدة تحذيرا عن نية السوفييت في استئناف التجارب الذرية قبل أن يتم ذلك بساعات ، وذلك بواسطة خبر غامض أذاعه راديو موسكو لينشر في صحيفة اقليمية سوفييتية . لفت هذا الخبر نظر سيدة امريكية كانت تشغل وظيفة « مستمعة » في أحد مراكز الاستماع البعيدة . فحللت الخبر تحليلا صحفيا وحولته في الحال الى واشنطن . لقد نجحت يقطتها وادراكها في استخلاص هذا النبأ الخاص من بين سيل الانباء المطولة التي تستمع اليها في كل يوم .

وفي البلاد الحرة ذات الصحافة الحرة التي لا تتدخل فيها الحكومة عند نشر البيانات السياسية والعلمية ، تكون عملية المخابرات المكشوفة ذات قيمة خاصة وذات فائدة مباشرة في اعداد تقديرات المخابرات .

ان المجهود الذي يبذل في عملية الجمع السافرة هو مجهود واسع وضخم . انه يحاول الا يغفل شيئا يمكن الحصول عليه وقد ثبتت فائدته . وربما كانت هناك مواضيع حاجتنا اليها شديدة . ولكن لا تغطيها هذه المادة ، أو قد تنقص هذه المادة التفاصيل الكافية ، او لا تكون حاسمة أو موضع الثقة التامة . فمثلا لا يمكن ان نعول على ما

تفصح عنه اسرائيل - سواء بقصد او بغير قصد - فيما تحتاج حكومتنا الى معرفته ، انها لا تفصح الا عما تريده منا أن نصدقه . فاذا هي أدلت ببيانات رسمية ، فلا يمكن ان تكون هذه البيانات موضع ثقتنا .

ومن جهة اخرى يمكن التلاعب في الصور الفوتوغرافية ويمكن تزيفها . كما حدث عندما عرض السوفييت لغرض الدعاية صورة كومة من المهمات ، وقالوا أنهم أسقطوا طائرة امريكية من طراز « ي - ٢ » . كذلك عرض السوفييت في يوم استعراض الجيش الاحمر صاروخا شاهده وصوره رجال الصحافة الغربية والملحقون العسكريون ، ولم يكن في الحقيقة الا شيئا لا قيمة له مكونا من اجزاء متفرقة من صواريخ مختلفة لا يمكن ان تكون قذيفة صالحة . وكما هو يسير أن نجتمع المعلومات المكشوفة ، فمن اليسير ايضا أن نحيط هذه المعلومات بعنصر الخداع . لكل هذه الاسباب يجب أن يظل جمع المعلومات بالطريقة السرية « التجسس » هو النشاط الاساسي للمخابرات .

الجمع السري :

ان عملية الجمع السرية هي اساسا عملية التغلب على العقبات بقصد الوصول الى الهدف . اتنا نختار الهدف ويقوم خصومنا بوضع العراقيل والعقبات ، والخصم عادة يدرك ما يهمننا ان نصل اليه ، ثم يحيطه بكل ما يستطيع من العقبات .

ويستخدم الجمع السري الافراد في هذه العملية : « العملاء » و « المصادر » و « المبلغين » . وقد يستخدم الآلات ، علما بأن ثمة آلات تستطيع ان تفعل ما لا يمكن للانسان ان يفعله ، وان ترى أشياء لا يمكن له أن يراها . ولما كان كل جانب يحاول وقف هذا النشاط اذا استطاع

أن يحدد مكانه أو اذا امكنه الوصول اليه : فإن كلا منهما يقوم بهذا النشاط بطريقة سرية ، ولهذا يطلق عليه اسم الجمع السري ، والكلمة التقليدية التي تطلق عليه هي « التجسس » .

ان جوهر التجسس هو الوصول الى الهدف . لذا يجب ان أن يتمكن انسان ما أو آلة ما من الاقتراب من هذا الشيء او هذا المكان أو هذا الشخص ، ليرى أو يكتشف الحقائق المطلوبة دون ان يشير انتباه حراسه ، ثم بعد ذلك لا بد ان تصل تلك الحقائق الى من يريدونها بتبليغ المعلومات عنها . ويجب ان يتم ذلك بسرعة حتى لا تفقد قيمتها ، كما لا يجب ان تضيع او يقطع عليها طريق العودة .

والتجسس في أبسط صوره لا يعدو أن يكون نوعا من الاستطلاع المستتر . وقد يكفي هذا عندما يقتصر المطلوب على القاء نظرة خاطفة . فيقصد العميل هدفا من الاهداف ملقيا عليه نظرة ثم يقفل راجعا ليبلغ عما رأى . وفي هذه الحالة يكون الهدف عادة كبيرا وسهل الرؤية ، كتجمع القوات او التحصينات او المطارات . واحيانا يستطيع العميل أن يجد طريقه الى داخل المكان المقفل ، ويستطلع ما فيه او يخرج منه بوثائق . وعلى كل حال تكون فترة بقاءه محدودة ، لانه يصعب بقاءه مدة طويلة طالما أنه موجود بطريقة سرية وغير شرعية .

ولا تناسب هذه الطريقة في التجسس كل أعمال المخابرات ، اذ أن الرجل الذي يؤهله تدريبه لاختراق الهدف لا يحتمل أن تكون لديه المعلومات الفنية التي تعينه على أن يكتب تقريرا عن الاهداف المركبة أو المعقدة الموجودة في هذه الايام . فاذا لم تكن تعرف شيئا عن المفاعلات الذرية فلن تستطيع ان تكتشف الشيء الكثير عنها ، حتى ولو كنت واقفا الى جوار احداها ، وحتى بالنسبة للشخص القادر ذى الكفاية الفنية فان وصوله على مقربة من مثل هذا الهدف لن يكفي للوفاء بما تحتاج

اليه المخبرات في هذه الايام . ان ما نحتاج اليه هو فحص دقيق كامل لعمل المفاعل . ولهذا السبب ليس من الواقعية في شيء أن نعتقد أن وصول عميل الى مفاعل ذري في اسرائيل يحقق ما نرجوه في مجال المخبرات العلمية .

وهناك ما هو اكثر قيمة من الاستطلاع ، وهو « التغلغل » الذي يقوم به العميل ، ويستطيع فيه ان ينفذ الى داخل الهدف ويبقى فيه . ومن بين الطرق المستخدمة في هذا النوع أن يتسلل العميل الى المكاتب او الى دوائر الصفوة المختارة بوسطة خدعة او حيلة ، ويكون في موقف يستطيع منه ان يستخرج المعلومات المطلوبة من الاشخاص الذين يأتمنونه والذين لا يدركون دوره الحقيقي . ويطلقون على هذه العملية اصطلاحا يسمى « الزرع » ، وتعتبر من أقدم أنواع الطرق في التجسس .

ويستند هذا النوع من التغلغل على مظاهر الولاء والاخلاص التي توضع غالبا موضع الاختبار . كما انه ليس من السهل اختيارها بخاصة اذا كان الخصوم يتكلمون نفس اللغة ، أما في الوقت الحاضر وقد اصبحت الخطوط التي تفصل أمة ومذهبا سياسيا عن امة اخرى ومذهب سياسي آخر واضحة ، فالاحتفاظ بمظاهر الولاء والاخلاص لفترة طويلة عسير ، وان كان من الممكن تحقيقه . ومن بين عمليات التجسس السوفييتية الشهيرة قبل الحرب العالمية الثانية وفي اثنائها عملية الشبكة الجاسوسية في الشرق الاقصى التي كان يتولى ادارتها ريتشارد سورج وهو الماني كان يعمل في طوكيو كمراسل لصحيفة فرانكفورت زائتونج . لقد كان سورج يقوم « بزرع » مواطنيه في السفارة الالمانية في طوكيو، ونجح فعلا في الحاق نفسه بقسم الصحافة بالسفارة . وكان هذا بمثابة ستار له يعمل من ورائه مع عملائه اليابانيين ، فضلا عن أن ذلك كان يوفر له الفرصة للحصول على المعلومات مباشرة عن سير حرب النازي وعلاقتهم مع اليابان .

وحتى يستطيع سورج تحقيق ذلك كان يلعب دور النازي الصالح ، وقد احرز في ذلك كل النجاح بالرغم من أنه كان يُمقت النازية . لقد كان رئيس الجستابو في السفارة كذلك كان السفير ، كما كان الملحقون المختلفون أصدقاء له . ولو نقب الجستابو عن ماضيه - كما فعلوا بعد أن قبض عليه اليابانيون عام ١٩٤١ - لعرفوا أن سورج كان عميلا شيوعيا في ألمانيا في السنوات العشرينية وأنه امضى بعض سنواته في موسكو .

ويعلن آلين دالاس وهو من ثقة رجال المخابرات على صفات العميل المزروع بقوله : ان العميل الذي يلعب دور العميل المزروع في الوقت الحاضر يجب ان تتوفر فيه صفات أكثر من قدرته على التمثيل . فهو معرض للفشل نتيجة الطرق الحديثة في تحريات الامن اذا ما ظهر أنه في أي من اوقات كان شيئا آخر غير ما يتظاهر به . والطريقة الوحيدة لاختفاء رجل في الوقت الحاضر حتى يمكن قبوله في دوائر معادية لفترة طويلة هي أن نخلقه من جديد . وهذا يتطلب سنين طويلة من التدريب ودفن الماضي نهائيا تحت طبقات سميكة من التاريخ الشخصي المخلق » .

ويضيف قائلاً :

« فاذا كنت من مواليد فنلندا وأردت أن تتظاهر بانك من مواليد ميونخ بألمانيا ، فعليك أن تحصل على وثائق توضح صلتك بهذه المدينة . يجب أن يكون في مقدورك أن تتصرف كما لو كنت ولدت في هذه المدينة وعشت فيها . يجب أن تعمل الاجراءات في ميونيخ لتأييد مولدك بها اذا ما فكر في عمل تحريات . وربما اخترنا ميونيخ أو مدينة شبيهة لأنها كانت قد ضربت بالقنابل ودمرت سجلاتها » . ان الشخص الذي يلعب هذا الدور نطلق عليه اسم « غير شرعي » .

واذا لم يستطع جهاز المخابرات أن يضع عميله داخل الهدف

الشديد الحساسية يكون الحل أن يقوم الجهاز بتجنيد شخص يعمل فعلا هناك . وقد تجد الشخص الذي يعمل في الداخل ، ولكنه ليس في البقعة المناسبة التي تساعد على الحصول على المعلومات التي تحتاج إليها . او قد تجد شخصا قد بدأ حياته العملية ولكن وظيفته سوف تؤدي به الى وظيفة أخرى في الهدف . فالمهم هو أنه مؤهل لان يكون عميلا في الداخل او كما نقول « في المنطقة » .

لقد كان أحد عملاء المخابرات الامريكية في اثناء الحرب العالمية الثانية من هذا النوع ، وكان يعمل في وزارة الخارجية الالمانية ويشغل وظيفة تمكنه من الحصول على الرسائل المتبادلة مع البعثات الدبلوماسية الالمانية في جميع انحاء العالم ، أي أنه كان في المكان المناسب تماما ، اذ كان في مقدوره الحصول على كل ملفات وزارة الخارجية ذات الاهمية العظمى .

ان هذه الطريقة التي يتم بها استخدام العميل « في المكان » ، بالرغم من الصعوبات الضخمة التي تحيط بها ، تتميز بأنها تتيح لجهاز المخابرات أن يركز على المنشآت التي يجب أن يتغلغل فيها ، وأن يفحصها ويحللها لمعرفة أهم نقاطها ، وكذا نقاط الضعف فيها ، ثم يلي ذلك البحث عن الرجل المستخدم في هذه النقاط والذي يحتمل ان يقبل التعاون مع دولة اجنبية .

وفي السنوات الاخيرة كانت معظم الحالات المعروفة للتغلغل السوفيتي في الاهداف الهامة في البلاد الغربية ، تتم بهذه الطريقة ، أي بواسطة استخدام اشخاص مستخدمين فعلا داخل الهدف .

وبالرغم من ان العميل دافيد جرينجلاس في الحرب العالمية الثانية كان رساما فقط ، فقد استطاع التوصل الى معرفة التفاصيل السرية للتركيب الداخلي للقنبلة الذرية . واستخدمت جوديت كوبلون عقب الحرب

مباشرة في قسم من اقسام وزارة العدل مسئول عن تسجيل العملاء الاجانب في الولايات المتحدة • وكان يقع تحت نظرها باستمرار تقارير ادارة البحوث الفيدرالية التي كانت تمر عليها ، فاخذت تنسخ صوراً منها وتمد بها السوفييت •

ومع أن كلا من هاري هوتون وجون فاسال كانا يشغلان وظيفتين صغيرتين ، ومع أن عملهما كان اداريا ، فقد استطاعا الحصول على وثائق فنية حساسة من الادميرالية البريطانية ، حيث كانا يعملان في اواخر حقبة الخمسينات • واستطاع الفريد فرنزيل - وهو برلماني من المانيا الغربية - أن يحصل على وثائق عن حلف شمال الاطلسي التي كانت توزع على أعضاء لجنة الدفاع البرلمانية التابعة لالمانيا الغربية ، والتي كان يعمل بها منذ منتصف سنوات الحقبة الخمسينية • وكان آرفين سكاربيك ضابطاً اداريا في سفارة امريكا بوارسو في عام ١٩٦٠ / ١٩٦١ ، ولكن بعد أن تورط مع فتاة بولندية قامت بتهديده بالفضيحة ، قام بامداد جهاز المخابرات البولندي ببعض تقارير سفير الولايات المتحدة السرية التي كان يرسلها الى وزارة الخارجية عن الموقف السياسي في اوروبـا الشرقية •

ولقد نشر الاتحاد السوفييتي قضية العميل الذي يعمل « في الداخل » والذي عاون مخابرات الغرب ، وقد اعترف السوفييت بأنه توصل الى معلومات ذات قيمة عظيمة • كانت هذه قضية الكولونيل « اوليج بنكوفسكي » الذي يعد اتهامه واعدامه بواسطة السوفييت في حكم التاريخ •

كان مفهوما من الادلة التي سمح انسوفييت بتقديمها في المحكمة أن هناك مجموعة من اجهزة مخابرات الغرب نجحت منذ سنوات مضت في الحصول على خدمات الكولونيل السوفييتي ، الذي كان يشغل منصبا

هاما في الجيش السوفييتي • كان موضع ثقة السوفييت ، لدرجة أنهم كانوا يسمحون له بالسفر الى المؤتمرات الدولية المختلفة في اوروبا الغربية • وقد اتاحت له هذه الفرصة اقامة اتصالات مع بنكوفسكي •

ويدعي السوفييت ان الذي جذبه هو المغريات المادية من خمر ونساء وأغان موجودة في الغرب ، ومهما تكن دوافعه ، فقد كانت هذه القضية تمثل النمط السائد للجاسوسية • كان بنكوفسكي يستطيع الحصول على معلومات هامة بطريقة طبيعية ، وكانت كل الظروف مهيأة له ، ولا يمكن لعميل استطلاعي أو لعميل سائح أو لعميل مزروع أن يحقق ما حققه بنكوفسكي • لقد كان موجودا فعلا هناك • وكان لا بد من العمل على اكتشافه ثم الاتصال به ثم اقناعه بالعمل مع الجانب الآخر •

وعموما فان طرق جمع المعلومات السافرة والسرية التي تم شرحها لم تكن بطبيعة الحال كافية وحدها لسد حاجة المخابرات في الوقت الحاضر ، بل يجب ان يضاف اليها طرق أخرى وخاصة بواسطة استغلال التقدم الكبير الذي احرزته العلوم والتكنولوجيا ، والذي سنتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد •

☐ تنظيم المعلومات :

يعقب مهمة جمع المعلومات عملية تنظيمها ، والواقع أن نطاق التجميع يصبح كبيرا الى الحد الذي يجعل كفاءة المخابرات تعتمد اعتمادا متزايدا على مهارات خدمات المراجع ، ويستطيع محلل المخابرات أن يختزن في ملفاته الخاصة جزءا صغيرا جدا من الوثائق التي تتدفق يوميا عن طريق حقيته اليومية ، أما الباقي وهو الجانب الاعظم الذي يتجنب هذه الحقيقة فانه يعتمد على خدمات المراجع التي تصنف فيها جميع

المعلومات الواردة ، ثم توضع في ملفاتها • وتدقق المخابرات من الجامعين الى المحللين يحدث عادة في وقت واحد ، بالاضافة الى تدفق صورة منها على خدمات المراجع •

والواجب الاول لخدمة المراجع هو فهرسة الوثائق الواردة طبقا لشيفرة عددية على أسس مختلفة ، فقد تبوب على أساس الموضوعات مثل المطارات التجارية، وسائل النقل بالسكة الحديد، المعاهدات، الخ... أو على أساس المنطقة مثل السنغال ، فيتنام الشمالية ، اكوادور ، أو على أساس المصدر مثل سلاح الطيران - المطبوعات الاجنبية - الخدمة السرية ، أو على أساس الامن مثل سري جدا - سري - غير مبوب ، أو على أساس تاريخ المعلومات • والوثيقة التي بها اكثر من موضوع واحد أو منطقة واحدة ، يجب أن تدرج تحت مجموعة من الشفرات العددية •

وتصور الوثائق عادة تصويرا مصغرا جدا ، وتسمح البطاقات المثقوبة والتنظيم الالكتروني للمعلومات بسرعة استخراج الافلام المصغرة عند طلب المحلل •

وبالاضافة الى الفائدة المحققة من خدمة المراجع في تسجيل المعلومات وتخزينها واستعارتها ، فإن أجهزتها تمكنها من أن تخطو الى الامام خطوة أبعد ، وهذه الخطوة هي تركيب المعلومات استجابة لمطالب نوعية •

والواقع ان تكتيك تنظيم المعلومات يستطيع ان يستخرج بسرعة معقولة قائمة بالمنشآت الصناعية الكبرى في مدينة معينة ، كما يستطيع مثلا أن يستخرج قائمة تحوي أسماء علماء اسرائيل الذين يعملون بالبحث في النشاط الذري • وبينما هذه الاجهزة تمارس أعمالها بطريقة آلية ، فانها لا تستطيع الاستغناء عن المحلل ، ولكنها تعفيه من عبء كبير في تجميع البيانات ، وتمنحه الفرصة لبذل المجهود الاكبر في

• الجانب التفسيري للتحليل •

□ التحليل :

والتحليل في المخابرات يشبه بصفة عامة عملية البحث الاكاديمي وان كان يختلف عنها في كثير من التفاصيل • فمثلا الباحث الاكاديمي ذو حرية اوسع في بحث النظرية والمبدأ ، في حين أنه اذا كانت هناك نظرية اقتصادية تفيد محلل المخابرات ، فانه يستجيب فوراً لمطالب من يطلب الاحتياج • والباحث الاكاديمي يستطيع ان يوجه بحثه صوب مواضيع يرى أن المعلومات عنها ميسرة ، ولكن محلل المخابرات مضطر ازاء طلبات مستهلك المعلومات الى أن يحل موقفا يجد فيه ثغرات المعلومات واسعة جدا • وهذا معناه أن محلل المخابرات قد يطلب لتقديم نتائج على سبيل التجربة لا يستطيع الاكاديمي أن يقدمها ، لان الثاني غالبا ما يعلقها انتظارا لوصول بيانات أكثر ، وذلك لان قرارات السياسة لا تحتل التريث حتى تصل المعلومات الكاملة ، وقلما يحدث هذا الوصول •

وثمة فرق آخر يميز الباحثين عن بعضهما البعض ، وهو الفائدة المستمدة من الوقت المنصرف في دراسة المخابرات والدراسة الاكاديمية، فنادرا ما يحدث أن يكون ثمة وقت طويل يستفاد به في دراسة المخابرات، لان المطالب تتدفق وراء بعضها •

أما التمييز الآخر فهو يمثل حالة نفسية تدس الى الاكتئاب لدى الكثيرين من محلي المخابرات ، اذ يستطيع الاكاديمي أن ينشر اسمه ويبني بهذا شهرته الخاصة ، أما محلل المخابرات فلا يذكر اسمه ، ومعظم دراساته خالية من توقيعه وتداولها محدود •

ولكن على المحلل أن يعتاد على ذلك ، وكذا على فقدان فرصة الاستمتاع بفخر المؤلف ، وعليه أيضا ان تتوفر فيه مزايا أخرى يقدرها كل التقدير أولئك الذين وقع اختيارهم عليه للقيام بهذا العمل ، هذه المزايا يمكن أن نلخصها فيما يلي :

١ - علم الخبير :

يمكن تنمية العلم عند المحلل الصغير عن طريق الممارسة على العمل ، وهذا العلم هو أهم صفات المحلل الكبير ، فالمحلل الكبير لاسرائيل مثلا لا بد له من معرفة اللغة العبرية ، وأن يكون قد مارس العمل في المنطقة او الرحلة اليها ، وعليه أن يكون على معرفة تامة بشئونها كأي فرد في كلية جامعية . وعلم الخبير ليس كله حصيلة السن ، ولكن خطوطا من العلم التخصصي قد تتاح للشبان والشابات ، فالخريج حديث التخرج نسبيا يكون أقدر على فهم التكنيك المتبع في تحليل الاحصاءات الصناعية من الاقتصادي المنتمي الى جيل سابق ، والشباب الذي يعمل في مجال الطبيعة أكثر اهتماما ومتابعة للالكترونيات وما استحدث فيها من الاساتذة القدامى ، ولكن الاقدمية من جهة أخرى لها ميزاتها للمشرف الذي يسهل عليه ادراك التركيب العام للمشكلة ، وما يستلزمه هذا الادراك من الالمام بعدد من ميادين الدراسة .

٢ - الاملية :

قد يكون المحلل واقعا تحت ضغط قوي لمساندة ميول تقليدية . فمنظمة مخبرات حكومة في المنفى تكون عادة تحت شعور قوي للمبالغة في تحليل السمات الدالة على التدمير داخل الدولة . وغالبا فان الاختلافات بين التقديرات التي تعدها مصالح حكومية متعددة تعكس ضغوطا على المحللين لتعزيز اهتمامات هذه المصالح .

٣ - الخيال :

يقول وليم جيمس : « لا تعني العبقرية في الحقيقة أكثر من موهبة الإدراك بطريقة غير مألوفة » ، وهناك خاصية تميز الكثيرين من الخبراء الذين تقصر مواهبهم دون الوصول الى مرتبة العبقرية ، وتلك الخاصية هي عدم ايمانهم بنظرية الخيال . ان النتائج يجب الا تبنى الا على الحقائق ، ولكن نظرية الخيال ينبغي أن تقابل بترجمات ثم تتعرض للاختبار بواسطة الحقائق . فرفض هذه النظرية من جانب الخبراء هو المسئول عن استمرار وجود الاخطاء في عدد كبير من الحالات .

٤ - اليقظة للتفاصيل :

ان حجم المعلومات التي تتحرك عبر مكتب المحلل يكون عادة كبيرا جدا الى حد أنه قد يغفل تفاصيل هامة ، والمحلل المثالي هو الذي يحتذي طريقة شرلوك هولمز في التقاط الامر المهم من بين أكداث المعلومات .

وثمة خطر حقيقي من المبالغة في التحليل والوصول الى نتائج غير سليمة مبنية على أجزاء غير مترابطة من المعلومات ، ولكن رجل المخابرات الوظيفي « اقتصادي علمي حربي » غالبا ما يكون مشغولا

وتختلف العملية التحليلية في المخابرات باختلاف المكتب ، فمحلل المخابرات الوظيفي « اقتصادي علمي حربي » غالبا ما يكون مشغولا بدراسات الابحاث التي تشبه رسالات الدكتوراه ، وموظف المخابرات الجارية بتقديراته السريعة للتطورات اليومية يشبه محرر الاعمدة في الصحف ، أما موظف التقديرات فعليه أن ينسق حصيلة المعلومات الواردة من جهات متعددة بحيث تبدو في النهاية اجماعا في الرأي أكثر منها رأيا شخسيا . وهذه السمات تبدو مألوفة في عملية التحليل في اي مكتب من مكاتب المخابرات ، وسنعود لذلك بالتفصيل في الفصل الثالث

عشر من هذا الكتاب •

□ مراحل التحليل :

على أن عملية التحليل لا بد أن تمر بعدة مراحل هي :

١ - تعريف المشكلة :

على المحلل أن يكون لديه تعبيرات يحدد بها المشكلة ، وهذه ينبغي تعيينها لمن سيصنعون التقدير ، وقد تتكرر هذه التعبيرات للمحلل الوظيفي الذي يسهم في اصدار التقدير ، وقد يشار بوضوح لمحلل المخابرات الجارية بنفس المعنى الذي يرشد الصحفي الى ما يستأهل النشر من الاخبار •

٢ - تجميع البيانات والمعلومات :

ان ملفات المحلل هي عادة المكان الاول الذي يلجأ اليه للحصول على المعلومات التي يريدها ، فمثلا يلجأ محلل المخابرات الجارية المختص بإسرائيل الى ملفاته للحصول على نسخ من موجات السخط السابقة والموجهة من العمال الاسرائيليين ضد حكومتهم ، ويقارن بين نعماتها ونعمة الموجة الاخيرة • وبسبب ضيق الوقت قد تكون ملفاته هي المرجع الوحيد له مؤقتا ، ويستطيع المحلل الذي يبحث انتاج احدى الدول من المواد الغذائية أن يستعين بملفات المطلقين الآخرين وبالمكتبات وبالأجهزة الآلية لتجميع المعلومات التي يمكن ان تزوده بوثائق مخزنة في ارشيف المخابرات •

٣ - تقويم المعلومات :

ويجب على المحلل ان يحكم على بياناته في ضوء الانسجام الداخلي، وفي ضوء الانسجام مع البيانات الاخرى المعروفة ، فهل ما تدعيه اسرائيل مثلا عن الحصاد يتمشى مع احصاءات الاراضي المزروعة، ومع التقارير الجوية المؤثرة على الزراعة ؟ وهل تتمشى هذه الادعاءات مع تقديرات الانتاج المألوفة لديها ؟ وهل يتفق تقرير عن تحركات القوات مع تقرير الميدان عن امكان الاعتماد على هذا المصدر ؟

واحدى المهاوي الخطيرة التي قد يتردى فيها المحلل في تقويمه للمعلومات ، قد تنجم عن تحفظاته واصراره على رفض قبول المعلومات التي تتنافى مع ما لديه من معلومات ، ولقد كان أحد المفاهيم المكونة بواسطة مجتمع المخابرات الامريكي عن المانيا أثناء الحرب العالمية الثانية، ان تعبئة الاقتصاد الالماني فيما قبل الحرب لم تترك مجالا لتوسع أكبر في تلك الفترة القصيرة ، ولكن بالفعل ظل الانتاج الحربي الالماني متزايدا بانتظام حتى منتصف عام ١٩٤٤ . وقد حدث أن أعطت احدى وكالات المخابرات الامريكية تقريراً خلاصته أن الانتاج الحربي الالماني قد ارتفع عام ١٩٤٣ عما كان عليه سابقا ، فما كان من كثير من المحللين المزودين بالبيانات والمعلومات الا أن رفضوا قبول هذا التقرير .

وثمة خطر آخر يواجه المحلل في مرحلة التقسيم ويتجلى هذا الخطر في التأكيد الخاطئ للمعلومات والبيانات ، فالتقارير المستقاة من عدد من الجامعين للمعلومات ، غالبا ما يرجع الى مصدر واحد . ومن ثم ينبغي أن تعتبر هذه التقارير كلها تقريراً واحداً . ان خطر تأكيد المعلومات الخاطئة يتجلى بصفة خاصة في حالة ما اذا كانت حكومة اجنبية قد زيفت عمدا بعض التقارير بقصد احباط مخابرات العدو ، والمثل الكلاسيكي لمثل هذا الخداع هو « عملية اللحم المفروم » التي

تضمنت رسائل مزيفة أمكن الحصول عليها من جثة رجل انجليزي عند شاطئ اسبانيا في اثناء الحرب العالمية الثانية ، فقد خدمت هذه الرسائل المخابرات النازية ، وكانت تتيح لها تغيير خطط الدفاع الالمانية عن البحر المتوسط انتظارا لهجوم الحلفاء على سردينيا واليونان ، وهذا الخداع انقذ آلاف من أرواح الحلفاء عندما أنزلت القوات في صقلية (١) .

٤ - الدراسة والتفسير :

على المحلل بعد تجميع المعلومات واقرار الصالح والمقبول منها أن يقوم بتركيبها تركيبا يفسر الاحتياجات التي طلبت منه في بداية العملية التحليلية ، فمثلا يجب على الباحث المكلف بدراسة محاصيل اسرائيل أن يجمع معلومات عن الانتاج الزراعي السابق لمحاصيل معينة ، كما عليه أن يجمع أيضا كل ما أمكنه جمعه عن الاهداف الاقتصادية لنظام اسرائيل الاقتصادي ، كذلك عليه أن يجمع معلومات عن نجاح أو فشل الاهداف الزراعية السابقة . وبواسطة دراسته الشخصية ووصوله الى أحسن التفسيرات للمعلومات والبيانات ، يمكنه أن يقوم بتقديره لمحاصيل اسرائيل مع موازنة بينها وبين الاحتياجات الغذائية كما قدرت طبقا لنمو السكان وحالة الهجرة .

٥ - التقديم :

تختلف عبارة « معلومات المخابرات » عن مفهوم عبارة « المخابرات المصقولة » ، ولا تعتبر من النوع الثاني ، الا بعد أن تمر من خلال عملية التعليق والتفسير بطريقة تضمن صلاحيتها لأن تمر الى اشخاص آخرين . وقد يحدث هذا التمرير عن طريق خلاصات شفوية . ولكن غالبا ما

(١) تسمى هذه العملية ميسنسميت - راجع الحرب النفسية « صلاح نصر - الجزء الاول - ص ٢٣٢ دار القاهرة للطباعة والنشر سنة ١٩٦٦ » .

تقدم المخابرات المصقولة كتابة ، متخذة اشكالا تتراوح ما بين صفحة واحدة ودراسات تفصيلية مصحوبة بخرائط ومساعدات فنية أخرى .

□ التوزيع :

في مجال المخابرات تدور كلمة « التوزيع » ، ويقصد بها أن توزع المعلومات او المخابرات الختام على الاشخاص الذين لهم الحق في تسلمها . كذلك يستخدمها المحللون للتعبير بها عن توزيع المخابرات المصقولة ، والعملية متشابهة في الحالتين ، فان واجبات التوزيع منوطة بهيئة الخدمة ، وهذه الهيئة تستعمل السعاة العاديين او سعاة لهم خبرة في توزيع البريد ، أو قد تستخدم أجهزة التليتيب أو أجهزة أخرى كهربائية في نقل المراسلات .

وفي مرحلة التوزيع ينبغي على مكاتب التجميع ومكاتب المحللين أن تقرر مدى اتساع دائرة القراء الذين سيتلقون المعلومات ، ومن الممكن جزئيا أن يبنى هذا القرار على عامل الامن الذي يتسم به القرار المطلوب اذاعته . فلو كان مريا جدا فلا يمكن أن يوزع توزيعا مطلقا . ومن جهة أخرى فان قرار التوزيع تتحكم فيه قاعلة الحاجة الى المعرفة بغض النظر عن توافر الامن ، فلا ينبغي أن يتلقى الشخص الا المعلومات المطلوبة لكي يقوم بمسؤولياته بكفاءة تامة .

الفصل الثاني عشر



دور المخابرات في رسم السياسة

دور المخابرات في
رسم السياسة

خط فاصل - اطوار
المخابرات القومية -
الذين يستخدمون الانتاج
- وسائل المخابرات -
مهمة الانذار والتقدير -
المخابرات والسياسة -
تقييم المعلومات - قيمة
التقديرات •

من المعترف به في المنتديات التي تهتم بالسياسة القومية ، ان المخابرات يجب ان تتجنب اتخاذ موقف مؤيد او معارض لسياسة معينة ، اذ ان دورها هو الامداد بالمعلومات اللازمة التي قد تفيد من حيث هي عنصر من عناصر رسم السياسة •

ان السبب في وضع خط يفصل بين المخابرات القومية والسياسة القومية ، هو الحاجة الى الاحتفاظ بالمخابرات في موقف بعيد عن مظهر الدفاع عن السياسة ، فاذا اصرت المخابرات البحرية مثلا على ضرورة تعرض العدو للحصار البحري ، او اذا بالغت المخابرات الجوية في الحديث عن قوة الطيران الاجنبي ، فان بعض المراقبين قد يرون في ذلك تشابها مع عمل السماسرة الذين يجاهدون في تسويق بضائع معينة جريا وراء كسب عمولات مجزية • ولذلك فان دور المخابرات ليس رسم السياسة ، وانما تجميع المعلومات وتقويمها ، ثم تقديمها للمسؤولين عن رسم السياسة •

وينبغي ان يراعى في تطبيق هذا المبدأ ان تكون المخابرات في خدمة من يضع السياسة ، لا ان تكون معوقا له ، ومن المؤلف في تحليل المخابرات أن تفحص التأثيرات المحتملة في الدول الاجنبية للسياسات المترادفة التي قد تتخذها الدولة ، فمثلا تقديرات الموظف الاقتصادي في اسرائيل قد تعمل على اساس افتراضات متعددة لمدى تعاونها الاقتصادي مع الغرب ، وكذلك على اساس افتراضات التيارات العربية في المنطقة ، كما قد يتم تقديرها على اساس من الفروض المختلفة لتصرفات الاستعمار •

□ أطوار المخابرات القومية :

ان اطوار المخابرات القومية تشبه اطوار المخابرات التي على

المستويات الأدنى ، فمثلا تجميع المعلومات والبيانات وتحليل المادة المجمعة وتوزيع النتائج ، كل هذا متشابه في جميع اطوار المخابرات على مستوياتها المختلفة . ومع ذلك فالمخابرات القومية عملية معقدة بحكم اتساع نشاطها وتنوعه ، فالمحللون تفصلهم احيانا عن جامعي المعلومات قارات بأكملها ، مما يدعو المخابرات القومية الى بذل أنشطة للاتصال ، واستخدام أجهزة لتوائم بين متطلبات متخذي القرارات وقدرات جامعي المعلومات .

وللمقارنة ، فان جامعي المعلومات في ادنى مستويات عملية المخابرات قد يكون جنديا مكلفا بالوقوف في « نقطة ملاحظة » امامية ليلغ ملاحظاته لقائد بطاريتة ، ومثل هذه العملية تعتبر نموذجاً في البساطة . والقائد في هذه الحالة يفهم قدرات الجندي جامع المعلومات ، ولا يتطلب جمع المعلومات في الحالة نفسها أكثر من الصعوبة المألوفة في الاتصالات الشبيهة . ومتخذ القرارات يكون هو نفسه محلل المعلومات . ومن ثم يقوم بتقييم تقارير الجندي ، ويقرر ماذا يصنع حيالها .

وعلى مستوى اعلى قد يكون احد الضباط معينا لتلقي معلومات عن عدة نقط ملاحظة امامية ، ففي هذه الحالة يبدأ الفصل بين عملية اتخاذ القرارات وعملية التحليل ، وعلى الضابط ان يقيم التقارير الواردة له من جنود نقط الملاحظة على ضوء عدم التضارب فيما بينها ، وعلى ضوء عدم التضارب مع أية معلومات أخرى قد تلقاها ، وعليه ان يصل الى النتائج عن تصرفات العدو ونواياه .

وعلى مستوى اكثر علوا فان مجموعة مخابرات وحدة ما ، عليها أن تقيم المعلومات المستقاة ، وتعطي وجهة نظرها في مسالك العمل المتاحة للعدو . وفي مثل هذا المستوى تكون مصادر جمع المعلومات في منظمة المخابرات اكثر شمولاً مما هي عليه في المستويات الأدنى . ومن ثم ففي

هذا المستوى يصبح التخصص في العمل بين الجامعيين والمحليلين ومتخذي القرارات محددا تحديدا واضحا ، وتنشأ في هذه الحالة مشاكل اتصال صعبة بين هؤلاء المتخصصين •

المطالب :

وكلما زاد تعقيد المنظمة ظهرت الحاجة الى جهاز للمطالب يسر سبل الاتصال بين الاشخاص في المراحل المتعددة لعملية المخابرات ، اذ قد تنشأ الحاجة الى معلومات المخابرات في أي مستوى •

وقد تكون هذه المعلومات في متناول اليد في ملفات محلل المخابرات ولو حدث هذا لكان الامر هينا نسبيا ، اذ ما على المحلل الا ان يستغل مواهبه في تجميع وتقييم المعلومات باحدى الوسائل المعروفة ، كأن تقدم مذكرة مفيدة ومختصرة لمن يطلب هذه المعلومات ، وعندئذ فان العملية كلها منذ بدايتها الاولى لتجميع الاحتياج المطلوب حتى وقت الامداد بالمعلومات تتم في بضع ساعات •

وعند وجود ثغرات في ملفات المحلل ، فان عليه ان يسدها بالمعلومات المطلوبة ، وقد يخرج المحلل اذا ما استنفد وقتا في تجميع معلومات الاحتياج ثم اتضح له ان هذه المعلومات المطلوبة قد سبق جمعها فعلا ، ووزعت قبل ان ينتهي هو من الحصول عليها • ومن ثم فمن الضروري عند بحث الاحتياجات العاجلة ، ان يحاول المحلل ان يكتشف ان هذه المطالب لم يسبق الحصول عليها، اي عليه ان يراجع المحللين الآخرين الذين قد تكون المعلومات المطلوبة في ملفاتهم ، ومعنى هذا أيضا الرجوع الى خدمات المراجع الموجهة في ادارات المخابرات التي تستطيع بما لديها من الاجهزة الالكترونية ، ان تستخرج افلاما دقيقة

جدا مسجلا عليها وثائق المخابرات المستقاة من جميع ادارات المخابرات •
وعلى المحلل الذي يقرر الاستمرار في عمله ان يوضح احتياجاته
لجامعي المعلومات ، فلو طلب المحلل مثلا شيئا ما يتعلق بالتطور الاقتصادي
في اسرائيل ، فقد يحتمل ان يؤدي هذا الطلب الى بيانات اخرى لا علاقة
لها بنفس المطلب ، ومن ثم فمن المفيد عند ذكر الاحتياج أن تذكر بعض
أوصافه وظروفه لكي تساعد جامع المعلومات على اداء واجبه كرجل
يتقن فنه •

□ الذين يستخدمون الانتاج :

قد يكون من السهل لتفهم دور المخابرات في رسم السياسة ، او
تحديد العلاقة بين المخابرات والسياسة ، ان نبين الافراد الذين يحتاجون
الى انتاج المخابرات • ان هؤلاء الناس هم صانعو السياسة ومنفذوها ،
ويشمل ذلك كبار موظفي الدولة من رئيسها الى مجلس الوزراء ومستشاريهم
كما يشمل عددا كبيرا من الموظفين المدنيين من المستويات العليا نفسها الى
المستويات الدنيا لحد ما ، ويدخل في ذلك ايضا ضباط الجيش والبحرية
والطيران في بعض الوظائف المعينة •

وعلى الرغم من انه يمكن التمييز بين الرجال الذين يتخذون القرارات
النهائية ، وأولئك الذين يقتصر عملهم على التوصية بالسياسة ، وكذلك
التمييز بين من يوصون او يصدرون القرارات السياسية ، وأولئك الذين
يقتصر عملهم على تنفيذها ، فانه يبدو ألا فائدة من هذه التمييزات في هذا
المقام ، فالعدد القليل من الرجال الذين يشغلون مناصب القمة في الحكومة ،
لهم الحق في اتخاذ جميع القرارات الخاصة بالسياسة المبنية على تحاليلهم
هم أنفسهم ، ولكن من المؤكد انهم لا يجدون الوقت الكافي لممارسة هذا

الحق في كثير من الحالات • وتقضي الضرورة بأن يقوم مرؤوسوهم باتخاذ الجانب الاكبر من هذه القرارات •

وأغلب القرارات التي يتخذها الرجال هم الذين في القمة تكون مبنية على التحاليل التي يقوم بها مرؤوسوهم • والاجراء الروتيني يضمن وصول كثير من المشاكل الى مكتب موظف القمة للمرة الاولى في شكل تحليل وتوصية قام بها موظفوه • وحتى في حالة وصول المشاكل الى موظف القمة في اشكال أخرى ، فان هذا الموظف يحولها لموظفيه للدراسة • وفي هذه الاحوال التي يخول فيها موظف القمة سلطة الموافقة على موقف يقدم اليه بعد استكمال بحثه ومناقشته ، فمن العسير ان نحكم من هو الذي صنع السياسة • هل هم الذين قاموا بالبحث أم موظف القمة نفسه ؟

وبالاضافة الى ذلك فان الرجل الذي ينفذ السياسة لا بد له من اتخاذ قرارات عديدة ثانوية من شأنها حتما ان ترجح جانبا أو آخر •

وطبقا لهذا فاننا سنطلق على جميع هؤلاء الرجال - موظفي القمة المختارين والمعيّنين والموظفين المدنيين والرجال الذين عملهم الاساسي هو صنع السياسة او تنفيذها - اسم « الموظفون الذين يضعون السياسة وينفذونها » أو بتعبير أبسط « صانعو السياسة » أو « المنفذون » •

وينبغي ألا يكون هناك أي شك في أن هؤلاء الرجال سيكونون قادرين على التأثير في الدور الذي تلعبه منظمات المخابرات ، فان موظفي الحكومة القائمين برسم السياسة وتنفيذها هم اكبر المستهلكين لانتاج منظمات المخابرات ، فهم الذين يقررون مدى امكان الاعتماد على المعلومات التي يقدمها مثلوهم في الميدان • ومن هؤلاء الموظفين انفسهم ينبغي ان تصدر الاحتياجات التي تتسلمها منظمات المخابرات الخاصة بالدراسة او التقدير •

ومن ثم فإن هذا الفصل سيتناول أولا رأي المنفذين عن فائدة الوسائل المختلفة التي تلجأ اليها منظمات المخابرات في نشر اتجاها ، ثم بعد ذلك سنتناول رأي المنفذين في وظيفة الانذار والتقدير ، واخيرا آراءهم عن العلاقة الواجبة بين وظيفة المخابرات ووظيفة صنع وتنفيذ السياسة .

□ وسائل المخابرات :

يبدو ان المنفذين لم يعلقوا على وسائل المخابرات المختلفة الا اهمية ضئيلة على عمل منظمات المخابرات ، او على الاقل على عمل فروع البحث والتحليل التابعة لهذه الوكالات . فقد شعر بعض الموظفين أن التلخيص أو التعليق الذي تقوم به المخابرات دوريا ذو فائدة باعتباره نوعا من المراجعة للتأكد من انهم قد حصلوا على جميع المعلومات من خلال طرقهم الخاصة او باعتباره نوعا من المساعدة لمسايرة الاحداث في الدول الخارجة عن نطاق مسؤولياتهم .

وقال آخرون ان هذا مضیعة للوقت بل أبدوا التذمر من أن الاوراق التي تصدرها المخابرات كانت أطول مما ينبغي ، وان هناك منها عددا أكبر من اللازم وأنها تشتمل على مادة غير مناسبة اكثر من اللازم ، ولسبب أو أكثر من هذه الاسباب فإن الانسان لا يستطيع أن يقرأ ما يقدم له اذا غرضنا النظر عن هضمه .

أما المسح الموسوعي لدولة ما ، فإنه لم يكن معروفا معرفة واسعة لدى المنفذين مثل معرفتهم تماما بالاوراق التي تنتجها المخابرات، ولكن مع ذلك فقد كان له بعض المشايعين . فمثلا كان ثمة أحد الموظفين مغتبطا جدا بالمسح الذي عمل لدولة في نطاق عمله ، وقال ان هذا المسح قد أدى

خدمة كبيرة وذلك بتجميعه المعلومات المتناثرة المختلفة في مكان واحد ،
وبأنه قد أمد الانسان بخلفية طيبة للتعامل مع المشاكل اليومية .

ومن جهة اخرى فان مشروع البحث الطويل المدى لم يسانده الا اقل
الانصار ، فان الشعور السائد هو ان الدراسات الخاصة به كانت عبارة
عن مجلدات اكااديمية لا تشترك في شيء مع المشاكل العملية . وتقدير
المخابرات الرسمي للطاقت والنوايا والتطورات المستقبلية تقديرا نهائيا
لم يكن فقط معروفا معرفة جيدة ، بل كان مقبولا قبالا عاما باعتباره
ظاهرة دائمة .

وعلى الرغم من انه ليس هناك أحد من محترفي السياسة ينادي
بوجوب الغاء التقديرات ، الا ان كثيرا منهم كانوا يشعرون بان هذه
التقديرات تحاط بكثير من التحذيرات والقيود ، مما يجعل من يقرؤها
لا يستفيد منها كثيرا . ويتهم البعض بقوتهم لو ان رجال المخابرات
قاموا بعمل تقرير الارصاد الجوية، فانهم سيقروون أن الجو باكرا سيكون
جميلا اذا لم تمطر الدنيا واذا لم تمطر ثلجا !!

على ان هذا النوع من الادعاءات فيه افتراء وتقليل لقيمة البحوث
القيمة التي تقوم بها منظمات المخابرات .

وللبرهان على ذلك نستشهد بما يقوله احد موظفي الخارجية
الامريكية بالنسبة لقيمة ما تقدمه المخابرات في حل كثير من المشكلات .
يقول هذا الموظف : « منذ فترة غير طويلة قررت الجهات المسؤولة
أن تعيد النظر في السياسة الامريكية نحو مشكلة حدود ما بعد الحرب
الخاصة بدولة واقعة في مجال مسؤولياته . وكانت الخطوات في تطوير
السياسة الجديدة هي استعراض التصريحات الامريكية السابقة بشأن
الحدود ، وكذا الحقائق عن التطورات الدولية المرتبطة بالحدود ،

واصدار القرار عن السياسة الجديدة » •

وكانت مهمة قسم المخابرات هي انتاج البحث المتعلق بالخطوتين
الاوليين وقد استطاعت المكاتب السياسية بناء على ما قدمته المخابرات من
معالجة الخطوة الثالثة •

وثمة خير امريكي آخر أعطى مثلين عن الانتاج المفيد للمخابرات ،
اذ قال انه منذ فترة ما اكتشفت المصلحة التي يتبعها ان هناك شكا في ملكية
جزائر كورونادوز ، وهي مجموعة جزائر صغيرة بالقرب من شاطئ
كاليفورنيا • وقد صممت هذه المصلحة على ضرورة تخلي الولايات المتحدة
عن أية ادعاءات لها قبل هذه الجزر وذلك لاسباب سياسية ، وقد ارادت
المصلحة شيئا يعزز هذه التوصية • وبمراجعة العقود والخرائط والمذكرات
القديمة وما شاكل ذلك ، استطاعت المخابرات بأن تظهر انه على مدى
التاريخ فان الموظفين الامريكيين كانوا دوما يفترضون ان هذه الجزر
ليست ملكا للولايات المتحدة ، وحيث ان مصلحته قد سوندت بهذه
الخلفية التاريخية ، فانها استطاعت ان توصي بالتنازل الرسمي عن
الحقوق الامريكية على اساس من الحقائق •

أما المثل الثاني الذي اعطاه الخير ، فكان مرتبطا بمسألة تنفيذ
المعاهدة الخاصة بهجرة العمال بين المكسيك والولايات المتحدة • وفي
هذه الحالة فان مهمة المخابرات كانت هي الامداد بتاريخ هذه المسألة ،
الذي مكن مكاتب السياسة من استخدامه في عمل دراساتها وفي استنباط
التوصيات بالسياسة •

وبالرغم من ان التاريخ الذي قدمته المخابرات في النهاية كان شاملا
لكثير من الموضوعات المألوفة ، الا انه كان يحوي ايضا قدرا كبيرا من
المادة التي كانت جديدة ومفيدة جدا لهذا الموظف •

هذه أمثلة رائعة لوظيفة المخابرات ، وحيث ان رجال السياسة ليس

لديهم الوقت الكافي لمثل هذه الامور ، وحيث ان مهمتهم هي العموميات - أي خبراء في العلاقات السياسية لا يتقيدون بمنطقة معينة - فانهم يحتاجون الى خلفية للموقف العام لتساعدتهم على صنع السياسة ، ومهمة المخابرات هنا هي سد هذا المطلب باعداد المعلومات المبنية على الحقائق بغير تحيز .

ومن المهم أن نلاحظ أن انتاج المخابرات الموصوف في معظم هذه الامثلة ، ينبع من نوع واحد من بحوث المخابرات هو ما يسميه موظفو المخابرات « التدعيم بالحقائق » وبموجب هذا الاصطلاح يعنى رجال بحوث المخابرات اما بالتاريخ الزمني للاحداث المؤدي الى مشكلة ما ، واما بالبحث الآلي عن الحقائق التي تدعم قرار السياسة الذي تم اتخاذه . والعبارة تتضمن ان الانسان يدعم منفذ السياسة بالحقائق ، ويحميه بامداده بالحقائق التي تمكنه من الدفاع عن موقفه . ومضمونات هذا الاصطلاح مشابهة لمضمونات لفظي « تبرير عقلي » أي البحث عن أسباب قوية لتبرير ما يريد المرء ان يعمل .

وهل هذا فانه في المثل الاول من هذه الامثلة فان موظفي المخابرات كان عليهم ان يبحثوا عن المعلومات التي تدعم النتيجة المسلم بها وهي تخلي الولايات المتحدة عن ملكية جزر الكورونادوز . وفي كل من الامثلة الاخرى كان عليهم ان يقوموا بجمع حقائق تاريخية عامة عن المشاكل التي يجري بشأنها البحث . والمهم في الموضوع انه في مثل هذا العمل لا يوجد عنصر التحليل ، فهو عمل لا يزيد عن التنقيب بين تلال من المادة في بحث روتيني عن الحقائق .

□ مهمة الانذار والتقدير :

والواقع ان هناك اتفاقا في الرأي على ان اعطاء الانذار المبكر من

أهم واجبات المخابرات ، فمهمتها تنحصر في تجميع المعلومات الضرورية عن التطورات الخارجية ، وترتيب هذه المعلومات بحيث تكون هناك صورة عن الموقف الراهن ، ثم عرض هذه الصورة في ظروف المستقبل ، وبذا يمكنها أن تعطي الانذار عن التطورات المستقبلية .

هذه العملية يطلق عليها في لغة المخابرات كلمة « تقدير » . ان الاعتقاد السائد والذي تؤمن به اغلب الدول ان المخابرات هي المنظمة التي يجب أن تكون مسؤولة عن :

أولا - التعرف على مشكلة او موقف معين ، ومن ثم تجنب الالتفات الى ضرورة مجابهة الموقف بسياسة مناسبة .

ثانيا - بتقدير تطور المشكلة او الموقف الذي يعتبر نقطة البداية للذين يضعون السياسة ، وترشيح ما ينبغي عليهم ان يتخذوه حيال المشكلة أو الموقف .

ويلعب التنبؤ في هذه المسؤولية دورا كبيرا ، كما ان نجاحه يتوقف على كمية المعلومات التي يحصل عليها المحلل ، وكذا على قدرته في التقدير ، فلو كانت لدى المحلل مصادر يعتمد عليها ، بالإضافة الى قدرته ومهارته في نسج الحقائق - لاستطاع أن يقدر الموقف أو المشكلة تقديرا سليما .

ان المحلل يحتاج الى معلومات والى كفاءة في التقدير ، وهو بذلك يستوعب المعلومات ثم يفلسفها ، ليصل الى حكم صائب أو أقرب الى الصواب .

على اننا يجب ألا نغالي ونحكم بأن تقديرات المخابرات لا بد أن تكون سليمة دائما ، فالانسان ليس آلة حاسبة تفعل ما يطلب منها في كل مرة ، كما ان الناس تختلف في تفكيرها وطبائعها ، أي ان ثمة مشاكل

انسانية يجب أن نضعها محل الاعتبار • ان كل ما في استطاعة المحلل أن يفعله هو أن يضع تقديرا مبنيا على مدى صحة المعلومات التي حصل عليها ، وكذا على كفاءته وقدرته على الاستيعاب والتحليل •

وقد يبدو لنا أن تتساءل : هل هناك وسيلة ما لتحسين طرق عمل التنبؤات والتقديرات ؟

الواقع انه ليس هناك أفضل من أن نحصل على معلومات مؤكدة ، وعلى طراز من الرجال ذوي خبرة في عمل التقديرات •

ويؤمن الكتاب الامريكيون الثقافة الذين كتبوا عن موضوع المخابرات ، ان وظيفة الانذار هي دور اساسي للمخابرات • ويبدو انهم يعتقدون ان المخابرات ذات الكفاءة كان ينبغي عليها أن تنذر الولايات المتحدة فيما يختص بالهجوم على بيرل هاربر ، وحصار برلين ، وانتصار الشيوعيين الصينيين ، والهجوم على كوريا الجنوبية ، والتدخل الصيني في كوريا ، وكل حالة من القائمة الطويلة للاحداث التي فاجأتهم وسببت لهم الرعب على مدى سنوات •

واذا كان المرء يتحدث عن نوع الانذار الذي يعطيه العميل السري حين يكتشف معلومات خطيرة ذات أهمية مباشرة وواضحة ، فان رجال السياسة جميعا يوافقون على هذا • ولكن اذا كان المرء يتحدث عن نوع الانذار الذي تعطيه وحدة البحوث والتحليل ، وهو هذا الطراز من الانذار الذي ينجم عن الاتجاهات التقديرية وتحليل القدرات واستنتاج النوايا ، فان الآراء تختلف حيالها •

فالبعض يوافق على هذا الطراز من الانذار ولكنهم يرون ان هناك وظائف أخرى أكثر أهمية من هذا • فمثلا يقول البعض ان المخابرات ينبغي ان تشجع على دق ناقوس الانذار اذا شعرت بعد مراجعة المعلومات أن شيئا سيئا على وشك الحدوث ، أو أن مشكلة جديدة سوف تبرز ،

كما ان الواجب الاكبر للمخابرات هو أن تضمن وصول جميع الحقائق الى رجال السياسة — تلك الحقائق التي تدعم السياسة الحاضرة والحقائق الاخرى التي تناقضها . وهذا هو السبب في ان المخابرات ينبغي ان تكون منفصلة لكي يتم التأكد من الحصول على الحقائق بعيدة عن السياسة الجارية ، لان رجال السياسة ما هم الا بشر ، وهم كالمخلوقات الاخرى يميلون الى اهمال الحقائق غير المناسبة . ومن ثم فان الفرصة في الوصول الى الصورة الكاملة تكون قيمة اذا ما كانت المخابرات منفصلة عن السياسة حينما تقوم بجمع الحقائق وتقديرها .

ويعلق البعض بقولهم : « انها فكرة حسنة ان تكون هناك منظمة ما مثل المخابرات تكون مسؤولة عن اعطاء الانذارات وعن عمل التقديرات . وبالرغم من ان المخابرات هي المسؤولة عن اعطاء الانذار . فان ذلك لا يعني أن يظل كل شخص آخر مكما ، اذ ليس ثمة ضرر من أن يرى بعض رجال السياسة التهديد في نفس الوقت » .

ولكن البعض يرفضون الموافقة على هذه الوظيفة ، ويبدون شكوكهم في أية فائدة تنجم عنها . فهم يرون أن وظيفة الانذار او التقدير وان كانت منطقيا سليمة ، الا انهم حتى الآن لم يشاهدوها مطبقة عمليا .

ويقول البعض ان وظيفة الانذار تكون عظيمة جدا اذا استطاعت المخابرات حقا ان تؤديها ، وان تتمكن من أن تعطي انذارا واضحا محددا لا تحوطه الاحتمالات . ثم يستطرد هؤلاء فيقولون : « لعل الأهم من وظيفة الانذار مهمة تدعيم هيئة تخطيط السياسة ، وينبغي ان يكون هناك في القمة شخص ما لديه أفكار ينبغي ارتيادها ، ولكن ارتياد الافكار يحتاج الى المعلومات ، ولذا ينبغي أن يكون دور المخابرات ملء الثغرات التي قد تكون في المعلومات » .

وهناك آخرون يعارضون في السماح للمخابرات أن تعطي الانذار ،

ويذكرون هذا صراحة وعلانية ودون تحفظ ، فقد قال البعض ان ما يسمى وظيفة الانذار يجب ان يكون من مسؤولية المكاتب السياسية ، وينبغي ان تظل المخابرات خارجة عنها . وقال البعض ان مهمة المخابرات بالاضافة الى الجاسوسية هي التقاط الحقائق الغريبة ، كما ينبغي عليها ان تهتم اهتماما بالغا بالارقام وان تحصل على الاحصائيات النادرة ، وهذا النوع من الانذار هو الذي يعتبر هاما جدا ، وهو الذي يتيح لرجال السياسة فترة راحة قيمة . ومع ذلك فان أي شيء خارج عن نطاق التقاط الحقائق الغريبة ينبغي ان يكون من وظيفة هيئة تخطيط السياسة . وهذه الهيئة ينبغي عليها ان تكون مسؤولة عن اكتشاف المضمونات وان تقوم بتنسيقها مع امكانات الدولة .

ويعارض البعض ذلك فيقولون أن مهمة اعطاء الانذار وعميل التقديرات ينبغي ان تكون احدي وظائف السياسة فليس أقدر على هذا من رجل السياسة لان رجل المخابرات لم يهيأ لها . ويستطيع رجل السياسة أن يدرك ما تعنيه المعلومات ، لانه يدري بما يدور اذ سبق له ان حصل على الخبرة المناسبة . وطبعاً لا يضير رجال السياسة ان يستأنسوا برأي أي انسان يكون قد أطلع على المادة ، ولكن اية تعليقات تقوم بها المخابرات ينبغي ان تظل لها صفة العموم .

ومهما تعددت الآراء ، فائساً نرى أن مهمة الانذار والتقدير مسؤولية مشتركة بين المخابرات والسياسة ، وان كان من الصعب جداً أن نرسم خطاً يفصل بين مسؤوليتيهما ، كما نعتقد ان القرارات المبنية على تقدير امكانيات ونوايا الدول الاخرى ينبغي أن تكون احدي وظائف السياسة ، فرجل السياسة بخبرته العملية الواسعة أقدر على تأدية هذه الوظيفة ، ويجب أن يكون دور المخابرات الاول هو الامداد بالحقائق المقيمة التي يبنى عليها رجال السياسة قراراتهم .

□ المخابرات السياسية :

حيث ان عددا كبيرا من المنفذين يساورهم الشك في وظيفة الانذار والتقدير ، وهي الوظيفة التي يفترض بصفة عامة انها واجب نمطي للمخابرات ، فانه لا يدهشنا ان نجد عددا أكبر من بينهم يعترضون بقوة أكبر على أي اقتراح بأن يسمح للمخابرات بأن تقترب من هذا الى السياسة ، أو أن يسمح للمخابرات بأن ترتاد مترادفات السياسة المفتوحة أمام الدولة في منطقة معينة ، أو ان تفحص سلامة الاصول التي تبني عليها سياسة معينة .

فمن القائل انه اذا سمح رجل السياسة للمخابرات بأن ترتاد السياسات المترادفة ، فانه بهذا يكون قد تحاشى مسؤوليته . وحتى لو كان رجل السياسة ليست لديه الحقائق عن المشكلة ، فينبغي عليه بالرغم من ذلك أن يضع القرارات ، بعد أن يتأكد من حصوله على الحقائق ، وهذا هو السبب في وجود منظمات المخابرات . ويختتم حديثه بتأكيد ان المخابرات عليها ان تقدم المعلومات ولا شيء غير هذا .

وهناك آخر يقول : « ان هذا النوع من العمل لا يخل ضمن نطاق عمل المخابرات ، فعلى المخابرات أن تجمع الحقائق وان تنظمها وان تحدد وزنا للحقائق التي جمعت ونظمت » . فاذا ما قامت المخابرات بهذا العمل فعندئذ تكون قد قامت بعمل يستأهل صرف الوقت ، أما وضع القرارات بالنسبة للمشكلة ، فهو وظيفة رجال السياسة الذين سبق أن حصلوا على الخبرة العملية في هذا النوع من المشاكل » .

وفي مناقشة بشأن دراسة للمخابرات عن الشرق الاقصى سئل موظف أمريكي عن النتائج التي وصلت اليها هذه الدراسة ، فردد الموظف لفظة « نتائج » بنعمة من الشك المبحق وقال : « ان المخابرات لا يفترض

فيها ان تصل الى نتائج بل عليها ان تتأكد ان التقرير يحوي كل الحقائق التي يمكن الوصول اليها ، اذ ان مهمتها هي الخلفية ، والخلفية أمر مهم جدا » •

اعترف هذا الموظف بأنه في ظروف كثيرة كانت المخابرات مضطرة أن تصل الى نوع من الاستنتاج ، ولكنه قال انه عندما حدث هذا ، فإن المخابرات كانت تميل الى الابتعاد عن الحقائق الضرورية وعن واقع ما يجب أن يعمل •

لقد كانت المخابرات تسلك بهذا السبيل سلوك الابراج العاجية ، وترتب على هذا ان أية استنتاجات قدموها كان لا بد من مراجعتها بدقة كبيرة بواسطة اناس ممن يتعاملون مع الدولة يوما بيوم •

والتبرير الكامل في هذه المناقشات يبرز المرة تلو الاخرى عندما يسأل المنفذون أن يعللوا موقفهم ازاء دور المخابرات • فالموظفون اولا وضعوا تأكيدا كبيرا جدا على اهمية الحصول على « جميع » الحقائق • وهم يخشون ايضا ان الرجل الذي يحاول حل المشكلة او الذي يفكر فيها سوف يصبح داعية غير منطقي لحل يهواه هو • فهم يشعرون انه اذا قام هذا الرجل ايضا بجمع الحقائق عن المشكلة فسوف يكون ميالا الى اختيار الحقائق التي تعزز سياسته ، وعلى ذلك سوف لا يجد الجواب الحقيقي •

وهناك ايضا عدم الثقة في رجل البحوث ، وحيث انه يبدو أن هذا الاتجاه مستد جزئيا الى زجل الاقتصاد ، ولكنه لا يصل اطلاقا الى العالم الطبيعي ، فقد يكون هذا الاتجاه نابعا على الاقل جزئيا من النمو غير الكامل للعلوم الاجتماعية نفسها •

ولكننا على أية حال نجد انه بينما يكون على المنفذ أن يشعر بشعور صبي الساحر عندما يحاول أن يجاري تدفق المشاكل العاجلة التي تتطلب

العمل ، فان الباحث يكون اشبه بالحالم من حيث انه يمضي حياته مكباً على كتب يعلوها التراب ، في مكتبات أكلتها الرطوبة بمعزل كبير عن واقعيات الحياة • وفي نفس الوقت فان المنفذين يميلون الى الاعتقاد بأن الخبرة العملية تعتبر أكثر من التدريب الأكاديمي ، وهي الطريق الوحيد للحصول على المعرفة والحكمة اللازمين في علاج المشاكل التي تنشأ في العالم الحقيقي • وظاهرياً فانهم يعتقدون أن الخبرة العملية تنمي في المرء القدرة على الاحساس بالمشكلة وتنمي فيه ملكة الالهام الدقيق، كما انه بهذه الحاسة السادسة فقط يستطيع الانسان أن يزيع الشك المتراكم ، والعقد المحيطة بالمشكلة في الشؤون الخارجية ، وان يقف على طريق العمل الفعال •

والواقع انه لا يمكن ان تكون منظمة المخابرات موضوعية الا اذا كانت مستقلة ، وينبغي على رجل المخابرات الا يكون له أي هدف في عمله سوى الابلاغ عن الحقائق كما رآها • ومن الناحية العملية فان كل انسان له آراء في السياسة ، وليس ثمة ما يضمن الموضوعية الا اذا كان الشخص الذي يجمع المعلومات منفصلاً عن السياسة ، وهي نظرية سليمة • ان ارتياد المترادفات هي وظيفة السياسة ، فاذا وجه رجال المخابرات عقولهم نحو مسائل السياسة فلن يستطيعوا أن يكونوا موضوعيين •

على انه من الخطأ أن يسمح لرجال السياسة ولرجال المخابرات بارتياد المترادفات • فاذا كان رجال المخابرات خيراً من رجال السياسة ، فعلينا ان نغير العلامات التي على الابواب وان نعطيهم وظائف سياسية • ولكن اذا دمجنا الوظيفتين فانتا نودي بفكرة ونظرية المخابرات ،

ومن جهة اخرى فان المنفذ معرض ايضاً للتحييز بالرغم من انه في العادة أقدر على التفسير من رجل البحث • وعلى ذلك فانتا ما زلنا في

حاجة الى شخص ما يرتب لنا الحقائق وينسقها لكي يراها المنفذ كلها وهي تحقق في وجهه •
وعندئذ يستطيع المنفذ ان يقول : « هذه حقيقة ولكن لا نريد ان نلقي بالا اليها • ومع ذلك فهي المفتاح » • ولكن لا ينبغي ان يقوم المنفذ بتنظيم الحقائق وتنسيقها لانه قد يريد ان يهمل احداها أو لا يواجه حقيقة هامة •

□ تقييم المعلومات :

ان اهم الوظائف التي تؤديها المخابرات هي وظيفة تقييم المعلومات التي جمعت ، لمعرفة مدى صدقها وصحتها ومغزاها السياسي • ويعتمد الاجراء العادي لتقييم وثيقة ما لمعرفة مدى صدقها على فحص المميزات المادية او الطبيعية للمادة التي تم الحصول عليها ، ويعتمد ايضا على تحليل ما تحتويه تلك المادة •

والعنصر الهام في تقييم وثيقة او معلومات شفوية هو درجة الوثوق في « المصدر » الذي جاءت عن طريقه المعلومات ، فاذا كان من جاء بالوثيقة « مبلغا » موثوقا به تماما نتيجة تعامله مع المنظمة التي يعمل معها ، فانه غالبا ما ينظر الى الوثيقة بعين الاعتبار ، وينطبق نفس الشيء على المعلومات الشفهية • فعندما يقوم « مبلغ » موثوق به - أي أثبت دائما انه صادق في قوله - انه رأى أو قرأ تقرير كذا وكذا ، فان معلوماته يعتمد عليها الى حد كبير ، وان كان من الضروري تأكيدها بمصادر أخرى •

وفي الحالات التي لم يختبر فيها المبلّغ اختبارا كافيا ، تحاول منظمات المخابرات فحص كل قصاصة ورق أو معلومات تجيء عن طريقه • وتكون عملية الفحص أو التحري أقل صعوبة اذا كان لدى المخابرات مبلّغ مماثل له نفس الفرصة للاطلاع على نفس الملفات •

على ان منظمات المخابرات تكون اكثر حذرا وحرصا ازاء الوثائق التي تتلقاها من المبالغين الذين يطمعون في المال ، وبخاصة في الحالات التي ترتبط فيها قيمة المكافأة او المنحة بمدى اهمية الوثيقة .

ويظهر قانون العرض والطلب واضحا في دوائر المخابرات ايضا ، فاذا ما عرف أشخاص لا ذمة لهم ولا ضمير بأن بعض وكالات الحكومات تسعى الى الحصول على معلومات معينة تدفع في مقابلها مبلغا كبيرا ، فانهم يسارعون الى تزوير معلومات « سرية » ، ثم يعرضونها على حكومات مختلفة ، وبعض هؤلاء المتخصصين في تزيف الاسرار ، وهم الذين يتصفون بالمهارة في معرفة الشؤون الدولية والذين يتابعون عن كثب الصحافة العالمية - هؤلاء قادرون على تزيف وثائق كفيلة باجتذاب انظار وزارات الخارجية في العالم . وهؤلاء الاشخاص يتصلون بالسفارات والوزارات الاجنبية يعرضون عليها بضائعهم الثمينة ، وهم عادة يتقمصون شخصيات وسطاء يعملون لصالح « اصدقاء شخصيين » في السلك الدبلوماسي لدولة اخرى . وتنطلي الحيلة احيانا على بعض أجهزة المخابرات التي تخدع بسهولة فتحصل على المعلومات ، وكم تكون خيبة أملها فيما بعد عندما تكتشف ان المعلومات والوثائق ما هي الا أوراق مزورة .

وفي مجال العلاقات الدولية ، فانه من الممكن أن نرى الدرجة التي يخدع بها اشخاص مؤهلون تأهيلا عاليا - من الممكن أن نرى ذلك في قصة حدثت ، ذلك أن عددا من الخبراء الامريكيين في شئون الاتحاد السوفيتي اصدروا حكمهم بصدق وصحة مخطوط مزور قدم الى الولايات المتحدة على انه « المفكرة السياسية » لوزير الخارجية السوفيتي السابق ماكسيم ليتفينوف .

والحق ان المخطوط كان مزورا ، وقد قام بتزويره دبلوماسي سوفيتي

سابق كان قد انفصل عن الكرملين منذ عدة سنوات سابقة .

هذه القصة تبين لنا كيف أن عملية تقييم المعلومات السياسية ، أمر شائك لا يتسم بالامان . وهذا هو السبب الذي يجعل منظمات المخابرات تعلق أهمية بالغة على معرفة مصدر المعلومات ، وعلى الحكم على تلك المعلومات على أساس درجة الوثوق في « مصدر » المعلومات .

وهذا هو السبب الذي يدعو معظم منظمات المخابرات - كقاعدة عامة - الى أن ترفض التعامل مع الوسطاء الذين يرفضون اعطاء اسم مصدر المعلومات ، واسم الشخص الذي حصلوا منه على المعلومات . فاذا كانت الوثائق شيقة وطريفة جدا ، ويبدو انها حقيقية أصيلة ، فان ضابط المخابرات قد يعرض على الوسيط أن يعطيه مبلغا من المال أكبر مما طلبه الوسيط بشرط أن يذكر الوسيط له اسم المصدر ، وأن يتعهد بالجمع بين ضابط المخابرات وبين المصدر في لقاء اذا استلزم الامر ذلك .

ولكن تقويم المعلومات لا يمكن أن يعتمد فقط على هذه الطريقة فان برامج الابحاث الواسعة لها قيمتها الكبيرة في عملية التقييم ، فهي تساعد على تفهم المغزى من وراء المعلومات التي تحصل عليها المخابرات . وهنا يلعب التنبؤ - كما سبق شرحه - في معرفة نوايا وقدرات الدول محل الدراسة أو البحث .

ومما لا شك فيه أنه ليس هناك هيئة أو منظمة تواجه التجربة والاختبار بأقصى مما تواجهه المخابرات ، فانه بالنسبة لما يدور في العالم من احداث سريعة ومتشعبة تستطيع أن تقدر الجهد الجبار الذي تقوم به المخابرات طوال ساعات الليل والنهار ، حتى تستطيع أن تقدم التقديرات الطويلة الاجل التي يجب أن تقدمها لأولئك الذين يرسمون السياسة ، ومن ثم فانه لا توجد هيئة ما في الجهاز الحكومي لاي دولة تزيد أهميتها على الاهمية التي للمخابرات .

ومثل هذه التقديرات في الواقع لها قيمتها بالنسبة لواضعي السياسة ومخططيها ، بل انها تلعب دورا اساسيا في الامن القومي للدولة .

فعلى سبيل المثال يجب على مخططي السياسة في بلادنا أن يستطيعوا أعداد الاجابات الصحيحة لكل المسائل التي تتعلق بالمستقبل عن سياسة اسرائيل وما يرتبط بها . وسنذكر بعض الاسئلة على سبيل المثال لا الحصر .

هل ستستمر اسرائيل في وضعها القائم الخصم الاول للعرب .
والشوكة التي تهدد كيان العرب ؟

- الى أي مدى ستستمر مواجهة المعسكرين في المنطقة ؟
- في أية صورة يمكن أن يظهر العداء الاسرائيلي في المستقبل ؟
- ما مدى جدية التعاون الفعال بين الدول العربية لمواجهة الخطر الاسرائيلي ؟
- هل ستستمر الدول العربية في تقديم المعونة لاسرائيل ؟
- الى أي حد يمكن للمنظمات الدولية التأثير على مشكلة الشرق الاوسط ؟
- هل من المحتمل حدوث تفكك في جبهة الامة العربية مما يؤثر على الصراع الماثل اليوم ؟
- هل من المحتمل أن تحدث تصدعات داخل احزاب اسرائيل ، وهل تستطيع اسرائيل التغلب على ذلك ؟
- ما الجداول الزمنية والاتجاهات الرئيسية في تطور تسليح اسرائيل من ناحية الاسلحة وخاصة ذات القوة المدمرة الكبيرة ؟
- هل من الممكن لاسرائيل ان تحقق اطماعها التوسعية على حساب

العرب ، وبأي شكل ؟

— ما طابع الاتجاهات في التقدم الاقتصادي والسياسي داخل إسرائيل ؟

— ما التأثير الحقيقي لدول عدم الانحياز على مشكلة الشرق الاوسط ؟

— الى أي مدى سيكون للحرب الباردة القائمة اليوم تأثير على حل أزمة الشرق الاوسط ؟

— ما الحقائق السياسية التي يجب أن تحكم سلوك الدول العربية حيال هذه الازمة ؟

— الى أي مدى يمكن جمع وحدة الجهد العربي في سبيل معركة المصير ؟

— هل للاختلاف الايديولوجي داخل الامة العربية أثر على هذه الازمة؟ وما هو أثره الحقيقي ؟

— الى أي مدى يمكن استغلال بتروال العرب لمواجهة التحدي في المنطقة ؟

— هل للصراع الايديولوجي بين الصين والسوفييت أثر على مشكلة الشرق الاوسط ؟ وهل يمكن أن تتضارب مصالحهما ؟

— ما التطورات المستقبلية في العلاقات الدولية بين الدول التي لها دخل او مصلحة في أزمة الشرق الاوسط ؟

هذه بعض الامثلة القليلة من آلاف الاسئلة التي يجب على المخابرات أن تجيب عليها . وهي توضح أن المخابرات تقوم بواجب تحسد عليه ، إذ عليها أن تقدم اجابات صحيحة لكل هذه الاسئلة ، وكذا الامداد بالمعلومات اللازمة لضمان انتفاع الدولة من اتجاهات حوادث المستقبل .

ويتوقف الاستخدام السليم لأي من وسائل السياسة القومية على درجة جودة وصحة تقديرات المخابرات • والواقع أن المخابرات الدقيقة هي دائما دعامة النجاح في استخدام الدبلوماسية والقوة العسكرية والضغط الاقتصادي والدعاية •

وهكذا تدرك مدى ثقل عبء المسؤولية الملقاة على عاتق أولئك الذين يضعون تقديرات المخابرات ، وأولئك الذين يشتركون في رسم السياسة القومية •

الفصل الثالث عشر



وسائل إنتاج المخابرات

وسائل إنتاج المخابرات
تقارير المخابرات الجارية
- المخابرات الخام -
الابلاغ الشفوي المختصر
- المطبوعات اليومية
والدورية - تقديرات
المخابرات القومية -
محل المخابرات الجارية
- انواع تقديرات
المخابرات - التقدير
الخاص بمشكلة معينة
- صعوبة التكهن
بالاحداث - مشكلة
التسيق بين الاجهزة .

اولا : تقارير المخابرات الجارية :

بما أن الازمات المستمرة قد اصبحت الظاهرة المألوفة على المسرح العالمي ، فان حاجة واضعي الخطط الى أن يسبقوا التطورات قد فرضت مطالب عدة على المخابرات القومية ، وهذه المطالب تلبي احتياجاتها وسائل انتاج المخابرات الجارية التي لا تختلف كثيرا عن الوسائل التي تستخدمها الصحافة في نشر الاحداث الجارية .

والهدف من مثل هذا النوع من التقارير هو احاطة كبار المسؤولين في الحكومة ، الى جانب الموظفين المهمين في الوزارات والاقسام الاخرى في الحكومة ، بما يجري في العالم يوما بيوم أو اسبوعا باسبوع . وفي هذا النوع من التقارير لا تقرر الحقائق ببساطة كتكوين حكومة جديدة في بلد ما ، أو وقوع اشتباك عسكري على حدود بلدين ، ولكننا نحاول أن تتنبأ قليلا عن المستقبل لنبين ما سيتوَّب على هذه التطورات في الايام او الاسابيع التالية ، ولا نسعى للنظر بعيدا جدا في هذا النوع من التقارير . ذلك لانه اذا كان المحلل سيكتب تقارير مخابرات جارية كل يوم ، فلن يكون لديه وقت كاف للتحليل والتنبؤ لمدة شهر أو سنة مقدما ، وهذا أمر من العسير القيام به اذا لم تكن ثمة فرصة لمحاولة فهم سلسلة كاملة من التطورات .

١ - المخابرات الخاسم :

وهي تشبه الى حد ما ما تذيعه الاذاعة أو التلفزيون ، فمثلا اذا اذاع راديو اسرائيل خبرا كالاتي : « تقطع البرامج لنذيع عليكم ان اسرائيل تعلن الآن اول نجاح في انتاج طائرة مقاتلة حديثة ، ونرجو أن تظلوا مستمعين لهذه المحطة انتظارا لتفاصيل أخرى » فعلى رجل المخابرات المناوب في مكتب مراقبة المخابرات الجارية في الصباح الباكر أن

يتلقى مثل هذا الخبر الهام ويبلغه فوراً الى كبار المسؤولين دون تحليل تفسيري ، وقد يضيف أنه سيتبعه بتعليق توضيحي . ولذا فان اخطار كبار المسؤولين سريعاً بهذا النبأ - بتحليل أو بغير تحليل - هو أحد الواجبات الهامة لمكتب المخابرات الجارية .

٢ - المذكرة المكتوبة :

هذا الطراز يستخدم للتحاليل التي لا يمكن تضمينها مطبوعات منتظمة الصدور طبقاً لجدول زمني ، ولعل الوقت هو أحد الاسباب ، فقد ينتهي العمل اليومي ويصبح الوقت متأخراً جداً اذا اريد اعادة تشغيل الآلات . ولكن لا بد لكبار الموظفين من الحصول على الانباء والتعليقات لتكون امامهم بأسرع ما يمكن ، فالمذكرة المكتوبة تخدم ايضاً باعتبارها متنفساً للمحلل الذي يريد أن يقدم رسالة قد تكون خيالية بأكثر مما تقبل النشر الرسمي . وفي بعض الاحيان عندما يكون ثمة خلاف في وجهات النظر بين المحللين والمنتسبين الى وكالة مخابرات واحدة ، فان تبادل المذكرات هو المقدمة للوصول الى اجماع في الرأي .

٣ - الابلاغ الشفوي المختصر :

وهذا يستخدم غالباً لتوفير الوقت ، والمحلل المكتبي يقرأ معلومات المخابرات ثم يسرع الى مكتب الموظفين الاعلى او الى منزله ليعطي تقديره السريع عن مدلول هذه المعلومات ، وأحياناً توضع الابلاغات الشفوية في شكل جداول لصالح الموظفين الراغبين في الاخذ والرد بشأن المشاكل ، وذلك عن طريق السؤال والجواب .

٤ - المطبوعات اليومية :

على أن الوسائل السابق ذكرها لتوزيع المخابرات الجارية لا تمكن

من تنسيق المخابرات فيما بين الادارات المختلفة ، وهذا التنسيق هو الذي يتطلبه انتاج مخابرات قومية سليمة ، اذ ان الوسائل السابقة تقدم وجهة نظر مكتب واحد او محل واحد ، ولكن المخابرات المنتجة على المستوى القومي تظهر في المطبوعات الرسمية التي تشترك في انتاجها الادارات والمصالح التي تنتمي الى مجتمع المخابرات .

وهذا التقرير يعتبر الجريدة اليومية لمجتمع المخابرات مع تميزه عنها بأن التعليق التفسيري فيه هو أحد ظواهره البارزة ، وفي حالة المخابرات التجارية فان ضغط الوقت غالبا ما يعوق انتاج تحليل كامل على أساس من الاشتراك التنسيقي بين الادارات المتعددة .

هـ - المطبوعات الدورية الاخرى :

ومطبوعات المخابرات التجارية التي تصدر اسبوعيا أو كل اسبوعين أو كل شهر تشبه ملاحق المجلات والصحف الكبيرة ، وهي تلخص وتحلل الاحداث الجديدة من مركز اشرافي يساعد على نظرة أوسع أفقا مما كان يمكن ان يحدث في حالة النشر اليومي - ونجد في هذه الحالة أيضا أن واضعي السياسة يعتمدون اعتمادا كبيرا على التحليل التي تنتجها الادارات الفردية ، وذلك بالإضافة الى التحليل التي تظهر في المطبوعات الدورية الفردية ، وذلك بالإضافة الى التحليل التي تظهر في المطبوعات الدورية

٦ - تقديرات المخابرات القومية :

وهذا الطراز يستخدم لا للتقدير الاستراتيجي البعيد المدى فحسب، ولكن أيضا في بعض الاحيان للتقدير السريع ، فمثلا اذا وصلت التطورات التجارية الى حد الازمة ، فان المسؤولين عن رسم السياسة في الدولة غالبا ما يطلبون اعداد تقدير مخابرات سريع يوضح رأي المخابرات عن الازمة أو المشكلة القائمة .

محلل المخابرات التجارية :

ان الخاصية البارزة في اتاج المخابرات التجارية هي ما تتطلبه من السرعة في عمل المحلل ، فهو كالصحفي لا بد له من أن يقابل كل يوم فراغا يجب أن يملأه سريعا بالكتابة . والواقع أن الحالات التي تتطلب منه عمق البحث تعد استثناء لا قاعدة ، اذ أن جانباً كبيراً من نشاطه يصرف في وصف تطور ما أو التعليق على مغزاه باختصار . وكل هذا قد يكون في حدود صفحة واحدة ، فقد يبلغ مثلاً عن تغيير وزاري في إحدى الدول ، وعن طريق التعليق قد يعطي صورة عامة لتاريخ حياة رئيس الحكومة الجديد . أو يذكر المناصب الأخرى التي تولاها من قبل ، ومدى قوة الحزب الذي ينتمي إليه ، أو قد يذكر النظريات والخطط التي تؤمن بها الوزارة الجديدة .

وتعليق المحلل ذو وظيفة مزدوجة ، فهو أولاً يزود بأساس من المعلومات عن تاريخ حياة رئيس الحكومة الجديد مما قد يمين القارئ على فهم التقرير فيما بعد . وهو ثانياً يفترض ما قد يحدث بعد ذلك من تطورات أبعد مدى . والحق أن وظيفة الامداد بالصورة الخلفية للمعلومات أمر هين على المحلل المتمكن من عمله ، ولكن وظيفة التكهّن والتنبؤ تعتبر من طراز آخر له صعوبته الملموسة .

والمكتبة وخدمة المراجع التي يمكن أن تستخدم على نطاق واسع بواسطة القائم ببحث مشروع طويل الأجل قد تكون ذات قيمة محدودة بالنسبة لمحلل المخابرات التجارية الذي عليه أن يعد تعليقاته فوراً ، وقد يسمح له الوقت بالاتصال التليفوني بالمحللين الآخرين ، الذين قد يكون لديهم معلومات عن الموضوع ، ثم يكف بعد ذلك على مصادره الخاصة التي لا تخرج عن ملفاته وعن المعلومات التي في رأسه . ومحلل المخابرات

الجارية يجب عليه أن يكون خبيراً في منطقته ، فليس لديه الوقت أن يتعلم ، لأنه يكون مشغولاً بصفة مستمرة في عمله ، وعليه أن يستعين بما لديه من معرفة تساعد على التحليل .

والضرورة التي تقضي بالتحليل السريع تفرض قسماً من علم المحلل كما تفرض قسماً من الفصاحة الكلامية . ومحلل المخابرات الجارية يلزم أن يجيد الكتابة السريعة ، والقدرة على التعبير .

ويتضح مما سبق أن الشخص الذي اعتاد تحليل المخابرات الجارية يكون حساساً لمؤثرات التغيير ، ومع ذلك فهو يعلم أنه قد لا يفتن إلى معرفة اتجاه ما عند بدايته .

والحاسة السادسة التي يأمل محلل المخابرات الجارية أن تدله سريعاً على اتجاه التطورات ما هي إلا خليط من الصورة الخلفية للمعلومات ومن التفاصيل ذات المغزى . ويعتبر محلل المخابرات الجارية أكثر من المحللين الآخرين من ناحية أهمية حقيقة معلوماته ، إذ يحتم عليه عمله ألا يفوته ما هو حادث الآن في ضوء ما حدث سابقاً ، وكذا ما سيحدث بعد ذلك .

اخفاق المخابرات الجارية في الماضي :

أظهر البحث في أسباب الاخفاق الذي أصاب المخابرات الجارية ، أن الضعف لا يكمن في عدم التمكن من الوصول إلى المعلومات بقدر ما يكمن في التحليل الخاطئ . وقد قال آلين دالاس : « غالباً ما يكون استخدام الانتاج أصعب بكثير من الحصول عليه » . وأبرز ما يبرهن على صدق هذا القول هو الهجوم على راند ستد في ديسمبر سنة ١٩٤٤ ، إذ قام الألمان بهجوم مكون من ٢٤ فرقة مشاة ومدرعة على جبهة عرضها ٥٠ ميلاً وبعمق قدره ٦٠ ميلاً ، وقبل الهجوم جمعت المعلومات الكافية

لتظهر أنه كانت تجري امدادات المانية شاملة . وفي الحقيقة كانت مخبرات جيش العدو قد تنبأت بهذا الهجوم قبل حدوثه بعدة ايام ، ولكن مخبرات المستويات الاعلى خالفت هذا التنبؤ مستتجة ، أن الالمان غالبا يقومون فقط بتقوية مراكزهم الدفاعية .

وفي بعض الاحيان يرجع اخفاق المخبرات الجارية الى الاخفاق في اقناع واضعي الخطط ، فستالين مثلا كان يتخذ موقفا سلبيا على الدوام نحو التقارير التي تشير الى هجوم الماني وشيك الوقوع في عام ١٩٤١ ، وبالمثل فان هتلر قد تجاهل تكهنات انزال القوات الانجليزية الامريكية في شمال افريقيا .

ومن أسوأ حالات اخفاق المخبرات الجارية في تاريخ امريكا عدم توقع الهجوم الياباني على بيرل هاربر ، وهنا مرة اخرى اذا رجعنا للوراء وجدنا أن المعلومات الكافية كانت ميسورة لليقظين من ضباط المخبرات وواضعي السياسة ، ومع ذلك لم يكن ثمة تقدير كامل لمدلول هذه المعلومات ، بالاضافة الى أنه اخفق في ايصال معلومات المخبرات الى جميع الجهات التي ينبغي أن تصل اليها . فقد كان معروفا مثلا أن قنصلية اليابان في هونولولو كانت قائمة بارسال رسائل الى طوكيو بشأن مواقع السفن في بيرل هاربر . وفي اوائل ديسمبر كان معروفا أن السفارة اليابانية في واشنطن كانت قد أمرت أن تحرق شفرات اتصالاتها ، كما علم أن طوكيو كانت قد ابلغت دبلوماسيتها في واشنطن أنه قد حدث توقف للمفاوضات مع امريكا ، كما علم أيضا أن اليابانيين كانوا مستمرين في المفاوضات في واشنطن في اوائل ديسمبر لتحاشي الشكوك الامريكية . وقد علم أن النظرية اليابانية الحربية كانت تعلق أهمية كبيرة على الهجوم المفاجيء ، ومع ذلك فقد كان التقدير العام في واشنطن هو أن العمل الحربي الياباني اذا تم فسيكون موجها الى الشرق الاقصى ، وزيادة على ذلك فقد رؤي أنه ليس من الضروري تزويد القيادات الحربية في هاواي

تزويدا تاما بالمعلومات التي جمعتها المخابرات . ونتيجة لذلك لم يكن ثمة أي تقدير في هاواي للتنبؤات السابقة على الهجوم في ٧ ديسمبر مثل دخول غواصة وانزالها رجلين في المياه المحظورة عند بيرل هاربر ، ومثل ظهور طائرات لم تنكشف شخصيتها على شاشة رادار الجيش .

على أن ثمة صورة واضحة تبرز خطورة عدم الاخذ بتقارير المخابرات الجارية تظهر - كما أوضحنا من قبل - في التقرير الذي قدمه راينهارت جيلين رئيس مخابرات المانيا الغربية الحالي - حينما كان رئيسا لمخابرات جيش الشرق الألماني - الى القائد الاعلى للقوات المسلحة أدولف هتلر في ١٥ من اغسطس عام ١٩٤٤ عن النوايا العدوانية للروس في الجبهة الشرقية .

ولكن هتلر كان من طبيعته الاستهزاء بمثل هذه التقارير ، ولذا قد يكون في ذكر تفاصيل هذه الاحداث درس مستفاد لاهمية الاخذ بتقارير المخابرات الجارية .

والواقع أن تقارير الجنرال جيلين كانت معجزة حقيقية من معجزات عمل القيادة . وكانت دقة هذه التقارير وبعدها عن الخطأ من الامور التي تثير الدهشة، فجيلين - كمعرفتي الشخصية به - رئيس مخابرات بالفترة، وهو يستطيع بمهارة فائقة أن يرسم صورة مكتملة من مجرد كومة من الانباء ، وان يخرج من المعلومات التي تحصل عليها المخابرات بنتائج صحيحة .

كما أن في استطاعة جيلين تحليل نوايا العدو وتقسيمات قواته ، وتشكيلاته وأنواع أسلحته وطرارزها بدقة كبيرة ، بحيث أصبحت تقاريره مرآة صادقة لخريطة عمليات العدو . ولا شك أن مثل هذه المعلومات ذات قيمة لا حدود لتقديرها بالنسبة لهيئة القيادة . ولا غرو فان كل قائد خبير يستطيع أن يخرج من هذه المعلومات بقرارات حربية حاسمة . لذا فان رجلا

مثله يعتبر من أكفأ رجال المخابرات في التاريخ المعاصر .

بيد ان الحقيقة أنه لم يكن على قمة القوات المسلحة الالمانية قائد أعلى خبير ، وانما كان هناك مجرد صف ضابط لا يدير فن الحرب الا بالهام من ذهنه المريض .

لذا كانت التقارير ، التي يعدها ضباط القيادة بدقة علمية مجرد ثمرة هوجاء غير منظمة وضعيفة بالنسبة لهتلر . ففي ١٥ من اغسطس عام ١٩٤٤ سلم جيلين لقائد الجيش الجنرال جوداريان التقرير التالي :

مرفق رقم ٢

جيش الشرق الاجنبي

رقم ٢٦٨٥/٤٤ قيادة عامة بتاريخ ١٥/٨/١٩٤٤

(١١٣)

تجميع أنباء مخابرات عن النوايا العدوانية الروسية في الجبهة الشرقية الالمانية وذلك عن الفترة من ٧/٣١ الى ٨/١٢

١ - ٧/٣١ من أحد الثقة

طبقا لمعلومات ٧/٣١ فقد تجمعت في منطقة كييف عشر وحدات أمن واربع وحدات دفاعية ميكانيكية على مستوى الفرق وثمانية ألوية مدرعة ولواء مدرع برمائي وفرقتا مدفعية ، والمفروض أن هذه الوحدات معدة للقيام بهجوم ضخم في اتجاه كييف - تشينتشاوا وبالتالي كراكاو

٢ - ٨/١٢ من أحد الثقة

أ - تضع القيادة السوفيتية مخططا يرمي الى فصل مجموعة جيش شمال أوكرانيا عن مجموعة جيش الوسط عن طريق شن هجوم ضخم من منطقة زاندومير الغربية في اتجاه كيلس - تشينتشاوا والمفروض

أن يستخدم « اسفين دفع » في اتجاه يريتيكا - توماشيف وذلك لحماية الجناح الايمن •

ب - المفروض اجراء تنسيق فيما بين الهجوم الشامل الموجه من رأس جسر في فاركا وبين الهجوم الضخم الموجه من اتجاه بياليشتوك في اتجاه لوفرها - شار فينفيزى واحتلال خط ليك - فيلنبرج • لا بد أن يكشف الجناح الايمن نحو الشمال •

٣ - ٨/٦ من أحد الثقا

أصدرت القيادة العليا السوفيتية أوامرها بشن هجوم عام على وارسو في منطقة بولافي - دبلي - جورا كالفارجي •

٤ - سوف تستخدم قوات ضخمة في منطقة شمال غرب بياليشتوك وذلك لغرض فصل منطقة بروسيا الشرقية عن اشراف الحكومة •

٥ - ٨/٣ الخططة

تتكون الخططة السوفيتية من ثلاث عمليات :

(أ) اختراق ثغرة انستربورج في اتجاه كونيبرج •

ب (شن هجوم على جنوب منطقة البحيرات في بروسيا الشرقية في اتجاه اللنشتاين •

ج (تغطية وارسو في اتجاه جراودتس •

٦ - ٨/٣ من أحد الثقا

في ٨/٣ تلقى الجنرالات جوفوروف قائد جبهة ليننجراد ، ومازلينيكوف القائد الثالث لجبهة البلطيق ، وجريمنكو القائد الثاني لجبهة البلطيق ، وباجراميان القائد الاول لجبهة البلطيق أوامر بمطاردة الجيش الالماني السادس عشر والجيش الالماني الثامن عشر ، وسوف تجد

هذه المطاردة تأييدا من اسطول البلطيق •

كل هذه التقارير بمثابة الانذار للقائد العام الجنرال جودريان : وقد أدرك أن معنى هذه المعلومات اعلان عن هجوم روسي ضخم • كذلك أدرك أنه لا مناص من ضرورة القيام بإجراء مضاد ، كما أدرك أن تخفيض الجبهة تخفيضا أساسيا ربما يدرأ خطر هذا الهجوم •

غير أن هتلر لم يكن في هذا اطلاقا • ذلك أنه لم يكن على استعداد لان يتنازل عن شبر واحد من الارض • لذا أبعد تقرير الجنرال جيلين عن المكتب بدفعة من يده تتم على الازدراء والاستهزاء : وقد تحدثنا عن ذلك في فصل سابق •

تحليل المؤشرات :

ولقد تركت بيرل هاربر أثرا ملموسا عند كثير من محليي المخابرات اذ أظهرت الحاجة الى ضرورة وجود نظرية للتعرف على العلامات التي تدل على الهجوم الوشيك الوقوع ، فدراسة الحروب الماضية مع التأمل الباطني في العمل المنطقي في الحروب المستقبلية توحى لاي شخص مفكر ببعض العلامات المحتملة ، مثل التعليمات الخاصة بإحراق الشيفرات ، وسحب الاموال الاحتياطية من البنوك الاجنبية ، واستدعاء السفن التجارية الى موانئ الوطن ، والانذارات الرسمية للاخذ بالتأثر ، واستدعاء الاحتياطي الحربي ، والتجميع السريع للمواد الاستراتيجية ، واشتداد الدعاية التهجمية • هذا قليل من كثير من العلامات ، ولا شيء من هذا يعتبر مقدمات أساسية للهجوم ، وكل هذه العلامات قد تظهر دون حدوث أي هجوم ، ومع ذلك فظهورها ينبغي أن ينظر اليه كانذار آلي لافراد المخابرات • -

والتحليل المتشعب لهذه العلامات يحتاج أيضا الى التعرف على البرهان الذي يدل على استمرار السلام ، مثل ايداع الارصدة المالية في الخارج ، وتسريح القوات المسلحة وسحب الجنود من الحدود ووقف الدعاية المشاغبة وهذه أمثلة قليلة . وهنا فان المحلل عليه أن يكون حذرا من الخداع المتعمد ، فبينما كان قطع العلاقات الدبلوماسية بين امريكا واليابان قبل بيرل هاربر علامة ايجابية على عدوان مبكر ، فان استمرار المحادثات لم يكن قطعا يؤكد العكس ، اذ كان يمثل مجهود طوكيو لتخفيف الشكوك في الوقت الذي كان فيه الاسطول الياباني يتجه صوب بيرل هاربر .

ومراقبة الافتراضات أصبحت افتراضيا نوعا من التخصص داخل نطاق المخابرات الجارية ، والعناية بالمؤشرات تكون توازنا مضادا لتحيز الخبر في عدم قبول الانحرافات عن الاتجاهات المعروفة حتى تستقر الاتجاهات الجديدة ، وهذا تحيز يمكن أن يوحى أن مثل هذا الخبر يكون مصيبا أكثر منه مخطئا ، مثل الذي يتنبأ بحالة الجو في كثير من أنواع المناخ قد يصيب أكثر مما يخطئ ، لو أنه تنبأ بحالة الجو غدا على أساس من حالته اليوم . ولسوء الحظ فان المحلل الذي ألف هذا النوع من الواقعية يحتمل أن يصادفه الخطأ حيث يكون من المهم أن يصادفه الصواب .

ومحلل المنطقة المسئول يقدر الحافز في المؤشرات للاخصائي الذي يميل بحكم وظيفته الى تخمينات هوجاء ، ويرغم الخبر على ان يفحص بعناية كل علامة للعدوان الوشيك الوقوع . فتشديد التدريب على الدفاع المدني مثلا يحتمل تأويل الهجوم أو الدفاع ، ولكن التفسير المفضل يعتمد الى حد كبير على المكان والوسط ، مثل هل تقف أحزاب المعارضة في صف الحكومة في حالة الحرب ؟ وهل أهداف التنمية الاقتصادية تعتبر مثبطة للمغامرات الحربية في هذا الوقت ؟ وهل تحظى

الدولة بالتأييد الكامل من حلفائها .

ثانياً : تقديرات المخابرات :

وتعتبر تقديرات المخابرات من أهم العناصر الفعالة التي تؤثر على خطة الامن القومي للدولة ، وهي غاية ما يتغيه نشاط أي جهاز مخابرات، والغرض منها اعطاء القادة المسؤولين الشكل النهائي المنسق لجميع المعلومات المتوفرة عن موضوعات مختارة متعلقة بمصالح البلاد وأمنها القومي ، وذلك بعد تقدير صحة هذه المعلومات والتطورات المقبلة المحتملة .

ويعمل تقدير المخابرات لمساعدة واضعي السياسة في تخطيط السياسات الاساسية للامن القومي لفترة طويلة من المستقبل ، ولاعطائهم الثقة في أنهم لا يتخذون قراراتهم على ما لديهم فقط من معلومات ، انما بناء على جميع المعلومات المتيسرة والتنبؤات المنتظرة المدروسة من أفراد ذوي كفاءة وخبرة في هذا الميدان .

ويجب أن نفرق بين تقديرات المخابرات وتقديرات السياسيين ، فالاولى تتناول المشكلة أو الدولة أو الموضوع أو نحو ذلك بالدراسة والتحليل ، على أن يوضع في الاعتبار كل العناصر المؤثرة على الموضوع . ثم تخرج من هذا كله بالاحتمالات المنتظر حدوثها بالنسبة لموضوع البحث مع ترجيح الاكثر دون أن تنتهي من ذلك الى وضع الخطة ، ويجوز أن تحلل نتائج اتخاذ اجراء معين . أما تقديرات رجال السياسة فتتضمن بحث كل العناصر الخاصة بالدولة علاوة على ذلك ، وبعد تحليل احتمالات العمل للدولة أو المشكلة توضح خطة محددة للعمل .

والتقديرات بصفة عامة ليس لها صفة الدوام ، فقد تصبح غير

صالحة بعد عدة أشهر تبعا لما يجد من أحداث • ومن الضروري أن يتم وضع التقدير على أساس من الواقعية ومن الظروف السائدة وقتئذ •

أهداف التقديرات :

وتهدف تقديرات المخابرات الى خدمة الاغراض التالية :

١ - امداد القادة والمسؤولين بالمعلومات في الشكل الذي يمكنهم من تقدير سياستهم الاساسية ازاء بلد معين •

٢ - امدادهم بالمعلومات التي يحتاجون اليها لاعادة النظر في السياسة التي ينتهجونها حيال بلد معين ، فبعد تنفيذ السياسة الاولى لفترة من الوقت قد تحدث تغييرات أو تستجد ظروف تستدعي وضع تقدير جديد لتقرير ما اذا كانت السياسة المتبعة ما زالت مناسبة أم انها تتطلب تعديلا أو تغييرا •

٣ - امداد السياسة بالمعلومات عن التصرفات التي تنتظر أن تتخذها حكومة بلد معين ، وكذا النتائج المنتظرة المترتبة على اقدامهم على اجراء معين •

الانواع المختلفة لتقديرات المخابرات :

هناك عدة أنواع من تقديرات المخابرات ، وسنحاول مناقشتها باختصار وهي :

١ - التقدير الاساسي للدولة :

ويعالج هذا النوع التطورات المحتملة في دولة ما مثل احتمالات

الموقف في اسرائيل ، او التطورات المحتملة في السنوات الخمس المقبلة فيها .

في مثل هذا النوع من التقديرات نحاول التنبؤ بالتطورات التي ستحدث في هذا البلد او ذاك خلال عدة سنوات - وخاصة فيما يتعلق بالمجالات التي لها أهمية مباشرة بالنسبة لها - ومن الواضح ان هذا ينطبق على النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والسياسية الدولية، وقد ينطبق هذا على الشؤون العلمية اذا كنا نكتب عن اسرائيل مثلا ، أو عن بعض الدول التي تقدم لها معونات علمية او فنية .

وفي مثل هذه التقديرات نبدأ عادة باعطاء نبذة تاريخية او ما نسميه بالتطورات الاخيرة في هذا البلد لاعطاء قارئ التقدير فكرة عن سير الامور في هذا البلد ، وكيف تمكن من حل مشكلاته الاخيرة ، وكيف فشل في حل بعضها في بعض الحالات ، وهذا أمر يختلف اختلافا بينا من بلد لآخر ، كما تختلف الصورة لبلد عن آخر ... اذ يتوقف ذلك الى حد كبير على المشاكل الاخيرة التي يواجهها البلد ، وعلى مدى معرفة قادة الحكومة به ، فمثلا اذا حاولنا كتابة تقييم عن الاردن أو العراق ، فلن تكون هناك ضرورة لاعطاء مزيد من التفاصيل عن التطورات الاخيرة في كلا البلدين - فالقيادة السياسية تعرف جيدا ما حدث فيها في السنوات الاخيرة - أما اذا كنا سنكتب تقديرا عن تشاد أو بورما ، وهي بلاد يحتاج القادة الى معرفة الكثير عنها ، فلا بد في هذه الحالة من اعطاء اهمية للنبذة التاريخية والتطورات هناك ، حتى يتمكن هؤلاء القادة من معرفة نوع الحياة التي يحياها الناس في هذه البلاد وموقف شعوبها وحكوماتها ، وبذا يكون ثمة اساس لمناقشة التطورات المقبلة . ومن المحتمل أن تتبع ذلك بمناقشة الوضع الراهن في البلد . أين تتمركز السلطة السياسية مثلا ، وموقف الجماعات السياسية الرئيسية من بعضها البعض ، والدور الذي تلعبه السلطات العسكرية اذا كان لها دور -

وقوات الامن • ومن المحتمل أيضا أن تقوم بنفس العمل فيما يتعلق بالوضع الاقتصادي ... المركز الاقتصادي للبلد ، مواضع ضعفه وقوته ومشاكله الرئيسية ، وبعد ان تنتهي من مناقشة الوضع الراهن كأساس للنظر الى المستقبل ، نبدأ في تناول أصعب جزء من التقدير الا وهو احتمالات التطور في هذا البلد • ولما كان هذا الجزء هو أصعب اجزاء التقدير فانا سنتناوله بمزيد من التفصيل فيما بعد •

٢ - التقدير الخاص بمشكلة معينة :

يتناول هذا النوع مشكلة معينة مثل السياسة التركية ازاء قبرص أو مشكلة الحدود بين المغرب والجزائر ، وقد يكون هذا لمدة ستة شهور أو ثلاثة شهور أو لشهر واحد ، ويتوقف على تطورات الموقف •

وفي مثل هذا النوع من التقديرات ، يكتب موجز قصير للتطورات الاخيرة ويعطي بيان مختصر عن موقف قادة البلاد من المشاكل التي تتناولها • وعادة ما يكون هذا النوع قصيرا اذ ان السرعة هنا مطلوبة ، ففي النوع السابق من التقديرات قد يستغرق التقدير شهرا كاملا ، أما هذا النوع فقد يكتب في اسبوعين أو أسبوع وربما يكتب في يومين اذا كانت الاحداث تتطور بسرعة كبيرة ، وفي بعض الاحيان يكتب مثل هذا التقدير في ساعتين ، وهذا أمر صعب للغاية •

وبعد أن تتناول باختصار التطورات الاخيرة عن الموقف الذي تتناوله نحاول بعد ذلك التنبؤ بتصرفات الاطراف المعنية في المشكلة •

والطابع المميز لمثل هذا النوع من التقديرات هو الدائرة الضيقة التي يدور فيها ، اذ أنه لا يتعدى المشكلة الخاصة التي يتناولها • ولنضرب مثلا على ذلك بسياسة بريطانياه ازاء الجنوب اليمني فالمسألتان الهامتان في مثل هذا التقدير كانتا :

أ (أهداف وموقف بريطانيا ازاء مستقبل الجنوب •

١ - هل ستحاول بريطانيا الاستمرار في مؤامراتها الاستعمارية ، أم انها ستجبر على التخلي عن سياستها الاستعمارية ؟ وما مدى فاعلية القوى الوطنية في مسألة الجنوب ؟ وما موقف كل من دول منطقة الشرق الاوسط من هذه القضية ؟ والى أي مدى ستتأثر المنطقة باحداث الجنوب ؟

٢ - أما المسألة الثانية فهي كيف ستواجه بريطانيا الموقف نتيجة العوامل المتشابكة التي تنفعل بها المشكلة .

٣ - التقدير الخاص بسياسة الدولة :

أما النوع الثالث من التقديرات فهو يتعلق بسياسات حكومتنا ، ويتركز هذا النوع على النتائج التي من المحتمل أن تنشأ من اجراء اقدمت عليه الحكومة . وعادة تكون هذه التقديرات محل بحث قادة الحكومة الكبار . والامثلة على هذا النوع من التقديرات كثيرة . فمثلا في سياستنا لمساعدة اليمن عام ١٩٦٢ ، كان لا بد أن نقدر ما سوف يحدث لو ذهبت مصر لمساعدة اليمن ، وماذا سوف يحدث لو لم تذهب لمساعدة اليمن ؟ وماذا سيكون رد الفعل لدى دول المنطقة ، وفي المحافل الدولية ازاء مساعدتنا لليمن ؟ وما سيكون رد فعل الدول النامية التي تشدد التحرر ازاء هذه السياسة ؟

وقد تتناول هذه التقديرات أي مشكلة ، وقد تكون محدودة أو تكون شاملة بالنسبة للمشكلة ذاتها . وفي هذه التقديرات نذكر باختصار العناصر الاساسية في الموقف عن البلاد الاخرى وموقفها منا ، وموقفها من الدول الاخرى بصفة عامة ، وبيانا موجزا عن الوضع السياسي هناك أو الوضع الاقتصادي ، وبعد ذلك نستطيع أن نقرر حكما على رد فعل هذا البلد أو ذاك للسياسة التي نفكر فيها .

٤ - التقدير الخاص بمنطقة ما :

وهو ذلك النوع العام الذي يتناول مناطق بأسرها كالعالم العربي مثلا والتطورات المحتملة في العالم العربي ، وما موقف الحكومات المختلفة ازاء مسألة الوحدة العربية والدور الذي من المحتمل أن يلعبه كل منها ؟ هل سيتحقق التعاون يوما ما ، أو هل سيستمر التفكك والصراع ؟

ومن الممكن أن نطبق هذا النوع من التقديرات على أمريكا اللاتينية، ماذا عن القوى الثورية هناك والشكل الذي ستتخذه ؟ هل ستكون شيوعية أو على نمط ثورة كاسترو أو اشتراكية أو فاشية ؟ وما تأثير كل هذه الاحتمالات على مصالح الولايات المتحدة ، وايضا فيما يتعلق باحتمالات الوحدة الأوروبية : هل ستشارك فيها بلاد كثيرة وماذا ستكون مشاكلها ؟ ونتائجها ؟

٥ - تقدير الموقف العالمي :

وفي النهاية تأتي التقديرات التي توضع عن الموقف العالمي بصفة عامة ، وهي أصعب أنواع التقديرات على اطلاق ، وهناك أوقات يصعب فيها كتابة مثل هذا النوع من التقديرات ، ويرجع هذا لعدم وجود اتجاه عام في العالم بل اتجاهات متعارضة متباينة . وفي أحيان أخرى توجد اتجاهات عامة مثل التصدع الذي طرأ على الكتلة الشيوعية والصراع الأيديولوجي بين الصين والاتحاد السوفييتي ، كما وجدنا داخل حلف شمال الأطلسي محاولة فرنسا اتخاذها اتجاها مستقلا عن باقي الدول الاعضاء في الحلف ، بل تجد اتجاهات جديدة في غرب أوروبا ، نحو الأمن الأوروبي ، وهناك أيضا اتجاهات عريضة في إفريقيا وفي الدول النامية ، وفي مثل هذا النوع من التقديرات لا توجد قواعد محددة تتبع في كتابتها ، اذ ان هذا يتوقف الى حد بعيد على الموقف ، لكن لا بد أن

يحتوي مثل هذا التقدير على تلخيص للتطورات الأخيرة والموقف الحالي والتنبؤات •

تقسيم تقديرات المخابرات (بالنسبة لزمان كتابتها) :

يمكن تقسيم تقديرات المخابرات طبقا للسرعة التي تكتب بها ، وهذا يتراوح بين اسبوع وعدة أشهر ، وهناك تقديرات تكتب في ساعات قلائل في حالة الضرورة القصوى •

والتقديرات التي تكتب عن بلد معين أو منطقة معينة عادة ما تستغرق وقتا طويلا • أما التقديرات التي تتناول مشكلة معينة أو نتائج قرار تتخذه الحكومة فانها تكتب بسرعة نسبية •

ومن الصعب في الواقع تحديد الموضوعات التي تتناولها التقديرات، وانما تقسم هذه التقديرات طبقا للموضوعات الشائعة في كل مكان ، ومما لا شك فيه أن كل ادارة مخابرات لها نظامها الخاص في هذا الصدد طبقا لمتطلبات السياسة العامة ، وقدرات ضباط المخابرات •

والنوع الاول من التقديرات يكتب بناء على توصية من كبار المسئولين ويستغرق وقتا طويلا حتى يمكن النظر الى المشكلة من زواياها المختلفة • وبعد ذلك يراجعها المختصون في ادارة المخابرات لاضافة ما يرونه مناسبا ، ويستبعدون ما يرونه غير مناسب • ثم يرسل التقدير بعد ذلك على فروع الحكومة المختلفة ليقرروا رأيهم فيه ، كما يرسل الى رئيس الدولة أو القادة السياسيين اذا كان الموضوع يهمهم •

تعريف المشكلة :

الواجب الابتدائي للمقدر هو ما سبق أن أطلقنا عليه في عملية التحليل « تعريف او تحديد المشكلة » فاذا كان التقدير مبرزا للاتجاهات الاساسية في دولة أجنبية في السنوات الخمس التالية ، فان التحديد أو التعريف يغطي المسائل السياسية او الاقتصادية او الحربية التي تمس القرارات طويلة المدى عن السياسة • واذا كان التقدير يختص بالموقف السياسي الداخلي مثلا ، فهناك من المسائل الكثيرة ما يجب تجنبه مثل : هل القيادة الموجودة مستقرة ؟ هل الحكومة الشرعية يرأسها رجل مريض أو متقدم في السن ؟ وهل في حالة وفاته سينشأ نزاع على الحكم ؟ وما دور الجيش في مثل هذا النزاع ؟ وما دور الحزب أو الاحزاب السياسية ؟ وما دور الصحافة ؟ وماذا يمكن أن يقال عن المواقف الشعبية ؟

والتقدير هنا بالإضافة الى العموميات الضرورية يرسم اطارا لمشاعر الجماعات النوعية من السكان كالمثقفين والعمال والفلاحين والاقليات القومية • واذا كان ثمة عدااء واسع النطاق للحكومة : فهل يظهر هذا العدااء في شكل تدمير سلبي ؟ او في شكل تظاهر واضطرابات ؟ او في شكل مقاومة مسلحة مستمرة ؟

على أنه يجب أن يوجه اهتمام خاص الى جزء المشكلة المتعلق بالعلاقات الخارجية الاجنبية للدولة ، حيث أن التطورات في هذا الميدان قد يكون لها تأثير مباشر على مصالح الامن القومي للدولة ، وفي هذه الحالة ينتظر من التقدير أن يقيم العلاقات الحاضرة والمتوقعة مع الاصدقاء والمواقف الدولية المتعلقة بتوازن القوى في العالم •

أما الجزء المتعلق بالمسائل الاقتصادية للدولة الاجنبية ، فيجب أن يشير الى اهتمام بالسياسة المتعلقة بمعرفة مواقع المصادر الاقتصادية •

ما نسبة الاستثمار في الصناعات الثقيلة والصناعات الاستهلاكية والزراعية ؟ وما الامور التي ينبغي أن تبرز فيما يختص بالمستوى العام لنفقات الدفاع او بمستوى الاستهلاك الجماعي أو الفردي ؟ وكيف تتأثر المحاصيل الزراعية بالتغيرات الجديدة في التوزيع الجغرافي الصناعي ؟

ان سرعة التنمية الاقتصادية كما تحسب من التقديرات الخاصة بالانتاج القومي لمجموعة ، من الممكن ان تعتبر مؤشرا على الحيوية الاقتصادية . وفي الاقتصاد الديناميكي ينتظر أن يفوق معدل التنمية الاقتصادية معدل الزيادة في السكان بمدى كبير .

وينبغي أن تفحص العلاقات الاقتصادية مع الدول الاخرى على اساس تأثيرها المحتمل في العلاقات الدولية . واذا كانت الدولة الاجنبية من المحتمل أن تكون معادية في صراع مسلح فيجب على المخابرات أن توضح حدود التعريف للمشكلة بدقة تامة . ولا بد أن توجه الاسئلة التقليدية عن الحجم والمعدات وكفاءة القوات الارضية والبحرية والجوية التي تملكها هذه الدولة . وهذه التقديرات العامة ينبغي أن تلحق بفحص للقدرات في المناطق الجغرافية المختلفة . وبالإضافة الى بحث القوة البشرية والمعدات يلزم ابراز خلاصة للنظرية الحربية السائدة في الدولة ، فمثلا ما رأيها في الهجوم المفاجيء ، وفي الحرب المحدودة بالمقارنة مع الحرب الشاملة ، وفي التنظيم الحربي وأنواع الاسلحة التي تناسب احتياجات الوقت الحاضر ؟ وفي عالم اليوم فان قوة الدولة الحربية هي وظيفة مهمتها تنمية القدرات العلمية والفنية ، فلو أن الدولة التي تكون موضع مسح هي احدى الدول المتقدمة فلا بد من وجود تقدير تفصيلي عن حالة البحث والتكنولوجيا في المقذوفات ، وفي التطبيقات الذرية ، وفي الالكترونيات ، وفي الطيران البعيد المدى .

القوام الاستراتيجي :

إذا كانت حدود التعريف مناسبة فإن التقدير يكون قادرا الى حد كبير على أن يصور ما يسميه المستر « شيرمان كنت » : « القوام الاستراتيجي » للدولة ، ومعناه مقدار التأثير الذي تمارسه الدولة في الشؤون الدولية . هذا التأثير قد يمارس باستخدام القوة الحربية أو التهديد باستخدامها أو بالعقوبات الاقتصادية أو بالملاطفة أو بالاغراء المعنوي أو بالدعاية . ويختلف هذا التأثير تبعا لمميزات الدولة التي يوضحها حدود التعريف ، مثل صداقتها في المجتمع الدولي ، وقوتها الحربية وغير الحربية الموجودة ، وقدرتها على تعبئة القوات والموارد في حالة الطوارئ ، والمرونة في حالة الكوارث . كما أن هذا التأثير تحدده نقائص الدولة ، مثل مركزها الجغرافي المعرض ، والتدمير الشعبي بها ، والقيادة غير المستقرة ، والتخلف الاقتصادي .

النوايا والقدرات :

إذا لم يخط تقدير المخابرات القومية خطوة أبعد من تحديد « القوام الاستراتيجي » ، يكون هذا كافيا لوضع دراسة مخابرات قيمة . ومع ذلك فلا مناص للمخابرات القومية من أن تمارس الصراع مع التصرفات الاحتمالية . فبينما تكون المخابرات غير منزهة عن الخطأ ، فإن المقدر يستطيع أن يعمل شيئا أفضل بكثير من التنبؤ بالغيب ، فهو يستطيع أن يعرف نوايا قادة الدولة الاجنبية من تصريحاتهم ، فمثلا اذا أعلنوا أنهم سيطورون الجهاز الحربي الى النظام الحديث ، فعليه ان يقبل هذا التصريح كدلالة على نواياهم الحقيقية ، كما أن المقدر يعلم أن النوايا عند ذوي العقل والحكمة تحدها القدرات ، فمثلا التقدير الخاص

بالمشكلة الكردية لا بد أن يتضمن معلومات عن الاكراد وقدراتهم في نواحي القتال والمال والاقتصاد والروح المعنوية ، ويتضمن مطالبهم وتطوراتها ، وعلاقة ذلك بالمواقف المختلفة للحكومة العراقية ، ومدى سيطرتها على البلاد ، كذلك يتضمن جميع المعلومات عن الزعماء الاكراد واتجاههم وعلاقاتهم بالدول الاجنبية الكبرى وبالدول المجاورة ... وبعدئذ نحاول التنبؤ بالتصرفات المحتملة .

وقد يحتم التنبؤ بنوع محتمل من الاعمال الصعبة على المقدر ، أن يعكف على تحليل القدرات فقط ، ملاحظا في ذلك أن ممارسة القدرات هي امكانيات معقولة ، ويعتبر احصاء هذه القدرات في حد ذاته تقديرا ضمنيا للنوايا الى حد ما ، حيث أن المقدرين يرفضون القدرات التي تبدو ممارستها شاذة أو مضادة بشكل واضح للاهداف القومية .

واحصاء القدرات المعقولة هو أقرب ما يكون الى تقدير النوايا بحيث يضع في الاعتبار صافي القدرات لا مجموعها بصفة عامة ، فالقدرات بصفة عامة تقدر دون الاشارة الى العمل المضاد المحتمل ، فمثلا قد يكون لدولة ما القدرة على اعداد قوة مقدارها ١٥٠ ألفا من الجنود للهجوم على دولة أخرى ، ولكن صافي القدرات هي التي تسبب الى مدى المقاومة المحتملة . فقد تستطيع اسرائيل أن تستمر في الاستيلاء على الضفة الغربية للاردن وباقي الارض العربية المحتلة اذا لم تتخذ الدول العربية موقفا حازما واذا لم يتغير الميزان السياسي الدولي لجانب العرب ، فلو أدخلنا في الاعتبار التزامات الدول العربية ازاء مشكلة الشرق الاوسط تصبح القدرة الصافية لاسرائيل هي الفرق بين ما تستطيع أن تدفع به من قوات وبين قوة المقاومة العربية ، والقوى المناصرة للطرفين .

وقد يلجأ المقدر الى طريق آخر اذا كان البرهان أمامه ليس كافيا لتدعيم أحد التنبؤات ، وهذا الطريق الآخر هو تحديد مسالك العمل .

مستلزمات التقديرات :

وهناك مستلزمات ضرورية يجب مراعاتها عند عمل تقديرات المخابرات وأهمها :

١ - تحتاج التقديرات الى رجال مخابرات متخصصين في كتابة التقديرات يكون لهم المقدرة على النظر الى المشكلة أو الموضوع نظرة محايدة ، ويعدون كل البعد عن اي مؤثرات عاطفية .

٢ - من الضروري أن يكون ثمة فصل بين الاشخاص الذين يكتبون تقديرات المخابرات الاستراتيجية - اقتصادية وسياسية وشئون داخلية وعسكرية الخ - وبين الاشخاص الذين يضعون مختلف السياسات ، فالمخابرات الاستراتيجية منفصلة عن السياسة الخارجية ، حتى لا يتأثر الشخص الذي يؤيد سياسة معينة بوجهة نظره الشخصية اذا ما كلف بعمل تقدير ما .

الترادفية التي تتفق مع قدرات الدولة وسياساتها . فمثلا دولة (أ) تستطيع أن تقوم بهجوم كبير على دولة (ب) في اثناء فترة التقدير ، أو تستطيع أن تقصر أعمالها الحربية على حوادث الحدود ، أو التهديد بتحركات القوات ، أو قد تزعج العدو بمزيج من الدعاية والضغط الاقتصادية والدبلوماسية ، وعند الموازنة قد تبدو للمحلل أن احدى هذه التصرفات أكثر احتمالا .

يجب ألا تتبع في تقديرات المخابرات خطة محددة للعمل بل تقتصر على ابراز الاحتمالات المختلفة وآثار كل منها .

٤ - تحتاج التقديرات الى المعلومات الصحيحة الكاملة لجميع عناصر التقدير ، حتى لا يؤدي النقص وعدم الدقة الى خطأ في التقدير يترتب عليه خطأ في السياسة ، فمثلا حينما وافقت المخابرات الامريكية

على عملية خليج الخنازير ضد كوبا اعتبر ذلك مثالا لخطأ التقدير ، اذ كانت تقديراتها تعتمد على قيام ثورة ضد كاسترو بمجرد نزول قوات الغزو الكويتية على شواطئ الجزيرة •

واذا كانت المخابرات الامريكية قد أخطأت التقدير في عملية خليج الخنازير ، فانها أحسنت التقدير في أزمة الصواريخ الكويتية ، عندما استبعدت أن يتشدد الاتحاد السوفيتي في موقفه اذا ما أصرت الولايات المتحدة على سحب الصواريخ ، الامر الذي تم دون الرجوع للحكومة الكويتية ، وعد نصرا للمخابرات الامريكية لدقة تقديرها •

المشاكل الرئيسية في التقديرات :

وتعرض التقديرات السليمة مشاكل عدة أهمها :

أولا : صعوبة التكهن بالاحداث :

يمكن التنبؤ بتطور الاحداث على اساس السياسات التي مسار عليها شعب في الماضي ، ويمكننا دون اية صعوبة معرفة الاحتمالات التي سوف يتصرفون وفقها خلال الشهور القليلة التالية وربما كان خلال العام التالي • ويمكن القول أيضا بأنه على مرور الايام سوف يتضح لنا بعض هذه المشاكل بصورة أوضح ، وذلك بالنسبة لما سوف يحدث من تغييرات خلال المدة التالية في المنطقة التي ندرسها من العالم •

على انه من جهة اخرى يصعب للغاية ان نتطلع او تتكهن بمجريات الحوادث خلال السنوات الثلاث او الاربع التالية بصفة فعلية •

فمثلا يمكن دراسة سياسات دولة او دول أخرى خلال العام التالي او العامين التاليين على الاكثر للوقوف على السياسة أو السياسات التي

سوف تنتهجه هذه الدولة أو الدول : هل ستكون غير منحازة أم ستنحاز الى كتلة من الكتل ؟

وتبدو لنا هنا مشكلة دراسة السياسات الاخرى على مدار اربع أو خمس سنوات وهي مشكلة حقا ، وبخاصة عند دراسة تطور النظام أو النظم العسكرية لدولة أخرى •

فاذا اخذنا اسرائيل على سبيل المثال يصعب علينا معرفة مدى تطورها عسكريا خلال عدة سنوات تالية ، لان ذلك يشمل انتاج الاسلحة المختلفة ، وهذه بدورها تتطلب وقتا طويلا لانتاجها ، وبخاصة في حالة الاسلحة النووية ، كما ان ذلك يشمل مدى المساعدات التي ستستلمها من الغرب • ولو ان ثمة بعض الوسائل السطحية تبرز مثل ميزانيات الدفاع للدول المختلفة ، فهناك ايضا صعوبة تغيير الاستراتيجية بكل دولة من الدول •

وقد يكون طول المدة التي يستغرقها انتاج الاسلحة في غير صالح الدولة المنتجة لهذه الاسلحة ، لان بعض الدول الاخرى قد يستغل الامر ويعمل على انتاج اسلحة أخرى مضادة •

ثانيا : صعوبة توافر المعرفة :

ولمواجهة مشكلة ما يلزم لنا من المعرفة ، فعلى ان نلم بثلاثة اقسام من المعرفة مختلفة تماما عن بعضها البعض ، ولو انها على علاقة وثيقة بما لدينا من ثقة في حكمنا على الامور وفي تقديراتنا •

وأول هذه الاقسام هو معرفتنا ببعض المعلومات وافتقارنا الى البعض الاخر • وهذا الجزء الاخير يحتاج الى كفاءة ومقدرة ، ويجب ان نلم به بمرور الوقت ، ويجب في مثل هذه الحالة تحديد المدة وتكريس جهود كل المشرفين على جمع المعلومات من اذاعات ومعلومات عسكرية ،

الخ... بتقديم التقارير ؛ وكل صغيرة وكبيرة تتعلق بهذا الموضوع خلال هذه المدة المحددة ، وقد لا نحصل خلال هذه المدة على كل شيء لكن لا بد أن نحصل على بعض الشيء • وتجميع المعلومات الى بعضها البعض يفيدنا جيدا في الحكم على مجريات الامور في المستقبل •

فمثلا فيما يتعلق بزعيم دولة اخرى يمكن من معرفة ماضيه وتاريخه وكيفية تصرفاته السابقة ، الحكم على مسلكه في المستقبل بالنسبة لمسألة معينة بالذات • وهذه مسألة تقديرية في حدود طاقتنا وما توفر من معلومات وامكانيات •

وهنا يجدر بنا أن نوضح الفارق بين تقدير امكانيات دولة أو دول ، وبين تقدير نوايا هذه الدولة أو الدول •

وللحكم على امكانيات دولة ما بالنسبة لانتاج الصواريخ ، او القذائف الموجهة او الصواريخ العابرة للقارات ، علينا ان نعرف اشياء كثيرة ، منها التطور العلمي بها ، وتقدمها الفني في انتاج الاسلحة ، وما تستطيع انتاجه عدديا ، وامكانياتها في انتاج قاذفات القنابل بعيدة المدى مثلا ومدى وضعها في حيز التنفيذ بالنسبة لامكانياتها الصناعية والاقتصادية وطاقاتها الانتاجية ، الخ...•

ويجب ان تكون هذه التقديرات عن الدولة الاخرى على جانب من الدقة ما أمكن ، لان الدولة التي تجمع هذه التقديرات تبني دفاعها وميزانياتها الدفاعية واستراتيجيتها على اساس هذه التقديرات •

أما القسم الثالث من أقسام المعرفة فهو المعلومات التي لن نستطيع الوصول اليها ، وهنا تواجه واضعي التقديرات صعوبة خاصة في تقدير العدد الذي يمكن انتاجه من سلاح خلال الثلاث او الاربع سنوات التالية ، وليس ثمة وسائل لمعرفة ذلك او ربما تكون تقريبية •

وأحيانا تتغير الظروف داخل دولة من الدول ، وفي هذه الاحوال

تنشأ صعوبة التداخل ما بين الامكانيات والنوايا والاهداف لهذه الدولة، وهذه تشكل صعوبة لواضعي التقديرات في الحكم السليم على الامور .
ولا بد لنا من معلومات كثيرة عند وضع التقديرات ، ومن بينها واهمها بصفة خاصة المعلومات التي نحصل عليها من وثيقة هامة على جانب كبير من السرية والحساسية ، فهذه الوثيقة يكون لها اهميتها بالنسبة لمجموع ما يحصل عليه من معلومات اخرى مثل الماضي والتاريخ والتصرفات السابقة ويمكننا صهر هذه المعلومات والخروج بنتيجة باهرة .

أما أهمية المعلومات التي ترد فتتوقف الى حد كبير على مدى دقة المصدر الذي وردت منه هذه المعلومات ، وعلى ضوء هذه الاهمية ومدادها يمكننا ان نجعل لهذه المعلومات أهمية أيضا ، وخاصة اذا كان مصدر المخابرات مبنيا على أساس علمي .

ومن ناحية تقدير نوايا وأهداف حكومة ما قد تضطر — اذا لم تتوفر لدينا المعلومات اللازمة — الى استخدام ما نعرفه فعلا عن هذه الدولة من سابق معاملاتها وعلاقاتها ، الخ ... لكي نستخلص تصرفها مستقبلا بخصوص مشكلة معينة بالذات .

ويأتي بعد ذلك مشكلة معرفة ما اذا كانت دولة معينة معادية او غير معادية ، ثم تقرير درجة عداء هذه الدولة ومدى تعبئتها وتحديد درجة هذه التعبئة ضدنا .

ثالثا : تعدد مصادر المعلومات ومشكلة التجميع :

ومصادر المعلومات التي تقدم لحكومة من الحكومات عديدة ، ومن بين هذه المصادر المخابرات ، ودور المخابرات هنا دقيق لا يقتصر على دقة ما تقدمه من معلومات بل يمتد الى الآتي :

١ - تقصي ما ورد من معلومات من مصادر أخرى ومدى دقتها وصحتها .

٢ - تتبع تصرفات الآخرين ازاء هذه المعلومات ومدى استفادتهم بها .

٣ - تجميع المعلومات ووضعها في صورة تقديرات تسهل الحكم او الخروج بنتيجة ما .

وهنا تظهر أهمية تجميع العناصر المختلفة التي تؤيد او تعارض تحليلنا لموقف من المواقف .

رابعاً : مشكلة التنسيق بين الاجهزة :

يلي ذلك مشكلة الاتفاق وعدم الاتفاق ، اي الخلاف ما بين التقديرات التي تضعها المخابرات وتقديرات الجهات الاخرى . ولذلك نرى انه لكي يتم التنسيق بعمل مشترك بين الاجهزة المختلفة على اكمل وجه يتم عمل التقديرات ، وبخاصة ما يمس أمن الدولة ، تسهم فيه كل الاطراف المعنية بنصيبها من المجهود ، وبهذا يمكننا التغلب على التضارب الذي قد ينشأ نتيجة لاختلاف وجهات النظر ، وان كان من الناحية العملية سيستغرق اعداد التقدير وقتاً أطول بكثير .

خامساً : مدى الثقة والصعوبات التي تحيط ببعض المواقف :

ومسألة الثقة في التقديرات لها أهميتها الحيوية ، اذ لو فقد القادة أو واضعو السياسة ثقتهم في تقديرات المخابرات لادى ذلك الى درجة بالغة من الخطورة ، فمن الناحية السيكلوجية كلما كانت الثقة في تقديرات

المخابرات كبيرة اطمأن القادة نفسيا الى انهم يضعون قراراتهم على أساس تقدير سليم • على انا لا نستطيع ان نكر اهمية استمرار نجاح التقديرات ومدى تأثيرها على سير وتقدم سياسة الدولة ، فان استمرار نجاحها يؤدي الى ان يأخذ القادة بتوجيهاتها وتوصياتها ، وعلى الاقل يضعون التقدير محل اعتبار الى درجة كبيرة •

الفصل الرابع عشر



أهمية التخطيط

- اهمية التخطيط
- هيئة التنسيق -
- مجلس الخبراء -
- التوجيه والتنظيم -
- الحكومة واهداف
- المخابرات - توجيهات
- المركز الرئيسي -
- التخطيط لاعداد العملاء
- توجيه الخدمة
- الخارجية - تقييم
- المصدر - متابعة
- الانتاج •

هيئة التنسيق :

من الخطأ الجسيم أن تتصور أن عمليات المخابرات تقوم على أساس عشوائي ، فقد رأينا أن المخابرات تهتم بأمور عدة متشعبة ، متباينة في طبيعتها وميادينها ، بل أن الرجال الذين يعملون داخل أي منظمة للمخابرات برغم أنهم يشتركون في هدف واحد ، هو الحصول على المعلومات بأنواعها المختلفة اللازمة للامن القومي للدولة ، والقيام بدور الحماية ، فكل فرد منهم يقوم بجزء معين من الخطة الشاملة .

ومن العرف الذي يعمل على أساسه أي جهاز للمخابرات أن القمة تعرف الكثير ، والقاعدة تعرف القليل . ومن ثم نجد أن التخطيط لجهاز المخابرات هو مسؤولية مركز قيادة المخابرات ، فهذا المركز وحده هو الذي يكون لديه الصورة كاملة عن الاحداث التي تدور في العالم ، كما أنه بحكم مركزه يعرف احتياجات الحكومة في هذا الميدان .

وكما سبق أن وضعنا فإن انتاج المخابرات ما لم يقع في يد راسمي السياسة في الوقت المناسب وبشكل واضح ومفهوم ، فإن هذا الانتاج يصبح عديم القيمة ، وإن تكن المادة التي يحتويها الانتاج لها قيمتها الموضوعية .

ولكن من الناحية العملية ليس من البساطة ولا من السهولة كما يتصور البعض أن نقيس أعمال المخابرات على هذا النحو ، فإن سيل المعلومات التي ترد الى أفرع ادارات المخابرات المختلفة ضخمة ويشمل مواضيع عديدة ، سواء كانت هذه المعلومات تصل مباشرة من الادارات الرسمية للوزارات المعنية ، وبخاصة وزارة الخارجية والتمثيل الثقافي والعسكري والاقتصادي ، أو من المصادر السرية عن طريق العملاء ، بالإضافة الى ما يرد من ابحاث العملاء .

ومن ثم فانه لكي تنسق اعمال المخابرات ، يجب ان توضع خطة دقيقة بحيث يمكن ان يكون ثمة تبادل مباشر اوتوماتيكي للمعلومات بين الاجهزة المختصة .

ونظرا لان اعمال المخابرات متشعبة في ادارات عدة وتتبع وزارات مختلفة فان من الضروري التنسيق بينها ، وايجاد هيئة مسؤولة عن هذا الواجب ، ومن هنا نجد ان أغلب الدول سعت جاهدة في انشاء مجتمع المخابرات أو هيئة المخابرات ، حيث يضم هذا المجتمع الادارات المختلفة التي تعمل في نشاط المخابرات ، وتحديد جهة تصب فيها كل المعلومات الواردة من المصادر المختلفة ، وكذا الادارة المسؤولة عن تقديم تقديرات المخابرات القومية ، وعادة تسمى رئاسة هيئة المخابرات ، أو رئاسة مجتمع المخابرات ، تبعا لتشكيله في الدول المختلفة .

ولكن غالبا ما يضع هذا المجتمع بالاضافة الى جهاز المخابرات السياسية مخابرات الجيش والبحرية والطيران ، وكذا وحدات المخابرات التابعة للوزارة المعنية مثل وزارة الخارجية والاقتصاد أو أي ادارة أخرى مثل ادارات البحوث الفنية أو الطاقة الذرية ... الخ .

وتسعى كل الدول لانشاء مجلس أمن قومي أو مجلس دفاع وطني لتقديم المشورة الى رئيس الدولة او الحكومة عن كل ما يختص بالامن القومي للدولة ، وعادة ما يكون رئيس هيئة المخابرات عضوا في هذا المجلس ، وسنتحدث عن هذا المجلس بالتفصيل في الفصل الثامن عشر .

والعلاقة بين هذا المجلس ومجتمع المخابرات علاقة هامة ومستمرة ، ولا يمكن لراسمي السياسة ان يضعوا قرارات معقولة دون أن يكون ثمة تخطيط دقيق ، يحدد اسلوب العمل بشكل واضح وعلى أسس علمية سليمة .

ولقد كان من بين الدوافع الرئيسية لانشاء وكالة المخابرات المركزية

الامريكية اامة جهاز تنسيق لاعمال التقييم الخاصة بالمعلومات ، حتى
يمكن ان يجد الرئيس الامريكي ووزير الخارجية ووزير الدفاع امامهم
تحليلا منطقيا واحدا عن العوامل المتعلقة بالمواقف ذات الاثر على أمن
الولايات المتحدة القومي •

وقد كتب الرئيس ترومان الذي تقدم في عام ١٩٤٧ بالتشريع الذي
يقترح فيه انشاء الوكالة في مذكراته يصف الحاجة الى انشاء هذا الجهاز :

« لقد علمتنا الحرب هذا الدرس : انه يجب علينا ان نجمع
المعلومات بطريقة تجعل هذه المعلومات تحت يدنا حيث نحتاج اليها وحين
نريدها • كما يجب ان توضع بشكل معقول مفهوم ، فان لم تكن معقولة
ومفهومة فلن يكون لها فائدة » •

وهو يصف ايضا النظام الذي كانت تنسق به المعلومات وتنقل الى
صانعي السياسة :

« وفي كل مرة يكون مجلس الامن القومي على وشك ان يبحث
سياسة معينة — سياسة متعلقة بجنوب شرق آسيا مثلا — فانه يطلب
على الفور من وكالة المخابرات المركزية ان تقدم تقريرا للآثار التي سوف
تسفر عنها هذه السياسة • فيجلس مدير وكالة المخابرات المركزية الى
هيئة موظفي مجلس الامن القومي ، ويقدم لهم تقديرات تمثل حكم وكالة
المخابرات المركزية مع قطاع مستعرض لاحكام المجالس الاستشارية لوكالة
المخابرات • وهذه خاصة بأجهزة المخابرات ووزارة الخارجية ومكتب
المباحث الفيدرالي • ثم يقوم وزير الخارجية بعمل التوصيات النهائية
للسياسة ، ثم يصدر الرئيس القرار النهائي •

مجلس المخابرات :

ان ما يشير اليه الرئيس ترومان على انه « المجالس الاستشارية »
لوكالة المخابرات المركزية كان قد انشيء في عام ١٩٥٠ باسم اللجنة
الاستشارية للمخابرات ، والتي أصبحت فيما بعد مجلس مخابرات
الولايات المتحدة وهي التي يشار اليها تحت اسم « مجتمع المخابرات » .
ويضم مجلس مخابرات الولايات المتحدة عضوا آخر غير الاعضاء
السابق ذكرهم ، وهو رئيس وكالة مخابرات الدفاع المنشأة حديثا . وهي
التي تقوم بتنسيق أعمال مخابرات الجيش والبحرية والطيران ، وهي
تلعب دورا هاما في مجتمع المخابرات ، وتلعب نفس الدور الهام وحدة
المخابرات. التابعة لوزارة الخارجية ورئيسها تعادل درجته وكيل
وزارة الخارجية . ويجتمع مجلس مخابرات الولايات المتحدة بانتظام مرة
في كل اسبوع . ويجتمع اكثر من ذلك في اثناء الازمات او عندما يصل
موضوع مخابرات جديد على جانب ما من الاهمية . ومدير المخابرات
المركزية - وهو رئيس المجلس - مسؤول عن التقدير الذي يصدره
هذا المجلس ، ومع ذلك فاذا كان ثمة عضو لا يوافق على رأي ويرغب
في اثبات عدم موافقته ، فان وجهة نظره توضع في حاشية للتقدير الذي
يقدم الى رئيس الجمهورية والى اعضاء مجلس الامن القومي المعينين .
وقد عملت الترتيبات بحيث يمكن لمدير المخابرات المركزية او
لضباط المخابرات أن يتصلوا على الفور بالرئيس وغيره من كبار ضباط
الحكومة في حالة الطوارئ . ولقد أثبتت خبرة السنوات الاخيرة ان هذا
النظام يعمل بنجاح .

ولقد أنشأت وكالة المخابرات المركزية مجلس التقديرات القومية من
داخل الوكالة ، ويضم جماعة من الخبراء في تحليل المعلومات سواء من

المدنيين او العسكريين ، وبعد المجلس مسودة عن معظم التقديرات ثم تنسق هذه فيما بعد مع ممثلي مجلس مخابرات الولايات المتحدة .
ولمعالجة الموضوعات ذات المستوى الفني العالي مثل الصواريخ السوفيتية والطائرات والبرامج النووية ، تنشأ لجان فرعية فنية تابعة لمجلس مخابرات الولايات المتحدة . ويحدث في بعض الاحيان ان يستشيروا خبراء من خارج الدوائر الحكومية .

التوجيه والتنظيم :

وبدون التوجيه والتنظيم يستنفد ضباط المخابرات في انحاء العالم المختلفة وقتا كبيرا في تكرار عملهم ، او تكون ثمة فجوات خطيرة في المعلومات التي يحصلون عليها . فضايط المخابرات في موقعه في الخارج لا يستطيع ان يصدر حكما كاملا عن قيمة المعلومات التي يقوم بها ، لانه لا يستطيع ان يعرف اذا كانت المعلومات التي حصل عليها رجل آخر في مكان اخر ، او انها معروفة عن طريق المصادر السافرة ، او انها لا تستحق ان تعطي الاولوية بالنسبة للمجهود الذي يبذل فيها ، او النفقات التي تصرف فيها .

وتقوم الحكومة بتقدير اهداف المخابرات والمعلومات التي تحتاج اليها بغض النظر عن العقبات ، كما انها تقوم باعطاء اولويات لهذه الاهداف حسب اهميتها النسبية . وبعد تقدير الاولويات والاسبقيات يأتي موضوع العقبات ، فاذا أمكن الحصول على المعلومات عن طريق التجميع السافر او بواسطة عمل السلك الدبلوماسي ، فلا يطلب من أجهزة المخابرات ان تجمع هذه المعلومات بطرقها السرية . واذا حدث وتقرر وجوب قيام المخابرات السرية بهذه المهمة فذلك لان هناك عقبات

خطيرة تحيط بالهدف •

وحيثما يقوم المركز الرئيسي للمخابرات باعداد توجيهات خاصة بمهمة المخابرات في منطقة معينة ، فانه يضع في الاعتبار العوامل الجغرافية والسياسية والطبيعية ، وكذلك مدى امكان تجميع اشخاص داخل المنطقة ، بحيث يمكنهم الحصول على المعلومات المطلوبة •

فمثلا في حالة اسرائيل حيث لا يكون تمثيل سياسي بينها وبين العرب ، وحيث تحيط بها الدول العربية ، وليس لها منافذ سوى البحر ، فانه يمكن استخدام المناطق المتاخمة لها بمثابة نوافذ تطل عليها • كما يجب دراسة سبل غرس الافراد المطلوبين داخل اسرائيل ، وهنا يلعب الغطاء دورا كبيرا في نجاح عملية الحصول على المعلومات ، اذ من الصعب تنقل العرب داخل اسرائيل ، والقيام بنشاط تجسسي بسهولة ، بينما تستطيع اسرائيل تجنيد افراد من اليهود من جنسيات مختلفة يمكنها ان تتحرك بسهولة داخل الدول العربية •

ومن ثم اعتبرت عملية التخطيط لاعداد العملاء اللازمين للعمل داخل اسرائيل من العمليات الشاقة القاسية التي تحتاج الى جهد مادي وذهني ضخم •

واذا تصورنا ان أعمال المخابرات تستمر طيلة الاربع والعشرين ساعة ، حيث تبقى أجهزتها مترقبة استمرار تلقي المعلومات الهامة التي ترد من كل مصادرها المختلفة ، سواء كانت سافرة أو مستورة ، فالتأكد انه لا بد من تواجد رجال المخابرات باستمرار لفحص وتقييم المعلومات ذات الاهمية الخاصة •

وفي اثناء ساعات الليل الطويلة يوجد ضباط متخصصون في الاجهزة التي تضم مجتمع المخابرات لاداء هذه العملية ، وهم متصلون ببعضهم اتصالا وثيقا ، ويعرفون بعضهم البعض الآخر معرفة وطيدة ، كما يتبادلون

باستمرار الافكار عن استخراج المفاتيح بالنسبة لاي أزمة • وفي حالة وجود موضوع خطير ضمن سيل تقارير الليل ، فتعمل الترتيبات لاختبار الرؤساء المباشرين ، والآخرون أي الرؤساء - يقررون من من المسؤولين عن سياسة الحكومة يجب اخطاره - ابتداء من الرئيس على القمة الى كبار موظفي الدولة المسؤولين في وزارة الخارجية او وزارة الدفاع أو رئاسة المخابرات • كذلك يتابع الضباط أجهزة الصحافة وتقارير الاذاعة، ووكالات الانباء • اما الاخبار المهمة السفارة - مثل وفاة رئيس دولة - أو نشوب ثورة في بلد ما - أو اغتيال زعيم سياسي - فهي تعرف أولا عن طريق وسائل الاعلام العامة ، بالرغم من ان موظفي الدولة في الخارج عادة ما يكون لديهم الوسائل الميسرة لارسال تقارير السفارات ومعلومات المخابرات الخاصة بمثل هذه الموضوعات • ويجب ان تمر هذه التقارير في عملية كتابتها بالشفرة وحل رموزها ، ونتيجة لهذا تصل النشرات الاخبارية عادة قبلها • حيث أن عملية حل الشفرة تستهلك وقتا أطول نسبيا من نشرات الاخبار •

أما اذا كان هناك حادث يؤثر على أمن الدولة القومي او حادث يتطلب قرارات خاصة بالسياسة ، او يتطلب عملا ، فهناك في العادة عملية « تشريح » المعلومات ، لدراسة كيفية تناول هذه المعلومات تناولا مؤثرا، ولدراسة مدى التحذير الذي صدر عن المخابرات • والغرض من عملية « التشريح » هو معرفة مقدار يقظة أجهزة المخابرات ، فاذا كان هناك فشل سواء قبل التحذير او بالنسبة لتناول المعلومات التي وصلت فعلا ، فاننا نسعى الى معرفة الاسباب ونبذل كل محاولة للوصول الى الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحسين الاداء في المستقبل •

ويحدث عادة ان تترك الوسيلة التي يمكن الحصول بها على المعلومات الى ضابط المخابرات ومهارته في الميدان بعد ان يتم اسناد العملية اليه •

ويشير آلن دالاس رئيس المخابرات المركزية السابق الى ان احد مصادره في وزارة الخارجية الالمانية قد استطاع ان يمدّه ، في اثناء خدمته في سويسرا في المدة بين عامي ٤٣ ، ١٩٤٥ ، بمقتطفات مختارة من الرسائل الالمانية الدبلوماسية والعسكرية التي كانت تحاط بالسرية التامة . وبلغ عدد هذه الرسائل أكثر من ألفين ، ولأسباب متعددة لم يستطع ان يرسل الا جزءا بسيطا من مجموعة الرسائل التي حصل عليها . وكان اختيار الرسائل أمرا متروكا لحصافته كلية .

وعندما كانت الحرب تقترب من نهايتها في أوروبا ، بسدا احتمال حدوث نزاع طويل مع اليابان . عند ذلك تلقى دالاس من المركز الرئيسي للمخابرات طلبا بأن يقوم مصدره بالتركيز على ارسال التقارير الواردة من البعثات الالمانية في الشرق الأقصى ، وبخاصة في طوكيو وشنغهاي .

كان مصدر دالاس موجودا في برلين بينما كان هو مقيما في سويسرا . وكان في استطاعته ان يسافر ولكن ذلك لم يحدث الا نادرا . وكان دالاس لا يراه الا طيلة عدة اسابيع ، غير ان الموضوع الذي طلبته رئاسته كان عاجلا ولا يحتمل التأجيل . وبطبيعة الحال لم يكن دالاس يتصل بمصدره عند الحدود السويسرية الالمانية لخطورة ذلك ، ولكنه ابتكر تنظيما اساسه وجود صديقة وهمية للمصدر مفروض انها كانت تعيش في سويسرا . ولما كانت البطاقات البريدية تبدو للرقابة اكثر براءة من الخطابات المقفلة ، فقد كانت هذه الصديقة ترسل الى المصدر على عنوان منزله في برلين بطاقة تقول فيها ان صديقة لها في زيوريخ تملك حانوتا كانت تباع فيه في الماضي بعض اللعب اليابانية ، ولكن هذه اللعب نفدت ، ولم تتمكن من استيراد غيرها بسبب قيود الحرب . وبالنسبة للعلاقات الوثيقة التي كانت بين المانيا وبين اليابان طلبت من صديقها ان يساعدها فيد لها على مكان في ألمانيا تستطيع ان تشتري منه اللعب اليابانية لحانوتها . وعرف الموضوع فورا ، حيث انه كان يعرف ان كل الخطابات المرسلة من

« الصديقة » هي من دالاس ، وكانت المجموعة التالية التي ارسلها المصدر لدالاس عبارة عن برقيات واردة من كبار الضباط الالمان في الشرق الاوسط الى وزارة الخارجية الالمانية عن حالة البحرية اليابانية وسلاح الطيران باليابان .

ويحدث احيانا ان يعطي مركز رئاسة المخابرات لاسباب دبلوماسية أو غير دبلوماسية توجيهها سلبيا - أي ما يجب ألا يعمل . فقد يعلم ضابط مخابرات بعد ان يرسل معلوماته الى مركز رئاسته عدم سلامتها . وأفضل وسيلة لتوجيه ضابط الخدمة الخارجية هي اعطاؤه احتياجا على شكل اسئلة مع تحديد الاسبقيات للموضوعات المتشعبة المختلفة ، سواء من ناحية دراسة المنطقة او الاحداث السياسية او اي معلومات خاصة تحددتها رئاسة المنظمة .

كما يجب على رئاسة المنظمة تقييم المصدر ، ومتابعة انتاج الضابط بمراجعة التقارير التي يرسلها ، وتوجيهه نحو الثغرات التي تكتشف من البحث والدراسة . وبطبيعة الحال لا يمكن للانسان ان يعرف كل العوامل التي تدخل في موقف من المواقف ، ولا يمكن للانسان ان يتنبأ على وجه الدقة بالكيفية التي تعمل بها عقول الزعماء الذين تسفر قراراتهم عن صنع التاريخ .

والحقيقة انه لو حاولت دولة ان تقدر ما ستكون عليه قراراتها السياسية بعد سنوات قليلة فانها تجد نفسها قد ضلت في متاهات لا حد لها . ومع ذلك فانه يطلب من القائمين على وضع التقديرات القومية ان يقرروا ما سيفعله الآخرون ، ولسوء الحظ لا يمكن لعملية التقدير التي تقوم بها المخابرات أن تصبح علما مضبوطة .

ولا يمكن لأفضل انواع التخطيط وأفضل انواع التوجيه ان يرى كل شيء مقدما . ولا ينكر اي ضابط مخابرات او جهاز مخابرات احتمال

حدوث شيء مصادفة او دون سابق توقع •

فمثلا حدث في عام ١٩٥٨ ان كان احد الطلبة العرب من العراق يدرس في اريزونا عندما تلقى خطابا من بغداد جعله يسافر الى بلاده على الفور ، وقبيل سفره افضى الى صديق أمريكي له ان سبب سفره الفجائي هو قرب بعض احداث سياسية هامة في بلاده • وبعد اسابيع قليلة حدث الانقلاب العراقي الذي اذهل العالم الغربي ، وصبح وجوه ضباط المخابرات في الولايات المتحدة بحمرة الخجل • ووصلت هذه المعلومات الخاصة بسفر الطالب الفجائي واسبابه الى مقر الرئاسة في واشنطن في الوقت المناسب ، ولكن بقيت هذه المعلومات هناك دون ان يلتفت اليها على انها لا تعدو قشة في مهب الرياح تهب من جهة مختلفة •

وتوضح هذه القصة ايضا مقدار اهمية قيام ضابط المخابرات بارسال ما يلتقطه من معلومات حتى ولو لم يكن هناك توجيه او تعليمات من الرئاسة ، وعموما فانه بالرغم من أهمية التوجيه من جانب رئاسة المخابرات ، الا انه لا يمكن ان يغني عن عنصر المبادرة في ضابط الخدمة الخارجية •

الفصل الخامس عشر



المعرفة والعمل

- المعرفة والعمل
- اتخاذ القرارات - نشاط
 - المخابرات والقرارات -
 - صور من الحرب
 - الكورية - تنافس
 - المعلومات - ضعف
 - المخابرات في الميدان -
 - تقارير الأمم المتحدة -
 - مراقبة مالك آرثر -
 - عرض نوايا الصين -
 - نتيجة الافتراضات
 - الخاطئة - دروس
 - الحرب الكورية .

اتخاذ القرارات :

مما لا شك فيه ان ثمة اتفاقا معترفا به على مجموعة معينة من النظريات الخاصة بالدور الذي يجب ان تلعبه ابحاث المخابرات في رسم السياسة .

هذه النظريات تجعل من رسم السياسة وابحاث المخابرات وظيفتين مستقلتين تماما . اي انه بالنسبة لطبيعة هذا التمييز يجب ان يعهد بكل وظيفة الى منظمة مختلفة ، وتفصل كل منهما عن الاخرى ماديا وجغرافيا .

واذا حاولنا ان نفسر ذلك فاننا نستطيع ان نقول ان وظيفة ابحاث المخابرات تسبق وظيفة رسم السياسة زمنيا وتوقعا .

ولكن بالرغم من الاتفاق الكبير الظاهري على العناصر الاساسية لهذه النظريات ، فانه يبدو ان تطبيقها تواجهه شتى مشكلات . فمنظمات المخابرات تأخذ صفة السرية بالرغم من ان كمية ضخمة من مادتها تحصل عليها من مصادر علنية ، كما انه غالبا ما يعتذر راسمو السياسة بانهم لم يطلعوا على ما ينبغي ان يعرفوه .

كما ان الاتجاهات نحو مفهوم المخابرات وادوارها يتغير بسرعة فائقة ، فكلما مر الزمن فان اجهزة المخابرات تستطيع ان تجرب ادوارا مختلفة ووظائف مختلفة حتى اذا ما تم لها الاستقرار والثبات ، فانها تصبح على ثقة اكبر نحو فحص دورها ، واتخاذ موقف ثابت ازاء التغييرات التي واجهتها .

على ان كل تعاريف المخابرات تؤكد ان مهمة المخابرات في انتاج ابحاثها تتضمن مهمة جلب المعلومات او المعرفة او كليهما ، ودفع ذلك الانتاج لتشكيل السياسة ، قبل ان يضع صانعو القرارات السياسية قرارا

من هذه الترادفيات •

ومن ثم نستطيع ان نقيم دور المخابرات اذا نظرنا بعين الى العلاقة بين المعرفة والعمل في مجال الشؤون الخارجية •

ولكي تتمكن من ذلك ، نفترض ان اتخاذ القرارات الخاصة بالسياسة الخارجية يقوم به اشخاص يمكن تحديدهم في دولة او امة معينة ذات ارادة موحدة • الا انه من جهة اخرى فان الدولة ليست كائنا حيا ، اذ ليس لها جهاز عصبي او شخصية مادية ، ولا يمكن تفسير سلوكها على اساس السلوك الشخصي في الحياة •

وبالرغم من ان هناك تشابها في سلوك الناس الذين ينتمون الى ثقافة واحدة ، فان هذا التشابه لا يبرر معاملة الدولة على انها اشخاص تتخذ قرارات او تقوم بعمل •

ففي الشؤون الخارجية ، كما هو الحال في أي عمل بشري ، سواء كان فرديا او جماعيا ، فان الاختيار بين مسالك العمل المختلفة الممكنة يلعب دورا أساسيا ••• هذه المسالك التي قد تكون خاطئة او صائبة ، طيبة او سيئة ، تتم بواسطة الناس فقط لا بواسطة الامم او المؤسسات •

وعند جميع مستويات الاحداث الدولية ، وفي كل مرحلة من مراحل التطور ، يوجد رجال ونساء يقومون بعملية الاختيار ، لان ثمة عوامل عديدة تهيب عوائق وتسهيلات مثل قوة الدولة والجغرافيا والسكان والانتاج الخ ••• وهذه الاختيارات هي التي تكون جسم الشؤون الدولية •

والمثل الاعلى الذي يجب ان تتجه اليه في الاختيار بالنسبة للشؤون الخارجية ، هو ان يتم هذا الاختيار بمقتضى ما يسله العقل ، وبأوفى قدر من الوضوح فيما تشده الدولة من قيم قومية •

والخاصة العقلية تتضمن استخدام كل المعرفة في جعل الوسائل تتفق مع الاهداف ، كذلك جعل الاهداف توافق بعضها بعضا • وبالرغم من أن القرارات المبنية على العقل لا تكون صحيحة تماما دائما ، الا انها تكون أقرب الى الصحة في أغلب الظروف •

وبناء على ذلك فان القرار الذي يتخذ على اساس الخاصية العقلية لا بد ان يقابل ثلاثة معايير :

- ١ - بحث عقلي لوسائل ترادفية •
 - ٢ - ضرورة حساب منظم للنتائج الفرعية لهذه الترادفيات •
 - ٣ - بحث عقلي للاهداف المختلفة لكي تعطي كل منها اولوية قياسية •
- على انه اذا تمت عملية اتخاذ القرارات في تتابع دقيق ومنطقي ، فان الخطوة الاولى في اتخاذ قرار عقلي ، تكون فحص القيم التي يسعى اليها المجتمع •

صانع القرار والمعرفة :

وهنا تكمن المشكلة لان متخذ القرار هنا ، وبخاصة اذا كان رئيسا للدولة ، يجد صعوبة بالغة ، لانه في هذه الحالة حينما يضع القرار لا يقتصر على معرفة قيمه بل يتعداها الى معرفة قيم مجتمعه ايضا •

فلو كانت الظروف تلزم متخذ القرار ان يحشو في رأسه كل ما يريد معرفته عن قيم مجتمعه ، فان مهمته تصبح مستحيلة • اذ انه على مستوى القيم العامة فان قائمة المعلومات ستشمل كل شيء ابتداء من تحقيق السلام الى الازدهار والرفاهية •

ولكن ذلك يعتبر مجرد البداية ، اذ انه قبل مرور وقت طويل سيحتاج الى معرفة كل قيم مجتمعه في ترتيب تنازلي وأولويات . كما ان عليه ان يترجم هذه القيم الى اهداف عملية وصلبة ، وكذا جعل الناس تعترف بأن قيمها تخدمها هذه الاهداف ، وعليه ايضا ان يعرف كيف يستميل الناس للاعتراف بحاجاتهم الحقيقية ، والى الاعتراف بأفضلية التخلي عن متعة ظاهرة صغيرة في سبيل الحصول على متعة خفية أكبر فيما بعد .

ومن حسن الحظ فان صانع القرارات لا يحتاج الى ان تكون كل هذه المعرفة في رأسه ، فانه لن يعدم مساعدة الآخرين له . كذلك لا يهم ان يكون صانع القرار هو رئيس الدولة او وزير او مجرد رئيس ادارة حيث انه سيكون هناك دوما رجال يرتبط مصيرهم بمصيره ، ويصعدون معه او يزولون معه ، ولذا فان مهمة هؤلاء الاشخاص هي ان يعرفوا ما يقوله الناس وما يريدونه وما يشعرون به اليوم ، وما هو الاحتمال شعورهم في المستقبل . وهؤلاء الاخصائيون لا يكونون على استعداد فقط لتقديم نصيحتهم لصانع القرارات ، ولكنهم يهرعون اليه للقيام بذلك .

وسواء في الديموقراطيات او الدكتاتوريات فان صانع القرار يحاول أن يرضي مصالح المجموعات ذات القوة ، وغالبا ما يحاول ان يضرب قوة احدى المجموعات بقوة الاخرى ، ولكن يلاحظ في الدكتاتوريات ان عدد المجموعات ذات القوى يكون اصغر من الموجودة في الديموقراطيات ، فقد لا تتعدى القوات المسلحة والشرطة والحزب .

واذا كان القرار يتطلب ان يكون عقليا فلا بد لصانع القرار ان تيسر له كميات ضخمة من المعرفة والمعلومات عن مصالح الناس الحقيقية، وكذلك عن قوة المجموعات المختلفة وقوى الشعب المختلفة . وحيث ان صانع القرارات غالبا ما يكون قد مارس الصعود على سلم المياسة الطويل

الوعر ، فمن المحتمل ان يكون هو نفسه اخصائيا وخيرا في هذا المجال .
الا انه من الناحية العملية فان صانع القرار يعتمد على مجموعة
من المستشارين يعملون في ميادين عديدة ، ولهم خبرة وفيرة
بالديناميكية السياسية التي تتأثر بها قوى المجتمع وقيمه .

!لعلاقة بين نشاط المخابرات والقرارات :

فاذا انتقلنا من التعميم الى التخصيص ، نستطيع ان نقول ان هناك
علاقة هامة بين نشاط المخابرات والقرارات التي تتعلق بالامن القومي
للدولة . كما ان حسن استخدام معلومات المخابرات وتقديراتها او سوء
استخدامها غالبا ما يؤثر تأثيرا بالغا على نجاح سياسة الدولة الخارجية
أو فشلها .

فاذا اضفنا الى ذلك ان ثمة بعض القرارات الخاصة بالامن القومي
لا يمكن الرجوع فيها ، بمعنى ان الوقت الذي يضيع في اتخاذ قرار
خاطئ لا يمكن استعادته ، نجد ان المعلومات هي عنصر حيوي هام ،
ولكن لا يمكن لاحسن المخابرات ان تضمن اتخاذ القرار غير السليم .

ان قيام السوفييت بتركيب الصواريخ بعيدة المدى في كوبا عام
١٩٦٢ - وقد دفع بالدول العظمى الى حافة هاوية الحرب - هو مثل
ذو وجهين للاهمية القاطعة للمخابرات الدقيقة . لقد ادت المعلومات المشوهة
غير الدقيقة التي تلقاها الكرملين الى ان يعتقد القائمون على امر اتخاذ
القرارات السوفييتية ان الولايات المتحدة سوف تترك الصواريخ بعبد
اكتشافها في مكانها . ومن جهة اخرى كان الوقت متأخرا قبل ان يحصل
القادة الامريكيون - الذين كانوا يفترضون ان الكرملين لا يجرؤ على
القيام بهذه المناورة - على البيانات الايجابية التي تحدد ان مكان هذه

الصواريخ هو كوبا • لقد مرت فترة اسابيع كان الجو فيها ملبدا ،
ولقد كان يمكن ان تقع كل منهما في كارثة استراتيجية نتيجة لفشل
مخابراتهما •

وربما لا يكون ثمة ما هو اهم بالنسبة للسلام العالمي اليوم من
تضييق الهوة التي تفصل بين الصورة المشوهة والصورة الحقيقية في كل
من البيت الابيض والكرملين • وهنا نجد ان اجهزة المخابرات تلعب
دورا في المقام الاول من الاهمية بالنسبة للدفاع والامن القومي •

ويتطلع تخطيط سياسة الامن القومي في كل مستوياته الحكومية الى
المخابرات على انها هي التي تقيم الموقف الخارجي في الوقت الحاضر ،
وتتنبأ بالتطورات التي يحتمل وقوعها في المواقف والسياسات الخارجية •
وسواء كان هذا التخطيط يتم في اعلى مستويات القيادة السياسية او في
وزارة الخارجية او في مجلس اركان حرب القوات المسلحة او في أي
قيادة من قيادات القوات المسلحة ، فانه لا يمكن الاستغناء عن شكل او
آخر من تنبؤات المخابرات •

ولقد اخترنا لتوضيح هذا الامر ثلاثة موضوعات تبرز اهمية العلاقة
بين المعرفة والعمل ، وكذا يمكن ان نستخلص منها عديدا من الدروس
وخاصة من ناحية تقييم استخدام المخابرات لاتخاذ القرارات السياسية •
وسنبدا هذه الموضوعات بموضوع الحرب الكورية ، يلي ذلك
ما كان يطلق عليه « فراغ الصواريخ » اما الموضوع الثالث فهو تقدير
الولايات المتحدة بالنسبة بين قوتها وقدة الاتحاد السوفيتي مستقبلا •

الحرب الكورية :

ففي الجدل الذي قام حوله موضوع الحرب الكورية ، كانت نظرة

الشعب الامريكى الى اعمال المخابرات محدودة ، وبخاصة في اثناء سؤال ماك آرثر أمام مجلس الشيوخ عام ١٩٥١ ، وذلك حينما نوقشت مواضيع ادارة الحرب بشكل علني •

كانت كوريا تبدو امام مستويات السياسة العليا في واشنطن على انها احد اماكن ستة يمكن ان ينطلق الشيوعيون منها • وحتى بدء الهجوم الفعلي - وطبقا لبيانات المخابرات الامريكية - كان الزعماء الامريكيون يفترضون ان الكرملين لم يكن على استعداد لان يجازف بعمل عسكري كبير • وكانت الاستراتيجية الامريكية - المبنية على سياسة التطويق - تركز على مقاومة احتمال حدوث هجوم جوي في اوروبا الغربية ، وضد حزام دفاعي في الباسفيك ، مما ترك موضوع الدفاع عن كوريا غامضا او مائعا •

بحث قيمة كوريا الاستراتيجية :

وحيثما قام المجلس المشترك لهيئة اركان الحرب ببحث قيمة كوريا الاستراتيجية في عام ١٩٤٧ ، أوصى بسحب القوات الامريكية، ولكن كان التقرير الذي كتبه جنرال البرت وديمير في عام ١٩٤٧ - وكان اساسه بعثة دراسية كان الرئيس الامريكى قد اوفدها الى الصين وكوريا - قد صرح بأن كوريا الشمالية تعد جيشا هجوما مدربا احسن تدريب ، وكان من الواضح انه يفوق القوة الدفاعية التي كانت لدى الولايات المتحدة والامم المتحدة في كوريا الجنوبية •

ولكن لم ينشر او يعلن تقرير وديمير حتى عام ١٩٥١ • وطبقا لشهادة وردت في اثناء التحقيق مع ماك آرثر ، فان هذا التقرير لم يسلم الى مدير ادارة المخابرات المركزية • ولكن لم يكن من المحتم ان يؤدي نشر هذا

التقرير في سبتمبر ١٩٤٧ الى تغيير تقديرات المخابرات الامريكية ؛ ولا الى تغيير سياسة الولايات المتحدة ؛ التي كانت تركز في ذلك الوقت على خفض الميزانية ، وعلى التغيير الشامل في مفهوم الحرب ، وعلى الاعتماد على القوى الاستراتيجية الذرية الضاربة . كان القادة يميلون الى ان يروا ما يفضلون ان يروه ، الا اذا كان التحذير من الوضوح بحيث لا يمكن ان يخطيء ، وهذا نادر الحدوث . ولكن كان عدم نشر تقرير ويدمير دليلا على قصور نظام المعلومات داخل المجالس المنوط بها رسم السياسة في عام ١٩٤٧ .

وكما هي العادة دائما قام رجال المخابرات في المستويات الدنيا بالاشارة الى كميات من التقارير كانت تحتوي على تحذيرات من الاحداث القادمة . فأشار ماجور جنرال تشارلز ويلوبي رئيس مخابرات جنرال دوجلاس ماك آرثر - الى انه حدث ان ارسل في الشهور الستة السابقة على الهجوم الكوري ، ٤١٧ تقرير مخابرات من طوكيو الى واشنطن . يقول ويلوبي : « وكلها كانت عاجلة وكانت تغطي كل وجه من وجوه التهديد الشيوعي من جانب كوريا الشمالية » . وفي كتابه « ماك آرثر ١٩٤١ - ١٩٥١ » يذكر ويلوبي تقارير تشير الى احتمال حدوث هجوم من جانب كوريا الشمالية في يونيو ١٩٥٠ ، ولكن كما هي العادة مع معظم تقارير المخابرات كانت تحتوي على مواصفات وتحديدات ، وكانت تترك تقدير مقدار المجازفة لمن يتخذ القرار النهائي . ويقول في ذلك دين اتشيسون وزير الخارجية في لاذك الوقت : « كانت قد وصلت الى وزارة الخارجية قبل ٢٥ من يونيو معلومات عن طريق قيادة الشرق الاقصى ، وعن طريق المخابرات المركزية ، وعن طريق ممثلي وزارة الخارجية هنا وفيما وراء البحار ، وقد اتفقت هذه المصادر كلها على احتمال حدوث هجوم على الجمهورية الكورية » . ولكن اجمعت كل المصادر على استبعاد حدوث الهجوم في صيف عام ١٩٥٠ .

ويقول جنرال ويلوبي في كتابه : أن النصيحة كانت قد أسديت الى واشنطن في ١٠ مارس عام ١٩٥٠ عن احتمال حدوث هجوم في شهر يونيو . ولكنه لم يضمن كلامه التعليق الذي كان ملحقا بأحد التقارير المرسلة من القائد الاعلى لقوات الشرق الاقصى وكان نص هذا التعليق كما يلي :

« سوف يكون جيش الشعب مستعدا لغزو كوريا الجنوبية قبيل الخريف وربما قبيل الربيع ، ويشير الى هذا توسع القوات المسلحة وحركات الجيوش الكبرى في مناطق خط العرض ٣٨ الحرجة . وحتى اذا كانت تقارير المستقبل تشير الى ذلك ، فليس من الضروري ان يعجل ذلك بقيام حرب أهلية . ولذلك فالاعتقاد السائد هو ان النية بالنسبة الى كوريا مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبرنامج الشيوعي في جنوب شرقي آسيا . ويبدو أن اجراءات الشيوعيين العسكرية السافرة في كوريا لن تبدأ حتى تنضج نتائج برامج السوفييت في الهند الصينية وبورما وتايلاند . فاذا رضي السوفييت عن هذه النتائج فربما قنعوا بالانتظار فترة وتركوا كوريا الجنوبية حتى تنضج قبل ان يقطعوا ثمارها مستقبلا . أما اذا حدث ان صدت عملياتهم أو أخفقت في هذه البلاد الاسيوية فربما - حولوا نصيبا كبيرا من مجهودهم الى كوريا الجنوبية ، الامر الذي يؤدي الى غزو جيش الشعب لكوريا الجنوبية » .

وبعد خمسة عشر يوما من كتابه التقرير السابق صرح ويلوبي في ٢٥ من مارس عام ١٩٥٠ بالاستنتاج التالي :

« من المعتقد انه لن تكون ثمة حرب أهلية في كوريا في هذا الربيع أو هذا الصيف . والعمل المحتمل ان تقوم به كوريا الشمالية في هذا الربيع أو هذا الصيف هو توسيع محاولتها لقلب حكومة كوريا الجنوبية

وذلك بخلق حالة من الفوضى في الجمهورية بواسطة نشاط حرب العصابات وبواسطة الحرب النفسية » •

تناقض المعلومات :

هذا يناقض بشدة ادعاء ويلوبي أن واشنطن قد احييت علما بواسطة ادارات المخابرات • وقد صرح بعد ذلك في كتابه انه : « بالرغم من كل التحذيرات المبلغة من طوكيو ، وبالرغم من زيارة جون فوستر دالاس ، وبالرغم من أن السفارة الامريكية في سيول كانت مجهزة لان تكون محطة استماع ، فان غزو كوريا الجنوبية أحدث هزة في واشنطن » • وواضح ايضا ان هذا الغزو أحدث رجة كذلك في قيادة ماك آرثر بالشرق الاقصى • ومهما كانت التحذيرات التي وجهت ، فقد كان يحوطها اللبس والابهام من وجهة نظر المخابرات •

وكانت كوريا تقع خارج نطاق قيادة ماك آرثر بالشرق الاقصى بعد انسحاب قوات الولايات المتحدة منها في يوليو عام ١٩٤٩ • والواقع ان البحرية كانت قد اخذت على عاتقها المسؤولية الادارية العامة بينما تولت وزارة الخارجية مسؤولية المخابرات هناك • اما ماك آرثر فقد احتفظ هناك بوحدة مراقبة صغيرة - مكتب الاتصال الكوري • الا ان شعور القيادة العسكرية بضرورة الاحتفاظ بنظام للمخابرات خارج اختصاصها ، يثبت فكرة الازدواج الذي أضر بالمخابرات الامريكية ، كما أضر بالعمليات العسكرية منذ الحرب العالمية الثانية •

وفي اثناء الاحتلال الامريكي لكوريا ، بعد الحرب العالمية الثانية ، كانت الولايات المتحدة لا تحتفظ بشبكة مخابرات في كوريا الشمالية لتمدها بالمعلومات عن تحركات الشيوعيين الصينيين في الفترة التي كان

الشيوعيون يستخدمون فيها كوريا كملجأ لهم في حربهم مع الوطنيين الصينيين • وقبيل عام ١٩٤٩ عندما انتهى الاحتلال الأمريكي أصيب نشاط هذه المخابرات بالقصور نتيجة لفقد الأمريكيين الاهتمام والتأييد لكوريا •

ضعف تنظيم المخابرات في الميدان :

وفي اثناء الفترة الحرجة ١٩٤٨ - ١٩٥٠ ضعف تنظيم المخابرات في الميدان ، كما ضعف في واشنطن • كانت هناك منازعات قانونية شديدة بين ماك آرثر وبين ادارة المخابرات المركزية التي كانت ما تزال في طفولتها • وقد جاء في اثناء سماع اقوال ماك آرثر ان قيادته كانت تعرقل نشاط عملاء ادارة المخابرات المركزية في منطقته ، وفي المناطق المجاورة لها ، كما كانت الروح السائدة بين الادارات المختلفة التي كانت مهمتها ان توضح الامور لحكومة واشنطن - لا يتسم بالجماعية •

وكانت لدى واشنطن مشاكلها التنظيمية ايضا • فبالرغم من انه كان قد مضى على عمل ادارة المخابرات المركزية سنتان الا ان التنسيق التام بين اجهزة المخابرات كان ما يزال أملا يراود النفوس • لم يكن قد نشأ بعد نظام مؤثر مهمته تقدير المخابرات القومية على مستوى الحكومة • اذ استمر القائمون على أمر اتخاذ القرارات يتسلمون التقارير المتضاربة من وحدات المخابرات المختلفة التي ينافس بعضها البعض الاخر •

وكان ثمة اتجاه بين القوات العسكرية في وقت من الاوقات بشأن عدم التعاون مع المخابرات المركزية • • • وعندما تركتها كان هذا التنسيق في حاجة الى التحسين » • وفي عام ١٩٥٢ تعهد القائمون على أمور الحزب الجمهوري باحكام التنسيق بين اجهزة المخابرات •

وعلى ذلك يمكننا ان نقول ان هجوم كوريا الشمالية المفاجيء لم يكن دليلا على اخفاق المخابرات بقدر ما كان دليلا على سوء استخدامها •

لم يكن ثمة تنبؤات ايجابية مؤكدة عن هجوم يتم في شهر يونيو من عام ١٩٥٠ ، ولكن قامت المخابرات بارسال كمية كبيرة من المعلومات الغزيرة كان يمكن ان تحذر راسمي السياسة من الاخطار والمجازفات القائمة بشرط ان يكون لديهم الاستعداد - وهو الشيء الذي لم يتيسر لهم - لان يبينوا خططهم طبقا لاسوأ الفروض بدل ان يبنوها طبقا لافضلها .

ولقد عبر هاري ترومان بعد ذلك بقوله : « لقد كان الكوريون الشماليون قادرين على شن هجوم في أي وقت ، ولكن لم تأت المعلومات التي تجزم بوقوع الهجوم او تحدد وقوعه » . ولكن فات مستر ترومان ان المخابرات تتحمل اكثر مما تطيق لو اتنا توقعنا منها الجزم والتأكيد ، لان مهمتها التكهّن والانداز .

تقارير لجنة الامم المتحدة :

وكانت التقارير التي قدمتها لجنة الامم المتحدة عن كوريا هي التحذير الوحيد الذي كان من الطبيعي ان تتوقعه واشنطن . فمثلا جاء في احد التقارير في ٢٩ من سبتمبر عام ١٩٤٩ : « كانت القوات العسكرية تأخذ مكانها على جانبي خط العرض ٣٨ . وكان هذا يشكل خطرا كبيرا لاثارة اصطدامات عسكرية سافرة وقد عقدت حكومة كوريا الشمالية حديثا معاهدة مع الاتحاد السوفيتي كما أبرمت اتفاقية خاصة بالمعونة العسكرية بين كوريا الشمالية وبين القوات الصينية الشيوعية في منشوريا . وتدل التقارير على حدوث غارات على الحدود يشنها الشماليون كثيرا ، كما انه يقال ان هذه الغارات تزداد شدتها » .

مرافعة ماك آرثر :

وقال ماك آرثر في اثناء مرافعته مقللا من شأن عنصر الجهل في التنبؤات التي تقوم بها المخابرات بشأن نوايا العدو :

« هناك حد للمعلومات التي يمكن ان تجمع •
« واني لا اعتقد ان الجمهور يمكنه ان يدرك صعوبات التأكد من
الحقائق ثم استخلاص الاستنتاجات من هذه الحقائق •

« ليس الامر من السهولة بمكان • فانت حتى لو عرفت ان الجيوش
تتجمع في منطقة من المناطق ، فليس معنى هذا انك تستطيع ان تخلص من
هذا بأن هذه الجيوش تتجمع في هذه البقعة بقصد الدفاع او بقصد
الهجوم او بقصد التمويه او بقصد التحذير •

« واني لا اعتقد ان النقد الموجه الى اجهزة المخابرات في محله •
بل اني اعتقد ان اجهزة المخابرات جمعت كل ما يمكن جمعه من المعلومات
عن منطقة تقع خلف الستار الحديدي •

« ويجب ان يكون هناك تقييم على اعلى مستوى حكومي لكل
المعلومات التي تأتي من جميع المصادر قبل ان تصل الى التنبؤ •

« ولا يستطيع ان أتصور لانسان او لجماعة من البشر انه كان في
استطاعتهم التنبؤ بهذا الهجوم ، كما لم يستطع احد ان يتنبأ بحادث بيرل
هاربور قبل وقوعه •

« ليس هناك من يستطيع الحصول على مثل هذه المعلومات ، وليس
هناك سوى وسيلة استخدام الجواسيس ، أي وسيلة اقناع احد
الجواسيس بخيانة الدوائر العليا للاعداء • انهم يتحفظون على هذه
المعلومات ويحيطونها بسرية لا يمكن ان تغالي في وصفها • وحتى قادة
الوحدات العسكرية المعنيون لا يمكنهم ان يعرفوا على وجه التحديد ما
يجري الا بعد ان تصدر اليهم الاوامر بأن يتحركوا •

ضعف موقف المخابرات :

وبعد ان يقع الحادث يميل كبار رجال المخابرات الى ان يشيروا الى

بعض اقسام التقارير التي أرسلوها قبل الحادث وهم يقولون : « انظروا الى هذا التنبؤ . كان يكفي لان يكون تحذيرا لكم » . اما القائد او مخطط السياسة فيشير الى الغموض الذي يتسم به تقدير المعلومات بحيث انه كان يجد نفسه مضطرا ان يقوم بعملية التنبؤ بنفسه من عدة احتمالات . واذا ما حدث ان اختار واضح القرار الاحتمال الثاني ، ثم أثبتت الاحداث انه الاحتمال الخاطئ ، عمد الى توجيه اللوم الى نظام المخابرات لاخفاقه . وأحيانا يكون هذا اللوم في موضعه وأحيانا لا يكون . وعلى كل حال فان قواعد السرية الصارمة تضع رجال المخابرات في موقف ضعيف لا يستطيعون معه الدفاع عن أنفسهم .

عجز واشنطن عن التكهن بالحركات الصينية :

ان المفاجأة التي حدثت لواشنطن نتيجة الهجوم الشامل الذي شنه الصينيون الشيوعيون في اواخر نوفمبر تتضمن نفس العناصر التي جعلت من هجوم يونيو مفاجأة مضافا اليه عناصر جديدة . كان احتمال تدخل الصينيين على نطاق واسع معروفا بتفاصيله ، وكانت ثمة دلائل قوية عن نوايا الصينيين . ولكن كان الامريكيون يتلقون بأمل أن يحجم الصينيون عن المجازفة . واستمر هذا الامل يراودهم حتى بعد الاسبوع الاخير من شهر اكتوبر ، عندما بدأ تدخل الصينيين على نطاق محدود . فمن الناحية النظرية كان مثل هذا الامل أكثر من معقول . ومن الادلة التي أمكن الحصول عليها كان من الممكن تأييد الغرض الذي يقول أن التدخل الصيني كان رد فعل لسلوك الولايات المتحدة ، وانهم لجأوا اليه اخيرا عن غير رغبة نتيجة للحركات العدائية التي قامت بها قوات ماك آرثر باتجاهها نحو الحدود الشمالية .

ومما اعجز واشنطن عن التكهن بالحركات الصينية ان هجوم يونيو عام ١٩٥٠ كان قد دمر تماما كل مصادر مخابرات كوريا الجنوبية

الضئيلة • وكانت عملية تدريب عملاء جدد عملية بطيئة ، كما ان بعض أساليب المخابرات الهامة مثل التصوير الجوي كانت غير موجودة في كوريا ، وكان كل من الجيش الثامن وكبار راسمي السياسة يدركون احتمال حدوث تدخل صيني • وكانت مخابرات الجيش الثامن تنظر اليه منذ البداية على انه مجرد صدفة أو مجرد أمر عارض ، ولكنها أخذت تنظر اليه بتحفظ وبهدوء يشوبه أمل عندما وجدت انه يثير الفزع في نفوس الكوريين الجنوبيين ، وانه يخلق مشاكل خاصة بالروح المعنوية في الميدان • وظاهر انه كان لهذا أثر مزل في واشنطن •

كانت بكين مصدرا هاما من مصادر استقاء المعلومات عن نوايا الصينيين ، فهناك كانت تتخذ القرارات الهامة ، اذ كان شواين لاي قد أصدر قبل أن تعبر القوات الامريكية خط العرض ٣٨ بيانا سافرا جاء فيه ان شعبه لا يمكن أن يسمح للامبريالية الامريكية ان تغزو أراضي جيرانه •

وقال الرئيس ترومان بعد ذلك ان تصريح شواين لاي بشأن التدخل هو : محاولة جريئة للاستفادة من الموقف عن طريق تهديد الامم المتحدة بالتدخل في كوريا » • وربما كان هذا هو أحد الاغراض • ويرى مستر ترومان ان السفير الهندي في بكين : « كان قد لعب في الماضي نفس لعبة الشيوعيين الصينية » • ويمكننا ان نقول ان القيود المفروضة بشأن عدم الاعلان وبخاصة خوفا من الجمهوريين ومن الصحافة المعادية ، هي التي منعت الرئيس الامريكي من أن يظهر بمظهر المستسلم لتمويله أو تحليله •

وبالرغم من وضوح وجود تحركات على نطاق واسع للقوات الى منشوريا ، فان المخابرات الامريكية كانت تجمع على ان التدخل الشامل لا يتعدى ان يكون احتمالا • وبالمثل صدرت بيانات حربية من بكين دون

أن يعنى أحد بمتابعتها •

ويعتبر الرئيس ترومان ان احتمال التدخل كان أحد أسباب رحلته الى ويك أيلاند في منتصف اكتوبر كي يعقد مؤتمرا مع ماك آرثر • ويسجل مستر ترومان انه في محادثات الخاصة والجماعية مع ماك آرثر • كان الاخير يؤكد له ان احتمال حدوث تدخل صيني كبير ضعيف جدا • ويضيف ماك آرثر الى ذلك انه اذا بلغ بهم الحق مبلغا يدفعهم الى التدخل فسوف يذبحون •

وفي الوقت الذي كان ترومان وماك آرثر يعقدان فيه اجتماعهما في ويك أيلاند ، كان رجال المخابرات يقومون باستجواب بعض المتطوعين الصينيين الذين أسروا في كوريا الشمالية • وبعد اسبوعين من انعقاد مؤتمر « ويك أيلاند » كان هناك قرابة ١٠٠.٠٠٠ جندي صيني في كوريا ، ولو ان هذه الحقيقة كانت غير معروفة من قيادة الامم المتحدة • فقد كانت ثمة تحركات كبرى قوامها خمسة جيوش دخلت البلاد خلسة • وواضح ان مخابرات الميدان الامريكية لم تكن تؤدي مهمتها كما يجب •

□ غموض نوايا الصين :

لقد ظلت نوايا الصين الشعبية لغزا محيرا في كوريا وطوكيو وواشنطن • ومن بين الاسئلة التي كانت موضع مناقشة : هل الدلائل القليلة على وجود قوات صينية في كوريا يقصد بها تقوية العناصر الكورية الشمالية ؟ أو هل معناها ان تدخلها شاملا على وشك الحدوث ؟ وكما هي العادة دائما كثرت في واشنطن النظريات ، وحاولت بعض الجهات ان تفرق بين سلوك الصينيين الموروث وبين سلوكهم كشيوعيين • وقام غيرهم بفلسفة الصراع الجوهري القائم بين بكين وبين موسكو ، واستنتجوا ان بكين لن تحارب من أجل موسكو • وكان هذا أساس كل الاجابات الاستراتيجية الامريكية المرسومة من أجل الشيوعيين الصينيين •

وكانت استراتيجية الولايات المتحدة في هذه المرحلة تنادي باحتلال كوريا كلها اذا لم يقيم الروس والصينيون بتدخل على نطاق واسع •

كان الوهم والثقة بأن العدو غير قادر على ان يضطلع بمهمة احداث تغيير في مجريات الامور مسيطرين على واشنطن وعلى مركز قيادة ماك ارثر • وكان يساندهما مذكرة مقدمة من ادارة المخابرات المركزية بتاريخ ٢٠ من اكتوبر تفيد ان الصينيين سوف يدخلون كوريا الشمالية على أكثر تقدير ، بغرض حماية مصانع القوى الكهربائية على طول نهر يالو •

وفي ٦ نوفمبر ابلغت ادارة المخابرات المركزية الرئيس ترومان عن وجود ٢٠٠٠٠٠ جندي من القوات الصينية في منشوريا ، كما ابلغته ان الشيوعيين الصينيين لا يكتفون بتسيير قوات كبرى ، وانما يخاطرون بهيبتهم في آسيا • وفي ٧ من نوفمبر أكدت رسالة ماك ارثر الى الرئيس الامريكي اعتقاده الاول بأن الصينيين لا يزمعون القيام بتدخل على نطاق واسع ، وان كان قد ابلغ الامم المتحدة في ٥ من نوفمبر عن وجود وحدات عسكرية شيوعية من الصينيين في كوريا •

وفي ٩ من نوفمبر اجتمع مجلس الامن القومي للولايات المتحدة لبحث توصية الهيئة المشتركة لاركان الحرب بعدم اجراء تغيير في توجيهات ماك ارثر ، وبحل مشكلة التدخل الشيوعي الصيني بالطرق الدبلوماسية اذ أمكن ، وبأن الولايات المتحدة لا يجب أن تعترف بتزايد خطر نشوب حرب عامة ، وتمت الموافقة على جوهر هذه النقاط • وطالما كانت عمليات ماك ارثر في كوريا الشمالية تبشر بالنجاح ، وطالما كان الامل لا يزال معقودا في أن يحجم الشيوعيون الصينيون عن التدخل الواسع النطاق ، فلم تكن الادارة او المجلس المشترك لاركان الحرب على استعداد للحد من نشاطه ، ما دام الاخير يجري جنوب نهر يالو ، ولقد حاول ترومان أن

يؤكد للصينيين الشيوعيين - بتصريح علني - ان الولايات المتحدة لا تنوي القيام بعمليات عدائية ضد الصين. وبالمثل اكد البريطانيون لبكين ان قوات الامم المتحدة لا تهدد الاراضي الصينية .

□ نتيجة الافتراضات الخاطئة :

وفي اثناء ذلك استمر ماك ارثر في سيره نحو الشمال كما استمر في اصدار بياناته التي تتسم بالتفاؤل ، فأصدر بيانا في ٢٤ من نوفمبر يقول فيه : « لقد دل استطلاع جوي وراء خط العدو وعلى طول الحدود الممتدة على نهر يالو على وجود اثار قليلة لنشاط عسكري معاد » . وظل القادة العسكريون حيارى : هل النشاط الصيني القائم يمثل محاولة واسعة النطاق لطرد قوات الامم المتحدة خارج كوريا الشمالية ؟ أو هل يمثل هذا النشاط محاولة لاقامة منطقة فاصلة لحماية المصالح الصينية في محطات القوى الكهربائية الواقعة على نهر يالو ؟ أو هل يمثل هذا النشاط اقامة اشراف او سيطرة شيوعية على كوريا الشمالية ؟ وقد دلت تحليلات الاحداث ان فكرة اهتمام الصين بمحطات القوى الكهربائية كانت فكرة مغالى فيها كثيرا من جانب واشنطن . وقد ارسل جورج مارشال وزير الدفاع استفسارا شخصا الى ماك ارثر في اوائل شهر نوفمبر جاء فيه : « هل تشعر ان موضوع القوى الكهربائية وموضوع الخزان يحتل ان يكونا هما الدافع الاول لحركة الشيوعيين الصينيين التي حرض السوفييت عليها للدفع عن مصالحهم في الشرق الاقصى ؟ » وعلى كل حال استنتج عدد من ادارات المخابرات المشتركة التابعة للامم المتحدة ان الصينيين لم يكونوا يموهون ، ولكن ظلت ادارة المخابرات المركزية على تشككها .

ولكن كان هناك قلق عميق بخصوص الاحتمال . ففي ٢٤ من نوفمبر اعلنت ادارة المخابرات المركزية موجزا جاء فيه ان الصينيين سوف

يقومون على الاقل بزيادة عملياتهم في كوريا ، وانهم سوف يسعون الى خنق قوات الامم المتحدة باطالة أمد الاحتكاك ، وباقامة حكومة شبه شيوعية في كوريا الشمالية . وجاء في موجز ادارة المخابرات المركزية ايضا ان الصينيين يمتلكون من القوة العسكرية في كوريا ما يستطيعون به اجبار قوات الامم المتحدة على الانسحاب الى مواقعها الدفاعية . وفي نفس اليوم أعلن ماك آرثر بطريقة مسرحية عن بدء هجوم « انتهاء الحرب » . وفي ٢٨ من نوفمبر أي بعد شهرين من ابلاغ القائم بعمل رئيس هيئة أركان الحرب في الصين الى بانكار السفير الهندي أن الصين عازمة على التدخل ، أصدر الجنرال ماك آرثر بيانه المشهور الى الامم المتحدة أعلن فيه في لهجة داهشة « اتنا نواجه حربا جديدة تماما » اذ انه نتيجة لافتراضات اساسها خاطيء ، ونتيجة لاختفاق في ميدان المخابرات وقعت قوات ماك آرثر في فخ ، فلم يضرب الصينيون الحمر من خلف نهر يالو وانما اقاموا بالضرب من مواقع خفية في المنساطر الجبلية خلف قوات ماك آرثر .

وهكذا كان هجوم ٢٥ من يونيو والتدخل الصيني في اكتوبر / نوفمبر مفاجأة من الناحيتين الاستراتيجية والتكتيكية .

□ دروس من الحرب الكورية :

ويمكننا ان نتبين من التجربة الكورية أربع نقاط كبيرة خاصة بالمخابرات الاستراتيجية فيما يتصل باتخاذ القرارات القومية :

الاولى : انها تعكس اخفاق المخابرات بصفة عامة اخفاقها في فهم تعريف الدولة الاجنبية وتحديدها ، والضغط الواقعة على راسمي السياسة الخارجية . كما اخفقت الولايات المتحدة في ان تفهم مخاوف

الكوريين الشماليين ومخاوف الصينيين الشيوعيين ومخاوف الروس من عمل عدواني امريكي . كذلك اخفقت المخابرات في ادراك عدم استعداد هؤلاء لان يروا دولة كوريا الشمالية وجهازها العسكري وقد أصابته التدمير . لقد رغبت الصين الشيوعية في ان تؤثر في العلاقات بين الولايات المتحدة وبين اليابان بطريقة تكون في صالح الصين . وكان هناك عامل آخر وهو اهتمام يكين « بهيتها » والدور الذي كانت تلعبه في بقية اسيا . كانت الصين مهددة بأن تفقد هيبتها اذا ما اصاب نظام الحكم في كوريا الشمالية الدمار ، بالاضافة الى عامل اخر وهو نقط الضعف الداخلية في نظام الصين ، وما قد تأتي به الحرب من ناحية اخماد جماعات المعارضة الداخلية والوصول الى درجة أكبر من الوحدة القومية . لم تكن ثورة الصين الحمراء قد ثبتت بعد وتوطدت دعائمها . ومن المحتمل ان تكون رغبة روسيا متجهة نحو تدخل الصين ، وانها استخدمت ضغطها لتحقيق ذلك .

لم تنل هذه الاعتبارات العناية الكافية من جانب واشنطن ، لقد وضع محللو المخابرات ورأسمو السياسة خطأ أهداف السياسة الخارجية وأمانيتها بالنسبة للولايات المتحدة فوق كل اعتبار . وثمة اخفاق طبيعي اخر وهو السماح للأهداف السياسية ان يحددها التقدم العسكري على الارض ، وان يكون المنطق السائد هو منطق العسكرية لا منطق السياسة . الثانية : لقد آمن قادة السياسة ايمانا اكثر مما يجب بالتحذير الاستراتيجي . ففي دراسة دقيقة للهجوم على بيرل هاربور ، استتجت روبرتا هولستر بأن احتمال حدوث هجوم مفاجيء موجود دائما اساسه : « ادراك الانسان للظروف وعدم التأكد ، وهما عنصران اساسيان لا يمكن القضاء عليهما ان الحقائق التي قد تسمع بوضوح بعد أن يقع الحادث تغطي عليها الجلبة التي تحدث أثناء الحادث بحيث لا تصل هذه الاصوات الى الاسماع » . وبالرغم من حادث بيرل هاربور ، فان امريكا كانت تؤمن

بسذاجة بوجود تحذير يعتمد عليه ، ولا يمكن ان يخطئ وذلك قبل ان يقع الهجوم العسكري بشهور أو على الاقل بأيام • ويلاحظ هــارفي ديويرد - من مؤسسة « راند » - ثلاثة افتراضات أمكن الوصول اليها بعد الهجوم على بيرل هاربور في عام ١٩٤١ حيث يقول : « اتنا اذا جمعنا كل ما يمكن جمعه من المعلومات ، فما لا شك فيه انه سيكون في شباكنا ضمن ما يكون المعلومات الهامة . وانه اذا كان لدينا نظام مخابرات مركزي منظم منسق فسوف يتمكن كل من يريد ان يعرف من معرفة ما يريد وانه طالما كنا في حاجة الى الحصول على تحذير استراتيجي حتى نستطيع ان نصمد فسوف نحصل على هذا التحذير ونتصرف وفقه • ورغم أجهزة التحذير التي تمتلكها الولايات المتحدة الا ان الظروف دائما في صف المهاجم المفاجئ وسوف نظل على شكنا في صدق التأكيد الذي صرح به نيل ماك الروي وزير الدفاع عندما قال : « ان الهجوم المفاجئ يكاد يكون مستحيلا » •

الثالثة : تمثل الحرب الكورية اخفاق السياسة القومية • لقد أخفق واضعو القرارات في فهم عواقب سياسة الدولة الخارجية المتناقضة • فمن ناحية كانت الولايات المتحدة تؤيد توحيد كوريا تحت حكومة نيابية ، وكان يعارض هذه الفكرة معارضة واضحة كل من كوريا الشمالية والصين الشيوعية والاتحاد السوفييتي • ومن ناحية اخرى سحبت الولايات المتحدة قواتها من كوريا وخفضت التزاماتها الاستراتيجية في تلك المنطقة • وفرضت قيودا جديدة على ميزانية الاستعداد العسكري ، واعتمدت اعتمادا كبيرا على القوة الجوية الذرية التي لا تجدي كثيرا في حالة الحرب المحدودة • وبمعنى آخر قامت الولايات المتحدة بتحدي كوريا الشيوعية وحلفائها في نفس الوقت الذي خفضت فيه قواتها التي كان يمكن أن تساند بها تحدياتها أو تحقق ما أعلنته من أهداف •

وقد كان يمكن لمخابرات أكثر كفاية من ان تشير الى التناقض الذي

كان موجودا بين سياسة الولايات المتحدة التي تعلنها وبين امكانياتها وبين النتائج المحتملة • ولكن في النهاية كان يجب على قادة السياسة ، للتفرقة بين هذه وتلك ، أن يحصلوا على مثل هذه المعلومات •

الرابعة : التزم القادة الامريكيون في الموقف الكوري بخطوة أو بمشكلة كلاسيكية خاصة بالمخابرات • فبالرغم من اشارة المخابرات بأن الصينيين كانوا يستعدون للتدخل كانت عملية جنرال ماك ارثر الخاصة بالسير نحو نهر يالو هي السابقة • وحدث نفس الاخفاق في اتخاذ القرار المناسب بعد ذلك بعشر سنوات في محاولة الولايات المتحدة الفاشلة التي كانت تشرف عليها ادارة المخابرات المركزية لغزو كوبا •

□ فراغ الصواريخ :

في اوائل عام ١٩٦٠ - أي بعد عشر سنوات من بداية الحرب الكورية - أعلن الرئيس ايزنهاور ووزير دفاعه توماس جيتس : أن المخابرات الامريكية لديها تقدير أفضل من ذي قبل عن نوايا السوفييت بشأن انتاج الصواريخ عابرة القارات • وكانت المشكلة تنحصر في عمل موازنة بين التكهّنات الخاصة بالنوايا وبين المعلومات الملموسة عن الامكانيات • وكان جيتس قد أفضى الى لجنة دفاع فرعية تابعة لمجلس الشيوخ في ١٣ من يناير عام ١٩٦٠ : « ان التنبؤ الجديد عن انتاج السوفييت للصواريخ أساسه تقدير المخابرات عما تعتقد ان السوفييت سوف يفعله ، لا ما يستطيع السوفييت أن يفعله » • ثم اضاف قائلاً : « ان هذا يعتبر تغييرا جوهريا في طرق المخابرات الخاصة بالتقدير » • وهذا القول أفزع كثيرا من محترفي المخابرات الذين كانوا يدركون الخطر الذي يكمن وراء الميل كثيرا الى نوايا العدو واتخاذها أساسا للتقدير •

وشرح وزير الدفاع جيتس بعد ذلك - في ٢٥ من يناير عام ١٩٦٠ - للجنة العلوم التابعة لمجلس الشيوخ فقال :

« من الواضح انه ليس لدينا معلومات مطلقا عن نوايا الاتحاد السوفييتي بشأن سياستها العسكرية أو السياسية وأعماله • وطبيعي توجد استحالة على مثل هذه المعلومات • ان ما لدينا هو مجموعة منتقاة من الحقائق خاصة بما يحتمل ان يحدث » •

ثم حاول بعد ذلك ان يشرح بعناية « الاتجاه الجديد » تجاه المخابرات • ففي عام ١٩٥٩ كان لدى مخططي البنتاجون « لجنة قومية لتقييم المخابرات » تمثل جماعات المخابرات المختلفة ، وقدروا الاعداد التي يمكن للسوفييت ان يحصل عليها من الصاروخ عابر القارات في المستقبل وكان حساب ذلك قد بني على افتراضين :

اما أن الاتحاد السوفياتي سيسير وفق برنامج منظم لانتاج الصواريخ، واما انه سيتبع برنامجا طابعه السرعة الفائقة بغرض الانقراض • وفي عام ١٩٦٠ وصلت بيانات اضافية من وراء الستار الحديدي - ربما عن طريق تحليل طائرات « ٤٢ » - يبدو منها ان النوع الاخير من البرامج ليس في الحسبان ، ولذلك قاموا « بتصفية » البيانات المجموعة • وكان أساس افتراض ان التهديد باستخدام الصاروخ عابر القارات قد نقض نتيجة لعمل مقارنة بين تقدير عام ١٩٥٩ ، الذي كان يرجح اتباع برنامج « الانقراض » ، وبين تقدير عام ١٩٦٠ الذي كان يرجح اتباع برنامج منظم لانتاج الصواريخ • وهذا يبين بوضوح ان الحقائق الخام ليست وحدها صاحبة الاهمية بل ان تفسيرها لا يقل عنها أهمية •

وعندما قام ألين دالاس - بصفته مديرا للمخابرات المركزية - بتقدير قوة الصاروخ الروسي عابر القارات امام الكونجرس في شهري يناير وفبراير من عام ١٩٦٠ ، كانت تقاريره السريّة تحتوي عبارات مثل

« ممكن » و « محتمل » و « غير محتمل » • وكان يشير بلا شك الى مجموعة احتمالات من حيث قوة السوفييت الصاروخية ، ثم اشار اخيرا الى الاعداد التي اتفقت عليها جماعات المخابرات المختلفة احتمالا ، سواء كان ذلك حاليا او في السنوات القادمة •

□ تقديرات القوة العسكرية النسبية :

وقد دار في الولايات المتحدة جدل كثير عن الدفاع في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية حول التقديرات الدقيقة للقوة العسكرية • وتقوم بذلك لجنة غاية في السرية تمثل كل من مجلس الامن القومي ، ادارة المخابرات المركزية ، ادارة مخابرات الدفاع ، وزارة الخارجية ، لجنة الطاقة الذرية ، مكتب تخطيط الطوارئ • وفي سبيل ذلك تتم عمليات تصنيفية تتضمن حساب الاحتمالات والتكاليف والمكاسب المرتبطة بالمناورات الخاصة بالافتراضات الطارئة • ومهمة ادارة المخابرات المركزية أن تقوم بعمل التقديرات الخاصة بالامكانات السوفيتية ، والاعمال المحتملة القيام بها • ولا يقل عن هذه أهمية الامكانات الامريكية ، لان العملية في التقدير الخالص هي كفاية القوى العسكرية بكافة أنواعها لمواجهة كل المواقف المحتملة •

وبينما كل تقدير المخابرات الامريكية لاتتاج الصواريخ السوفيتية هو العنصر الاساسي في حساب التقدير الخالص في اثناء الجدل الخاص « بفراغ الصواريخ » ١٩٥٩ - ١٩٦١ - كانت ثمة اعتبارات اخرى : هل ترك الولايات المتحدة لروسيا فرصة المبادأة بالضرب في حالة الهجوم ؟ • • • هل يمكن للسوفييت أن يفاجئوا بالضرب ام يشنوا هجومهم بعد تخطيط تفصيلي ؟ ما مدى الدقة النسبية والثقة في اسلحة الدولتين ، ومقدار

المعلومات الخاصة بالاهداف ؟ ما قوة الاسلحة المدمرة ؟ ما الموقف النسبي لكل من الدولتين في حالة الدفاع الجوي وتشتيت القوات وتحريكها ؟

ولقد صرح نائب رئيس هيئة أركان الحرب للقوات الجوية الامريكية - الجنرال فردريك سميث - أمام رجال الكونجرس في فبراير عام ١٩٦٢ بأن لدى السوفييت القدرة على خلق فراغ صاروخي ، « ولكنهم لا يفعلون ما يعتقد رجال المخابرات أنهم فاعلوه » .

على أن الجلبة والغضب اللذين صحبا الجدل الدائر حول « فراغ الصواريخ » أخفيا موضوعا مرتبطا بالمخابرات من الازدهان ، الا وهو تقدير نمو قوة السوفييت في مجال القذائف ، وكذلك بالنسبة بين قوة الولايات المتحدة وقوة الاتحاد السوفيتي المستقبلية . فقد قام الخبراء سواء داخل الحكومة أو خارجها بالتحذير من أن الاتحاد السوفيتي يسير قدما بسرعة تفوق سرعة الولايات المتحدة . ان تنبؤات المخابرات عن نسبة النمو الاقتصادي في كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تتسم بالثقة اكثر من التنبؤات الخاصة باختراع الصواريخ عابرة القارات . ففي نوفمبر عام ١٩٥٩ صرح ألين دالاس بصفته مديرا لادارة المخابرات المركزية في جلسة مفتوحة أمام الكونجرس - وهو اجراء لم يسبق له مثيل - بما يأتي:

« اذا استمرت نسبة الزيادة في النمو الصناعي في الاتحاد السوفيتي على ما هي عليه - ٨ ٪ أو ٩ ٪ في السنة - كما تنبأنا - فسوف تضيق الفجوة بين اقتصادينا بشكل يشكل خطورة علينا في عام ١٩٧٠ ، ما لم تزد سرعة نمونا الصناعي كثيرا عن سرعته الحالية » .

واذا كان دالاس قد أعلن أن الموقف خطير ، فهو بذلك يكون قد عبر الخط الذي يفصل بين المخابرات وبين السياسة ، ان هذه الملاحظة هي أشبه ما تكون بالتوصية في مجال السياسة . ولكن يبدو أن هذا

النوع من التلميحات من جانب المخابرات كان لا يؤخذ به في المستويات الحكومية العليا - على الاقل في الفترة ما بين ١٩٥٦ و ١٩٦٠ - لانها كانت تناقض السياسة الجارية وقيمها . وهذا ما يمكن أن نعبر عنه بعبارة « فراغ المخابرات » ، وهو عبارة عن الهوة بين المعلومات القاسية التي أمكن الحصول عليها ، وبين الخطوة النهائية الخطيرة - حيث حدث أغلب العمليات الفاشلة للمخابرات ، أي تطبيق معلومات المخابرات فسي سياسة اتخاذ القرارات غير المرغوب فيها .

وتعطينا لجنة « جاثير » مثلاً رائعاً لهذا . فقد عين الرئيس الامريكي ومعه لجنة الامن القومي لجنة خاصة من الخبراء من خارج الحكومة - هي لجنة موارد الامن برئاسة هـ. روان - لتقوم بعمل تقدير دقيق للقوة العسكرية في كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . وكان يعاون هؤلاء الخبراء من خارج الحكومة معهد تحليل الدفاع ذو الكفاية العالية ، وهو بمثابة هيئة جامعية مشتركة أنشئت لتقوم بعمل أبحاث تحليلية للحكومة ، وسمح للجنة أن توضع بين يديها معلومات المخابرات السرية . ومما لا شك فيه أن هذه اللجنة لم يكن لديها أية مصلحة لتحويل الحقائق الى صالح أي جانب .

ومع ذلك عندما أوصى التقرير المبني على نفس المعلومات التي لدى الحكومة - بزيادة اعتمادات الدفاع زيادة كبيرة حاولت الادارة أن تخفيه بحجة الصالح التنفيذي . فقد كان الرئيس ايزنهاور يخشى ان مثل هذا التقرير المتشائم سوف ينشر الفزع بين الشعب الامريكي ، كما يؤدي الى حل غير حكيم من جانب الحكومة . لقد ساد اللغط والصخب من أجل الافراج عن التقرير وخاصة بعد أن أطلقت سفن الفضاء الروسية ، وشعر العالمون بالسر بالخوف من أن تتسرب الاخبار الى الصحف .

وبمناسبة النقاش الذي جرى خاصاً « بفراغ الصواريخ » نرى من

المناسب أن نذكر بعض ما كشفته لجنة جاثير عام ١٩٥٧ .

اولا - ان تقدم الاتحاد السوفيتي الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي يضعه في موقف ملائم جدا يستطيع منه أن يستمر في هجومه السيكولوجي على العالم غير الشيوعي .

ثانيا - ان الولايات المتحدة كانت تسير بسرعة يخشى من نتائجها أن تحتل المركز الثاني من حيث القوة العسكرية بعد الاتحاد السوفيتي .

ثالثا - انه ما لم يتخذ عمل عاجل في الحال فان الولايات المتحدة بمتصبح معرضة لتهديد الصواريخ التي تطلق من الاتحاد السوفيتي . وطبقا للقصص التي نشرتها الصحف ، طالب التقرير بعمل برنامج عاجل لمساعدة القوة القومية ، وأوصى برفع اعتمادات القوات الجوية والصواريخ والدفاع المدني والاستعداد للحرب المحدودة ، كما اقترح إعادة تنظيم وزارة الدفاع . ولكن كان العمل الكبير الوحيد الذي قامت به الحكومة هو تقرير برنامج الاعاقة الاستراتيجية .

ان مصير تقرير لجنة « جاثير » يوضح الحقيقة القائلة بأنه مهما يكن تقدير المخاطر موضوعيا ، فان العامل الهام هو الطريقة التي ينظر بها الى المعلومات والطريقة التي يسير وفقها راسمو السياسة . وقد عبر وزير الدفاع تشارلز ويلسون عن جوهر المشكلة فقال : « اتنا نعرف الآن عن السوفييت أكثر مما نعرف ماذا نفعل بما نعرف ! »

واذا اراد القادة ان يقدرُوا الاخطار النابعة من اتباع سياسة اخرى وتكاليها ، فعليهم أن يتأملوا في النصيحة التي وجهها ونستون تشرشل الى مجلس العموم عام ١٩٣٩ :

« يبدو لي أن الوزراء يخاطرون مخاطرة جسيمة إذا سمحوا
للمعلومات التي جمعتها ادارة المخابرات ، وارسلتها لهم في الوقت
المناسب ، ان تنقى وتصفى وتلون من حيث الاهمية ، فيعطون اهمية فقط
للمعلومات التي تتفق مع رغباتهم خوفا من أن يكسر السلام العالمي » •

الفصل السادس عشر



خضمنا الأول - المخابرات الإسرائيلية

- خضمنا الأول -
- المخابرات الإسرائيلية
- تاريخ المخابرات
- الإسرائيلية - طبيعة
- المجتمع الإسرائيلي -
- نظام حكم الدولة -
- فضيحة لافون - تنظيم
- المخابرات الإسرائيلية -
- أساليب التجسس
- الإسرائيلية - نقطة
- الضعف في العملاء -
- استقلال عقدة المذب -
- تجنيد وتشغيل العملاء
- مراكز الجاسوسية
- الإسرائيلية *

بالرغم من أن اسرائيل تفرض حظرا شديدا على أجهزة مخابراتها فان هناك الكثير من المعلومات المتوفرة عن هذه الاجهزة ، وهي تعتمد عليها اعتمادا اساسيا في توجيه سياستها الخارجية والداخلية والعسكرية .

والواقع ان للمخابرات الاسرائيلية أهدافا وأغراضا تفوق قدرة دولة صغيرة مثل اسرائيل . فهي بمثابة عيون وآذان لها سواء في الخارج أو في الداخل . والمخابرات الاسرائيلية جهاز ذو أغراض متعددة ، فهو ذراع السلطة السري الذي يستطيع أن ينفذ أي مهمة تسندها اليه الحكومة . انه أكثر من جهاز للبوليس السري ، انه أكثر من جهاز مخابرات ، انه أكثر من جهاز مخابرات مضادة . انه أداة لاثارة الانقلابات ، لاعمال العنف ، للتدخل السري في شؤون الدول الاخرى ولا سيما العربية والافريقية . وهو اذا كان يقدم لها الخدمات في محاولاتها تنفيذ مشروعاتها العدوانية في المناطق العربية ، فانه في يد الاستعمار سيف مسلط على رقاب العرب .

□ الجانب التاريخي للمخابرات الاسرائيلية :

منذ ان قامت الحركة الصهيونية على مطلع هذا القرن شعرت بحاجتها الى السرية والتكتم في أعمالها ، اذ ان طبيعة هذه الاعمال وأهدافها تحتم على الصهيونية أن تلجأ الى التآمر لكي تستطيع أن تحتصب فلسطين من أهلها الشرعيين .

وفي سنة ١٩٠٧ اكتشفت السلطات التركية التي كانت تسيطر على فلسطين شبكة جاسوسية تعمل لمصلحة البريطانيين ، وكانت هذه الشبكة تمارس عملها في المستعمرات اليهودية التي كانت الصهيونية قد أنشأتها في فلسطين ، واعتقل ثلاثة من أفراد هذه العصابة وهم من يهود اوروبا

الشرقية ، ونفوا من البلاد ، وكان اسم هذه الحركة « يلو » .

وفي سنة ١٩١٤ تم تكوين أقوى عصابة جاسوسية صهيونية تضم أربعين رجلا بقيادة هارون أهرونسون وابنته سارة ، وكان مقر هذه العصابة « زمارين » التي تعرف باسم زخرون يعقوب ، وكرها السري في « عتليت » وهي قلعة أثرية مهجورة على ساحل البحر . وكانت هذه العصابة تجمع المعلومات عن قوات تركيا وألمانيا وتنتظر في ليلة معينة فتأتي غواصة بريطانية الى ساحل عتليت وتتلقى المعلومات ، كما انها كانت تأخذ رجالا من أفراد العصابة وتنقلهم الى القاهرة ليقدموا معلوماتهم ثم يعيدونهم الى عتليت .

كانت سارة أهرونسون زعيمة العصابة جميلة وجريئة ، حتى انها ذهبت الى دمشق وأصبحت صديقة لكبار قواد الاتراك وبينهم جمال باشا الصغير ، واستمرت العصابة تمارس عملها الى ان كشف أمرها ، واعتقل بعض افرادها ، ونفي البعض الآخر ، واعدت ثلاثة منها وتمكن نصف افرادها من الفرار . وكان اسم هذه العصابة « نيلي » واستمرت تعمل حتى عام ١٩١٧ .

وقد قام بعض اعضاء هذه العصابة بمساعدة وايزمان على سرقة أسرار غاز الخردل وبعض الاسلحة الالمانية ونقلوها الى بريطانيا .

وفي عام ١٩٢٠ عندما تألفت الوكالة اليهودية ، وأنشأت فروعها في القدس ولندن ونيويورك وجنيف والقاهرة وباريس وبرلين ، أنشئ بها قسم خاص هو المكتب السياسي تولاه الكولونيل « كيسي » وكان جاسوسا بريطانيا يهوديا ، فقام بتنظيم شبكة الجاسوسية اليهودية العالمية، واستغل فرصة حماس اليهود لانشاء الوطن القومي فجند منهم اعدادا كبيرة في فلسطين وغيرها ، وراحت فروع الشبكة تستتر وراء هيئات مختلفة ، فبعضها عبارة عن نواد رياضية عادية ، وبعضها منظمات

عالمية ، وبعضها جمعيات خيرية ونحو ذلك . واشهر الاسماء التي كانت تتستر وراءها هي « نوادي المكابي » وهي نواد رياضية بعيدة عن الشبهة ، وكان الاسم الرسمي لهذه الشبكة هو « الهاجانا » أي الدفاع . وكان اعضاء الهاجانا في فلسطين ثلاثة اقسام : قسم وحدات الهاجانا العسكرية للقتال ، وقسم وحدات البالماخ لاعدال التخريب والكوماندو ، وقسم وحدات الشاي (١) أي خدمة المخابرات .

ولما اتسع نطاق الهاجانا ، وضمت الالوف من الشباب ، تنازعتها المطامع في ضوء المبادئ الفكرية التي سادت وراحت تنفصل ، وقد بدأت هذه الانفصالات بعد انتهاء مدة الكولونيل كيسي وانتخاب حايم أور لوزروف الذي كان يميل للتفاهم مع العرب ، وكان ذلك في سنة ١٩٣٠ . وما كاد أور لوزروف يتسلم عمله ويعرب عن آرائه حتى قتل على شاطئ البحر في تل ابيب ، ووجه الاتهام بقتله الى احدى الحركات التي انفصلت عن الهاجانا ، وهي حركة أرجون تسفاي ليومي أي « المنظمة العسكرية القومية » واعتقل ثلاثة من اعضاء هذه الحركة ، وقدموا للمحاكمة وحكم عليهم بالسجن خمسة عشر عاما .

ولما تولى بن جوريون منصب رئيس الوكالة اليهودية بعد موت أورلوزروف ، وزع أعمال المخابرات والتجسس على عدة هيئات ، منها الهيئة التي تعمل في المجال العربي برئاسة موشي شاريت ، وكانت تتركز بين يديه جميع المعلومات التي انقلها اليه أشخاص على اتصال بالعرب . وكان لديه جهاز كبير من الجواسيس والرجال المتخصصين في الحرب النفسية وفي نشر الدسائس ، وقد وزعهم في انحاء العالم العربي ، وجعل كل واحد منهم يقيم في مدينة أو منطقة ، وكان أقدر هؤلاء الأشخاص

(١) كلمة شاي تكونت من حروف اختزال الكلمتين العبريتين شيروت ايدوت Sherut Yadiet أي خدمة المخابرات .

هو الياهو ايشتين الذي أصبح اسمه فيما بعد الياهو ايلات ، وقد تولى يوما ما منصب سفير اسرائيل في لندن وفي واشنطن . وكان ايسلات متخصصا في شؤون الاقليات التي منها الدروز والاكراد ، وكان يساعد « الياهو » ساسون الذي عمل بعد ذلك وزيرا للبريد ، وكان لدى شاريت عدد من العرب يساعدونه مقابل اجور سخية .

وكانت الوكالة اليهودية تتضمن عدا القسم العربي قسمين آخرين لاعمال المخابرات وهما :

١ - القسم السياسي برئاسة روين شيلوح ، وكان يجمع المعلومات السياسية في المجال الداخلي والدولي .

٢ - القسم العسكري أي خدمة مخابرات الامن الذي يسمى شاي وكان يتجسس على اليهود وعلى البريطانيين ويقوم بالعمليات ، وكان يرأس هذا القسم ايسارباري أو برونسويك التابع لقيادة منظمة الهاجانا من حيث الافراد . أما رئيسه فكان مسؤولا فقط أمام رئيس الوكالة اليهودية بصورة مباشرة ، ولذلك كانت لهذا القسم سلطة على الجيش وعلى ضباطه ، وكان يقاوم المنظمات العسكرية المنفصلة مثل منظمة أورجون ومنظمة ليحي (شترن) .

وفي سنة ١٩٤٠ بعد أن نشبت الحرب العالمية الثانية اشترك هذا الجهاز باقسامه الثلاثة في خدمة المجهود الحربي للحلفاء ، وهبط عدد من رجال الشاي وفتياته في أوروبا النازية للاتصال باليهود هناك لمحاولة تحريضهم على العمل ضد النازي ، كما اشترك عدد من الجواسيس اليهود في عمليات سرية في العراق وسوريا ولبنان ومصر وشمال افريقيا وايران وغيرها .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأ جهاز المخابرات الصهيوني

يقوم بواجبين في وقت واحد ، ولهما هدف واحد هو انشاء الدولة اليهودية . هذان الواجبان ينحصران في جلب الرجال والاسلحة من الخارج ، والقيام بعمليات ارهابية ضد البريطانيين وضد العرب في داخل البلاد . ومن اكبر العمليات التي جرت في تلك الفترة اغتيال اللورد موين الوزير البريطاني المقيم في القاهرة ، وقد قام به اعضاء منظمة أورجون ، وعملية السفينة أكسودوس التي جاءت من أوروبا تحمل عدة آلاف من المهاجرين اليهود الى فلسطين . وقد قام جهاز المخابرات الاسرائيلي بدوره في تهريب مئات الالوف من المهاجرين اليهود من أوروبا وتهريب كميات كبيرة من الاسلحة ، فمهد بذلك لاعلان قيام دولة اسرائيل .

وعندما قام بن جوريون سنة ١٩٤٨ بتنظيم الجيش الاسرائيلي وتحويله من منظمات شبه عسكرية الى جيش نظامي ، انشأ له رئاسة أركان مقسمة الى عدة دوائر من بينها دائرة خاصة للمخابرات ، وأسند رئاسة هذه الدوائر الى بنيامين جيبلي وهو ضابط من ضباط الهاجانا الذين تدربوا على اعمال المخابرات تدريبا عمليا ايام الانتداب . واصبحت دائرة المخابرات بالنسبة للامن العسكري والامن المتعلق بالشؤون العربية، ولكن بن جوريون كان يحيط نفسه بعدد من الشباب المخلص له ، وهم الذين كانوا ينظمون شؤون المخابرات بغرض : ضمان سيطرة بن جوريون وحزبه في الداخل ، وكذا متابعة النشاط العربي ضد اسرائيل .

أما الامور الاخرى التي تتعلق بالميدان التجاري ، فان الصهيونية العالمية بأجهزتها وفروعها كانت تقوم نيابة عن حكومة اسرائيل ، وخصوصا فيما يتعلق بايجاد العلاقات بين اسرائيل والدول الاخرى ، وضمان صداقة هذه الدول لها .

ولقد دخلت المخابرات الاسرائيلية بعد ذلك في ثلاثة مراحل :

١ - المرحلة الاولى وتمتد من عام ١٩٤٩ الى عام ١٩٥١ وكانت الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية تشترك في معظم اعمال المخابرات الاسرائيلية .

٢ - المرحلة الثانية من عام ١٩٥١ الى عام ١٩٥٥ كان خلالها بنيامين جيلي هو الذي يتولى ادارة المخابرات بجميع فروعها ويساعده عدد من الرجال في وزارة الدفاع وغيرها .

٣ - المرحلة الثالثة وقد بدأت عام ١٩٥٥ بعد فضيحة لافون - التي سنتحدث عنها بالتفصيل فيما بعد - واستلام تيدي كوليك منصب مدير عام مكتب رئيس الوزراء ، فقام بتنظيم جهاز المخابرات على اساس جديد ، واعطى كل فرع اختصاصه ومسؤولياته حسب التوزيع المعروف .

وكان تيدي كوليك يتولى سكرتير مجلس المخابرات الاعلى ، ويشترك في وضع الخطط والتعليمات . وقد استمرت هذه المرحلة « الثالثة » الى عام ١٩٦٢ عندما اختلف بن جوريون مع رئيس خدمة الامن والمخابرات السياسية او ما يطلق عليها الموساد بسبب قضية العلماء الالمان في مصر ، وبعد اعتقال بن جال في سويسرا ، قام بفصل الجهازين عن بعضهما واصبح رئيس خدمة الامن تابعا لرئيس المخابرات العامة .

وكان يرأس جهاز المخابرات الاسرائيلية ايسار هارئيل حتى استقال في ٢٥ مارس عام ١٩٦٣ نظرا لاختلاف وجهات النظر بينه وبين بن جوريون حول تقدير الموقف السياسي لموضوع نشاط العلماء الالمان في مصر . وقد جاءت استقالة هارئيل اثر اللقاء الشرطة السويسرية في ١٤ من مارس عام ١٩٦٣ القبض على يوسف بن جال من المخابرات الاسرائيلية والمهندس النمساوي اوتوجوليك في زيورخ بتهمة الضغط على ابنة العالم الالماني الدكتور جينز جيرك لحث والدها على ترك العمل في مصر ، وما أعقب ذلك من اكتشاف الرأي العام العالمي ان المخابرات الاسرائيلية

هي المسؤولة عن اختطاف الدكتور هانز كروح المهندس وولسجانج بيلز واختفائهما ، وكذلك محاولة اغتيال الدكتور والتر كلين وهو من العلماء الالمان الذين عملوا في مصر ، هذا فضلا عن ارسال طرود المتفجرات من المانيا للعلماء الالمان المقيمين في مصر .

على انه من المستحسن ان تتبع بايجاز تاريخ نشأة اهم اجهزة الامن الاسرائيلية المعاصرة لنرى الابعاد العميقة لدور هذا الجهاز في الحركة الصهيونية العالمية .

هذا الجهاز الضخم هو ما يطلق عليه الاسرائيليون « الموساد » وهي بمثابة جهاز المخابرات المركزية ، وقد تم انشاؤها عام ١٩٣٧ عقب الانتهاء من المؤتمر المشترك لقيادة حركة العمال الاشتراكيين وقيادته الهاجاناه ، واطلق عليه حينئذ « موساد ليلياه بيت Mossad Lealiyah Beth أي منظمة الهجرة الثابتة » .

أنشيء أول مركز لقيادة الموساد في جنيف ، ومع ان نشاطها أخفق في المانيا في بداية الحرب العالمية الثانية ، فان المركز الرئيسي للموساد انتقل الى استانبول بأمل مساعدة يهود البلقان على الهرب عبر تركيا ، وذلك قبل قيام دولة اسرائيل .

وازداد نشاط الموساد ، واتسع نطاق عملها في اوروبا ، وتمكن بلورة نشاطها فيما يختص بشؤون الهجرة في ثلاثة اقسام فرعية متخصصة: الاولى وكان يطلق عليها « هابالا » Hapala وكانت تختص بجميع اجراءات شؤون الهجرة ، والثانية تسمى « برشا » Bricha واختصت بمساعدة الذين هربوا من المعتقلات وتوصيلهم الى الموانئ تمهيدا للابحار ، اما الاخيرة فتدعى « رهيش » Rehech وكان اختصاصها مشتريات الاسلحة .

وفي عام ١٩٥٣ قرر بن جوريون اعادة تنظيم اجهزة الامن ، وكان

نتيجة ذلك ان حصلت الموساد على استقلالها الذاتي وعين «ايسر هاريل» رئيسا للجنة اتصال اجهزة الامن وهي بمثابة مجلس لاجهزة الامن ، واصبح بذلك يقف على قمة جميع منظمات الامن ، وتحددت مسؤوليته امام رئيس الوزراء الذي عمل معه في وثام تام .

ولكن الصداقة بين بن جوريون وهاريل اخذت تدبل تدريجيا بمرور الزمن ، ثم اشتدت الخلافات بينهما بسبب ازمة العلماء الالمان الذين كانوا يعملون بمصر ، وسيجيء ذكرها في هذا الفصل .

وقد اراد بن جوريون امتصاص السخط الناتج عن هذه الحوادث التي وجهت اليه والى حكومته فألصقها بمدير المخابرات « ايسر هاريل » .

وعند تولي ليفي أشكول رئاسة الوزارة الاسرائيلية ، قام بتعيين ايسر هاريل مستشارا لرئيس الحكومة لشؤون الامن ، بهدف الاساءة الى بن جوريون ، والتقرب من أحزاب المعارضة التي عارضت استقالة هاريل عام ١٩٦٣ ، الا ان ايسر هاريل استقال في ٢٩ من يونيو عام ١٩٦٦ ، حيث تردد أن أشكول لم يوكل اليه اعمالا تناسب خبرته الطويلة في مجال عمله وفي حدود مسؤولياته .

وبعد استقالة هاريل عين « مائير أميت » رئيسا للموساد بعد ثلاث شهور من حرب يونيو ، ولكنه استقال في اول سبتمبر من عام ١٩٦٨ .

كان أميت رئيسا سابقا لمخابرات الجيش او ما يطلق عليها بالعبرية كلمة « أمان » ، فاستطاع من منصبه ان يقيم علاقات طيبة مع خلفه الذي تسلم منه « أمان » . كما انه سبق ان عمل مع الجنرال موشي ديان في مكتب العمليات ، كذا التقى به في حرب يونيو عام ١٩٦٧ . ومن ثم أصبح التنسيق مع مخابرات الجيش ذا كفاءة عالية ، وجمعت كل من

« الكلية » (١) والصهيونية المتطرفة بين ديان وأميت •

كان أميت ينادي دائما باستخدام الاسلوب العلمي في القتال مع العرب ، كما نادى دوما بأهمية تجنيد خريجي الجامعات • ويؤكد ذلك قوله : « يجب ان تتميز تميزا ملائما بالنسبة للعدو في كل وقت ، ولذا فالتنا في حاجة الى التكنولوجيا الماهرة » • ثم يعود ويضيف قائلا : « ان مشكلتنا الكبرى هي ان العالم المحيط بإسرائيل لا يفكر بطريقة منطقية ، فالأمريكيون يستطيعون حساب نوايا السوفييت او حتى الصينيين سلفا الى حد ما ، والعرب يعيشون في الوهم • ولهذا فان الهيمنة الصحيحة للتحليل الذهني والاستخدام الدائم لعلم النفس هما في الواقع لا غنى عنهما بالنسبة لنا » •

وبعد استقالة أميت عين الجنرال « تسفي تسامير » في منصبه ، وكان ليفي أشكول قد قام بتعيينه قبل وفاته بفترة قصيرة ، في وقت تعرضت سلطة الحكومة لهجوم علني من موشي دايان •

□ العوامل المؤثرة على تنظيم وعمل المخابرات الاسرائيلية :

وهناك عوامل عدة أثرت على تنظيم المخابرات الاسرائيلية وعملها ، ولكي نتفهم مدى أنشطتها سنحاول دراسة هذه العوامل التي كان لها تأثير كبير على شكل هذا الجهاز ونشاطه •

أثر الموقع الاستراتيجي :

ان موقع إسرائيل الجغرافي بين ملتقى القارات الثلاث القديمة وسط دائرة عربية محكمة تمتد بين قارتي اسيا وافريقيا يحرمها من المواصلات البرية والجوية عبر الاراضي والاجواء العربية ، فاذا أضفنا لذلك اغلاق قناة السويس نهائيا في وجهها نستطيع ان نقدر مدى اهتمامها بطريق

(١) الكلية مذهب ينادي باحتقار العرف والتقاليد والرأي العام والاخلاق المتعارف عليها •

خليج العقبة وميناء ايلات ليكون لها مخرج الى البحر الاحمر والمحيط الهندي . ومن هنا يمكن ان تقدر الصعوبة التي تواجهها اسرائيل في اتصالها بالعالم الخارجي ، وليس أمامها مخرج الا طريق البحر المتوسط وساحل افريقيا الغربي .

كما ان قيام اسرائيل في قلب الامة العربية وموقعها بالنسبة للشرق الاوسط يجعلها قاعدة مناسبة للاستعمار ، وجسرا على البحر يربط بين آسيا وافريقيا وأوروبا . فاذا ربطنا ذلك بالمصالح الاستعمارية في الشرق الاوسط وافريقيا مع ازدهار وتطور القومية العربية ، وتزايد الدول المتحرزة يوما بعد يوم في كل من اسيا وافريقيا ، لاستطعنا ان نقدر أهمية اسرائيل بالنسبة للاطماع الاستعمارية كمرکز للتهديد والتسرب . وتحاول الدول الاستعمارية استغلالها اقتصاديا واعتبارها مركزا اقتصاديا ناميا وصناعيا وسط بيئة عربية متخلفة . ولكن التطور الاقتصادي في مصر ومدى النجاح الذي حققته في هذا الميدان ، علاوة على سياسة المقاطعة الاقتصادية التي اتبعتها الدول العربية واستمرارها في التطويق الاقتصادي لاسرائيل ، قلل من تلك الاهمية وجعل اسرائيل تحاول ان تتخطى هذا الحصار العربي ، لكي تمارس وجودها في مجموعة من الدول الافريقية والاسيوية المتخلفة اقتصاديا واجتماعيا وهي بذلك تحاول أن تحقق غرضين :

١ - معارضة السياسة العربية التي ترمي الى خنقها .

٢ - التحرك لحسابها الخاص ولحساب المصالح الاقتصادية الاستعمارية التي تساندتها ، وتفسح الطريق أمامها في هذه الدول الاسيوية والافريقية .

وتزيد الصعوبات الجغرافية والاستراتيجية من عبء دفاع اسرائيل ، فالبلاد مكشوفة للدول العربية حتى ان اسلحتها الخفيفة قد تستطيع ان

تصيب العاصمة •

ولضعف اسرائيل الجغرافي والاستراتيجي تحتاج الى اسلحة وقوات سريعة الحركة على درجة عالية من المرونة • وتتركز استراتيجية القوات المسلحة الاسرائيلية حول الضرب بسرعة ، وكسب ما يمكن كسبه من مواقع جديدة ، ونقل المعركة الى خارج اراضي اسرائيل •

□ الصهيونية العالمية :

الصهيونية العالمية كما نعلم حركة عقائدية عنصرية ذات أهداف سياسية تسعى لسيطرة اليهود على العالم باعتبارهم شعب الله المختار • ويعتبر اليهود ان لهم حقا تاريخيا في العودة الى فلسطين لاهياء مجدهم التاريخي ، معتمدين على الفكرة الصهيونية بأن تاريخ اليهود يثبت وجود دولة يهودية استمرت سبعين عاما في القرن الحادي عشر قبل الميلاد • وقد اخذت هذه الفكرة تراود اليهود في العودة لفلسطين عبر التاريخ . وتبلورت هذه الفكرة من الناحية العملية في المؤتمر الصهيوني العالمي الاول الذي عقده ثيودور هرتزل في بازل في اغسطس عام ١٨٩٧ حيث تقرر : اقامة دولة يهودية في فلسطين ، واهياء القومية العبرية ، والحصول على مساندة احدى الدول الكبرى للحركة الصهيونية ، ووضع التنظيمات السياسية والاقتصادية للعمل الجماعي ، والتعاون لتحقيق الاهداف الصهيونية ، وقرار الخطة الاستراتيجية الصهيونية السرية « بروتوكولات حكماء صهيون » •

وتهدف الصهيونية العالمية الى سيطرة العنصر اليهودي على العالم بعدة وسائل اهمها :

١ - بروتوكولات حكماء صهيون ، وهي تشمل خطة العمل في المستقبل للحركة الصهيونية بوسائل عديدة ، تحقق منها السيطرة على

الصحافة ووسائل الاعلام في العالم ، والسيطرة على رؤوس الاموال وتفتيت المسيحية عن طريق التخريب الروحي ، وادخال عناصر يهودية (١) الاصل الى الكنيسة الكاثوليكية ، وتزوير الحقائق التاريخية بمحاولة تبرئة اليهود من دم المسيح (٢) .

٢ - اقامة مراكز او محطات لليهود في انحاء العالم مع اعتبار فلسطين المحطة الرئيسية لليهود العالم ، وقد ركزوا على المغرب في شمال أفريقيا والارجنتين في أمريكا اللاتينية . وقد تحقق هذا الهدف بعد نصف قرن من اقراره في المؤتمر الصهيوني الاول .

٣ - الاعتماد على الجاليات اليهودية في انحاء العالم بالعمل العلني والسري لمساندة الحركة الصهيونية والضغط على الدول التي يقيمون فيها لمصالحها ، كالولايات المتحدة والمانيا وانجلترا .

وتواجه الحركة الصهيونية في الوقت الحاضر عدة مشكلات أهمها : مشكلات انصهار اليهود في الدول التي يعيشون بها ، ومشكلة الهجرة من دول الكتلة الشرقية ، ومشكلة نشر اللغة والثقافة العبرية بين يهود العالم ، وتغير نظرة بعض دول العالم ، وتغير نظرة بعض الدول للحركة الصهيونية العالمية ، والتفرقة العنصرية بين اليهود في اسرائيل ، والحركات المعادية للصهيونية والسامية في العالم .

ومن ثم يتضح لنا ان تغفل الصهيونية العالمية في العالم ، ومحاولتها استغلال العقيدة والدين لخدمة الاهداف الصهيونية بحكم انتشار الجاليات اليهودية في العالم ، وسيطرتها على وسائل المال والاعلام يعطي أجهزة المخابرات الاسرائيلية امكانيات العمل والحركة والتمويل بدرجة لا

(١) جون اسنريخر سكرتير الوحدة المسيحية .

(٢) وثيقة تبرئة اليهود نوفمبر ١٩٦٤ .

تتوفر لاي دولة كبرى • وقد استغلت الدول الكبرى هذه المزايا المتوفرة لدى الصهيونية لتجنيدھا في خدمة اجهزة مخابراتھا (قضايا جواسيس الذرة بعد الحرب العالمية الثانية) •

□ النازية والصهيونية :

استغلت الصهيونية العالمية الاحداث التي واجھھا اليهود في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية ، لكسب عطف الرأي العام العالمي على القضية اليهودية ، وساهمت اجهزة الاعلام في أغلب دول العالم على تشويه الحقائق وخلق اسطورة مقتل ستة ملايين يهودي ، لتأكيد ضرورة اقامة وطن قومي في فلسطين ، يحمي اليهود من الاضطهاد العنصري ، ويكفل لهم مجتمعا آمنا •

لقد ساعدت عقدة الذنب التي أوجدتها الدعاية الصهيونية كل الدول الاستعمارية على تزويدها ومساندتها ، فوضعت السلطات الحاكمة في المانيا الغربية أمام تهديد مستمر من الصهيونية • ومكنها من التدخل في توجيه سياستها القومية ، وقد تبارت الاحزاب الالمانية في كسب رضا اسرائيل التي استغلت هذا الموقف في استنزاف اقصى ما يمكن من مقدرات الشعب الالمانى ، ممثلة في التعويضات والمساعدات غير المحدودة ، وتسخير اجهزة الدولة لخدمة الاهداف الاسرائيلية •

ان قانون التقادم الذي تلوح به اسرائيل كسيف مسلط على رقاب كل مسئول في المانيا الغربية ، أسكت كل لسان يحاول معارضة السلطات الالمانية في مسايرتها وتخاذلھا امام جشع اسرائيل ، وأقرب مثل لذلك تهديد اديناور بتقديم مساعده للمحاكمة بتهمة النازية •

وهذا العامل أكبر مثل يوضح كيف استغلت المخابرات الاسرائيلية عقدة الذنب لدى الشعب الالمانى في تمخييره لخدمة الجاسوسية

الاسرائيلية في الدول العربية ، وتخريب الاقتصاد العربي والمجهود
الحربي •

□ تشابك المصالح القومية والعلاقات الدولية :

برغم اختلاف السياسة والمصالح الايديولوجية بين الشرق والغرب
فان هذين المعسكرين اتفقا على تأييد قيام اسرائيل في قلب الامة العربية
فور اعلان قيامها • وعلى الرغم من نظرة كل من المعسكرين تختلف بالنسبة
 للمنطقة - وبالتالي بالنسبة لاسرائيل - فان وجودها واستمرارها يحقق
مصالح الطرفين ، وان اختلفت الاساليب والاهداف الاستراتيجية
والتكتيكية لكل منهما •

فاذا اتجهنا نحو المعسكر الغربي ، وعلى رأسه الولايات المتحدة ،
نجد ان مصالحه تتحقق مع وجود اسرائيل • فهو يخلق في قلب الامة
العربية قومية غربية تعزل الدول العربية بعضها عن بعض وتستغلها
لتمتص طاقاتها المختلفة التي يمكن توجيهها ضد المصالح الاستعمارية
العربية ، ولتكون رأس حربة ضد أي تهديد لها •

وقد أدى ظهور القوى التحررية في المنطقة العربية وانتشارها
بسرعة لم يقدرها الغرب الى ازدياد روابطه مع اسرائيل •

ان تفاوت العلاقات الغربية باسرائيل قوة وضعفا بين فترة واخرى
منذ قيامها وانعكاس ذلك على علاقات الغرب بالدول العربية يرجع الى
تغيرات تكتيكية وليست استراتيجية ، فالدفاع فرنسا في مساندة اسرائيل
ماديا ومعنويا في الفترة من عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٥٩ يعد عملا تكتيكيا
ردا على مساندة مصر للثورة الجزائرية ، وقد تطور هذا الاندفاع حتى
بلغ ذروته في الاشتراك في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، الا ان تسوية
المشكلة الجزائرية أدت الى زوال سبب اندفاع فرنسا في تأييدها الشديد

لإسرائيل ، وحاولت الموازنة بين مصالحها في المنطقة وعلاقاتها بالدول العربية وإسرائيل .

ومثال آخر فإن تأجيل ألمانيا الغربية الاعتراف بإسرائيل منذ سنوات عدة ، ومحاولتها التقرب للعرب وبخاصة في الميدان الاقتصادي ، يعتبر أيضا عملا تكتيكيا توجهه الولايات المتحدة للحفاظ على مصالحها في الدول العربية إبان سوء علاقاتها معها بعد حوادث لبنان عام ١٩٥٨ ، وتعد صفقة الأسلحة الألمانية السرية التي تمت منذ سنوات قليلة عملية تكتيكية قامت بها الولايات المتحدة لمساندة إسرائيل عسكريا .

إن سيطرة الصهيونية العالمية على مراكز القوى داخل الولايات المتحدة وألمانيا الغربية وبريطانيا وفرنسا ، وتحكمها في اقتصادياتها وأجهزة الدعاية والإعلام بها ، لم يعطها ساترا جديدا للعمل فحسب ، ولكنه أيضا سهل لها حرية استخدام أجهزة مخابرات هذه الدول لتحقيق أهدافها ، كما أنها وضعت أجهزة مخابراتها في خدمة الدول الغربية الاستعمارية . وبالإضافة إلى ذلك فإن اشتراكها في مخابرات حلف شمال الأطلسي والحلف المركزي ، يتيح لها الاستفادة من إمكانات هذه الأجهزة بالنسبة لمعلوماتها عن الدول العربية خاصة ، والدول التي تحاول أن تتسلل إليها في آسيا وأفريقيا .

وإذا اتجهنا نحو المعسكر الشرقي وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي نجد أن تطور العلاقات السوفيتية بالنسبة لإسرائيل منذ قيامها يعد عملا تكتيكيا لا يمس استراتيجيته بالنسبة للمنطقة .

فاعتراف السوفييت بإسرائيل فور قيامها ، ومساندتها بالرجال والأسلحة في الحرب عام ١٩٤٨ دليل على نظرة الاتحاد السوفيتي لإسرائيل ، باعتبارها دولة تقدمية قامت وسط منطقة رجعية لتكون نقطة

انطلاق للشيوعية الدولية في المنطقة • وقيام الحركات التحررية في المنطقة وكسر مصر احتكار تزويد الغرب المنطقة بالسلاح ، تغير التكتيك السوفييتي في المنطقة ، اذ وجد الاتحاد السوفييتي مجالا لمواجهة الغرب في المنطقة عن طريق مساندة الدول العربية المتحررة • وحينما تقاربت المصالح الامريكية مع المصالح السوفييتية عام ١٩٦٧ تغيرت سياسة الاتحاد السوفييتي وكان اثر ذلك واضحا في حرب يونيو عام ١٩٦٧ • وقد نلمس تغيرا اكبر ، لو ان هذا التقارب ادى الى وفاق شامل بين قطبي المعسكرين •

□ طبيعة المجتمع الاسرائيلي :

يتميز المجتمع الاسرائيلي بالتنافر وعدم الانسجام بسبب تعدد الجنسيات واختلاف البيئات التي وفد منها اليهود الى اسرائيل ، حيث حملت وفود المهاجرين عاداتها وتقاليدها وطرق معيشتها المتباينة الى الدولة الجديدة •

ويظهر هذا التنافر في التفرقة العنصرية السائدة في اسرائيل بين طائفتي اليهود الغربيين والشرقيين حيث تتحكم الطائفة الاولى في جميع المناصب القيادية في الدولة ، باعتبار ان افرادها أعلى ثقافة وخبرة ومستوى معيشة من أفراد الطائفة الثانية ، التي يعامل افرادها كمواطنين من الدرجة الثانية • ويتمثل ذلك في توجيههم الى الاعمال اليدوية ، وعدم حصولهم على النسب الكافية في أجهزة الحكم في الدولة ، بالرغم من تساوي عدد افراد الطائفتين تقريبا في الدولة • فمثلا يوجد وزيران فقط من اليهود الشرقيين في الوزارة التي تتكون من ١٦ وزيرا ، ويوجد ١٨ عضوا فقط في الكنيست من اليهود الشرقيين من مجموع ١٢٠ عضوا ، الخ

كما ظهر التنافر ايضا في الخلافات الدينية السائدة باسرائيل ، حيث ينقسم المجتمع الاسرائيلي الى جناحين الاول ديني والثاني علماني ، الامر الذي يؤدي الى استمرار الاضطرابات في الدولة . ومن أمثلة ذلك اضطرابات أيام السبت للمحافظة على حرمة هذا اليوم ، والاعتداءات على رجال الارساليات المسيحية ، والمطاعم المحللة ، وغير ذلك .

وتعد الاقلية العربية (١) في اسرائيل « ٢٥٠٠٠٠٠ نسمة » سلاحا ذا حدين لاسرائيل ، فهي تشكل خطورة على أمن الدولة اذ احسن استخدامها من جانب الدول العربية ، ولكن القوانين الاستثنائية التي تحد من نشاط هذه الاقلية ، تجعلها لا في موقف سلبي فقط ، وانما تحاول كسب ثقة السلطات الاسرائيلية . وتستغل المخابرات الاسرائيلية الجنس العربي لهذه الاقلية في العمل ضد الدول العربية ، كما سيتضح لنا حين نتكلم عن اسلوب المخابرات الاسرائيلية .

(١) يبلغ تعداد الاقلية العربية في فلسطين حوالي ٣٠٠٠٠٠ نسمة وهم يخضعون في حياتهم لقوانين عسكرية صارمة تحرم عليهم حرية العمل والتنقل .

وكان من الممكن ان تكون الاقلية العربية شوكة في جانب اسرائيل اذا ما احسن استخدامها وتوجيهها من جانب الدول العربية ، ولكن الظروف التي تعيش فيها الاقلية العربية لم تقف بها عند حد السلبية ، بل انها استرضاء لاسرائيل وضمانا لحسن المعاملة تعاونت مع اجهزة المخابرات الاسرائيلية ضد الدول العربية . وبالإضافة الى هذا ، وتفنيدا لاتهم اسرائيل بسوء معاملة العرب ، استخدمت اسرائيل عددا من العرب المتعاونين معها للسفر للخارج - تحت الرقابة - للدعاء بحسن معاملتهم وتمتعهم بكامل حقوق المواطنين الاسرائيليين .

وتعمل الدولة منذ قيامها على صهر المجتمع الاسرائيلي في بوتقة واحدة ، بغية ايجاد مجتمع متجانس له طابعه الخاص وسماته المشتركة ، ولذا لجأت الى عدة وسائل أهمها : استخدام الجيش التجنيد الاجباري كوسيلة من وسائل صهر المجتمع ، وتوحيد مناهج التعليم لخلق ثقافة مشتركة ، وتهيأة حد أدنى لمستوى المعيشة وادخال العمال في الهستدروت ، واقامة مستعمرات خاصة بالشباب ليكونوا نواة المجتمع في المستقبل ، ونحو ذلك . وبالرغم من أنها حققت نجاحا غير يسير في هذا المجال ، فانها لم تتمكن حتى الان من القضاء على التنافر بين فئات المجتمع ، كما تساهم الحركة الصهيونية العالمية في هذا المجال عن طريق نشر اللغة العبرية والثقافة والتقاليد اليهودية القديمة قبل هجرتها الى اسرائيل .

نظام الحكم في الدولة :

أعلنت اسرائيل فور قيامها بأنها جمهورية اشتراكية ديموقراطية تقوم على اساس نيابي « برلمان - رئيس دولة - وزارة - احزاب » ، وليس لها دستور مكتوب بل تقوم مقامه مجموعة من القوانين الاساسية التي يصدرها الكنيست ، وقد أغفل النص تحديد دين رسمي للدولة ، ولم ينص على تحديد اليهودية كجنسية في الدولة .

التباين الحزبي :

بينما أن المجتمع الاسرائيلي قد تكون من جماعات متباينة جاءت من اقطار مختلفة لحساب احزاب مختلفة احضرتها على نفقتها الخاصة من الخارج واستمرت في رعايتها في الداخل ، وعلى ذلك ينتمي افراد المجتمع الاسرائيلي الى احزاب معينة يرتبطون بها في معيشتهم وعقيدتهم اكثر من ارتباطهم بالدولة نفسها ، وهذا يحكم جميع التصرفات السياسية

والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية في اسرائيل •

وتتباين اتجاهات الاحزاب الاسرائيلية من أقصى اليمين الى أقصى اليسار ، ففيها يميني متطرف « حيروت » ويميني رأسمالي معتدل « الاحرار » واشتراكي يميني معتدل « الماباي » واشتراكي صهيوني يساري « الاحدوت » واشتراكي يساري صهيوني متطرف « المابام » وشيوعي « ماكي » ، بالإضافة الى الاحزاب الدينية التي تتباين هي الاخرى في تطرفها لتطبيق تعاليم الدين اليهودي •

وينعكس هذا التباين العقائدي على تكوين المجتمع الاسرائيلي الذي لا يربطه سوى الحرص على البقاء في اسرائيل ، بعد ان قطع معظم افراد المجتمع الروابط التي كانت تربطهم بالدول التي كانوا يقيمون بها قبل هجرتهم الى اسرائيل •

تضارب الجهاز السياسي :

وقد أدى التضارب العقائدي بين الاحزاب الاسرائيلية الى تضارب في الجهاز السياسي للدولة تبدو مظاهره في الآتي :

١ - في داخل الوزارة الاسرائيلية التي تقوم على الائتلاف بين مجموعة من الاحزاب ، يعمل وزراء كل حزب فيها طبقاً لمصلحة احزابهم اولا لدرجة الامتناع عن مساندة الحكومة في سياستها العامة أمام الكنيست اذا كانت هذه السياسة لا تتفق مع مبادئ الحزب (١) •

(١) موقف الاحدوت من العلاقات الالمانية الاسرائيلية ، موقف الحزب الديني من القضايا الدينية في الدولة .

٢ - في داخل الهستدروت حيث يعمل ممثلو كل حزب في الهستدروت لصالح الحزب أكثر من عملهم لصالح الدولة ، ويتمثل ذلك في الاضطرابات المتعددة ، هذا بالإضافة الى التضارب بين الهستدروت والحكومة ، فهي كمنظمة عمالية أساس قيامها الدفاع عن مصالح العمال قد تطورت الى منظمة اقتصادية تتولى أعمال الدولة ، وتتحكم فيها في الداخل والخارج ، ويساعد سيطرتها على الحكومة تشكيلها من احزاب متباينة . وتعد انتخابات الهستدروت اهم من انتخابات الكنيست ، وتتحكم نسبة الاحزاب في الهستدروت في تشكيل الكنيست والوزارة .

٣ - في الكنيست حيث تنعكس المبادئ الحزبية المتضاربة على المناقشات سواء في المسائل الداخلية او الخارجية ، اذ يسعى كل حزب في الحصول على كسب شخصي يزيد من شعبيته ، بغض النظر عن تأثير ذلك على استقرار الحكم ، والمثل الواضح على ذلك كثرة طرح الثقة بالوزارة ازاء أي مشكلة حزبية مهما صغرت .

تضارب أجهزة الامن :

يتكون جيش الدفاع الاسرائيلي وقوات الامن أساسا من عناصر تنتمي الى احزاب مختلفة ومنظمات شبه عسكرية كانت تابعة للاحزاب قبل قيام الدولة أيام الانتداب ، واستمرت في تبعيتها للاحزاب بعد قيام الدولة ، بالرغم من محاولات ادماجها في تنظيم عسكري واحد ، والقضاء على النزعة الحزبية بين صفوف قوات الامن .

وقد انعكس هذا على تكوين قوات الدفاع الاسرائيلية وتعيينات كبار الضباط وترقيتهم وتوليهم المناصب الرئيسية في الجيش طبقا لقوة هذه الاحزاب (١) .

(١) وزير الدفاع ورئيس الاركان من حزب الماباي منذ قيام الدولة باعتباره حزب الاغلبية .

ويسيطر الولاء الحزبي على تصرفات ضباط الجيش ومواقفهم
الآ فيما يتعلق بكيان اسرائيل ، وقد ظهر في قضية لافون والتي سنتحدث
عنها فيما يلي بالتفصيل ، أن التناقض الحزبي كان له أثر كبير في كشف
القضية ، وإبعاد لافون من منصبه كوزير للدفاع ولذا كان يلجأ
بن جوريون الى التهديد باستخدام نفوذ الماباي في الجيش للعودة للحكم
في أوقات الازمات .

□ الصفقة المخزية « فضيحة لافون » :

ولنعد الآن الى الحديث عن فضيحة لافون او ما يطلق عليها
الصفقة المخزية ، التي أسفرت عن استقالة بن جوريون ، بل انها حتى
اليوم - وبالرغم من مرور ما يزيد على عشرين عاما - تسبب ازعاجا في
حياة اسرائيل السياسية حتى اليوم .

وترجع فضيحة لافون المعروفة باسم الصفقة المخزية الى عام ١٩٥٤
عندما شرع رجال ش.ب « خدمة الامن » في القيام ببعض الاعمال
التخريبية ضد عدد من المؤسسات الامريكية في مصر منها مركز
الاستعلامات الامريكي ، وكذلك حادث سينما ريو بالاسكندرية ، وكان
الهدف من وراء ذلك اساءة العلاقات بين مصر والولايات المتحدة .

وقد نسبت هذه القضية الى بنحاس لافون الذي كان يتولى
منصب وزير الدفاع في الوزارة الاسرائيلية آنذاك ، وقد فشلت العملية
وتم القبض على عدد من الذين عهد اليهم بتنفيذها ، وحوكموا في
القاهرة ونفذت الاحكام التي صدرت ضدهم .

وأثارت هذه القضية ازمة وزارية وحزبية كبيرة عامي ١٩٦٠ ،
١٩٦١ اذ اعترف أحد المتهمين في احدى القضايا عام ١٩٦٠ - اطلق عليه

فيما بعد اسم الرجل الثالث واسمه بول فرانك أو مردخاي كادار - بأنه قام بتزوير امضاء لافون قبل القيام بعملية ١٩٥٤ الامر الذي يوضح أن رجال ش.ب (١) زوروا توقيع لافون لاصباغ الصفة الشرعية على عمليتهم وذلك بعد اكتشافها .

وقد اتضح أيضا أن بعض شباب الماباي الذين كانوا يهدفون الى التخلص من لافون وتنحيته من وزارة الدفاع في حالة فشل العملية ، كانوا وراء عملية التزوير ونجحوا في اجبار لافون على الاستقالة من منصبه في فبراير ١٩٥٥ ، ثم استقلت الوزارة الاسرائيلية التي كان يرأسها موشى شاريت ، وعاد بن جوريون رئيسا للوزارة ووزيرا للدفاع .

وبانكشاف عملية التزوير ثارت ضجة بين الرأي العام الاسرائيلي استغلتها الاحزاب المعارضة ضد دافيد بن جوريون رئيس الوزراء ووزير الدفاع آنذاك ، الامر الذي دفعه الى اصدار قرار بتأليف لجنة تحقيق برئاسة قاضي القضاة في سبتمبر سنة ١٩٦٠ للتحقيق في أسباب استقالة لافون . وبجانب ذلك اجتمعت لجنة الشؤون الخارجية والامن التابعة للكنيست في اكتوبر ١٩٦٠ لمناقشة بنحاس لافون ، كما شكلت لجنة من أعضاء الوزارة - اللجنة السباعية للتحقيق الذي كانت نتيجته رفع تقرير لمجلس الوزراء في ٢٥ من نوفمبر عام ١٩٦٠ برأت فيه لافون واسندت تهمة التزوير الى أحد قواد الجيش الاسرائيلي .

(١) ش.ب اختصارا لكلمتي شيردتي بيتاخون ومعناها مكاتب الامن والمقصود بها المخابرات .

وكان بنحاس لافون يشغل منصب سكرتير عام الهستدروت ابتداء من عام ١٩٥٩ ، ولما بدأ التحقيق معه قدم وثائق تدين بعض اتباع بن جوريون « ليفي اشكول ، شمعون بيرس ، عاموس بن جوريون » ، الامر الذي أجبر بن جوريون على التراجع امام لافون الى ان تتاح له فرصة أكثر مناسبة للقضاء عليه ، وقد تم له ذلك بقرار سكرتارية الماباي في ٣ من فبراير ١٩٦١ ، ثم موافقة اللجنة المركزية للحزب على ذلك القرار ، الذي كان يقضي بإبعاد لافون عن الهستدروت ، وعدم تمثيله لحزب الماباي في هذه المنظمة العمالية .

وبالرغم من جهود بن جوريون برأ الكنيست الاسرائيلي لافون في ٢٤ من يوليو عام ١٩٦١ من مسئولية الصفقة المخزية ، كما برأته ايضا اللجنة العسكرية القضائية . وكان من نتيجة ذلك أن اتبع بن جوريون المناورات ، التي ادت الى حل الكنيست ، واجراء انتخابات جديدة أسفر عنها الكنيست الخامس في ١٥ من اغسطس عام ١٩٦١ .

وعلى ذلك النحو تمكن بن جوريون من القضاء على مركز بنحاس لافون السياسي واضطهد اتباعه في الحزب ، واصبح لافون مجرد عضو عادي في حزب الماباي ، ولكن بن جوريون لم يكتف بذلك ، بل أخذ يعد العدة لتجميع معلومات تدين بنحاس لافون في هذه القضية وذلك في اثناء توليه رئاسة الوزراء ، فقد عهد الى أحد الصحفيين ويدعى حاجي أشد (صحيفة دافار) بتجميع المعلومات ، التي تتمشي مع هدفه ، وسمح له بالاطلاع على وثائق وزارة الدفاع الاسرائيلية .

عقب استقالة بن جوريون من الوزارة الاسرائيلية في ١٦ من يونيو ١٩٦٣ ، راح ينتهز الفرص ويهدد باثارة قضية لافون من جديد ، اذ نشرت الصحف الاسرائيلية عقب استقالته أنباء تشير الى اعتزامه

استئناف النظر في هذه القضية في الكنيست : كما أوضح هو نفسه في محادثات له مع بعض زعماء الماباي حول انضمامه لمكتب قيادة حزب الماباي في اغسطس ١٩٦٣ : بان انضمامه للمكتب لن يمنعه من اثاره هذه القضية .

دفع ذلك حزبي الاحرار وحירות من المعارضة الى التقدم باقتراحين في الكنيست في ١٧ من يوليو عام ١٩٦٣ : لمناقشة موضوع كشف وثائق سرية خاصة بوزارة الدفاع متعلقة بقضية لافون لأحاجي أشد ، وقد دافع ليفي اشكول عن الوزارة موضحا أن أحاجي أشد عمل لعدة أشهر بعقد خاص الزمه السرية وبتكليف من وزير الدفاع بن جوريون آنذاك ، وان من حق وزير الدفاع كأي وزير يقوم بعمل ما في نطاق وزارته أن يفعل ذلك ، مما ادى الى شطب اقتراح المعارضة من جدول أعمال الكنيست بأغلبية الاصوات .

وعقب ذلك دفع بن جوريون احد اعوانه الى اثاره الموضوع من جديد ، اذ تطرق موشى دايان للقضية في جلسة له مع بعض شخصيات حزب الماباي بمنزل جولدا مائير وزيرة الخارجية حينئذ ، فقال ان لافون وقع على الامر الصادر بتنفيذ العملية المشار اليها (عملية ١٩٥٤) بعد تنفيذها بأربعة اسابيع ، وان يوسف الموجي - سكرتير الماباي في ذلك الوقت - كان على علم بالعملية . وقد تسربت أقوال دايان الى الصحف فنشرت ، مما دفع احزاب المعارضة (حירות - الاحرار - والشيوعي) الى التقدم بمشروعات قرارات لسحب الثقة بالحكومة ورفضت جميعها بالاغلبية في ٢٤ من فبراير عام ١٩٦٤ بعد ان تولى ليفي اشكول الرد على تلك الاقتراحات ، وضغط على موشى دايان لابتداء اسفه على ما ادلى به .

واجتمعت جماعة من « هيسود » جماعة لافون في حزب الماباي في ٢ من مايو عام ١٩٦٤ لبحث وضعها في نطاق حزب الماباي ، وقد حاول ليفي اشكول ان يجمد نشاط هذه الجماعة ازاء الانفصال عن الحزب ، فبعث الى الجماعة خطابا يطالب فيه اعضاءها بالعودة الى العمل في نطاق الحزب كاعضاء ذوي حقوق واسعة النطاق كغيرهم من الاعضاء ، واعتبار قرار اللجنة المركزية للحزب في فبراير عام ١٩٦١ الخاص بعدم تمثيل لافون للحزب في الهستدروت غير ذي موضوع في ذلك الوقت . وقد اظهر بن جوريون معارضته لموقف اشكول في خطاب بعث به الى سكرتارية حزب الماباي ، يبين فيه ان معالجة مسألة لافون ومؤيديه - جماعة من هيسود - من اختصاص هيئات الحزب ، وليس من اختصاص أي فرد لم تفوض له هيئات الحزب أن يتخذ موقفا معينا ازاءها ، الا أن سكرتارية الماباي اعلنت تأييدها لاشكول وتقديرها لموقفه ، وقد نجح اشكول في هدفه ، اذ لم تعلن جماعة هيسود انفصالها عن حزب الماباي في ذلك الاجتماع .

وقد قابل دافيد بن جوريون في ٢٢ من اكتوبر ١٩٦٤ وزير العدل الاسرائيلي بحضور المستشار القانوني للحكومة الاسرائيلية ، وقدم له اوراقا ووثائق تتعلق بقضية لافون (كتاب حاجي أشد) وأرفق بها مذكرة يطلب فيها تشكيل لجنة تحقيق قضائية لاعادة النظر في أبحاث اللجنة السباعية ، وقام وزير العدل بتشكيل لجنة من قضاة المحكمة العليا لبحث هذه الاوراق والوثائق ، كما كلف المستشار القضائي للحكومة بتقديم تقرير عن القضية عقب دراسة الوثائق المقدمة .

وبالرغم من عدم موافقة ليفي اشكول من حيث المبدأ على تجديد النظر في القضية ، فانه لم يجزم برفض طلب بن جوريون فور التقدم به، الامر الذي اعتبرته جماعة لافون موقفا سلبيا من اشكول يتعارض مع

ما سبق ان اعلنه وابداه لهم ، مما دفعهم الى اعلان انفصالهم عن حزب
الماباي في ٧ نوفمبر عام ١٩٦٤ ، وذلك رغبة منهم في حرية العمل
السياسي ضد بن جوريون ، الامر الذي لا تتأتى الا في حالة انفصالهم
عن الحزب .

وتج عن موقف بن جوريون وقيام وزير العدل والمستشار القضائي
ببحث المواد المقدمة منه آنذاك ، خلافات سياسية داخلية جرت على
النحو التالي :

— خلافات بين ليفي أشكول رئيس الوزراء وايغال آلون وزير
العمل « حزب الاحدوت » نتيجة تعرض الاخير للمستشار القضائي .

— وقوع انقسام في الائتلاف الوزاري ، حيث امتنع حزب
الاحدوت عن التصويت في الكنيست في ٢ من ديسمبر عام ١٩٦٤ ،
بجانب الوزارة ، وذلك عند تقديم المعارضة مشروعات تتعلق بتداول
بن جوريون وثائق سرية ، واطلاع أفراد غير مختصين على محتوياتها .

— ظهور خلافات في الرأي بين وزراء الماباي حيث أيد وزير
العدل « دوف يوسف » جانبا من طلبات بن جوريون ، وتمادى وزير
التنمية والتعمير يوسف الموجي في تأييد طلب بن غوريون ، وأظهر
ليفى أشكول معارضته لمبدأ اثاره القضية من جديد .

— تكتل المعارضة في الكنيست ضد الحكومة ، وتقديم مشروعات
سحب الثقة بالحكومة وتقرير مناقشتها في ١٥ من ديسمبر عام ١٩٦٤ ،
الا ان الوزارة استقالت قبل هذا التاريخ يوم واحد .

— مناقشة اللجنة المركزية لحزب الماباي طلب بن جوريون ، الامر

الذي لجأ أشكول في معالجته للمناورة ، حيث اعتبر البت في هذا الموضوع من اختصاص وزراء الماباي في الحكومة ، وقام بتقديم استقالة الوزارة لرئيس الدولة في ١٤ من ديسمبر ١٩٦٤ ، مما أجبر اللجنة المركزية على اتخاذ قرار بالاعلبية ، يقضي بترك أمر هذا الموضوع لوزراء الحزب في الحكومة للبت فيه ، كما اتخذ قرار آخر بترشيح أشكول لرئاسة الوزارة الجديدة .

— جمعت طلبات بن جوريون نتيجة للالزمة الوزارية ، الا انه اعلن عزمه على مواصلة كفاحه لاطهار الحقائق امام الرأي العام الاسرائيلي واخذ مع اعوانه — دوف يوسف ، يوسف الموجي ، شمعون بيرس — يعملون في سبيل تكتيل الرأي العام بجانبهم ، داخل الماباي ، وقام بعرض كتاب حاجي أشد على وزارة الدفاع الاسرائيلية بهدف الحصول على تصريح ، بنشره فشطب الرقيب فقرات منه تتعارض مع أمن الدولة . وفي ٧ من فبراير عام ١٩٦٥ طلب بن جوريون من الرقابة العسكرية تحديد موقفها نهائيا من هذا الكتاب ، الا ان وزارة الدفاع اخطرت الصحفي حاجي أشد ان الكتاب ملك للدولة ، ولا يمكن نشره دون موافقة الحكومة تبعا لقانون النشر الصادر سنة ١٩١١ ، وقوانين النشر المعدلة له الصادرة سنة ١٩٤٧ ، وان موافقة الرقيب على أجزاء معينة من الكتاب لا يعد موافقة على النشر . وقد اعتبر بن جوريون هذا الاخطار نوعا من أنواع التهديد الموجهة اليه ، مما دفعه الى توجيه خطاب الى نائب وزير الدفاع الاسرائيلي في ٧ من فبراير عام ١٩٦٥ ، يخطره فيه بأن يبلغ وزير الدفاع بأن أي توجيه خاص بهذا الكتاب يجب ان يوجه اليه شخصيا وليس الى حاجي أشد ، وانه سينشر المواد التي أقرتها الرقابة .

وقد بدأت صحيفة هآرتس في ٦ من فبراير ١٩٦٥ بنشر اولي

حلقات المواد المتعلقة بالقضية الصادرة في كتاب حاجي أشد ، واستمرت حتى يوم ٢٦ من فبراير عام ١٩٦٥ فنشرت عشر حلقات ، وقد حدد بن جوريون هذا التاريخ للنشر للضغط على مؤتمر حزب الماباي الذي بدأ اجتماعه يوم ١٦ من فبراير عام ١٩٦٥ واستمر حتى ٢٠ منه ، وبالرغم من ذلك لم يؤيد المؤتمر موقفه من القضية حيث وافق بأغلبية ٦٠ ٪ على تفويض الحكومة في البت في هذا الموضوع ، وذلك يتماشى مع وجهة نظر أشكول ، ومع ما سبق ان اتخذته اللجنة المركزية للحزب في هذا الخصوص .

وعلى أثر ذلك قامت الاحزاب المعارضة « حيروت ، الاحرار » بتقديم اقتراحات لجدول أعمال الكنيست ، تطالب بمناقشة امر نشر فقرات من كتاب حاجي أشد في الصحف ، وقد نظر الكنيست في هذه الاقتراحات في جلسة يوم ٢٤ من فبراير عام ١٩٦٥ ، وتولى وزير العدل الرد على المقترحات ، مبدياً أسف الحكومة واستنكارها للنشر ومطمتنا المعارضة بإشارته الى أن المعلومات التي نشرت قد مرت على الرقابة ، وطالبا من الكنيسة شطب المقترحات المقدمة ، وقد وافقت الاغلبية في الكنيست على طلب وزير العدل .

□ تنظيم المخابرات الاسرائيلية :

من الدراسات السابقة نجد ان طبيعة نظام الحكم والمجتمع الاسرائيلي تنعكس على تنظيم اجهزة المخابرات في الدولة ، وهذا يبدو واضحاً في تشابك بعض الاجهزة وتضاربها احيانا .

ويتبع مجتمع المخابرات القومي في اسرائيل مكتب رئيس الوزراء مباشرة ، ويتكون من عدة اجهزة ، فهناك مجلس امن الدولة وهو الذي يتولى التوجيه وتخطيط سياسة الامن الداخلي والخارجي للدولة ،

ويتكون من مستشارين لرئيس الوزراء ورؤساء أجهزة خدمات الامن والمخابرات السياسية ورئيس الاركان •

وهناك المخابرات السياسية او « الموساد » التي تتبع رئيس الوزراء ، ومهمتها جمع المعلومات عن الدول العربية والاشراف على شبكات التجسس بها ، وتشرف على ادارة الحسب النفسية الخاصة بالدول العربية ونطاق عملها. كله خارج اسرائيل •

وبالاضافة لذلك هناك هيئة خدمات الامن « شاباك » (١) ، وهي المشرفة على هيئات الامن والمخابرات التي تعمل داخل اسرائيل وتتبع رئاسة الوزراء مباشرة وتحتصر مهامها الرئيسية في ثلاثة مجالات هي « مكافحة الجاسوسية ، وتنظيم شئون العرب المقيمين في اسرائيل ، ومقاومة اعمال الفدائيين العرب » •

أما المخابرات العسكرية « امان » فتتبع رئاسة الاركان وتختص بأمن القوات المسلحة ، وجمع المعلومات العسكرية عن الدول العربية ، وتتبعها ادارة الملحقين العسكريين وضباط مخابرات الميدان الذين يعملون على الحدود في مواجهة الدول العربية •

وتتبع الشرطة الاسرائيلية اداريا وزارة الداخلية ومهمتها حراسة الموانئ والحدود والمطارات وحماية الامن العام ، وله مكتب خاص لمكافحة التجسس يتعاون مع الاجهزة المشابهة •

(١) شاباك - اصطلاح يجمع في الواقع بين ثلاث كلمات عبرية هي :

Sherut Bitachon Klali.

ومن الاجهزة التي تتبع مجلس أمن الدولة ايضا ادارة الابحاث الذرية ، وعليها مسئولية حماية المفاعلات الذرية في اسرائيل وتحليل المعلومات العلمية عن الدول الاخرى ، وكذا خدمات الامن ، وهو الجهاز الرئيسي لامن اسرائيل في الداخل والخارج . ففي الداخل يتولى اعمال الامن في النواحي الاقتصادية والسياسية واعمال الرقابة (البريد - اللاسلكي - التليفونات) علاوة على مكافحة الجاسوسية . وله عملاء في معظم المنظمات والاحزاب السياسية داخل اسرائيل ، وهو يتبع رئيس الوزارة مباشرة ويعمل لخدمة حزب الاغلبية اكثر مما يعمل لباقي الاحزاب ، ومن أجل هذا تعرض مرات عديدة لهجوم شديد من الوزراء والاحزاب المختلفة .

ومهمته في الخارج كشف اية مؤامرات ضد اسرائيل ، وتتبع نشاط المخابرات العربية او اي عناصر تتصل بها ، وله عملاء في معظم دول العالم الصديقة والمعادية لاسرائيل .

والى جانب هذه الهيئات التتبع مجلس أمن الدولة ومكتب رئيس الوزراء يوجد جهاز آخر يعمل في خط واحد مع حكومة اسرائيل ، وهو جهاز الوكالة اليهودية ، ويشرف على توجيهه المكتب السياسي للوكالة اليهودية الذي تشترك فيه حكومة اسرائيل مع ممثلين للحركة الصهيونية العالمية ويديره موشي شاريت مباشرة .

ويشرف المكتب السياسي اساسا على توجيه الجاليات اليهودية في العالم وتسخيرها لخدمة أهداف الحركة الصهيونية وحكومة اسرائيل .

وينقسم جهاز مخابرات الوكالة اليهودية الى قسمين رئيسيين :

١ - هيئة تخليد ضحايا النازي « يادوشم » اليد والقلب :
وقد انشئت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية لحصر ضحايا النازي

والانتقام من اعضاءه الذين شاركوا في عمليات الابداء والتعذيب ، ولها مركز في حيفا يسمى مركز الوثائق التاريخية ، ويتولى تجميع البيانات عن ضحايا النازي من اليهود • وللهيئة جناح مختص بعمليات المطاردة وجمع المعلومات وله مندوبون في مختلف انحاء العالم (١) •

٢ - هيئة الخدمة السرية :

وهي التي تتولى بالتنسيق مع حكومة اسرائيل والجاليسات اليهودية المنتشرة في العالم تحقيق الاهداف الصهيونية •

وتضم معهدا للرواد ، وتشرف على معسكرات الشباب اليهود في انحاء العالم وعملية تهجيرهم الى اسرائيل • كما تشرف على نوادي المكابي اليهودية المنتشرة في جميع انحاء العالم وتختار الصالحين للتجنيد او للعمليات الخاصة من اعضائها • وبالإضافة الى ذلك فلها جهاز خاص للعمليات الخاصة التي تخدم اهداف الصهيونية •

□ عقيدة المخابرات الاسرائيلية :

نجحت الحركة الصهيونية العالمية في أن تغرس في نفوس اليهود منذ بداية الاستيطان اليهودي لفلسطين عقيدة سارت عليها المخابرات ، وترتكز على عدة نقاط أهمها :

ان اسرائيل في حالة حرب دائمة مع الدول العربية حتى تحقق اهدافها ، كما انها نقطة ارتكاز ليهود العالم ، وقيام الدولة هو تحقيق للنبوءة التي وعد بها الرب بني اسرائيل • هذا الى ان بقاء الدولة هو مسئولية كل يهودي في فلسطين او في خارجها ، وان ولاءه الاول مهما تكن جنسيته يجب ان يكون للوطن الام اسرائيل ، كما ان تحقيق

(١) عملية اختطاف ايخمان في الارجننتين •

استقرار الدولة وازدهارها هو الخطوة الاولى لعودة ملكوت اسرائيل طبقا للوعد الالهى •

وقد ساعدت الظروف التي مرت بها الجاليات اليهودية في مختلف انحاء العالم ، وما تعرضت له في بعض المناطق من اضطهاد عنصري في تلقين هذه العقيدة للاطفال اليهود منذ نعومة اظفارهم ، وساهمت الحركة الصهيونية في ربط العقيدة الدينية بالعقيدة السياسية ونصبت من نفسها حامية لهذه العقيدة ودافعة لها عن طريق الضغط على يهود العالم وارهائهم . وتستخدم الحركة الصهيونية اساليب مختلفة لابقاء جذوة هذه العقيدة مشتعلة ، فتحرص على أن تذكر يهود العالم والرأي العام العالمي دائما وبطرق مختلفة ، بأحقية اليهود في العودة الى وطنهم الاصلي فلسطين « ارض اسرائيل » •

ومن الاساليب التي تستخدمها المخابرات الاسرائيلية لتحقيق هذه الاهداف :

التهديد والتخويف والتخريب والقتل والحرب النفسية بأنواعها ، والتفريق بين الدول العربية والمباعدة بينها وبين الغرب كما سيظهر بالتفصيل فيما بعد •

□ اسلوب اسرائيل في التجسس :

نتيجة لظروف اسرائيل الاستراتيجية والاجتماعية ، وبعد دراسة العوامل السابقة التي تؤثر على عمل اجهزة المخابرات وتنظيمها في اسرائيل ، ومن خبرتنا في معاركنا المستمرة معها في ميدان المخابرات ، يمكن ان نستخلص السمات التي تتصف بها اساليب اسرائيل في التجسس وأهمها : العنف والتهديد ، واستخدام اسرائيل اليهود ذوي الجنسيات الاخرى في اعمال المخابرات ، واستخدام الدين في تحقيق

مآربهم ، واستغلال نقط الضعف في العملاء ، واستخدام عقدة الذنب بالنسبة لبعض الالمان ، واستغلال بعض العرب المقيمين داخل اسرائيل •

العنف والتهديد :

تتبع اسرائيل هذا الاسلوب لتحقيق اهداف عدة اهمها : سرعة التخلص من أعدائها الذين لهم تأثير مباشر على أمنها وكيانها مثل الفدائيين العرب الذين يعملون ضد المنشآت الاسرائيلية ، والتأثير على الروح المعنوية للعاملين ضدها ، وبالتالي العمل على الحد من كفاءتهم ونشاطهم ، وإيهام الرأي العام العربي بصفة خاصة والعالمي بصفة عامة بقوة المخبرات الاسرائيلية ، وإثارة المشاكل والصعاب ضد مخبرات مصر في اختيار عملاتها للعمل ضد اسرائيل ، بخلقها جوا من الارهاب ووضع الصعاب امام مصر في تعاقدتها مع الخبراء الاجانب •

وهناك أمثلة كثيرة لذلك يمكن ان نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر • ففي عام ١٩٥٥ أرسل طرد مجهز بمفجرات طرقية الى كل من الشهيد مصطفى حافظ قائد مخبرات غزة والشهيد صلاح مصطفى الملحق العسكري بالاردن وانفجر الطردان ، وكان نتيجة ذلك استشادهما • كما أرسلت اسرائيل عام ١٩٦٣ بعض المتفجرات في بعض الطرود الواردة الى أحد مصانعنا الحربية ، وعاونهم في هذا العمل البغيض عملاؤهم الذين كانوا يعملون في مصانع المانيا الغربية التي كانت تورد لنا بعض المعدات اللازمة للمصانع •

وقامت اسرائيل بارسال بعض الخطابات تحوي متفجرات الى بعض الخبراء الاجانب الذين كانوا يعملون في المجال الحربي ، كالخطاب الذي أرسل عام ١٩٦٣ الى الخبير الالمانسي ييلز والذي انفجر فسي سكرتيرته ، وقيام العميل الاسرائيلي لوتز الذي قبض عليه وحكم عليه بالسجن ، بارسال بعض الخطابات المتفجرة والتي انفجر احداها في مكتب بريد المعادي عام ١٩٦٤ •

ولم تكف اسرائيل عن ارسال بعض خطابات التهديد الى الاجانب الذين كانوا يساعدون مصر في المجهود الحربي ، بل وصلت اعمال العنف الى حد ان قام عملاء اسرائيل بختطف بعض العلماء الالمان الذين يعملون مع مصر ومن هؤلاء الخبير الالماني كروج الذي اختطفوه في مدينة ميونخ في عام ١٩٦٣ •

استخدام المخابرات الاسرائيلية لليهود من الجنسيات الاخرى في أعمال المخابرات :

ان اقامة اليهود في معظم دول العالم وتمتعهم بجنسياتهم وممارستهم لاعمالهم ، سواء كانت تجارية او حكومية يحقق للمخابرات الاسرائيلية ضمانات عديدة ، فهي فضلا عن كسبها ولاء هؤلاء الافراد ، تجد فيهم ساترا مناسباً وامكانيات واسعة للعمل •

كما أمكن استغلال المؤسسات التجارية المملوكة لليهود كمراكز متقدمة لنشاط المخابرات الاسرائيلية ، واعطى ذلك فرصة طيبة لتجنيد الصالح منهم في المراكز الحساسة بهذه الدول لخدمة اغراضها •

وبالاضافة الى ذلك استغلت وسائل الاعلام المملوكة لليهود في أنحاء العالم للدعاية ضد القومية العربية ، ولمعاربة الدول المتحررة التي تقف ضد الاستعمار ، وقد ساعدت هذه الظروف المخابرات الاسرائيلية على تكوين شبكات لها في معظم دول العالم للقيام بالآتي :

١ - اختيار العملاء الجدد وتجنيدهم •

٢ - جمع المعلومات عن علاقة هذه الدول بالدول العربية بصفة عامة ومصر بصفة خاصة •

٣ - استغلال نفوذ هذه الشبكات في التأثير على هذه الدول ضد الدول العربية ولصالح اسرائيل •

٤ - استغلال هذه الشبكات في تتبع نشاط البعثات العربية الموفدة الى الخارج .

٥ - السيطرة الكاملة على عملائهم المجندين وذلك بقيام بعض افراد هذه الشبكات بأعمال المخابرات السرية والمراقبة في اي وقت وفي اي مكان .

وقد استخدمت مخابرات اسرائيل الجاليات اليهودية بمصر لمساعدتها بطريقة غير مباشرة في العمل على الاضرار باقتصاديات البلاد ، حيث تقوم بغرض العناصر منهم بعمليات التهريب . ومثال لذلك دكتور البير ليشع اليهودي الذي كان يقيم في مصر ، وقد جند بواسطة شبكة يتزعمها بعض اليهود بالخارج ليكون عميلا رئيسيا لهذه الشبكة في أعمال التخريب داخل البلاد ، وقد تم القبض على هذه الشبكة عام ١٩٦٤ .

ونظرا لما كان لموقف الجالية اليهودية بالبلاد ونظرة اجهزة الامن لهم بالشك والريبة ، فان المخابرات الاسرائيلية تحاول ان تبعد عن تجنيد عملاء نشيطين منهم في مجال التجسس أو التخريب ، الا اننا لا نستبعد أن بعض العناصر منهم مجندة فعلا ومدربة للقيام بأعمال التجسس والتخريب في حالات الطوارئ .

□ استغلال الدين في تحقيق مآربهم :

استغلت المخابرات الاسرائيلية الدين في تحقيق مآرب اسرائيل فكونت الجمعيات الدينية مثل شهود يهوه والماسونية ، وهي تهدف الى تسييع العقيدة الدينية التي يؤمن بها الافراد غير اليهود ، ونزع الحقد والكراهية لليهود من الاديان الاخرى ، والدعوة الى أن المسيحية واليهودية دين واحد . والفكرة العامة التي يصدر عنها اليهود في هذا العصر هي ان موسى وعيسى أخوان . واذا كان اليهود قد أخطأوا في

الماضي فقد آن الاوان للرجوع الى الحق ودعوة المسيحيين الى العودة لليهودية ، ولقد وصل نفوذهم الى درجة ان تمكنوا من التأثير على الفاتيكان لاصدار وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح .

□ نقط الضعف في العملاء :

وتعتمد المخابرات الاسرائيلية في تجنيد عملائها الى حد بعيد على نقط الضعف التي يتصف بها اولئك العملاء . وفيما يلي سنرى ابرز نقط الضعف في عملاء اسرائيل ، وقد امكن استخلاص هذه النقط من قضايا التجسس الاسرائيلية في السنوات الاحدى عشرة التي توليت فيها رئاسة المخابرات المصرية :

١ - الدافع المادي بغرض تحقيق رغبة او امنية يصبح الفرد اسيرا لها ، ومثال ذلك العميل فؤاد محرم الذي فجحت اسرائيل في تجنيده عام ١٩٥٨ تحت الحاح المال الذي كان يحتاج اليه للسفر الى سويسرا لمقابلة خطيبته ، والظهور امامها بالمظهر اللائق لاسعادها . وكذا العميل سامي نافع الذي كان يميل ميلا شديدا نحو النساء والخمر ، وكذا العميل مويس جود الهولندي الجنسية الذي لم يكن له عمل يدر عليه تكاليف اعاشته ودفع نفقة لزوجته ، والعميل ريموند بترو الايطالي الجنسية باستغلال ضعف مرتبه كموظف بفندق لوشان ، بالزمالك وعدم كفايته لسد احتياجاته العائلية .

٢ - الافراد الموثورون الذين لحق بهم ضرر نتيجة قيام ثورة عام ١٩٥٢ ، وقد استطاعت اسرائيل ان تجند ابراهيم رشيد عام ١٩٥٨ نتيجة حقه على العهد القائم حيث كان يشغل قبل الثورة بعض المناصب في الشركات ، كما كان عضوا في مجلس النواب ومديرا لمكتب اسماعيل صدقي وزوجا لابنته .

٣ - نقص الدافع الوطني ومثال ذلك رشاد رزق الذي كان مديراً لشركة فورد بالاسكندرية ومتزوجاً من سيدة يهودية وكثير الاختلاط بالاجانب دون المصريين •

٤ - عدم الاكتفاء بالدخل المشروع واتباع اقصر الطرق واسهلها للشراء مع الاستهتار بجميع القيم • ويعتبر تجنيد مرتضى التهامي الرقيب المتطوع بالقوات الجوية عام ١٩٥٧ ، وكذا محمد حسن باشكاتب احدى وحدات سلاح المدفعية عام ١٩٦٠ ، والذي جند بمعرفة جان ليون توماس مثالين لذلك •

٥ - الحقن المتولد لدى بعض الاشخاص نتيجة شعورهم بالاضطهاد، ومثل ذلك الطالب سمير خليل جرجس الذي ترك البلاد وسافر الى المانيا نتيجة اضطهاد عائلته له وعدم وجود مورد رزق له ، فجندته اسرائيل لاستخدامه كعميل مزدوج لاغتيال أحد ضباط المخابرات المصرية باستدراجه لبيروت عن طريقه ثم تسليمه طرداً يحتوي على متفجرات بحجة ان به مستندات عسكرية تسلمها من احد عملاء اسرائيل •

٦ - عدم الولاء بالنسبة للمصريين ومثال ذلك جان ليون توماس وهو من الارمن المقيمين بمصر ، واستغلال المخابرات الاسرائيلية عدم ولائه للوطن فجندته عام ١٩٥٧ •

٧ - الضعف الخلقي والشذوذ اذ استطاعت اسرائيل ان تجند اسيريدون قسطنطين اليوناني الجنسية ، ونجحت في ذلك لاصابته بالشذوذ الجنسي ، وكان من اهم واجباته تجنيد آخرين من اليونانيين الذين يعملون في الاسكندرية ببعض المرافق التي لها اتصال بالقوات البحرية بصفة خاصة والقوات المسلحة بصفة عامة ، فقام بعمل شبكة تضم اربعة عشر يونانيا لهم صفاته نفسها ، وكان من بينهم شخص على

علاقة مريبة بشخص آخر يعمل جنديا بسلاح المدفعية فاستغله في الحصول على معلومات عسكرية بطريقة غير مباشرة .

□ استغلال عقدة الذنب بالنسبة لبعض الالمان :

وتعمل المخابرات الاسرائيلية جاهدة في تنمية هذه العقدة ونشرها لدى الشباب الالمانى ، فنجحت تحت تأثير عقدة الذنب هذه في تجنيد الطالب الالمانى فروفالدو واستغلاله كحامل رسائل بين المخابرات الاسرائيلية والعميل المزدوج اسماعيل صبري .

□ استخدام بعض العرب المقيمين باسرائيل :

كما استخدمت المخابرات الاسرائيلية بعض العرب المقيمين داخل اسرائيل للقيام بأعمال التجسس والاستطلاع على طول خطوط الهدنة والمواقع العسكرية ، فضلا عن القيام ببعض اعمال التخريب خلف الخطوط الامامية وقت العمليات ، وكذا العمل في تجارة المخدرات وتوصيلها لبعض المهربين العرب والمصريين كوسيلة تخريب مادي ومعنوي ضد الشعوب العربية ، أو كمصدر تمويل للمخابرات الاسرائيلية لاستخدامه في اعمالها بالمنطقة .

□ تشغيل وتجنيد العملاء :

الواقع ان اسس تجنيد المخابرات الاسرائيلية لعملائها ثابتة ومتشابهة تماما في كل منظماتها . غير ان اسلوب هذه المنظمات يتغير بتغير الاحداث وتطور أجهزة الامن بمصر ، او نتيجة لكشف بعض شبكاتهما .

ويمر العملاء الجدد عادة في عدة مراحل حتى يتم تجنيدهم ، وتبدأ هذه المراحل بمرحلة الفرز والاختيار ، ثم يعقب ذلك مرحلة التقرب وتنمية العلاقات والتحري وبناء الدافع في العميل . وبعد ان تتم هذه المراحل يقوم المندوب بعرض التجنيد على العميل ، فاذا قبل ذلك تقوم

المخابرات الاسرائيلية بتدريبه حسب المهمة التي سيكلف بها • وفي النهاية يتم تشغيل العميل ، وتشمل هذه المرحلة اختبار مدى استمرار ولاء العميل للمنظمة • ويقوم بتنفيذ كل من المراحل السابقة مجموعة من رجال المخابرات الفنين والمتخصصين ، وسنحاول الآن شرح الوسائل المتبعة في كل مرحلة •

□ الفرز والاختيار :

تختلف الوسيلة تبعا لمكان اقامة الهدف ، فاذا كان يقيم داخل مصر ، فانه يتم الفرز واختيار العملاء بواسطة بعض اليهود المقيمين بالجمهورية ، وقد قام فرتز كاتسي بهذه المرحلة عام ١٩٥٧ بالنسبة للعميل رشاد رزق •

كان رشاد رزق قد سافر في ٣ من مايو عام ١٩٥٨ الى سويسرا وايطاليا للعلاج وهناك قابل الدكتور فرتز كاتسي - كبير جراحي المستشفى الاسرائيلي - بالاسكندرية ، والذي كانت تربطه بالعمل علاقة قديمة ترجع الى ثلاثين عاما ، كما عمل معه في مصر في بعض الشركات • كما قابل فريدي البورت الذي كان مديرا لفندق شبرد قبل حريق القاهرة ، وكان يعمل حينئذ مديرا لفندق « سنترال » بزوريخ وهو الفندق الذي نزل به المتهم ، ولقد أرشده المذكوران الى المدعو فرتز جلازر كشخص يمكن مساعدته في الحصول على توكيلات تجارية ، وفرتز هذا يهودي الماني كان يعمل ببعض شركات النسيج بالاسكندرية ، ولكنه غادر البلاد نهائيا عام ١٩٥٢ •

ولن نتحدث الآن عن الوسيلة التي تم بها تجنيد رشاد رزق للعمل مع المخابرات الاسرائيلية ، اذ أن ذلك سيأتي في معرض حديثنا عن المخابرات المضادة في كتاب الحرب الخفية ، ولكننا نشير الى أن عملية الفرز والاختيار تمت بأفراد من اليهود كانوا يقيمون في أرض الوطن ،

كما كانوا على علم تام باخلاق العميل ومدى امكانية تجنيده ومعنى ذلك أن رشاد رزق كان محل دراسة من هؤلاء الافراد حتى وقع عليه الاختيار ليعمل لحساب المخابرات الاسرائيلية •

كما يمكن ان تتم هذه المرحلة بواسطة عملائهم الموجودين بالبلاد ، ونفذت هذه المرحلة بالنسبة للعميل ريسوند دي بترو عام ١٩٥٧ ، وفرناندو بتشولا العميل الاسرائيلي • ويلاحظ هنا أن من أهم واجبات العملاء المقيمين في البلاد اخطار المنظمة الاسرائيلية بجميع معارفهم واصدقائهم والمعلومات الوافية عن كل منهم ، ونقط الضعف ، ورأي العميل الشخصي في مدى صلاحية هؤلاء الافراد لتجنيدهم ، وخاصة العاملين بالمراكز الحساسة في الدولة ، وضباط القوات المسلحة • الخ •

اما اذا كان الهدف خارج مصر فان المنظمات الاسرائيلية تقوم بتجنيد بعض الاشخاص الموجودين في المحلات العامة ، والمعاهد المختلفة ، والفنادق والمؤسسات التجارية ، التي يتردد عليها العناصر المطلوب التجنيد من بينها للقيام بهذه المرحلة •

□ التقرب وتنمية العلاقات والتحري وبناء الدافع :

بعد اختيار العميل يوضع تحت المراقبة لفترة قصيرة بواسطة جهاز المخابرات الاسرائيلي بغرض الوصول الى محل اقامته ، والاماكن التي يتردد عليها ، ورصد أي ملاحظات عن طباعه واخلاقه ، ودراسة طبيعة العمل الذي يقوم به ، وتستغل المعلومات السابقة في مرحلة التقرب من العميل الجديد وتحت ظروف مناسبة بطريقة لا تثير الشك او الريبة عند العميل • يستخدم القائم بهذه العملية سائرا لنفسه يتناسب والعمل الذي يقوم به العميل •

ويحرص مندوب المنظمة في هذه المرحلة على تكرار مقابلاته للعميل وفي ظروف وأماكن تلائمه وتتفق مع طبيعته وشخصيته ، ونقط الضعف ، ومدى ولائه وحبه لوطنه اذا كان عربيا او مصريا ، ونوع الدافع للعمل مع المنظمة . ويقوم مندوب المنظمة بتنمية هذا الدافع ، او خلق الدافع المناسب لتنميته حسب الظروف الملائمة لطبيعة العمل .

وينطبق ذلك على ما صدر عنه جورج ماسون المندوب الرئيسي للمخابرات الاسرائيلية اذ قام ببناء دافع لدى فؤاد محرم للعمل ضد الشيوعية في مصر ، حتى ان فؤاد محرم اعتنق هذا الدافع كمبدأ هام في حياته ، والحقيقة أنه كان يعمل لحساب اسرائيل .

ويقوم المندوب بالسيطرة على العميل الجديد فكريا ونفسيا وماديا، وتستعين المنظمة في تدعيم هذه السيطرة بإبراز مدى دقة معلوماتها عن حياة العميل وشخصيته وتاريخ حياته ، وعادة ما يترك مندوب المنظمة العميل فترة قصيرة من الوقت يقطع فيها الاتصال به ، وتتم في هذه الفترة اعمال التحريات والمراقبة ، للتأكد من صدق نوايا العميل ، فاذا كانت النتيجة ايجابية أعيد الاتصال به وعرض التجنيد عليه ، واذا كانت سلبية يقطع الاتصال بالعميل .

□ عرض التجنيد :

وهناك نوعان من التجنيد : تجنيد غير مباشر أي التجنيد التدريجي ، وتجنيد مباشر .

ففي حالة التجنيد غير المباشر يتم التجنيد على مرحلتين ، فيقوم بالمرحلة الاولى أحد الضباط تحت سائر تجاري او صحفي عارضا على الشخص المطلوب تجنيده العمل في هذه المجالات ، وبعد قبول الهدف هذا العرض يقوم بتقديمه الى ضابط آخر وهو الذي يعرض عليه التجنيد

للعمل لحساب المنظمة ، وذلك بعد تهيئته نفسيا لقبول هذا العرض ، وفي هذه الحالة يراعى عدم المساس بنفسية الهدف ، كما يراعى عامل الخوف والحفاظ على الكرامة ، فمثلا اذا كان الهدف عربيا او مصريا يكون سائر التجنيد هو العمل لحساب منظمة حلف شمال الاطلنطي او احدى منظمات مكافحة الشيوعية او لصالح الماسونية ... الخ . اما اذا كان اجنيا فعادة ما يصارح بأنه سيعمل لصالح المنظمة الاسرائيلية .

اما في حالة التجنيد المباشر فانه يستخدم وسيلة التهديد بالقتل او الخطف ، وذلك ما حدث في محاولة تجنيد أحد ضباط القوات المسلحة في احدى مستشفيات فيينا تجنيدا مباشرا ، على أساس تهديده بقتل اولاده او اختطافهم حيث كانوا يقيمون هناك .

ونادرا ما تستخدم مخبرات اسرائيل هذه الطريقة في عرض التجنيد الا اذا لم يكن لديها متسع من الوقت ، او تمتلك وسيلة سيطرة فعالة على الهدف المطلوب تجنيده لتهديده بها اذا لم يقبل التعامل معها .

وبعد قبول العميل عرض التجنيد يتم التوقيع على عقد العمل لفترة ستة شهور أو سنة قابلة للتجديد ، وتكون هذه الفترة بمثابة اختبار للعميل ، ثم يتفق على اجر العميل وكيفية حصوله ومدى المكافآت التي سيتقاضاها عن بعض الاعمال الخاصة ، وفي النهاية يكلف العميل بمهمته .

□ التدريب :

يتم تدريب العميل في هذه المرحلة بواسطة الفنيين من جهاز المخابرات الاسرائيلي بحيث يؤهل للقيام بالواجب المكلف به بكفاءة تامة ، وتتوقف مواد التدريب على نوع العمل الذي سيكلف به .

وغالبا ما كان يتم تدريب العميل على وسائل الاتصال مع المنظمة ، مثل الحبر السري واللاسلكي ، وطرق اخفاء الاوراق ، والتصوير

والتحميض ، ودراسة طبيعة ونظم الامن ، وجغرافية مصر ، وذلك بالنسبة للاجانب • ثم يدرب العميل على الاهداف المطلوبة وكيفية الوصول اليها ، وكذا على اجراءات الامن التي يجب اتباعها حفاظا على امته وعدم كشفه •

كما يتم تدريب العميل على كيفية الاتصال بالمنظمة لان ذلك من أهم حلقات العمل السري وأضعفها •

وقد تطورت وسائل اتصال عملاء اسرائيل فمن عام ١٩٥٧ حتى عام ١٩٦٠ كانت وسيلة الاتصال الرئيسية بين العملاء داخل مصر والمخابرات الاسرائيلية هي الرسائل المكتوبة بالاحبار السرية ، سواء أكانت معلومات مرسلة منهم الى اسرائيل او تعليمات صادرة اليهم من المنظمة ، وكان على العميل ارسال تقارير دورية كل عشرة ايام عن الاهداف المكلف بها ، وارسال المستندات عن طريق طرود ذات مخابىء سرية •

اما العملاء الرئيسيون فكانوا يدربون او يزودون بأجهزة الارسال، ومن الامثلة لهؤلاء العملاء العميلان مويس جود وسامي نافع •

وبعد اكتشاف شبكاتهم عام ١٩٦٠ اهتمت المخابرات الاسرائيلية اهتماما بالغا بوسائل الاتصال اللاسلكي ونظام حامل الرسائل في الاتصال بعملائهم لنقل ما لديهم من مستندات ، وطبقت الطريقة على العملاء ذوي الاهمية الخاصة مثل اسماعيل صبري وولف جانج لوتز •

أما بالنسبة للعملاء العاديين الذين لم يكتسبوا بعد ثقة المنظمة ، فقد صار تلقينهم على الاحتياجات المطلوبة منهم في اثناء فترة التدريب ، على ان يقوموا من جانبهم بارسال تقارير دورية بواسطة الحبر السري ، وبهذا تكون وسيلة الاتصال من جانب واحد ، حتى يصعب على أجهزة الامن المصرية معرفة صاحب الرسالة المرسلة الى المخابرات الاسرائيلية •

وإذا اقتضى الأمر إرسال تعليمات جديدة لهؤلاء العملاء تختلص
أو تزيد عما كلفوا به ، تقوم المنظمة بإرسال هذه التعليمات في خطاب
بالحبر السري ، ترسل من داخل البلاد حتى تكون بعيدة عن الرقابة
البريدية ، أو يزود العميل بشيفرة معينة وجهاز استقبال يستطيع عن
طريقه تلقي تعليمات المنظمة دون الحاجة إلى إرسال خطابات سرية
له من الداخل .

□ التشغيل :

قبل البدء في تشغيل العميل يتفق معه على كيفية تمويله ، وقد تطورت
طرق التمويل واختلفت أساليبها ، فقد كان من المعتاد بعد أن تتم عملية
تدريب العميل أن يتسلم مرتبه من ثلاثة أشهر إلى ستة مقبلاً حسب مدة
الاختبار المحددة له ، تفادياً من الاتصال به خلال فترة الاختبار ، وبعد
نجاح العميل في المرحلة الأولى ، يتم تمويله - إذا كان مصرياً - إما
بإرسال النقود له في مخابىء سرية داخل طرود ، وإما بإرسال النقود
داخل خطابات عادية ترسل من داخل البلاد ، وإما بإرسال النقود بواسطة
أحد عملائهم الرئيسيين بالداخل عن طريق وضعها فيما يطلق عليه بلغة
المخابرات « نقط ميتة » مثل صندوق بريد المنزل . أما إذا كان أجنبياً
فيتوقف إرسال النقود إليه على نوع الساتر الذي يمارسه بالبلاد ، فإذا
كان ساتره لا يسمح بتحويل نقود له من الخارج عن طريق البنوك يتبع
معه الطرق السابقة نفسها .

وبعد عام ١٩٦٠ قامت المخابرات الإسرائيلية بتمويل العملاء من
المصريين بواسطة خطابات تحتوي على نقود ترسل من الداخل بواسطة
الأجانب الوافدين إلى البلاد ، وقد اتخذت هذه الطريقة لعدم ثقة المخابرات
الإسرائيلية في أغلب المصريين الذين تم تجنيدهم في هذه المرحلة .

واعتمد تشغيل العملاء في الفترة من ١٩٥٧ الى ١٩٦٠ بواسطة المخابرات الاسرائيلية اساسا على الكفاءة مع عدم الاهتمام بعامل الامن ، والتراخي في وضع اختبارات دورية على عملائهم و اجراء التحريات الدورية على سلوكهم بالداخل •

فمثلا بعد ان قبض على موسى جود سوارد العميل الاسرائيلي استمر في الاتصال مع مخابرات اسرائيل لاسلكيا وبتوجيه المخابرات المصرية لمدة ٤ شهور وقد كشف هذا الاتصال اسماء باقي الشبكة •

وتغير اسلوب تشغيل العملاء بعد عام ١٩٦٠ واتبعت المخابرات الاسرائيلية اسلوبا جديدا يعتمد على الآتي :

- ١ - اصبح للامن الاعتبار الاول وتعبه الكفاءة •
- ٢ - الاهتمام بالاختبارات والمراقبات والتحريات عن العملاء داخل مصر •
- ٣ - استدعاء العميل لمقابلته خارج البلاد بعد كل مرحلة من مراحل تشغيله ووضعه تحت اختبار دقيق واستجواب قاس لاكتشاف مدى استمرار عمله لصالح اسرائيل •
- ٤ - اتباع الشدة والحزم والتوجيه المستمر مع العميل في اخطائه •
- ٥ - احكام وسائل السيطرة على العملاء سواء بالاغراء او التهديد •
- ٦ - الاهتمام الكامل بساير العميل الاجنبي والاستمرار في تغطيته •

□ مراكز التجاسوسية الاسرائيلية :

في عام ١٩٥٦ بدأت اسرائيل تفتح مراكز لها تحت ستر مختلفة في بعض دول اوروبا الغربية لاغراض التجسس ضد مصر ، وتجنيد العملاء الصالحين واللازمين لتحقيق هذا الغرض ، وانشئت رئاسة لهذه المراكز بايطاليا • وروعي في اختيار الدول ان تكون منطقة مرور بالنسبة للمسافرين الى مصر ومنها ، أو من الدول التي يتردد عليها العرب بصفة عامة والمصريون بصفة خاصة بقصد الدراسة او التجارة او العلاج ، ومن بين هذه الدول ايطاليا والمانيا الغربية وفرنسا وهولندا وبلجيكا وانجلترا والنمسا واليونان ، وكان الغرض من انشاء هذه المراكز : جمع المعلومات من الوافدين من مصر بطريقة مباشرة او غير مباشرة ، وتجنيد العناصر الصالحة من المصريين وبعض الاجانب وتدريبهم ، وتتبع نشاط البعثات المصرية في الخارج ، ودس بعض العملاء في النوادي والاطراف الغربية بالخارج لنشر الدعايات المسمومة ضد الوطن ، والتأثير على وطنيتهم واصطياد ضعاف النفوس منهم لتجنيدهم ، والتعاون مع المخابرات الاجنبية في الدول التي تمارس فيها نشاطها •

كما كان الهدف من انشاء هذه المراكز تجنيد بعض ذوي المراكز الحساسة في الجمارك والجوازات والشرطة والبريد ، الخ • • وذلك للمعاونة في دخول عملائهم أو خروجهم بأجهزتهم السرية دون تفتيش ، وادخال عملائهم دون الحصول على تأشيرة وفي أي وقت وعدم اتباع الدقة بخصوص الجوازات المزورة ، وتسوية أي مشكلة قد تقع لاحد عملائهم خلال عمله مع المنظمة •

وتقوم المخابرات الاسرائيلية باستغلال بعض اليهود المقيمين في البلاد الاجنبية للقيام بعمليات الاختيار وتنمية العلاقات مع الافراد المطلوب تجنيدهم ، كذلك للقيام ببعض المقابلات السرية لتوصيل تعليمات

المنظمة الى عملاتها ، أو القيام بمراقبة هؤلاء العملاء لمعرفة نشاطهم واتصالاتهم .

وبعد أن قامت المخابرات العامة المصرية بالقبض على شبكات المخابرات الاسرائيلية في مصر عام ٥٩ / ١٩٦٠ والكشف عن اساليب التجسس الاسرائيلية ومراكزها في اوروبا ، قام جهاز المخابرات الاسرائيلي بانشاء مراكز أخرى بافريقيا ، استخدمت لاغراض التجسس وخلق المشاكل بين الدول الافريقية ومصر مع مساعدة اسرائيل على غزو هذه الدول اقتصاديا ومتابعة نشاط بعثاتنا السياسية بهذه الدول . ومحاولة تجنيد بعض افرادها للحصول عن طريقهم على المعلومات المطلوبة .

وكانت المخابرات الاسرائيلية قد اختارت مدينة اسمره مركزا لها للتجسس في افريقيا لاسباب عدة اهمها : العلاقات الوطيدة بين اسرائيل واثيوبيا من الناحية السياسية والاقتصادية ، قرب اثيوبيا من مصر بصفة خاصة والدول العربية بصفة عامة ، كذلك قربها من دول تربطها بمصر علاقات ميل السودان والصومال وغيرها ، وفتح مصر أبوابها لهذه الشعوب ، مما قد يمكن اسرائيل من تجنيد بعض العناصر من بين ابناء هذه الدول للعمل ضد مصر .

وكانت المخابرات الاسرائيلية تأمل في اختيار افراد من بين ابناء الدول الافريقية المقيمين في مصر للعمل لحسابها ، لان ذلك يحقق لها هدفين : أولهما قيام ابناء هذه الدول بأعمال التجسس دون اثارة شك أجهزة الامن المصرية ، وثانيهما انه في حالة القبض على بعض هؤلاء العملاء ومحاكمتهم تبدأ أجهزة الدعاية الاسرائيلية في اظهار مصر بمظهر الدولة التي تضطهد أفراد هذه الشعوب ، مما يسيء الى العلاقة بينها وبين هذه الدول .

وتقوم المخابرات الاسرائيلية بنشاط منظم في افريقيا بصفة عامة وفي أثيوبيا بصفة خاصة لتسهيل عمليات التجسس ضد مصر • وتتبع في ذلك عدة سبل منها : تجنيد بعض ذوي المراكز الحساسة في الجوازات والشرطة والبرهان على ذلك دخول اسماعيل صبري من السودان الى الحبشة دون جواز سفر • كما انه عند مخالفة العميل الحبشي احمد أفندي لتعليمات المخابرات الاسرائيلية تم القبض عليه بواسطة البوليس الحبشي ، ووضع في السجن وهدد بقتله اذا لم يذعن للأوامر التي تصدر اليه من المخابرات الاسرائيلية •

كما تقوم المخابرات الاسرائيلية بتجنيد مديري الفنادق والبنسيونات في عواصم الدول الافريقية للحصول على كشوف يومية عن المصريين بصفة خاصة والعرب بصفة عامة ، وتقديم تقارير عن بعض العملاء في اثناء اقامتهم وتسهيل تفتيش حجراتهم •

وهكذا نجد ان المخابرات الاسرائيلية لم تقم الا لتحقيق اطماع اسرائيل في المنطقة ، وقد استغلت كل الوسائل العنيفة والدينية في أعمالها العدوانية المستورة ، وشملت عملياتها كل شيء ابتداء من أعمال التخريب الى اختطاف الناس وقتلهم ، بل لقد استطاعت أن تنصب أحد عملائها في أعلى المناصب السياسية في سوريا •

ونشير هنا الى حادث قد يعطينا صورة واضحة لنشاط المخابرات الاسرائيلية ، وهذا الحادث هو اتهام المخابرات الاسرائيلية بالاشتراك في عملية اختطاف الزعيم المغربي « مهدي بن بركة » •

الفصل السابع عشر



الأمن والمجتمع

الأمن والمجتمع
خطورة إفشاء الأسرار
- الأمن والديموقراطية
- الميل للثرثرة - تسرب
المعلومات - التشريع
والأمن - مناطق خطرة
- مكاتب الأمن - أمن
المؤسسات في الخارج
- غموض مفهوم الأمن
- المخابرات والأمن
القومي

□ خطورة افشاء الاسرار :

يقول آلين دالاس :

« الواقع انه من الصعب ان تقنع الشعب بأن من المصلحة القومية في بعض الاحيان أن نحيط بعض الامور بالسرية ، أو أن حرته قد تتعرض للخطر نتيجة الافاضة في الكلام عن الاجراءات الخاصة بالامن القومي أو عن المفاوضات الدبلوماسية . »

« وعلى كل حال فان ما تنشره الحكومة او الصحافة على الشعب ينقل بطريقة آلية الى اعدائها ، كما ان اي شخص يكون من الاهمال بحيث يفشي سرا فانما يفشيه الى العدو او يسلمه له . وما جدوى ان ننق الملائين لنحمي انفسنا ضد الجاسوسية اذا كانت اسرارنا تتسرب منا ؟ » .

ان هذا أسوأ ما يحدث من رجال السياسة او الصحافة او المواطنين الذين لا يقدرّون قيمة الاسرار ولو كانت في أبسط صورها .

ان حرية الصحافة وحرية الكلمة يجب ألا تمتد الى اسرار الدولة . وتختلف هذه الاسرار من حيث درجتها حسب اختلاف المجتمعات ، فبعض الدول تفرض عقوبة على افشاء اسرار معينة قد لا تدخل في نطاق الامن القومي للدولة ، كأن تكون سرا من اسرار الصناعة .

وتسعى كل دولة الى معالجة خرق الامن ، وتحاول تحسين وسائلها .

ان ضابط المخابرات يدرك انه يخطط عمله بعناية ومهارة في سرية اذا أراد النجاح في عمله ، وفي الحقيقة يجب على رئيس جهاز المخابرات ان يراعي في تخطيط عمليات المخابرات الاحتفاظ أولا بسرية العملية بالنسبة للخصم ، وثانيا الاحتفاظ بسريتها بالنسبة للصحافة ، اما بالنسبة لضابط المخابرات فيجب ان تكون السرية احدى حقائق الحياة بالنسبة له .

□ الامن والديموقراطية :

والسؤال الذي يتبادر الى ذهننا هو : هل يمكننا تحسين نظام الامن مع الاحتفاظ بالديموقراطية في الحياة والصحافة الحرة وليست الموجهة ؟ وهل يستحق هذا الموضوع ان نضعه محل دراسة ؟ .

لا يمكن ان ننكر ان هذا الامر يستحق الدراسة ، وهناك في الواقع أربع مناطق يجب ان ننظر اليها بعين الاعتبار :

اولا : ما ينشر مع موافقة الجهات الرسمية .

ثانيا : ما يتسرب سرا الى الصحافة عن طريق بعض موظفي الحكومة الساخطين من الذين لا يوافقون على سياسة معينة ، ويشعرون بأن من واجبهم الدفاع عن مركز جهازهم ضد جهاز منافس .

ثالثا : التسرب نتيجة الاهمال فنحن كشعب نتكلم كثيرا ونحب ان يعرف الناس اننا علمون ببواطن الامور .

رابعا : ما مدى الثقة في العاملين الذين يطلعون على معلومات معينة ؟

وفي قصة برنولد جاكوب عام ١٩٣٥ الذي كتب بتوسع عن الجيش الالماني الذي كان يمر في ذلك الوقت بمرحلة اعادة التسليح ، نجده ينشر كتابا صغيرا قدم فيه كل التفاصيل عن هيئة اركان الحرب العامة الالمانية التي أعيد تنظيمها من جديد كما نشر معلومات تفصيلية عن قيادات الجيش ، وعن المناطق العسكرية المختلفة والوحدات العسكرية التي شكلت حديثا ، وأورد بالكتاب قوائم لعدد ١٦٨ من قواد الجيش وصورا لتاريخ حياتهم .

وحينما استجوب جاكوب بدأ يشرح شرحا بدا للسامعين انه عمل باهر من اعمال المخابرات نتيجة تسرب أخبار من الصحافة ، لقد قال :

« كل شيء في كتابي جاء من تقارير نشرت في الصحافة الالمانية ، فعندما ذكرت في كتابي ان ماجور جنرال هاس كان الضابط القائد للوحدة السابعة عشرة وموقعها في نورمبرج ، فأنني استقيت معلوماتي هذه من اعلان وفيات في جريدة نورمبرج ، اذ جاء في الجريدة ان جنرال هاس الذي قدم من نورمبرج وهو قائد الفرقة السابعة عشرة المنقولة حديثا حضر جنازة في نورمبرج •

لقد استطاع جاكوب أن يعد تقريره عن نظام المعركة « من قطع من المعلومات اكتشفها في اعلانات الزواج والوفيات وغيرها » (١) •
وفيما يلي فقرة عن الجاسوسية في الولايات المتحدة مما كتبه « باول مونات » ضابط المخابرات البولندي في كتابه المسمى « جاسوس في الولايات المتحدة » •

يقول مونات :

« امريكا بلاد ممتعة لممارسة الجاسوسية ، ومن حيث هي دولة ، تعتبر ماهرة في الاحتفاظ بأسرارها •• ولكن من بين أضعف نقاطها في الامن القومي شعور أهلها بالرغبة في الصداقة •• انهم يتوقون الى ان يعرفهم الناس •

« لقد استطعت ان أعثر على أمريكي بعد آخر كان مستعدا - بعد كأس من الشراب او كأسين - ان يطلعني على أشياء ما كان يفكر ان يطلع عليها زوجته » •

ولكن كان مونات يجد مصادره الثمينة عن طريق ما ينشر ، وهو يقول في ذلك :

(١) الحرب النفسية - الجزء الاول - صلاح نصر - دار القاهرة للطباعة والنشر - عام ١٩٦٦ - ص ٥٠٠

« ان الامريكيين لا يتصفون بالاهمال وعدم التدقيق في الحديث فحسب ، ولكنهم يكشفون كثيرا مما ليس في مصلحتهم عن طريق النشر العام » •

ثم يمضي في كلامه ليلخص ما استطاع ان يحصل عليه من احد أعداد مجلة « الطيران الاسبوعية » الصادر في الذكرى الرابعة والعشرين لقوة الطيران ، والتي يبلغ عدد صفحاتها ٣٧٢ حيث يقول « لقد كان الموضوع يستغرق منا شهورا ويكلفنا آلاف الدولارات لو حاول عملاؤنا الحصول على هذه المعلومات الواحدة بعد الاخرى ... لقد سلمتنا المجلة كل هذا في طبق من الفضة » •

□ الميل للثرثرة :

ولقد عانت مخابراتنا كثيرا في الاثني عشر عاما التي سبقت حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ ، بل اعتقد انها لا تزال تعاني من رغبة كثير من الناس في الثرثرة في أمور تمس الامن دون ان يشعروا بذلك ، بل ان كثيرا من الناس كانوا يتفاخرون بأنهم على علم ببواطن الامور ، وكان حب الاستطلاع يدفعهم الى معرفة بعض الاسرار من اصدقائهم الذين يشغلون بعض الوظائف العامة ولا يعون مفهوم الامن •

وليست هذه الظاهرة تخص مجتمعنا بعينه ، بل ظاهرة عامة حتى ليقول الرئيس ترومان مرة : « ان ٩٥٪ من معلوماتنا السرية قامت بنشرها الصحف والمجلات » • ويناقش البعض فكرة ان يقوم الكاتب الصحفي بالامتناع عن نشر بعض المعلومات التي تكون قد وصلتته من المصادر الحكومية المسؤولة ، الا اننا اذا طلبنا ذلك من الصحفي نكون قد طلبنا منه اكثر مما يجب • وان هناك بعض حالات امتنع فيها المراسلون او المحررون من تلقاء أنفسهم عن نشر قصص كانوا يرون

في نشرها ضررا على الامن القومي او على الاقل طلبوا المشورة من حيث حساسية هذه المواضيع » .

ولقد اقلق موضوع تسرب الاسرار المخبرات الامريكية وادركت جيدا هذه المشكلة ، ولذلك كان بيرل سميث - عندما كان مديرا للمخبرات المركزية - قلقا بشأن هذه المشكلة وقرر القيام بعمل اختبار . ففي عام ١٩٥١ زود الاجهزة بجماعة من الاكاديميين المؤهلين الاكفاء من احدى الجامعات الامريكية الكبرى ، وذلك للقيام بعمل في الصيف وحتى يوفر لهم الوقت زودهم بالمطبوعات والمقالات الجديدة ومناقشات الكونجرس والنشرات الحكومية والخطب - وكلها من الاشياء التي يمكن لكل من يطلبها ان يحصل عليها ، وطلب منهم ان يحددوا ما يمكن للسوفييت ان يحصلوا عليه من هذه المصادر غيرالخاصة بالنسبة لامكانيات الولايات المتحدة العسكرية . ولقد اشارت استنتاجاتهم ان السوفييت - بعد دراسة اسابيع قليلة لهذه المطبوعات السافرة - يمكنهم ان يحصلوا على معلومات عميقة عن قطاعات كثيرة من دفاع الولايات المتحدة القومي . وفي الحقيقة عندما اطلع الرئيس ترومان على اكتشاف رجال التحليل الجامعيين ، واطلع عليه القائمون على وضع خطط السياسة على مستوى عال آمنوا بأن هذه المطبوعات من الدقة بحيث أمروا باعدام النسخ الزائدة واحتفظوا بالنسخ الباقية على انها سرية .

ومن ناحية اخرى فهناك جزء كبير وهام من هذه المشكلة يدخل في بلادنا في نطاق الحكومة والسلطة التشريعية ، وهو عبارة عما تنشره السلطة التنفيذية والتشريعية ويدخل في هذا ما ينشر عن المناقشات داخل مجلس الشعب ولجان الاتحاد الاشتراكي .

واذا لم يكن هؤلاء الرجال المسؤولون على درجة عالية من الوعي بالامن ، فان كثيرا من الاسرار لا بد ان يتسرب الى العدو .

وبالرغم من الدورات الكثيرة التي أعطيت لكثير من الرجسالم المسؤولين ، وبالرغم من الدوريات ونشرات الامن المستمرة للسلطة التنفيذية ، الا انه كان هناك بعض الثغرات نتيجة الاهمال والانزلاق في الحديث في أمور لا يقدر المسؤول انها قد تضر بالامن .

□ تسرب المعلومات :

ولا تتعارض السرية مع المناقشات الحرة ، فاذا تمت مناقشة موضوع الامن بصراحة بين أعضاء الحكومة والسلطة التشريعية ، فانه يمكن ايجاد طريقة لمنع تسرب سيل جزء كبير من المعلومات التي يحصل عليها الخصم في الوقت الحاضر . قد يحدث تسرب ، ولكنه لن يكون سيلا من المعلومات التي يحصل عليها العدو .

واذا كانت عملية تسرب المعلومات تتم في العادة نتيجة ادارتنا للحكومة بطريقة سافرة ، فان التسرب المتعمد يمكن أن تنسبه الى سوء نية افراد معينين او أفراد من داخل الحكومة . ان هذا النوع من التسرب هو الذي يتم دون ترخيص من المسؤولين . وقد حدث هذا أكثر ما يكون في وزارة الحرية وفي بعض الاحيان في وزارة الخارجية . وهناك حالات يشعر فيها صغار الضباط او كبار الموظفين في الحكومة بأن الصحافة لا تكتب عن أجهزتهم او عن سياستها بطريقة مرضية نتيجة عدم امكان الصحافة والجمهور الحصول على كل الحقائق ، وقد تنجم نتائج خطيرة عن نشر مثل هذه الحقائق دون تحديد الاسرار التي قد ينتفع منها العدو . وكثيرا ما يحدث ان تسرب معلومات خاصة بسياسة الدولة ، او معلومات دبلوماسية عن طريق صغار الموظفين الذين يعترضون على ما يجري ، او عن طريق أجهزة أخرى - عادة العسكرية - سواء من بعض الضباط الصغار او الصحف والجنود .

ويذكر دوجلاس كيتنر حادث تسرب مذكرة خاصة كان راسك وزير

الخارجية قد كتبها لمكنمارا وزير الدفاع في عهد حكومة الرئيس جونسون اقترح فيها راسك انه في حالة هجوم سوفيتي ضخم على اوروبا فان من الممكن مواجهة ذلك بالاسلحة التقليدية . ويقول كيتز : « ان القصة لم تكن تركز على المذكرة ارتكازا مباشرا وانما كانت تركز على تفسير تقدم به احد رجال سلاح الطيران الذي كان يقف موقفا معاديا من وزير الخارجية » .

واضاف كيتز ان عملية التحريات استغرقت ١٠٠٠ ساعة عمل قبل أن تعرف شخصية قائد سلاح الطيران المشتبه في انه تسبب في تسرب قصة مذكرات راسك ، ثم بعدها نفي هذا القائد الى ماكسويل فيلد بالاباما .

اما التسرب الذي يتم نتيجة اهمال ، فهو الذي يتم دون تخطيط ، ويكون مثلا نتيجة حديث شخص دون تعين بتشجيع من صحفي ماكر ، ويستطيع الصحفي عن طريق طرح اسئلة على عدد من الناس أن يضع الاجزاء بعضها الى جانب البعض ليكون منها القصة الحقيقية عتس تطورات ما او عن برامج معينة ، ولكن يصعب معالجة هذا الموضوع من التسرب ، وبخاصة في الديموقراطيات الحرة لان الصحفيين - الذين هم بطريقة مباشرة او غير مباشرة المستفيدون من هذا التسرب - يرفضون الكشف عن مصادرهم ، وعند ذلك يصبح من المستحيل الحصول على ادلة دامغة عن الشخص المذنب او الجماعة المذنبه .

ويقرر آلين دالاس صعوبة منع تسرب المعلومات فيقول :

« واني أشعر بمزيج من الاسف والاسى عندما اعترف انه في سنوات خدمتي في وكالة المخابرات المركزية لم انجح في ايجاد وسيلة مقبولة وعملية للتضييق على جهازنا الحكومي ، او خفض نسبة تسرب المعلومات الحساسة الى عدونا القوي .

« ومع ذلك فمن الممكن تحسين هذا الموقف ، وقد شعرت أن مناقشة صريحة للمشكلة قد تفيد . فللبريطانيين - عن طريق قانون الاسرار الرسمية ، وغيره من الاجراءات المتصلة - نظام قانوني في هذا الميدان أفضل مما لدينا ، وهم في بلاد تقديس وتحمي حرية الصحافة مثلما نفعل نحن . لقد اظهروا أن طريقتهم في استئجار العاملين والاحتفاظ بهم ، يمكن ان يكون مثلاً يحتذى » .

ثم يضيف مبرراً ان ذلك لا يؤثر على حرية الصحافة فيقول :

« وأبدأ فأقول اننا يجب الا نقدم على شيء من شأنه ان يؤثر على حرية الصحافة ، ومع ذلك فلا تعني حرية الصحافة الترخيص الكامل بحيث يضر ذلك بأمننا القومي ، ولم يقصد ذلك قط التعديل الاول للدستور » .

« انني لا أقترح ان نحاول معالجة هذه الناحية من المشكلة الخاصة بالامن عن طريق التشريع ، فيما عدا التقييد في بعض قوانيننا الخاصة بالجاسوسية ، يجب ان تقوم الحكومة بتنظيم دارها عن طريق تحقيق تفاهم بين السلطة التنفيذية وبين الكونجرس وتسعى بعد ذلك للحصول على تعاون الصحافة الاختياري » .

ويقترح دالاس بعض الاجراءات الممكنة فيقول :

« اولاً : يجب ان يقوم الجانب التنفيذي للحكومة - وبخاصة وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ومجتمع المخابرات - بكل ما يمكن لمنع نشر المعلومات ذات القيمة لاعدائنا » .

ثانياً : بعد التشاور مع زعماء الكونجرس والاتفاق معهم يجب ان تتخذ خطوات لتقييد نشر المناقشات الحساسة في مجال أمننا القومي وبخاصة في الميدان العسكري » .

وبعد تنفيذ ما جاء في : اولا وثانيا يجب ان تتم مناقشات هادئة بين مجموعة مختارة من موظفي الحكومة المعنيين ، بذلك مباشرة ، وبين قادة الصحافة ووسائل الاعلام الاخرى كالاذاعة والتلفزيون والصحف الفنية لتحديد مدى الاتفاق المشترك بخصوص تزويد الصحافة بما يكفي لتحريك عجلاتها فيما يتعلق بالموضوعات التي تكون فيها السرية حيوية بالنسبة لامتنا ، وخاصة المواضيع المتصلة بالناحية العسكرية وعمليات المخابرات الحساسة » .

□ النموذج البريطاني :

وقد يكون من المفيد ان نلقي نظرة على ما تفعله بريطانيا حيث تتعاون الصحافة مع الحكومة على أساس اختياري لمنع التورط في افشاء الاسرار العسكرية . وعند اقتراح دراسة هذا النظام يجب أن نضع في أذهاننا أن هذا التعاون بين الصحافة البريطانية والحكومة ، هو نتيجة تطبيق قانون الاسرار السرية - كما سيجيء شرحه بالتفصيل في كتاب الحرب الخفية - ، وانه ليس اختياريا صرفا . وكثيرا ما تستشير الصحف الحكومة لتأكد مما اذا كانت المادة التي تبغي نشرها ليس فيها مخالفة لمستويات الامن .

ويبلغ هذا النظام من العمر أكثر من ستين عاما منذ بدء تنفيذ قانون الاسرار الرسمية الصادر في عام ١٩١١ بالرغم من عدم وجود موافقة قانونية عليه .

ويعمل هذا النظام عن طريق لجنة تتألف من أربعة ممثلين للحكومة هم الرؤساء الدائمون لوزارة الحرب والبحرية ووزارة القوات الجوية ووزارة الطيران مع أحد عشر ممثلا لوسائل الاعلام المختلفة . فاذا كان ثمة موضوع حساس بالامن القومي يحتمل ان يتسرب الى الصحافة فان سكرتير اللجنة يقوم بعقد اجتماع لها وعرض الحقائق ،

فاذا وافق كل اعضاء لجنة الصحافة سمح بالنشر ، وفي الاحوال العاجلة يخول السكرتير باصدار الموافقة على مسؤوليته ، ولكن بموافقة عضوين على الاقل من اعضاء الصحافة . واذا حدث بعد ذلك ان اعترض اعضاء آخرون للصحافة على النشر فانه يمكن سحبه ، ولكن لم ينشأ هذا الموقف منذ ممارسة هذه السلطة العاجلة اللهم الا في الظروف النادرة ، حيث كان الوقت ذا قيمة حيوية ، ونطاق الموضوعات التي تغطيها البيانات هو الموضوعات العسكرية التي يضر نشرها بالصالح القومي ولا تصر الصحافة على تفسير جامد لهذه العملية .

وعلى سبيل المثال فقد تقدمت لجنة برئاسة لورد رادكليف حديثا بتقرير عن مشاكل خاصة بالامن القومي في بريطانيا ، وبحثت موضوع اعلان من الاعلانات ، وجاء تعليق اللجنة يقول : « ان ثمة حالات لم يطبق فيها القانون .. ولكنها كانت حالات عرضية اكثر منها متعمدة . ولم تصر الصحيفة على المضي فيها بعد ان بحث السكرتير الموضوع مع رئيس التحرير المسؤول » . وجاء في التقرير : « ... ان اللجنة قد عاونت الحكومة البريطانية سنة بعد أخرى في اخفاء كمية ضخمة من المعلومات عن الصحف والاذاعة والتلفزيون ، كان يجب أن تظل طبي الخفاء ، لان معرفتها تفيد الدول الاخرى ، وما كان يمكن اخفاؤها الا بهذه الوسيلة » .

□ انتشيع والامن :

وثمة نقطة اخرى متصلة بالبرنامج الذي يستهدف تحسين الاجراءات الخاصة بالامن ، وهي اختلاف قوانين مقاومة الجاسوسية في البلاد المختلفة كما سيجيء في كتاب الحرب الخفية .

ففي الولايات المتحدة مثلاً بذلت محاولات عدة منذ عام ١٩٤٦

— باءت كلها بالاخفاق — عن طريق السلطة التنفيذية لتعديل قانون مكافحة الجاسوسية حتى لا ينتفي الاتهام نتيجة عدم اثبات سوء النية في أن تؤدي المعلومات التي أسىء الكشف عنها أو التي أفشيت الى حكومة أجنبية ، الى الاضرار بالولايات المتحدة • وهذا عمل صعب اثباته فقد استبعد الدليل على سوء النية من القضية الخاصة بالمعلومات عن الطاقة الذرية ، ومن القضية الخاصة بافشاء المعلومات في ميدان المواصلات • وقد أفشيت معلومات كثيرة دون ترخيص بل وأفشيت لحكومات أجنبية ، واعتمد الدفاع على قوله بان المتهم انما فعل ما فعل محاولة منه لمعاونة حكومة الولايات المتحدة عن طريق معاونة حليف لها — وينطبق هذا على السوفييت بعد عام ١٩٤١ • وثمة مشاكل اخرى ذات صلة بالامن في الولايات المتحدة تنشأ نتيجة للتشريع الحالي عندما تحتم الضرورة اثبات ان القضية ذات صلة بالدفاع القومي والامن القومي طبقا لقانون الجاسوسية الحالي •

اما التشريع البريطاني المماثل فيستند الى نظرية الامتيازات ، بمعنى ان كل المعلومات الرسمية هي ملك للتاج ، وان اولئك الذين يتسلمونها بصفة رسمية لا يجوز لهم قانونا ان يكشفوا عنها دون ترخيص من التاج • ان هذه النظرية الخاصة بامتيازات الحكومة في مثل هذه الموضوعات تبدو سليمة • وفي كل بلاد العالم قضايا كثيرة لا يكون من الصالح العام الافشاء في المحكمة بكل التفاصيل الخاصة بالمعلومات السرية التي حصل عليها بطريقة خاطئة او التي نقلت الى الخصم ، وهناك أوقات عندها يصرف النظر عن الاتهام حتى لا تنكشف هذه المعلومات المعينة ، وهناك بعض اشخاص ثبتت ادانتهم بأعمال خطيرة ذات صلة بالامن لم يقدموا للمحاكمة بسبب ان ذلك قد يؤدي الى افشاء اسرار الدولة . ان معرفة بعض الناس ان الدولة لا يحتمل أن تقاضيه في قضايا

جاسوسية تعطيهم تأكيداً بأن في استطاعتهم ارتكاب جرائم صغيرة بأمان طبقاً لقوانين الجاسوسية .

وحتى لو تمكنت الدول من أن تسد الثغرات الموجودة في تشريعاتها الخاصة بالجاسوسية والأمن ، ولو تمكنت كذلك من أن توقف تسليم المعلومات ذات القيمة للعدو ، فستظل أخطار الخيانة البشرية تواجهها ، ونعني بهذا حوادث الهروب ، كما نعني أولئك الذين يفشون الأسرار تحت ضغط أجنبي ، أو تشهير أو من أجل الحصول على المال أو لأسباب أيديولوجية أو لاشباع أنانيتهم وإحلال الأثارة محل الملل . وهنا لا يمكن لعين الحكومة اليقظة في مجتمع حر أن تتخذ الإجراءات الوقائية المناسبة دون اقتتات على حقوق المواطن الفرد . ولسوء الحظ هناك حالات كثيرة في كل بلاد العالم لم تكن عين الحكومة فيها ساهرة تماماً . وغالباً ما يكون الخائن قد تصرف قبل أن تفتن أجهزة الأمن اليه .

وبالإضافة إلى قضايا الجاسوسية قبل الحرب وفي أثناء الحرب كان هناك بيرجيس وماكلين ، هوتون ، فاسال ، بليك في بريطانيا وحديشا كولونيل وينرستروم في السويد ممن خانوا الأمانة .

□ نقط الضعف في الديمقراطيات الغربية :

إن هذه وغيرها من الحالات التي سبق ذكرها توضح نقط الضعف في الديمقراطيات الغربية من جهة حماية أمنها القومي .

ففي بريطانيا مثلاً تقوم وزارة الخارجية ووزارة الدفاع باستئجار العاملين فيها ، ولا تستدعي أجهزة الأمن إلا عندما يتعرض هؤلاء العاملون للخطر ، وعند ذلك يكون قد تم حدوث الضرر ، لقد كان يجب ألا يسمح لبيرجيس أو ماكلين بأن يكون لهما صلة بأمر خاصة . إن أي

استعراض معقول لنشاطهم في السنوات السابقة كان يجب أن يسفر عن طردهما ، وما كان يجب أن يستأجر بيرجيس منذ أول الامر • أما في حالة مارتين وميتشل فانه اذا أطلع أحد على طريقة حياتهما لأدى ذلك الى عمل تحريرات عنهما • كان منزلاهما مثالا للقوضى والكسل • لا بد وان يكون ثمة شيء خاطيء بالنسبة لاشخاص يعيشون بهذه الطريقة •

وثمة نقطة اخرى تستحق النقاش وهي أثر سلوك رجال الحكومة على الامن القومي ومحاولة المنظمات الاجنبية الايقاع بهم •

ففي قضية بروفيومو اكد البرلمان ان الامن - لا الجانب الخلقي - هو الموضوع الاساسي ، وقد عبرت الصحافة عن رأيها بما يفيد انه لا يجب ان تلقى حجارة كثيرة على الاخطاء الجنسية ، وطبقا لهذا قالت احدى الصحف : « اتنا لو فعلنا ذلك لعاشت انجلترا دون رئاسة ودون قيادة » • وأشارت الصحافة الى ان نلسون كان يعيش عيشة فسوق وفجر سافرين ، وان دوق ولنجتون كانت مس هاريت ويلسون - وهم يشبهونها بمس كريستين كيلر - قد طالبت بمبلغ كبير نظير موافقتها على ان تستبعد علاقته بها من مذكراتها - ولكنه رد عليها بقوله : « أنشري ما تشائين وليلعنك الله » • وأشارت الصحافة البريطانية الى ان بعض قادة بريطانيا المحترمين لم يكونوا مثالا يحتذى في السلوك الخلقي •

لكن هذه الموضوعات التي يرويها تاريخ بريطانيا القديم خاصة رجال شجعان تبوؤوا مناصب رفيعة وكانوا مسؤولين امام الشعب عن سلوكهم بصفة عامة ، كذلك حدثت هذه الامور قبل ان تصادف الامم مشكلة المؤامرات الدولية وتجنيد منظمات الخصم للضعفاء والمنحرفين عن طريق التهديد بالتشهير • ولا يمكن ان تكون ظروف القرون الماضية

موجهها نافعاً لنا عند تجنيد العاملين ، والاحتفاظ بهم في ادارات الحكومة
الحساسة اليوم .

والواقع ان مشكلة نقاوة الخلق لدى العاملين هي مشكلة معقدة
جدا ، لانها تتطلب تقييما زمنيا لا تقييما يحدث مرة واحدة ثم ينتهي .
ان الناس الذين تبدو حياتهم وتبدو صفحتهم ناصعة البياض عندما يتم
تعيينهم ، قد يعتريهم بعد سنوات ضعف غريزي قد يكشف وقد لا
يكشف بواسطة أجهزة الامن . ولا يمكن القول ان اختبارات الامن
مهما كانت دقتها ومهما كان عددها كفيلا بأن تبين كل نقط الضعف وأفضل
ما يجب أن نقوم به هو اختبار كامل .

□ مناطق خطرة :

ومن أخطر مناطق البلاد التي تبحث عنها منظمات المخابرات المعادية
هي أجهزة أمن الدولة ، والرجال الذين يحملون الاسرار ، ويعتبر هؤلاء
أولى مجالات أنشطة العدو . وقد يكون مقربا للاذنان ما صرح به
بيرل سميث رئيس المخابرات المركزية الامريكية السابق ، حيث اصاب
الشعب الامريكي في عام ١٩٥٢ بصدمة - في اثناء الحملة الانتخابية
في خريف ذلك العام - قائلا : « باتنا يجب ان نفترض احتمال وجود
عميل سوفيتي داخل المخابرات الامريكية » .

لقد كان محقا في أن يلوح بذلك التحذير ، اذ يجب على الدول ان
تفترض امكان حدوث هذا حتى ولو لم يكن في استطاعتها الكشف
عن هذا المتهم .

ولا نريد ان يعترينا الغرور لنقول ان نجاحنا المعقول في ميدان
الامن في المخابرات العامة ، كان نتيجة تحريات دقيقة عن كل فرد من
الآلاف التي كانت تعمل في الجهاز .

لقد بدأنا بأن استبعدنا من قائمة الموظفين كل الاشخاص الذين عرف ان بهم نقط ضعف في اخلاقهم ، كذلك ذوي الاخلاق غير المتزنة او الاشخاص الذين قد تكون حياتهم المنزلية او حياتهم العائلية غير مستقرة . وهنا اصابنا المخاطر نجاحا معقولا . كما ان قانسون المخاطر يحرم على افرادها الزواج من اجنبيات وهذه نقطة هامة ، حيث يتعامل الزوج مع ادق اسرار الدولة .

□ مكاتب الامن :

وفي بناء حكومتنا هناك مكتب أمن بكل ادارة حساسة تكون مسؤوليته أمن تلك الادارة وتنفيذ تعليمات الامن المستديمة والدورية التي تضعها المخبرات حسب خطة موضوعة ، كما ان من واجبها مهمة التحريات عن الموظفين في المصالح المختلفة ، من وجهة نظر الامن . وتتم هذه العملية عن طريق الاستفسار من رفاق المرشح للوظيفة وجيرانه وغيرهم مما قد يلقي بعض الضوء على اخلاقه . كذلك تقوم هذه المكاتب بمراجعة سجلات خدمته الحكومية ولكنها لا تقرر ما اذا كان هذا الشخص يعين أو لا يعين ، فالمسؤولية النهائية الخاصة بقرارات أمن العاملين تقع على كاهل الادارة التنفيذية التي تستخدمه أو تفصله .

وكل مكتب من مكاتب الامن في الوزارات والمؤسسات يجب ان يستفيد من خبرات المكاتب الاخرى ، ويجب ان يكون هناك بطبيعة الحال تنسيق وتشاور بينهما . ولما كانت الطرق المختلفة قد جربت للقضاء على اية مجازفة خاصة بالامن فان هذه المكاتب تقوم بتبادل الخبرات . وفي بعض الادارات لا يلقون أهمية لاستمرار الخدمة واستمرار الخبرة عند اختيار رئيس قسم الامن . ان فكرة أن يتولى هذا الشخص المعين في وظيفة حساسة لمدة عام او عامين هي فكرة خاطئة . انها عمل الشخص المدرب مهنيا والذي يتوقع أن يمضي فيها مدة طويلة .

□ الامن في المؤسسات خارج الوطن :

وأود أن أضيف كلمة عن الامن في مؤسساتنا خارج « ارض الوطن » هي في الغالب سفاراتنا في جميع انحاء العالم ، او مؤسسات تجارية أو مكاتب استشارية . هذه المنشآت أماكن حساسة ، وإذا قارناها بمنشآت السوفييت والصين لوضح أننا متساهلون . انهم يحاولون قدر الامكان - ان يجعلوا بعثاتهم خارج الستار - وخاصة سفاراتهم - قلاعاً ذات اكتفاء ذاتي فلا يدخلها - اذا استثنينا المناسبات الاجتماعية - الا قليل من الغرباء وهم على قدر الاستطاعة يجعلون موظفيهم يقومون حتى بعمليات ادارة البيت الصغيرة مثل اللحام والسمكرة والكهرباء والاصلاحات الصغيرة وغيرها . وهم نادراً ما يستخدمون عاملاً محلياً خارجياً أو يسمحون له بدخول منشآتهم .

ولقد أدهشني أمر سفارات بعض الدول الكبرى في القاهرة عندما وقع نظري عليها من سنوات قليلة . انها أشبه بقلعة ، يعيش بداخلها أفرادها ، ولا يسمح للأجانب بدخولها الا تحت رقابة شديدة ، ويرفضون استخدام الأجانب ، اذ يقوم أفرادها بكل الامور مثل ما يجري داخل دير منعزل .

ونحن لا نسخر من كل هذه الاحتياطات الخاصة بالامن من جانبها ، ولسنا في حاجة لان نحول سفاراتنا الى قلاع أو أن نجعل داخل مباني السفارة كل موظفينا ، ولكننا في أحوال كثيرة نستخدم في سفاراتنا كثيراً من الموظفين المحليين والسكرتيرات الأجانب ، وهذا شيء يصعب تجنبه ، نتيجة حاجتنا الى بعض الوظائف المعينة التي لا تتوافر في موظفي الخارجية بحيث تغطي أعمالها بكفاءة .

وهذا يتطلب اعداد خطة شاملة للمستقبل لتغطية هذه النقطة ، وأقرب

مثال لذلك حدث في السفارة البريطانية في موسكو في الفترة التي كان فاسال يعمل فيها في مكتب الملحق البحري الذي استخدم رجلا اسمه ميخائيلسكي وهو الذي وصفه تقرير رادكليف على انه عميل من عملاء الجهاز السري الروسي ، وهو الاداة التي استطاع السوفييت بواسطتها السيطرة على فاسال . ويقول التقرير سالف الذكر : « انه كان كمساعد في القسم الاداري للسفارة . وقد أثبت انه مفيد لموظفي السفارة ك مترجم وك عميل محلي لتنظيم بعض الامور مثل الخدم الروسي وتسهيلات السفر وغيرها . وهو بصفته هذه كان ذا أهمية حقيقية في المساهمة في راحة الموظفين البريطانيين وبخاصة في مشكلة اللغة بين الانجليز وبين الروس » . ويعترف تقرير رادكليف ان هذا معناه مجازفة ثابتة في مجال الامن .

□ عدم وضوح مفهوم الامن :

ومما يؤسف له ان مفهوم الامن غير واضح في بلادنا وانه ليعلق في أذهان الكثيرين ان المخابرات مجرد جهاز شرطة أو أداة تنفيذية ، ولا يستطيعون ان يدركوا انه معهد بحث وتقصي بل جهاز حماية للمجتمع من نشاط منظمات العدو ، والواقع انهم معذورون لعدة اسباب :

أولا : ما تفرضه طبيعة العمل من سرية .

ثانيا : ما تحاوله بعض الصحف احيانا من تشويه سمعة المخابرات أو تخريبها .

ثالثا : ما بدا من أن أعماله لا يمكن ان تكشف عنها خشية افادة العدو منها فضاقت أعماله المجيدة وسط زحام الحياة .

ولكن بالرغم من كل ذلك فان مخابراتنا المضادة هي درع أمننا الهجومي والدفاعي ، وهي التي حمت هذا البلد في السنوات الاحدى

عشرة من عام ١٩٥٦/١٩٦٧ من مآسي وانهيارات سياسية وعسكرية واقتصادية •

لقد كان لها الفضل في اكتشاف التسللات العديدة سواء من ناحية اسرائيل أو الشرق والغرب ، ان عدد قضايا التجسس والتخريب وقضايا الامن التي وضعت المخابرات العامة يدها عليها في تلك السنوات يعد مثلاً لم يحدث في تاريخ مصر ولا في أي دولة في المنطقة ، لقد نشر عنها العديد ، كما لم ينشر الكثير محافظة على علاقتنا مع بعض الدول •

ولكنني أرى أن الجهد الشاق الذي بذله رجال المخابرات ، والذين هم بمثابة الجنود المجهولين - في نظري - عمل يستحق التقدير ، وسيسجله التاريخ لهم مهما أخفى اليوم •

ان الجندي المجهول يذل حياته في سبيل مبدأ معين ، ولا يعرف الناس شيئاً عنه ، ولكنه يرمز الى أعظم التضحيات ... ويكفي أولئك الذين يحافظون على أمن بلادهم ان التاريخ سيسجل لهم ما بذلوه من جهد وتضحية وان الوسام الذي يضعه كل منهم على صدره هو راحة الضمير وتقدير الاجيال القادمة لاعمالهم الباهرة رغم انف الكثيرين •

الفصل الثامن عشر



المخابرات والأمن القومي

- التعريف والتنظيم -
- السياسة والدفاع -
- السياسة العسكرية
- العريضة - متطلبات
- الأمن القومي - تحديد
- الموافقة الخارجية -
- المصالح والأهداف
- القومية - التخطيط
- للأمن القومي - النموذج
- البريطاني - تغيير
- تكوين الأمن القومي -

□ تشوش واختلاط :

يصبح لزاما علينا الآن ان نقوم بدراسة مبسطة لموضوع يعد من أهم دعائم المجتمع ، ان لم يكن الدعامة الاولى لرفاهيته ، وهو الامن القومي ودور المخابرات في تكوين استراتيجيته • ومن سوء الطالع بل مما يؤسف له ان اصطلاح الامن القومي بالرغم من شيوع استخدامه بين رجال السياسة والعسكريين والرسميين العرب ، الا انه مشوش الصورة ، غامض المعنى ، حيث يخلط الكثير بين الامن القومي بمعناه العريض وبين مدلول الامن بمعناه الضيق ، والذي أفردنا له الفصل السابق ، وهو يعد جزءا يسيرا من خطة الامن القومي لاي دولة ، التي تشمل جهودا جبارة في جهاز الدولة من اعلى القمة الى أدنى القاعدة •

وكان نتيجة هذا التشوش والاختلاط ان كثيرا من الدول لم تكثرث بتنظيم أمنها القومي بما يتطلبه من تخطيط عميق ، وتنسيق مترابط ، وبمتابعة فعالة ، فكان الاخفاق والخيبة في مواجهتها للتحديات والهجمات السياسية والعسكرية والاقتصادية والنفسية • الخ •

ومن ثم رأيت انه من الضروري أن أخصص هذا الفصل لشرح مفهوم « الامن القومي » ومداه ، ودور المخابرات في خطة الامن القومي ، وهو أيضا نشاط جزئي من عمل ضخم كبير تقوم به الدولة ككل •

على انني رأيت الاقتراب من الموضوع عن طريق دراسة تجربة دولة رائدة في هذا المجال هي الولايات المتحدة الامريكية ، مع بحث العوامل الرئيسية بصفة عامة التي تشكل خطة الامن القومي ، كذا دور المخابرات والوكالات والمؤسسات المعنية التي تسهم فيها •

□ التعريف والتنظيم :

ولكن هل نستطيع ان نضع تعريفا محددا للامن القومي ؟ وهل

يسكن وضع تنظيم معين يصلح لكل الدول مهما اختلفت أنظمتها وعقائدها العسكرية والسياسية والاقتصادية ؟

أما بالنسبة للتساؤل الاول فيمكن ان نقول ان الامن القومي في دولة ما ، هي تلك الجهود الضخمة الجبارة ، السياسية والاقتصادية والعسكرية بل والنفسية .. الخ . التي يبذلها جهاز الدولة ككل ابتداء من رئيس الدولة في القمة الى الجندي في وحدته والعامل في مصنعه والفلاح في حقله .. الخ ، لتحقيق سلامة الدولة ورفاهيتها وهيبتها في المجتمع الدولي ، أو في كلمات موجزة « مجموعة المصالح القومية بدولة ما » .

وبلا جدال لا يمكن وضع تنظيم جامد يصلح لكل دولة او مجتمع ، ذلك ان مؤسسات المجتمع المغلق تختلف عن مؤسسات المجتمع المفتوح ، واسلوب الحكم في الدول ذات الحزب الواحد متباين عن اسلوب الحكم في الدول الديمقراطية ذات الاحزاب المتعددة ، سواء من ناحية الرقابة أو السيطرة ، أو من ناحية المرونة التي تعالج بها المسائل . وعلى أية حال فان المبادئ الأساسية لخطة الامن القومي واحدة ، والاختلاف فقط في التنظيم والتنسيق واسلوب العمل .

وفي معظم الدول المتقدمة وفي مصر أيضا مجلس أمن قومي أو مجلس دفاع وطني ، وليس بينهما اختلاف سوى في التسمية والتنظيم والاسلوب . ولقد تعارفت أغلب الدول على مهامه الرئيسية وواجبه بالوصف التالي :

« ان واجب الامن القومي هو تقديم المشورة الى رئيس الدولة فيما يختص بالسياسة الداخلية ، والاجنبية والعسكرية المتعلقة بالامن القومي ، بحيث يمكن للقوات العسكرية والوزارات والادارات الحكومية الاخرى أن تتعاون تعاونا وثيقا في جميع المسائل المتعلقة بالامن القومي » .

وغالبا ما تشكل هذه المجالس برئاسة رئيس الجمهورية في النظام الرئاسي او برئاسة رئيس الحكومة في النظام البرلماني ، ويضم عددا من المسؤولين عن رسم السياسة في الدولة .

وعلى سبيل المثال يشكل المجلس كالاتي :

- رئيس الجمهورية
- نائب الرئيس
- وزير الخارجية
- وزير الحربية أو قائد عام القوات المسلحة
- رئيس هيئة المخابرات
- مدير التعبئة

على أن هذا التشكيل يمكن ان يضم أعضاء آخرين ، وفقا لنظام الحكم في الدولة . كما ان هذا المجلس ليس من مهامه وضع القرارات النهائية ، ولكن عليه فقط تقديم النصيحة لرئيس الدولة ، كي يستطيع أن يضع قرارات سياسة الامن القومي بكفاءة تامة .

ويتفرع من هذا المجلس لجان فرعية تضم وزراء ووكلاء وزارات مختلفة ، لاعداد الدراسة والبحث والمتابعة في النواحي التي يتطلبها الامن القومي ، منها وزارات الاقتصاد والصناعة والخزانة وأي ادارة أو مصلحة تدخل في عملية التعبئة القومية .

ومن ثم فان مفهوم الامن القومي يشمل مجموعة كبيرة من الاجراءات السياسية والعسكرية والاقتصادية والسيكلوجية والعمل السياسي والامن الداخلي .. الخ .

ولذا يجب أن نفرق بين اصطلاح « الامن القومي » الذي هو مسؤولية « واضعي السياسة » وبين دور المخابرات في هذه العملية

التي تشترك فيها كجزء من ناحية المعلومات والتقييم ، بالإضافة الى النشاط الخاص بالمخابرات المضادة وهو يتعلق بمقاومة نشاط مخابرات العدو وهو ما يطلق عليه مقاومة التجسس .

ومقاومة التجسس هي المرحلة النهائية من الامن ، وهو عبارة عن جميع الاجراءات الوقائية التي تتخذها الدولة للحفاظ على اسرارها ، لاختفاء السياسة القومية والمعلومات العسكرية والعلمية والاقتصادية ، والقرارات الدبلوماسية وغير ذلك من المعلومات ذات الطابع السري والتي تؤثر على أمن الدولة وسلامتها .

ودور المخابرات هنا ليس تنفيذيا ، ولكنه يعتمد على نشر وعي الامن لدى المسؤولين في الوزارات والمؤسسات المختلفة ، كذا بين أفراد الشعب ، أما النواحي التنفيذية فهي من اختصاص الاجهزة البوليسية واجهزة الامن الاخرى .

□ السياسة والدفاع :

ولنحاول الآن أن نعرض في عجلة عناصر خطة الامن القومي . من المسلم به أن السياسة الخارجية لدولة معينة تختص بالدرجة الاولى بعلاقاتها مع الدول الاجنبية ، كذا بالمخاغل السياسية خارج حدود أراضيها . ويختص الدفاع الوطني باعداد القوات المسلحة وتدريبها كي تكون على أهبة الاستعداد لحماية المصالح القومية للدولة .

حقا ان السياسة الخارجية والاستراتيجية العسكرية مرتبطتان كل منهما بالآخرى ارتباطا وثيقا ، ذلك انهما يتجهان بعيدا خارج حدود أرض الوطن ، كما انهما يرتبطان بنوايا الشعوب الاخرى وقدراتها ، وذلك اذا أرادت الدولة أن تمارس نفوذا معينا في المجتمع الدولي .

وغالبا ما نجد ان السياسة الخارجية بخاصة أكثر شمولاً ولو من

الناحية النظرية ، ذلك انها تحتوي على مجموع العلاقات التي تربط الدولة بالدول الاخرى ، ولكن من جهة أخرى فان المنشأة الدفاعية تلعب دورا كبيرا في التأثير على السياسة الخارجية التي تنتهجها الدولة •

وفي هذا العصر الذي يعيش فيه العالم على حافة قلق نفسي مدمر ، ووسط ضغط للاطماع الاستعمارية بأنواعها الحديثة ، أصبح لا مناص من أن نضع السياسة الخارجية والاستراتيجية العسكرية في مرتبة الاسبقية الاولى ، بقصد تحقيق الامن القومي للدولة • ولا يعني ذلك ان نجور على وسائل التنمية والانتاج ، أو نهمل مؤسسات الخدمات ، انما ما نعنيه هو أن تضع الدول نصب أعينها أهمية الامن القومي حينما تخطط استراتيجيتها الكبرى ، جنبا لجنب مع باقي أهدافها الاقتصادية والاجتماعية ، كي تحقق في النهاية الرفاهية المناسبة لشعبها •

□ السياسة العسكرية العريضة :

لا مناص في عصرنا هذا - عصر التكنولوجيا - من اتخاذ احد البديلين الآتين في رسم السياسة العسكرية العريضة : الاول ويكمن في الخطة التقليدية للتسلح التي تتضمن بناء قوة عسكرية شاملة في وقت السلم تعتمد على بناء قوة فعالة تستطيع ان تعبى في وقت الحرب القوات المسلحة اللازمة لمقابلة أي عدوان دون الحاجة للاحتفاظ في وقت السلم بقوات عاملة ذات حجم كبير ، أما الثاني فيكمن في استخدام التقدم العلمي والانجازات التكنولوجية لامداد الدولة بسلاح فعال مدمر ، تستطيع به الدولة أن تمارس نفوذها في المجتمع الدولي •

على انه يجب ان لا نسهو عن مصطلح عسكري يبدو لنا انه استجد في هذا العصر ، مع انه حقيقة ليس بجديد على التاريخ ، ذلك ما يطلق عليه في المعجم العسكري مصطلح « الردع » • لقد استخدم هذا

المصطلح قديما بواسطة الدول الامبريالية في عصر الاستعمار لحماية مصالحها الامبريالية من التدخلات الاجنبية والثورات الوطنية . ولكن من زاوية اخرى نجد ان مجال الردع واحتياجاته كثر اتساعا اليوم مع ان وظيفته ليست بحدیثة على العالم . ويرجع ذلك الى ديناميكية السياسة الدولية المعاصرة . فالمتطلبات المادية الضرورية للتطور ، والقدرة على الاحتفاظ بقوة ردع فعالة ، كذا المطالب الفكرية للتخطيط والتنبؤ بالمواقف التي يحتمل أن تستخدم فيها قوة الردع ، أصبحت من العوامل الجوهرية التي ينبغي ألا تغيب عن بالنا . كما ان العوامل النفسية التي تكمن في ابراز الدولة لآرائها ومناورات المساومة السياسية التي تربط العلاقات بين الدول والتي تتسم بالتعارض والخلاف ، أصبحت تعتمد كلية على قدرات الدولة ، سواء من ناحية الموارد او المؤسسات التي تدير هذه الموارد .

□ متطلبات سياسة الامن القومي :

حقا ان متطلبات أي سياسة أمن قومي قائمة على اساس التوفيق بين مهمة الردع ، ومهمة الاحتفاظ بقوات مسلحة فعالة تكمن في أربعة مطالب :

- أولا : الاحتفاظ بقوة ردع فعالة والعمل على تطويرها .
- ثانيا : اجراءات حكيمة فعالة في اتخاذ القرارات بحيث تتجاوب مباشرة مع تعقيدات السياسة الدولية المعاصرة .
- ثالثا : اتصالات مباشرة مع الدول ذات الشأن لبحث أي أحداث قد تثير الزوابع ، أو لتجنب سوء تقدير التوقعات .
- رابعا : قوة ارادة لدى الساسة والجماهير بحيث تستطيع الدولة أن تعمل بحسبها اذا ما تطلب الامر ، وتتجنب المغامرات اذا تبين لها خطورة ذلك على الامن القومي .

ولكي نستطيع أن تفهم جذور مشاكل السياسة الكبرى فإن أنسب أسلوب هو أن تعرض بعض أهم جوانب مشاكلها التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالامن القومي .

□ جانب المخابرات : تحديد المواقف الخارجية :

يمكن تحديد السياسة الخارجية بأنها نتاج التفاعل بين المصالح والقيم الوطنية وبين وضع دولي معين او منطقة اقليمية تتسم بمميزات معينة . ولذا فإن العامل الحرج في عملية تقرير السياسة الخارجية يكمن في تحديد طبيعة المواقف الخارجية المناسبة . هذا لا يتضمن فقط تقارير وبيانات عن الماضي والحاضر ، بل يجب ان يشمل ايضا تنبؤات عن المستقبل . ومن ثم يصبح دورها هنا الانذار ودق ناقوس الخطر ولقد تحدثنا بالتفصيل في الفصل الثاني عشر من هذا الكتاب عن دور المخابرات في رسم السياسة القومية .

ان الدولة بالضرورة لها مصالحها الوطنية في بقاع كثيرة من أنحاء العالم ، كما انها تتأثر بالاحداث التالية التي تقع في كثير من المناطق ، وفضلا عن ذلك فإن مصالح الدولة تحددها المواقف والاحداث التي تؤثر على مصالح الدولة وسياساتها .

ومن ثم فإن الجانب الخارجي للمخابرات في معادلة السياسة من الصعوبة بمكان ، اذ يتضمن تحديد المواقف المحتمل ان تكون ملائمة للمصالح القومية للدولة ، وعليها بعد ذلك التنبؤ في شكل احتمالي بما ينتظر ان يتطور اليه الموقف .

على اننا يجب ان نقبل الرأي الذي يقدر بأن التنبؤات غالبا ما تكون اكثر صعوبة عن عملية تحديد المواقف التي تحتاج الالتفات اليها . فمثلا فإن تحديد الاحتمالات ونوايا اسرائيل تمثل مطلبا جوهريا في

السياسة المصرية ، بالإضافة الى خلق مشاكل مستمرة أمام مجتمع المخابرات المصري •

وقد يكون من الميسور ان تلم مخابراتنا بمعلومات دقيقة عن اسلحة اسرائيل ، ولكن توقع ما يحتمل ان تحققه اسرائيل من تطور في التسليح في المدى القريب عملية لا تفرض المجازفة ، ذلك ان طبيعة الغموض الذي يكتنف العملية سيؤدي حتما الى بعض المبالغات •

وبالرغم من ذلك فان أصعب أنواع تحليلات المخابرات تلك التي تتعلق بتحليل الاتجاهات السياسية والاقتصادية الراهنة في الدول الاخرى ، كذا الخاصة بتوقع احتمالات تطورها في المستقبل البعيد •

ان الدولة في ممارسة نفوذها السياسي لتحقيق مصالحها القومية ، لا تستغني البتة عن تحليل التوقعات عن سلوك الدول الاخرى في المستقبل ، ولذا فان مظهرا آخر من مهمة المخابرات هو تحليل الاحتمالات المترتبة لردود فعل رجال السياسة ازاء سلوك الدول الاخرى ، سواء كانت صديقة أو معادية • وليس معنى ذلك ان راسمي السياسة ملتزمون بتلك التوقعات ، بل هي مجرد دليل أو مرشد لهم • ذلك ان من يقررون السياسة لهم تحاليلهم الخاصة وتوقعاتهم المدروسة ، وقد أشرنا لذلك في مكان آخر •

ومهما كان الامر ، فانها عملية مخادعة ماهرة يستغل فيها المعرفة والدهاء بدرجة كبيرة ، فمثلا في مشروع الملك حسين الذي أعلنه ازاء قضية فلسطين ، يجب على مخابراتنا ان تحلل احتمالات هذا الموقف • كيف يتصرف الاردن بعد اذاعة المشروع ؟ ما أثر ذلك على الدول العربية عامة ؟ ما هي الاحتمالات المتوقعة من الدول الكبرى ذات المصالح في المنطقة ؟ ما أثر ذلك على اسرائيل ؟ وما سلوك المقاومة ؟ هل سيؤثر ذلك على تطورات القضية بأكملها ؟ وغير ذلك من التساؤلات العديدة التي

أعطينا بعضها على سبيل المثال لا الحصر •

ومع وعورة المسالك التي تواجه مقدري المخابرات القومية ، فانهم بلا جدال يقومون بعمل لا يشكرون على نجاحاته ، ولا يبدو منه غير الاخفاق ، ذلك ان نجاح أنشطة المخابرات يضيع في معمعة الحياة السياسية • ولذا قدر لرجال المخابرات أن يكونوا جنودا مجهولين ، لا ينتشون بفخر الانتصار ، ولكنهم يجرعون كأس الاخفاق •

□ الدوافع : المصالح والاهداف القومية :

ان الباعث لدوافع السياسة الخارجية يرتبط بالمصالح والاغراض القومية التي يمكن ترجمتها بالتالي الى اهداف وسياسات ، والقيام بعمليات معينة ، كذا وضع برامج سياسية مدروسة • كما ان مصادر الدوافع السياسية يمكن اقتفاء آثارها من خلفية الصبر الذي يتصف به الباحثون ، ومن الخيال الخصب الذي يتمتعون به حينما يقومون بعملياتهم الشاقة •

واذا حاولنا التخصيص ، فان الارتباطات والتعهدات السياسية المسبقة ، وحتى منهاج العمل السياسي الذي سبق ان تعهدت به الدولة ، يكمن فيها كلها القوة الدافعة او القصور الذاتي للعمل السياسي •

وغالبا ما نجد في سياسة الدول ان ثمة ارتباطات وتعهدات تبرز واضحة في سياستها الخارجية ، لانها تمس مباشرة مصالحها القومية اكثر من غيرها ، فمثلا نجد ان ارتباطاتنا في قومية المعركة ضد اسرائيل ، كانت تأخذ الاسبقية عن ارتباطاتنا في افريقيا واسيا •

وعادة ما تفسر المصالح القومية بخاصة ، باصطلاحات أساسية مثل الامن القومي ، والرفاهية الاقتصادية ، والحفاظ على المؤسسات الدستورية للدولة •

ولكن وعورة الاختيار لطبيعة المصالح تكمن في حقيقة أن المواقف

والاغراض السياسية ذات الصبغة المعينة يصعب أمامها اختيار السبيل الأمثل . ذلك انه بالرغم من ان ترجمة المصالح القومية الاساسية الى مجموعات أهداف واسعة داخل نظام الدولة لا يسبب مشقة كبيرة ، الا ان بعض هذه المصالح سيتصادم مع صورة السلام ، كما ان مصالح أخرى سوف تتناقض مع سعي المجتمع الدولي في تحقيق الازدهار للدول المحبة للسلام ، والتي تحاول حل مشاكلها بالطرق السلمية دون اللجوء الى القوة .

ان التساؤل العسير الذي قد يجول بذهننا هو كيف يستطيع الانسان أن يسعى الى هذا الحلم السعيد ؟ او بتواضع أقل واقعية ، كيف يمكن للانسان أن يحفظ العالم من الحياة في ضباب القلق والمنازعات ؟

حقا ان ضباب اليوم يجعل مهمة الاختيار من اشق المسائل على واضعي السياسة ، ومن ثم تنشأ الخلافات والمنازعات .

□ اختيارات السياسة :

يمكن تعريف الهدف السياسي بأنه ضرب من المسائل التي ترغب الدولة تحقيقها . كما يمكن ان نقول في سر ان السياسات تمثل قواعد واعمالا .

ومهما قيل في هذا الامر ، ومهما اختلفت الاجتهادات ، فان لكل دولة قواعدها ومعاييرها التي تقودها الى اتخاذ اعمال معينة . وفي واقع الامر فان الدولة اما ان تقوم بمجموعة من الاعمال تبين بوضوح المسائل التي توليها اهتماما اكثر أو بمعنى اخر ما يعنيه من المسائل ، واما ان تقوم بالادلاء ببيانات وأقوال تفسر سلوكها المحتمل تجاه ظروف معينة . وفي الحالتين ، فان الدولة تحاول ان تدعم أهدافها وتبين ما ستقوم به لتحقيق ذلك ، او مدى استعدادها لمتابعة هذه الاهداف .

ولكن المشاكل والتعقيدات تنشأ بطرق مختلفة . فأولا : ان تشعبات

المسائل التي تريدها الدولة لا تكون واضحة بدقة منذ البداية • وفي كثير من الاحيان نجد انها لا تكون واضحة تماما في اذهان صانعي السياسة • ومهما كان الامر ، فان هناك ظروفًا كثيرة تكون فيها الاهداف السياسية غامضة حيث لا يمكن حصرها بسهولة ، او ادراك متطلباتها والمؤثرات الخارجية والداخلية التي قد تؤثر على تحقيقها • وفي ظروف أخرى يصعب تمييز الالتباسات التي تحيط بها •

فاذا ما قامت السياسات والبرامج على ارض غير صلبة ، وغير واضحة ، فانه لا مناص من مشاكل جمة تنجم حينما يقوم واضعو السياسة بتقرير المسالك التي يتبعونها ، او حينما يقومون بتقدير نتائج قراراتهم والاعباء التي ستحملها الدولة نتيجة لهذه القرارات • ان المشكلة الاساسية هنا تكمن في عملية قيام المتخصصين بترجمة السياسات الى برامج تفصيلية •

□ التخطيط للامن القومي :

بعد هذه الدراسة القصيرة لعناصر الامن القومي والمشاكل التي تواجه واضعي السياسة ، يصبح من الضروري ان بأسلوب التخطيط ، ولما كانت للولايات المتحدة الامريكية تجربة رائدة في هذا المجال فالتا سوف نقتفي أثر التطورات التي حدثت بالولايات المتحدة كي تقوم باجراء تغيير شامل في اسلوب اتخاذ القرارات الكبرى المتعلقة بأمنها الوطني ، مشيرين في ايجاز لما قامت به بريطانيا في الفترة السابقة لهذه التجربة •

جاءت بداية هذه الثورة التنظيمية في ختام عام ١٩٤٣ بعد ان تكشف للمسؤولين القصور الواضح في اتخاذ القرارات خلال الحرب العالمية الثانية ، فحينما دخلت الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية ، انزلت الدولة فيما يمكن تسميته « دكتاتورية الرئاسة » • فموجب هذه الدكتاتورية وجد « هل » وزير الخارجية الامريكية نفسه في منأى عن السياسات العليا والمجالس الاستراتيجية ، وربما كان هذا الوضع

هو التغيير الواضح الذي أجري بعد ذلك في أسلوب الحكومة الأمريكية .

ففي كثير من القرارات الاستراتيجية الهامة كان « هل » وزير الخارجية ينتحي جانبا ، بينما كان يعمل الرئيس روزفلت ملتصقا بمجموعة صغيرة رسمية تشكل ما كان يطلق عليه « مجلس الحرب » ، وكانت هذه المجموعة تخدم كرئاسة أركان حرب للقوات الثلاثة البحرية والطيران والجيش . كان تحقيق النصر بالحاق الهزيمة بالعدو هو الهدف الاساسي للسياسة القومية الأمريكية ، بالإضافة الى تفكير بسيط كرس لبعض الاهداف الابعد مدى ، وذلك بعد ان يتحقق الهدف المباشر وهو النصر . ولم يكن لوزارة الخارجية الأمريكية حتى نهاية الحرب سوى نفوذ ضئيل في تشكيل الاستراتيجية القومية وتنفيذها .

وفي بادىء الامر ، نتج عن هذا الاسلوب فراغ سياسي خطير ، اذ كان العسكريون نتيجة تدريبهم وخبرتهم يتسمون بالصمت بل بالامتناع عن التدخل حينما تواجههم الشؤون السياسية . وكانت التعاليم التقليدية بالرغم من وجهات النظر السفسطائية التي كانت تناقش في كليات الحرب — قد غرست في نفوس الضباط عقيدة ان العوامل السياسية والعسكرية مركبات منفصلة في السياسات القومية . وكان دستورهم هو :

« على الجيش حينما يطلب منه الاجابة ، أن يقدم المشورة عن طريق تحقيق الجيش للاهداف العسكرية ، وليس من شأنه ان يؤثر على القرارات السياسية التي تحدد ما يمكن القيام به » .

وفي باكورة الحرب العالمية الثانية شجع الرئيس روزفلت وجهة النظر هذه ، وذلك بأن وضع للقادة العسكريين بأن غرضه هو الحاق الهزيمة بالعدو باستخدام الوسائل العسكرية . ولكن حينما فتحت القوات

الامريكية فيما وراء البحار ، تيقن القادة بأن كل تحرك عسكري ضخم
يشير مشاكل سياسية جمة .

وتحرك القادة العسكريون في الولايات المتحدة للعمل وفي اذهانهم
يقين بأن ضباط الاركان الانجليز يفضلونهم ، لان حكومتهم تقدم اليهم
النصح والتوجيه في المسائل السياسية . ويبدو ان البريطانيين كانت لديهم
سياسة قومية مترابطة ، ويمتلكون نظاما أفضل للربط بين الزعماء السياسيين
والقادة العسكريين .

وعلى النقيض ، كان الفيض الكبير من المعلومات الاستراتيجية الذي
يخرج من مكتب الرئيس الامريكي او ينهل عليه أمرا مزعجا للغاية ، ففي
أكثر من مرة ، قام الرئيس روزفلت بارسال رسائل عسكرية خطيرة ومتشعبة
الى كل من تشرشل وستالين ، دون ابلاغ رؤساء أركان الحرب . وفي
بعض الاحيان كان يتشاور مع قادته العسكريين بينما يترك وزارتي الحرب
والبحرية في ظلام دامس .

وبالرغم من محاولات قادة القوات المسلحة سد ثغرة المعلومات هذه
عن طريق وسائل غير رسمية ، وذلك باختراق الحصار داخل الحكومة ،
الا ان ثمة قرارات حيوية — مثل حملة شمال افريقيا عام ١٩٤٢ — اتخذها
الرئيس روزفلت دون استشارة القادة العسكريين .

ولكن في ختام عام ١٩٤٣ حدث تطور كبير في المشورة السياسية —
العسكرية ، ذلك انه بعد عقد مؤتمر وزراء خارجية الحلفاء في موسكو ،
قامت كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والاتحاد السوفيتي
بتشكيل لجنة استشارية ووضع اعضاء الوفد الامريكي بها تحت رئاسة
وزارة الخارجية الامريكية .

وفيما بعد قامت رئاسة اركان حرب المشتركة الامريكية في منتصف

عام ١٩٤٤ بتشكيل اجنتها المشتركة لادارة الحرب ، وأدى ذلك الى ازدياد تعقد أداة التخطيط ، وبدا واضحا فيما بعد انه لا مفر من انشاء لجنة تنسيق أكثر فعالية ، فأنشئت لجنة تنسيق بوزارات الخارجية والحرب والبحرية .

والواقع ان هذه اللجنة كانت السلف الحقيقي لمجلس الامن القومي الذي أنشيء فيما بعد عام ١٩٤٧ .

وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية حاولت الولايات المتحدة أن تستفيد من هذا الخطأ ، ويبدو ان اهم درس خرجت به الدولة هو اكتشاف الحاجة الملحة الى تكوين مؤسسة لربط العوامل السياسية والعسكرية في سياسة قومية واحدة ، كذا لملاءمة القوى القومية مع الغرض القومي للدولة ، وذلك في نطاق الهيكل الحكومي المكون من مؤسسات دستورية مسئولة تلبي فورا ما يطلب منها .

□ النموذج البريطاني :

ويبدو انه في غمار محاولات انشاء هذه المؤسسات ، بذ البريطانيون الولايات المتحدة في اختيار النموذج الامثل ، لقد قام البريطانيون بحل مشكلة التنسيق بين السياسة والحرب مبكرا عن الولايات المتحدة. بفترة بعيدة ، وساعدهم في ذلك انفجارهم في امبراطورية عالمية واسعة ، بالاضافة الى موقع بلادهم الجغرافي الدولي . ففي عام ١٩٠٤ أنشأ البريطانيون « لجنة الدفاع الامبراطوري » على أساس تصور أن سياسة الدفاع يجب أن يشترك فيها كل من ادارة الحرب والادميرالية ، وبعض القادة السياسيين من الحكومة .

كانت عضوية هذه اللجنة التي يرأسها رئيس الوزراء مرنة للغاية . وكان اعضاؤها أساسا عسكريين ، ولكن الولايات المتحدة طورت من هذه

اللجنة بما يتمشى مع ظروفها ، ففي غمار الابحاث لمواءمة هذه الفكرة مع احتياجات الولايات المتحدة ، وضع في الحسبان الاختلاف البين بين النظام الامريكي والنظام البريطاني . كان أهم هذه الاختلافات تشكيل الحكومة في كل منهما ، فيما تقوم في بريطانيا حكومة برلمانية ، تباشر السلطة في الولايات المتحدة حكومة رئاسية . ففي الولايات المتحدة نجد ان السياسة ومصادر القوة منفصلتان ، ويرى البعض ان كلا منهما تضطرب بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية ، ومن ثم فان هيئة رئيس الجمهورية كان لا يمكن بل لم يكن في استطاعتها أن تتحمل طابع المسؤولية المشتركة التي كانت تتمتع بها الحكومة البريطانية . ومن ثم نشأ الدافع الذي أدى الى تشكيل مجلس الامن القومي .

□ توحيد الفرد والسياسة ومصادر القوى - مجلس الدفاع :

كتب دين راسك قبل أن يصبح وزيرا للخارجية الامريكية ما يلي :
« ان ادارات الحكومة ووكالاتها تختص كل منها بجزء يرتبط بكل شامل . وينبغي على الرئيس الذي تعاونه هيئة « بيته الابيض » ومكتبه التنفيذي ، ان يقوم بصياغة الاجزاء في جهد قومي فعال . وهو لا يأمل ان يحقق تماسكا متينا في قيادة شعب مختلف قوي العزيمة يهتم بالمصالح المتنازعة والامال ، ولكن يمكنه أن يحقق تماسكا سياسيا عريضا في الاتجاهات الرئيسية للحركة ، وان يحد من الاسراف والاختفاق اللذين يحدثان ، حينما تقوم يد بتدمير ما تحاول اخرى ان تشيده بعزم ومثابرة » .

وان كان رأي راسك قد جاء في تاريخ لاحق ، الا انه يعبر عن الخلفية التي انشئ على أساسها مجلس الامن القومي الحالي في واشنطن ، كذا تكويناته الفرعية التي بدأت مع عملية التنسيق الآلي للحكومة خلال الحرب العالمية الثانية . ولقد انشئ المجلس القومي عام ١٩٤٧ .

كتجسيد لآمال لاحت ايام الحرب ، بأن الغرض القومي والسياسة :
ومصادر القوى يجب ان ترتبط بطريقة أفضل ، وان يتم التنسيق بينها
باستخدام ادوات السياسة الخارجية الامريكية .

ومن ثم كان مجلس الحرب البريطاني نموذجا لهذا التنظيم . كما
ان دروس الهجوم الخاطف على بيرل هاربر ، والقصور في التنسيق بين
السياسة والشئون العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية كان جزءا من
مشروع ضخم لتحقيق الترابط ، بالرغم من ان اللائحة التي أنشأت هذا
المشروع كانت بمثابة تسوية تبعت من الخلافات المريعة التي ظهرت عند
توحيد القوات المسلحة الامريكية .

وبعد التحقق من الحاجة الى تطوير هذا المجال ، قام فرديناند
آير ستادت بتقديم تقرير عام ١٩٤٥ الى جيمس فورستال وزير البحرية
الامريكية عن طبيعة تنظيم الامن القومي في فترة ما بعد الحرب .
فاقترح في بادىء الامر انشاء مجلس امن قومي . وكما تصوره مستر آير
ستادت ، فان مجلس الامن القومي سوف يربط بين السياسات العسكرية
والداخلية والخارجية من خلال عضوية تضم وزراء الحرب والبحرية
والطيران ورئيس هيئة رؤساء اركان الحرب المشتركة والرئيس الامريكي .
وكان على المجلس ان يقوم بدور تشكيل السياسة ، ودور استشاري .
متضمنا المشورة على الميزانية العسكرية المشتركة ، وجاء بالاقتراح انشاء
وكالة مخبرات مركزية ، توضع تحت القيادة المباشرة لمجلس الامن
القومي ، كما اقترح امداد المجلس بسكرتارية دائمة .

وادخل الرئيس ترومان الاساسيات الجوهرية في اقتراحات
« ايرستادت » الخاصة بالتنظيم الجديد للامن القومي في تشريع ، أصبح
فيما بعد يعرف باسم قانون الامن القومي لعام ١٩٤٧ ، ولهم يد الاقل
القليل من المعارضة ازاء الموافقة عليه ، كما تمت الموافقة عليه من ناحية
تشكيله .

وبالرغم من ان عضوية مجلس الامن القومي قد تغيرت بين حين وآخر ، الا ان وظائفه القانونية ظلت على ما هي عليه منذ انشائه ، ويبين قانون الامن القومي الامريكي هذه الوظائف كما يلي :

« ان وظيفة المجلس سوف تكون اعطاء المشورة الى الرئيس فيما يتعلق بتكامل السياسات الداخلية والخارجية والعسكرية المرتبطة بالامن القومي ، كي تمكن الادارات العسكرية والمصالح والوكالات الحكومية الاخرى من التعاون بفعالية في المسائل المتعلقة بالامن القومي . وعليه ان يقوم بتحليل وتقييم الاهداف والارتباطات السياسية ، وتوضيح المخاطر التي تتعرض لها الولايات المتحدة بالنسبة لقدرتها العسكرية الحقيقية » .

كانت الفترة من عام ١٩٥٣/٤٧ احدى فترات نشأته ونموه البطيء ولقد أقر الرئيس ترومان وظيفة المجلس ، وتكفل بتطويره ، واستخدمه في تطوير بعض أهم سياساته الخارجية . ومع ذلك فان ترومان لم يحضر سوى اجتماعات قليلة للمجلس ، ولم يأخذ بمشورة المجلس ، فدفع الولايات المتحدة الى حرب كوريا . وقام الرئيس ايزنهاور بعد انتخابه باعادة تشكيل التكوين الآلي لمجلس الامن القومي أساسا ، بادخال اضافات مساعدة الى تكوينه .

وفيما بين وقت انشائه والوقت الحاضر ، اجريت دراسات كثيرة على مجلس الامن القومي . وفي ايجاز ، فقد لخصت نقاط النقد التي وجهت الى انجازاته في الآتي :

« لقد بدأ مجلس الامن القومي قاصرا في تخطيط السياسة بعيدة المدى وفي توقع التطورات . كما ان المجلس بدلا من العمل بنشاط على حل المنازعات التي تنشأ بين قطاعات الحكومة ، اكتفى بأن عمل دائما كحكم

لعبة رياضية • ومن ثم ، فإذاي قرار سياسي كان يتخذ ، لا يجد الوسائل التي تؤكد ممارسته بالاسلوب المعني • ولم يتم المجلس بأكثر من تعيين واجب لأحدى الإدارات أو الوكالات المعنية لتنفيذ القرار » .

ولتصحيح هذا القصور الأبدى ، تقرر إنشاء لجنة تنسيق العمليات • وكانت هذه اللجنة تحتل مركزا تابعا لمجلس الأمن القومي ، كما عملت تحت رئاسة وزير الخارجية • وكانت لجنة التنسيق تتكون من ممثلين عن الإدارات والوكالات التي كانت تقوم بمهام في مجال الأمن القومي — فيما عدا رئيسها الذي كان مساعدا خاصا لرئيس الجمهورية • ولمعاونة لجنة التنسيق في القيام بوظائفها ، شكلت مجموعة مساعدين ومجموعة عمل ، كل منها يختص بعمل معين وتتكون من أفراد بارزين يمثلون الوكالات التي تعمل في خدمة المجلس ، ولم يكن هناك عضو واحد من هيئة الرئاسة مسؤولا عن تنفيذ سياسة الأمن القومي • لقد كان تنسيق العمليات ذا طابع معاون ، وكان يفقر لسلطة التوجيه • ولقد يئس ذلك روبرت كاتلر بقوله :

« ان اللجنة كانت بمثابة مشغل ومنسق تقوم بعملية التوقع والمتابعة •••• ويتكون أعضاؤها من وكيل وزارة الخارجية ووكيل وزارة الدفاع ، ومدير المخابرات المركزية وآخرين معينين • ان جميع هؤلاء لا يتمتعون بأي سلطة فردية أو جماعية ، كي يفرضوا آراءهم على الرئيس وأعضاء حكومته المسؤولين • وهكذا فان لجنة تنسيق العمليات يمكنها أن تعاون وتتابع وتبلغ ، ولكنها لا تستطيع انتهاج سياسة أخرى ، أو تغيير آخر » •

وخلال عامي ٥٩ و ١٩٦٠ ، قامت لجنة مجلس الشيوخ الخاصة بمراقبة عمليات الحكومة ، وكان السناتور هنري جاكسون يرأس لجنتها الفرعية الخاصة بإدارة السياسة القومية ، فقام بقيادة حملة إعادة نظر

واسعة ازاء فعالية تنظيمات وضع السياسة في الولايات المتحدة • وفي تقارير عدة ، قام السناتور هنري جاكسون بحث حكومة كنيدي على اعادة مراجعة تكوين مجلس الامن القومي بقوله :

« ان قيمة المجلس الحقيقية للرئيس تكمن في أنه بمثابة ساحة اجتماع ، حيث يستطيع هو وعدد صغير من مستشاريه في القمة ، ان يحصلوا على الفة فكرية وادراك متبادل يعتمد عليهما التنسيق السليم ، فاذا ما نظر اليه بوجهة النظر هذه ، فان المجلس يعد مكانا يمكن للرئيس ان يتسلم فيه من رؤساء الوكالات والادارات ، عرضا كاملا للتبادلات السياسية الميسورة له ، وبدوره يعطي لهم توجيهها حاسما للعمل » •

□ تغيرات في تكوين الامن القومي :

مع احتفاظ بوجهة النظر الخاصة هذه ، فان تركيب مجلس الامن القومي ووظائفه ، قد أقرته اساسا حكومة كنيدي بعد مجيء الرئيس كنيدي الى الحكم • ولكن توقفت لجنة تنسيق العمليات ، المفروض انها كانت تقوم بتنسيق الانجاز السياسي • كما ان لجنة تخطيط مجلس الامن القومي - وهي وكالة كانت تنسق بين المصالح والادارات توقفت عن العمل بعد بداية العهد الجديد • ونتيجة لهذه التغيرات ، فان وزارة الخارجية تكفلت بمسئولية تنسيق السياسة الخارجية مع الوزارات الاخرى ، متضمنة وزارة الدفاع ، في المسائل التي ترى وزارة الخارجية انها ضرورية • وفي كلمات اخرى ، فان التنظيم نقل الى وزارة الخارجية كي يضمن تنسيق استراتيجية الحرب الساخنة وتخطيط سياسة الحرب الباردة » •

كما أن مساعدا خاصا للرئيس في مسائل مجلس الامن القومي ، وهيئته الصغيرة تكفلا بمراقبة تنفيذ السياسة • وبالإضافة الى ذلك فقد وجه اهتمام اكبر الى التعليمات التي ترسل للسفراء فيما وراء البحار •

ويقتنع البعض بان الاداة الرسمية لمعالجة مسائل الامن القومي التي قام بالغائها الرئيس كنيدي ، لم تعمل بكفاءة نتيجة الوضع القيادي لوزارة الخارجية ، واهتمامها بتحقيق سيادتها على السياسة الخارجية . ان مشاعر وزارة الخارجية ازاء تطفل خمس وكالات او اكثر ، في تقرير التوجيه السياسي الذي يخرج لميادين العمل ، كانت واضحة في مجموعة العمل الخاصة بلجنة تنسيق العمليات - وهي مجموعات نوعية تشكل من بين الوكالات ويصل عدد افرادها الى المائة ، ويرأسها خير في الدولة الهدف من وزارة الخارجية الامريكية .

لقد كانت وزارة الخارجية تراقب المسائل الخارجية من الخارج خلال الحرب العالمية الثانية ، وفي الفترة التي تلتها مباشرة . وكان اي فكر سياسي بعيد المدى يجيء الى الجبهة يخضع لاعتبارات عسكرية في هذا الوقت الحرج . وبعد عام ١٩٤٧ فان انشاء اللجان التي تشكلها خمس وكالات او اكثر جعل كلا منها تحاول التأثير على السياسة القومية فيما يختص بالمسائل الخارجية ، من زاوية مصالح الوكالات .

ولكن وزارة الخارجية بتكفلها مسئولية ادارة المسائل الخارجية ، حملت على عاتقها مسئولية ضخمة في تشكيل السياسة ، وتنسيق انجازاتها . ومع ذلك ، فان المسائل التي كانت تتضمنها الوكالات ، كانت أقل مجالا للنقاش عن تلك التي تتضمن استخدام القوة العسكرية . ان الواجب الاساسي للدبلوماسي هو المحافظة على السلام من خلال الاغراء والاقناع . ولقد كتب بنيامين فرانكلين بصراحة عن وسائل امالة الاعداء نحو السلام فقال :

« ان الحروب مهما اديرت ودبرت بحكمة لا تنجح دائما
فشعب الشمال كان في كثير من الحالات ، اكثر يسرا للسيطرة عليه وتحويله ، باستخدام المهارة اكثر من استخدام القوة . ومن ثم ،

التي تفتقد في ظروف الحرب ، يمكنهما استعادة هذا الامل فاذا
فهناك الامل دائما ، بان الادارة الماهرة والمشورة العاملة ، وهما من المزايا
ما تغيرت عقول الاعداء ، فانهم قد يسلمون عن رغبة ودون مقابل ، بما
استطاع قدر كبير من الذهب ان يحققه في ظروف نادرة » .

ان واجب الجندي بالمقارنة ، هو المحافظة على السلام بجعل الحرب
تبدو غير جذابة للاعداء المعنيين . ومن الواضح ، ان دوري رجل السياسة
والجندي لهما نفس الهدف - الامن القومي . ولقد تم اقرار هذه
الحقيقة رسميا عام ١٩٤٧ ، بانشاء مجلس الامن القومي .

ومن الناحية الرسمية ، دخلت وزارة الدفاع آليا وبنشاط في عملية
تشكيل سياسة الامن القومي من خلال لجنة تخطيط مجلس الامن القومي .
وكانت نتيجة تغييرات عام ١٩٦١ التي ألغت لجنة تخطيط مجلس الامن
القومي ، قد حطت من شأن وزارة الدفاع ، او الوضع العسكري ، وذلك
في سباق تطوير الاستراتيجية القومية .

ومع ذلك ، فنتيجة لطبيعة الحرب الباردة الخاصة ، فانها لم تستطع
ان تكون من اختصاص وزارة واحدة . ذلك ان الحرب تتضمن اشياء
كثيرة . انها معركة دبلوماسية ، قد تملي فيها كرامة البلاد الصغيرة
وحساسيتها وزهوها القومي ، سبيل الانحياز الى المعسكر الغربي او
الكتلة الشيوعية . ان الدبلوماسية والمفاوضات تلعب دورا كبيرا في
المعركة للمحافظة على هبة كل معسكر في أعين الشعوب الاخرى .

ان الحرب الباردة صراع قوة . ولقد أوقفت القوات المسلحة
الشيوعية في اوروبا ، ليس عن طريق المفاوضات الدبلوماسية ، ولكن
فقط نتيجة مواجهة الجندي الشيوعي بجندي امريكي يجلس على مدفع
دبابة ثقيل ، او نتيجة مواجهة جندي بريطاني يجلس في خندق بنقطة
ملاحظة امامية ويتصل بمواصلات جيدة بمراكز اطلاق نيران يعمل اربع

عشرة ساعة يوميا بالتعاون مع المدفعية الامريكية التقليدية او النووية ،
ويساند هذا كله شبكة من الصواريخ النووية عابرة القارات •

كما ان الحرب الباردة معركة اقتصادية يتصارع فيها نظامان اقتصاديان
رئيسيان ، صراع حياة او موت ، وهما في سبيل ذلك يتنافسان في مجال
الاتساج •

كذلك فان الحرب الباردة معركة ايديولوجية توجه الى عقول
الرجال ، فعلى سبيل المثال ، قررت الولايات المتحدة في الحرب الكورية أن
اعادة أسرى الحرب الصينيين والكوريين الشماليين رغما عن رغبتهم ،
بعد طعنة نفسية لمبادئ العالم الحر • وبالإضافة الى ذلك ، فقد اعتقد
الامريكيون انه لو اعطي لهؤلاء الأسرى حرية الاختيار ، فان اعدادا
ضخمة منها سوف ترفض العودة الى اوطانها • ولسوف يكون هذا الرفض
ضربة قاسية للهيبة الشيوعية ••••• ضربة سوف يكون لها أثرها داخل
الكتلة الشيوعية • ولقد اختار ما يقل عن ٢٣٠٠٠ جندي شيوعي سبيل
عدم العودة الى اوطانهم • كما ان اعدادا ضخمة من أسرى الحرب التي
كانت تقيم في « تايوان » ارسلت فورا مجموعات تمثلها لزيارة المجتمعات
الصينية فيما وراء البحار في جنوب شرق آسيا ، كي تتحدث عن قصة
معاناتهم في ظل الشيوعية • ومن ناحية اخرى ، فان واحدا وعشرين أسير
حرب امريكي فقط اختاروا عدم العودة الى الولايات المتحدة •

كان التعاون بين وزارتي الخارجية والدفاع غير ناجح دائما • وحقيقة،
فان مشكلة تنظيمية رئيسية للحرب الباردة في الولايات المتحدة يختلف
تصورها بين يوم وآخر اثناء مناقشة وادارة المسائل الخارجية ، وهي
مشكلة وجدت منذ زمن بعيد بين وزارة الخارجية والدفاع • ذلك أنه
تخامر كلا منهما وجهات نظر متباينة واسعة عن كيفية معالجة الازمات
الناشئة • فوزارة الدفاع كانت تدفع دائما لعمل تخطيط اكثر لمواجهة

توقعات المستقبل ، بينما تفضل وزارة الخارجية ان تتصرف وفقا للاحداث .
ومرة اخرى ، فان وزارة الدفاع ، باسم القادة العسكريين في الخارج ،
تسأل وزارة الخارجية التوجيه للعمل الايجابي اذا ما نشأ هذا الموقف
او ذاك ، ولكن وزارة الخارجية تتردد في أن تسمح لنفسها أن تجر الى
ما تشعر بأنها قرارات سياسة غير ناضجة .

على ان هناك ايضا اختلافات واضحة ايضا بين الافراد الذين يديرون
الوزارتين ، في الخلفية والتدريب وطرق العمل . ذلك أن قيمة سامية
ترتبط بقدرة رجال وزارة الخارجية في المناقشة والجدل ، وفي ممارستهم
تكتيك التأثير على الناس ، وفي فن وثائق التفاوض ، بينما المعيار الذي
يستخدم في تقرير الامور العسكرية ، التي تتطلب نشاطات عملية
راسخة ، يعتمد على المقدرة في الحصول على نتائج أو بعض اشكال
العمل .

ان الرجل العسكري ملول دائما باقترب الدبلوماسي الحذر الى
التوصيات العسكرية ، للحث على أهداف الامن القومي التي تتضمن
وكالات حكومية أخرى .

كما ان فلسفة كل من هذين النقيضين وتدريبه ومناخه أقطاب
متنافرة . فليس احدهما « العقل المدبر والآخر القوة المنفذة » . ان الذين
يعملون في مجال الامن القومي رجال قادرين بحق على وضع الاعتبارات
القومية في المقام الاول ، اذا كانت البيئة التي يعملون فيها تسمح لهم
بذلك . واذا ما ظلوا قادرين على ان يستمروا مخلصين لمصالح الوزارات
والوكالات التي يتبعونها مباشرة .

ومع ذلك فان الدبلوماسيين الغربيين ، يتمسكون بوجهة النظر
التقليدية التي تقول بأن المفاوضات - حتى مع الشيوعيين - يمكن أن
تؤدي الى تسوية ووافق . وهم يظنون أن الشعب الديمقراطي يتوقع من

قاداته ان يذلوها جهودا بارعة للتفاوض كي يقوموا بتسوية الخلافات • ويركز الشيوعيون على هذه الاتجاهات الغربية • على سبيل المثال ، فان معظم الرجال العسكريين في الغرب ، يظنون ان مفاوضات وقف التجارب النووية ، ونزع السلاح التام ، مناورات عمل سياسي سوفيتي ، هدفها استغلال مثل هذه التوقعات الغربية ، وهي مناورة صممت للعمل على تقسيم وحدة الصف في الغرب • وعلى سبيل المثال ، ففي احداث عام ١٩٦٢ ، فان كثيرا من رجال وزارة الخارجية الامريكية تبنا فكرة أن تقوم الولايات المتحدة بالمزايدة على السوفييت ، وذلك عن طريق الحث على نوع ما من نزع السلاح العام الكامل • لقد اخذ كثير من الرجال العسكريين في الولايات المتحدة تصريحات خروشوف بأنه يعني استخدام نزع السلاح كوسيلة للحط من قوة الغرب العسكرية عن قيمتها الحقيقية ، ونظروا الى مخططة نظرة ارتياب وشك • ان هذه الاعتبارات وضحت صعوبة تقارب وجهات النظر بينها ، وعمقت هوة واسعة من الخلاف •

ولقد تغلب الامريكيون على مشكلة الخلافات بين وزارتي الدفاع والخارجية ، بان هياؤا الفرصة للدبلوماسيين والعسكريين بالتعرف على بعضهم البعض من خلال اتصالات عمل يومية ، او عن طريق حضور دورات كلية الحرب القومية او كليات الحرب الاخرى • ولقد بين هذا قيمة تدريب الافراد الحكوميين في الحروب الخاصة بالاشتراك مع الموضوعات الاخرى المرتبطة بها • ان الهدف ينبغي أن يطور بيئة عملية حيث يمكنهم تنفيذ الاشياء معا من خلالها •

□ دور وزارة الخارجية :

المفروض ان وزارة الخارجية هي التي تضع سياسة الدولة ، فتقوم بالتنسيق مع الوزارات الاخرى فيما يتعلق بتشكيل السياسة الخارجية ،

متضمنا ذلك وزارة الدفاع ، وذلك بالنسبة للمواضيع التي ترى وزارة الخارجية ان التنسيق ضروري لها .

وفي عام ١٩٦٠ ، لاحظت حكومة الولايات المتحدة طغيان سلطة وزارة الخارجية في وظيفتها التنسيقية فأجرت بعض التغييرات التنظيمية ، كي تحد من هذا الطغيان المتزايد . فقامت بإنشاء مركز جديد او مركز عمليات ، اطلق عليه اسم كنائي هو « غرفة التسلية » « Rumps Room » او « البيت المسدل » « Flap Hose » ولقد أمد هذا المركز وزارة الخارجية بأداة لمتابعة عمل الحكومة المتسع في ميدان المسائل الخارجية ، كذا لاجراء تحليلات المعلومات للوكالات المعنية التي تبرز مشاكل السياسة الخارجية ومناطق الازمات المحتملة .

وتم تعزيز مكتب العمليات بهيئة فنية ، وذلك حينما قام افراد من وزارة الدفاع ، ووكالة المخابرات المركزية ، ووكالة المعلومات الاستراتيجية ، وهم جميعا اعضاء في مركز العمليات ، بالعمل رسميا مع رجال الوزارات المعنية .

كان هذا الاجراء تنظيما تقديميا نافعا داخل وزارة الخارجية . ولكنه لم يكن مع ذلك مركز رئاسة على مستوى عال يستطيع ان يدير مسائل الامن القومي . وفي الواقع كان هناك عدد من الاسباب التي أدت الى التخلي عن مركز العمليات في يناير عام ١٩٦٢ .

ولقد قام جون فوستر دالاس كوزير للخارجية الامريكية ، بإنشاء نموذج دبلوماسية قابل للتغيير ، وقد تابع خلفاؤه هذا الاسلوب فيما بعد . وعلى سبيل المثال ، فان دين راسك وزير الخارجية الامريكية كان في ستة الشهور الاولى من اضطراله بمسئوليته يقضي نصف وقته تقريبا خارج واشنطن . ومهما كان غياب وزير الخارجية عن واشنطن

مرغوبا او غير مرغوب فيه ، فان هناك قليلا من الدلائل تشير الى ان هذا النموذج سوف يتغير . ونتيجة لذلك ، فان تنسيق وزارة الخارجية للعمليات الخارجية سوف يتأثر مباشرة بشخصية وزير الخارجية ، بالرغم من أنه قد يستطيع ان يؤثر على الاعمال من الخارج .

ان انجاز هذا العمل ، يكمن في ان تنسيق السياسة التي تنفذ باسم وزير الخارجية ، غالبا ما تتم حقيقة على مستوى الموظفين من الصفوف الدنيا . ولقد وضع السناتور « دود » Dodd ذلك بقوله : « ان المهندس المعماري الكبير يعتمد اساسا على رجاله الرسامين ، شأنه في ذلك الى درجة كبيرة ، شأن أولئك المسؤولين عن سياستنا ، اذ يعتمدون على المرؤوسين ذوي الخبرة غير المعروفين للشعب . ان واجبهم نقل كل المعلومات التي تأتي من الميدان ، وعرض الحقائق البارزة لرؤسائهم ، والمشورة باتخاذ خطوة سياسية عامة . او قد يكون هذا الاعتماد حينما يستدعى واضعو سياستنا ، لمعالجة أماكن بعيدة مثل الكونغو ، حيث لا يكون لديهم معلومات شخصية عنها او تكون معلوماتهم الشخصية قليلة » .

لقد عهد الى وكيل وزارة الخارجية الامريكية للشئون السياسية بدور كبير في التنسيق بين الادارات . وفي ظل حكومة كندي ، نما هذا المكتب من هيئة صغيرة غير رسمية الى ادارة خارجية رسمية تضم ستين موظفا رسميا . وهذه الادارة تعد اعلى مكتب وظيفي في وزارة الخارجية ، وهي مسئولة بخاصة عن تنسيق قرارات وزارة الخارجية وأعمالها مع قرارات وأعمال وزارة الدفاع ووكالة المخابرات المركزية . ويقوم وكيل وزارة الخارجية بمراقبة أعمال مساعدي وزير الخارجية الجغرافية المختلفة ، كما أن مكتبه يقوم بمتابعة اي عمل من اعمال الادارات المختلفة في ميادين المسائل الخارجية اذا طلب منه ذلك وزير الخارجية ،

سواء نشأت هذه المسائل أصلا في وزارة الخارجية ، او في مجلس الامن القومي ، او في اي قرار تصدره الوكالات المرؤوسة .

على أنه داخل مجال وزارة الخارجية ، فإن التأكيد على قوى معينة بمعالجة الازمات الدائمة بالطريق غير الرسمي له مزاياه ، كما ان له قيوده ذلك ان عقد اجتماعات منظمة غير رسمية على مستوى عال يلائم تطوير أفكار حول السياسة العريضة والتنظيم العام ، كي تلفت الانتباه الى المناطق الحرجة ، وتسرع في انجاز المسائل التي تتطلب عملا فوريا ، وتبرز المشاكل التي قد تضيع بين الطرق الرسمية للادارات لمرؤوسة . كذلك فإن طريق الاقتراب غير الرسمي الذي يجري على مستوى عال ازاء تشكيل السياسة وانجازها ، له قيوده بالنسبة لعدد من المشاكل التي قد تعالج ، وبالنسبة لمجال الاعتبارات والخبرات . ففي كثير من الحالات فإن الطبقات ذات المستوى الادنى اذا أعطيت العون الكافي وتم مراقبتها مراقبة سليمة ، يمكنها ان تعمل وتعطي اجابات عن المشاكل . وفي الواقع ، فإن هؤلاء هم الذين يعرفون « جذور » المشاكل العظيمة التي ينبغي مواجهتها لوضع حل عملي .

ففي هذا العصر - عصر الدبلوماسية الشاملة - حيث لا ينبغي فقط استخدام الدبلوماسية التقليدية الخاصة بالمفاوضات ، بل يجب استخدام الدعاية والجاسوسية والتخريب والاثارة والحركات الجماهيرية ، وحيث لا يحترم الخصم سوى منطق القوة خلف اي تهديد ، وحيث يستخدم الدعاية والجاسوسية والتخريب والاشارة والحركات الجماهيرية ، والحرب الباردة كأدوات للصراع العالمي القائم اليوم ، فإن التنظيم والتنسيق يصبحان أمرين حيويين بالنسبة للدبلوماسيين .

ان احتياجات الامن القومي تتطلب شيئا اكثر من واجبات قصيرة

الاجل او اعمال براجماتية . ان القدرة على عرض حقائق غامضة ومعزولة تتعلق بأمننا القومي في نماذج ذات معنى . ضرورة لاحتياجاتنا وينبغي أن نبتكر استراتيجيتنا على الاقل جزئيا بواسطة اولئك الذين تدربوا . ولديهم القدرة على التعميم من خصائص معقدة كثيرة . ويجب أن يكون لدينا رجال قادرون على تقرير طبيعة الاهداف النهائية لخصمنا ، كما تظهر من نواياه المباشرة المنفصلة ، كما ينبغي عليها ان تعرض استراتيجية شاملة لنا .

ولكن من الذي يطور هذه العقيدة وهذه الاستراتيجية ؟ ان اولئك المسؤولين عن العمليات اليومية لا يستطيعون القيام بذلك ، اذ انهم يفتقرون الى الوقت والمواد الضرورية لاستخلاص تصورات عما قد يحاول الاعداء المناورة به ، للتأثير على الاهداف بعيدة المدى . ولذلك . فانهم يختصون فقط بوضع خطط للعمل المباشر ، وانجاز مشروعات قصيرة المدى . ان انشغالهم باحداث العمل اليومي ضرورة للغاية . ومع ذلك يصبح الخطر واقعا ، حينما تسود وجهة النظر المعنية بوزارة الخارجية . التي تلعب دورا بارزا في تشكيل السياسة الشاملة بعيدة المدى .

ولا جدال ، فان وزارة الخارجية ينبغي ان تلعب دورا كبيرا في ادارة استراتيجية الامن القومي . وتظل المسألة محل تساؤل عما اذا كان افرادها - وقد تدربوا على ممارسة وظائف الدبلوماسية من عرض ومفاوضة وكتابة تقارير - أصبحوا قادرين على التخطيط والتوجيه والمراقبة لعمليات الامن القومي المتكاملة .

ان الامن القومي او « المصالح القومية » كما يحلو للبعض تسميته يشغل كل موارد الدولة . ان ادارته تتطلب تكاملا بارعا للعوامل السياسية والعسكرية والاقتصادية والنفسية . فاذا ما استمرت وزارة واحدة - او هيئة واحدة - في الاضطلاع بمسئولية هذا النشاط ، فان

عملياتها سوف تتقاطع بالضرورة مع مسئوليات الآخرين . وسوف يكون عليها أن تتحرك وتتدخل في مسئوليات التخطيط والعمليات للوزارات الاخرى . على أنه من ناحية طابع الجهاز التنفيذي ، فإن موقع رئيس الجمهورية هو المركز الوحيد الذي يستطيع التوفيق بين العوامل الكبيرة التي تكون استراتيجية قومية متكاملة .

□ رئاسة الجمهورية :

ان التوجيه الفعال لانشطة الامن القومي يتم بواسطة رئيس الدولة ، وان كان البعض منهم يميل الى تعطيل كثير من الادارات التنفيذية التي تساعدهم . ولقد عبر ريتشارد نيوستادت في كتاب له عن اطماع الرئيس كنيدي ، في تعطيل كثير من الاداة التنفيذية التي أنشأها كل من ترومان وايزنهاور . ومع ذلك ، فقد رأى تقارب اتجاه المشاكل والسلطة في البيت الابيض بقوله :

« في النظام السياسي الامريكي يجلس الرئيس في مقعد فريد ، ويعمل داخل اطار فريد . ان الاشياء التي يعملها لا تكثر بتحديد الخطوط بين المسائل « العسكرية » والمسائل « المدنية » ، وبين « الاجنبي » « والمحلي » ، وبين « التشريعي » و « التنفيذي » ، وبين « الاداري » و « السياسي » ، فعلى مكتبه — وهناك فقط — تفقد التمييزات بين هذه الانواع ، آخر خيط لمعناها . ان التوقعات كانت تتركز في عدم اتجاهه الى اي شخص آخر ، فليس هناك شخص اخر يشعر من وجدانه بأنه قد انتخب بواسطة الشعب . وبجانب ذلك ، فليس هناك شخص اخر غير الرئيس يعيش أيامه مع مسئوليته في عصر نووي وسط حرب باردة ، وهو وحده يستطيع ان يدعي بحق لا يرد ، في أي معلومات عن اسرار هذا العصر وهذه الحرب » .

فاذا انتقلنا الى النظام الشيوعي السوفييتي نجد ان جميع القرارات الكبرى المتعلقة بالامن القومي تتخذ في الكرملين ، سواء بواسطة جهاز الدولة السوفيتية او على الاصح بواسطة الحزب الشيوعي السوفييتي .
ان جميع الوكالات السوفيتية الحكومية التي ترتبط بموجب طبيعة عملياتها - مثل المسائل الخارجية ، المخابرات ، والاذاعة ، التجارة الخارجية الخ ... - بمسائل الامن القومي ، لها أقسام خاصة مدربة .
وتتسلم الاوامر مباشرة من مراكز رئاساتها في موسكو .

ويجب ألا يغيب عن بالنا درجة التركيز العالية في السياسة الشيوعية وفي استراتيجيتها ، وفي الطابع الملزم لمصادر انظمة السياسة الشيوعية .
ولقد حظ العالم الغربي باستمرار من درجة تقدم قدرات السوفييت في ميادين كثيرة ، كما انهم تجاهلوا تقريبا قوة الشيوعيين التي ثبتت من نظامهم الفعال في ادارة السياسة . ولا تحتاج الولايات المتحدة ان تتنازل عن التفوق التنظيمي للشيوعيين في مجال تخطيط وادارة الصراع العالمي الذي يطلق عليه الغرب اسم « الحرب الباردة » ويطلق عليه الشيوعيون « صراع الانظمة » .

ان الامن القومي نشاط ضخم منسق من اهدافه التأثير على سياسات الدول الاخرى ، وهو لا يمكن ان يكون نشاطا جانبيا ، او تختص به احدى الوكالات عن غيرها ، بل ينبغي بان تستخدم فيه كل طاقات الانشطة القومية . وطالما ان استراتيجية الامن القومي الفعالة تتطلب تكامل الجهود التي لا يمكن ان تتحقق منفردة من خلال التنسيق ، فان أنسب مكان لها هو رئاسة الجمهورية .

فاذا ما تحركت اجزاء الحكومة المختلفة في القمة اثناء تخطيطها للامن القومي للدولة ، فان المستشارين السياسيين ، والمخططين وواضعي السياسة في القمة يجب أن يعملوا من قاعدة مقبولة مشتركة . ان رئيس

الجمهورية يحتاج الى صورة شاملة متكاملة عن مواطن قوة الدولة وضعفها بالنسبة للعدو . وهو لا يستطيع ان يقيم ثقل تأثير أي عوامل جديدة مثل الاختراعات التكنولوجية أو التطورات السياسية غير المتوقعة ، الا على اساس استمرار مثل قائمة الحساب هذه . ومن ثم لا يمكن ابتكار استراتيجية أمن قومي فعالة الا في هذا الضوء . ان هذا الواجب يدعو الرجال الذين يعملون مباشرة في ظل رئيس الجمهورية ، والذين لديهم ادراك كاف ، أن يكونوا قادرين على رؤية مشاكلنا كافة ، وعلى استخدام كل الوسائل المتيسرة عامة وخاصة ، في مشاركة مرنة ، وذلك خلال دراستهم لحلول المشاكل والمسائل .

ولكي يقوم رئيس الدولة بمهامه ، يحتاج الى مجموعة من المساعدين : مستشارين ، ومخططيين ، ومنجزين ، ورجال ادارة ، وفاحصين ، ومتابعين . . . ان جزءا من واجبات رئيس الجمهورية تستقطعه المصالح والوكالات ذات النفوذ القوي التي تشكل الفرع التنفيذي للحكومة . ويدير رؤساء هذه المصالح والوكالات بالضرورة اجزاء من مسئوليات الرئيس . وبالإضافة الى ذلك ، فان الامر يتطلب أن يعمل هؤلاء الرجال من المستشارين الرئيسيين والمخططين للفرع التنفيذي كوحدة كاملة .

ولقد بذلت جهود مناسبة في الولايات المتحدة في سبيل مركزية التخطيط والتقييم ، وقد ألهمت هذه الجهود الرئيس كينيدي في صيف عام ١٩٦٠ ، ان يتخذ نظرة اخرى ازاء الادارة الحكومية .

ويصف وليم كينتر هذه الحالة بقوله :

« منذ ثمانية اشهر عكف الرئيس كينيدي وحكومته على اتخاذ المبادأة في الحرب الباردة . واليوم يجد نفسه يشن معركة دفاعية في برلين . لقد

اجبر ليس فقط على التعامل مع الهجمات التي لا تقف عند حد من
الرئيس خروشوف ، بل ليبرر لنفسه ايضا تعامله مع الآراء المحايدة .

« والى هذا الحد ، تحول الرئيس يطلب النصيحة — كما فعل من
قبله هاري ترومان ، دوايت ايزنهاور — من مجموعة من الرجال ذوي خبرة
في السياسة ، والدبلوماسية ، والمسائل العسكرية والعلاقات الانسانية ،

» هذه المجموعة غير الرسمية تضم في الوقت الحالي جنرال ماكسويل
تايلور الممثل العسكري للرئيس ، وروبرت كنيدى المدعي العام ، ارثر
جولدبرج وزير العمل ، الكسيس جونسون وكيل وزارة الخارجية
للشئون السياسية .

« ان مجموعة المستشارين هذه لا تختص مباشرة بالمسائل العملية .
ولكنها تختص باداة الحكومة التي تشن الحرب الباردة .

» وفي هذا المجال ، فان الجنرال تايلور ، كان تحت يده اقتراح
بتعيين مساعد خاص لوزارة الخارجية لمراقبة انجازات الحرب الباردة داخل
الحكومة كلها » .

على ان الميل نحو مركزية السياسة داخل الفرع التنفيذي ، ازدادت
بخطى كبيرة بعد الحرب العالمية الثانية . وتطلب المكتب التنفيذي للرئيس
الامريكي وبخاصة التخطيط الشامل ، وضع ميزانية فيدرالية . ولكن
لسوء الطالع ، فان جهود المكتب التنفيذي الخاص بالرئيس الامريكي
لتحقيق تنسيق أكثر فعالية بين الادارات الحكومية والوكالات التي تفتت
نتيجة انه لم يكن هناك تخطيط شامل يوجه الاعمال الخاصة بالادارات
المنفردة .

ولقد ادلى مستر « دافيد بل » مدير مكتب الميزانية بشهادته امام
لجنة جاكسون المتفرعة عن لجنة العمليات الحكومية بقوله :

« ان ميزانيتنا الخاصة بالامن القومي ينبغي أن تعكس استراتيجيتنا للامن القومي ، وأظن ان كل فرد سيوافق على ان الولايات المتحدة لديها الكثير كي تطور استراتيجية كاملة وافية . »

« ما هو المزيج السليم للاجراءات العسكرية وغير العسكرية ؟ »

« كيف يمكننا توجيه عمليات التحول الحتمية في آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية كي نتج مؤسسات حرة غير شيوعية ؟ . كيف يمكننا أن نخطو بمعدل النمو الاقتصادي ؟ ... بموجب هذه ، وبموجب مسائل أخرى غيرها تؤثر على أمننا القومي ، يمكن لميزانيتنا أن تكون سليمة مثل استراتيجيتنا » .

وفي هذه الشهادة ذاتها ، قال مستر بل ايضا :

« من المنطق أن وضع الميزانية والتخطيط جانبان لعملية واحدة : أي مظهران لعملية واحدة . ان الميزانية هي التعبير المالي لخطة ما » .

ويقول ولیم كينتتر :

« ولسوء الطالع ، لم يكن للولايات المتحدة خطة أمن قومي منظما ، فلم يكن هناك تخطيط لتنمية المبادأة في الحرب الباردة . ان استراتيجية الولايات المتحدة للامن القومي تبتكر بواسطة واجبات معينة تحدد استجابة لازمات طاحنة ، بواسطة وزارة أو أخرى من الحكومة . ان وزارات الحكومة أدوات تنفذ الاعمال المحددة لها ، ولكنها اذا عملت في الفة واتحاد ، فان شخصا ما أرفع من هذا المستوى ، ينبغي أن يحدد المجرى العام لاعمالهم . وفي النظام الأمريكي ، فان تقرير هذا الامر لا يمكن أن يتم الا بواسطة الرئيس » .

وبالطبع ، فان رئيس الدولة يحتاج الى مساعدة في ادارة مكتبه ، ولقد وضعت عدة اقتراحات لاعطائه المساعدات التي يحتاجها ، وبالطبع

سوف يقوم رئيس الدولة بسوامة اداة الفرع التنفيذي ليناسب مزاجه الخاص ، وتصوره الخاص للعمليات . ولذا فان مجلس الامن القومي يقوم بوظيفته في صور مختلفة ، وفقا لمزاج وأسلوب رئيس الجمهورية .

وفي مصر اقترح في فترة الستينات أن تدار شئون الامن القومي في رئاسة الجمهورية بواسطة مستشار للرئيس لشئون الامن القومي يكون بمثابة منسق عام للشئون التنظيمية للامن القومي ، ولكن عدل عنه في تلك الآونة .

كما قدم اقتراح آخر على أساس ان النتائج ذاتها كان من الممكن الحصول عليها دون أي تغيير تنظيمي رسمي ، وذلك بقيام الرئيس بوضع ثقته في فرد يكون قادرا على ان يعمل ويتحدث اليه في معظم الحالات . ولكن المشاكل التي تواجه الدولة بتفاعلها مع باقي العالم قد نمت كثيرا أو تعقدت ، بحيث لا يستطيع رجل واحد مهما تمتع بمواهب ان يعالجها ، ومن ثم يحتاج الوضع الى معونة هيئة ماهرة .

وبلا جدال ، فقد كان هناك اقتراحات مختلفة ، لتطوير مكتب رئاسة الجمهورية كي يقوم بتنظيم مكاتب الامن القومي وتخطيطها وعرضها على أحسن وجه . وعلى هذا النهج كان لا بد من وجود هيئة تنسيق رئاسية في تنفيذ الخطط وتطويرها ، ولذلك قدم الاقتراح بإنشاء هيئة أمن رئاسية يرأسها مستشار للرئيس لشئون الامن القومي بدرجة وزير ، ويكون هو وهيئته تابعين مباشرة لرئيس الجمهورية .

ولكن لكي تعمل هذه الهيئة بسرونة ، فان تكوينها ينبغي ان تتوافق فيه المتطلبات الآتية :

١ - ان مستشار رئيس الجمهورية لشئون الامن القومي ينبغي أن يجلس في مجلس الدفاع الوطني كعضو كامل ، له جميع صلاحيات أي عضو .

٢ - كما ينبغي تقديم العون الى تكوين مجلس الدفاع الوطني وذلك بإنشاء « تنظيم هيئة جديدة » يرأسها مستشار الرئيس لشئون الامن القومي . ومن ثم يكون تحت رئاسته مدير الخطط السياسية ومدير للعمليات ، ومدير للمراجعة ، واجبه أساسا تشكيل الخطط والسياسات ، والتنسيق بين العمليات ، ثم يقوم بمراجعة وتحليل النتائج التي يتم الحصول عليها ، وينبغي أن يكون كل من مدير الخطط السياسية ومدير المراجعة موظفين في هيئة رئاسة الجمهورية ، بينما يكون مدير العمليات معينا في وزارة الخارجية .

٣ - ينبغي أن يكون هناك طريق سهل مباشر بين أجهزة المعلومات في الدولة وبين مكتب الرئاسة هذا ، حتى يكون مستشار الرئيس لشئون الامن القومي في موقف يستطيع ان يتابع الاحداث الجارية وبخاصة الطارئة ذات الصبغة العاجلة .

٤ - ينشأ مكتب مراجعة في ادارة الميزانية . ويكون هذا المكتب مسئولاً أمام مستشار الرئيس لشئون الامن القومي عن تقييم الانجازات المادية ، وأمام ادارة الميزانية عن المسائل المالية .

٥ - يجب أن تكون شخصية مستشار الرئيس لشئون الامن القومي قادرة على القضاء على التنافس المدمر بين الأجهزة والادارات والوكالات ، وأن يحد من طغيان الوزارات والوكالات ذات القوة والنفوذ .

وأخيرا فان التاريخ لا يكافىء على الاخفاق . ولذا فان تتيجه الحرب هي التي تحدد المكافأة او الجزاء لمن يضعون قراراتها ويديرونها .

الفصل التاسع عشر



بين الرقابة والحريات

بين الرقابة والحريات
نظريات عن السرية -
اعتبارات وضع القرار -
قياس نشاط المخابرات
- سياسة المخابرات
وبرامجها - مشكلات
نظام المخابرات -
ازدواج العمل - كيان
المخابرات العامة -
الرقابة الجماهيرية
والبرلمانية - تجربة
الولايات المتحدة -
القاعدة الآن .

□ نظريات عن السرية :

هناك نظريات عدة عن مدى السرية التي يجب ان تتميز بها اعمال المخابرات ، بل نستطيع ان نقول ليس هناك جهاز مخابرات في العالم سواء في المجتمع الحر او في الدول الجماعية لم يكن محل نقد او هجوم سواء من الصحافة او الشعب .

ان ثمة من يقولون انه يجب على المواطن أن يعرف الحقيقة عن أوسع اجهزة الدولة واهمها .

بل ان هناك من يتهم بعض الاجهزة بالبيروقراطية ، وقد اتهمت مثلا المخابرات المركزية بأنها حكومة مستترة تمثل احيانا اهمية قصوى في رسم السياسات والاستراتيجية وتنفيذها كما يتنافى مع المثل الديموقراطية . كما اتهمت المخابرات العامة بأنها دولة دخل الدولة .

وفي الدول الشيوعية نظرا للسرية الشديدة التي تفرضها الدول الشيوعية على أجهزتها فانه من الصعب على الشعب وعلى كثير من اعضاء الحزب ان يعرف الكثير عن جهاز أمن الدولة .

وفي المجتمعات المفتوحة تنتفي سرية المعلومات ، كما ان فصل السلطات الحكومية بعضها عن بعض ، والجماعية البيروقراطية الادارية ، والصحافة الحرة تجعل السرية التامة أمرا مستحيلا .

لقد استطاع مئات الصحفيين والدارسين في الغرب انتاج مئات الكتب والمطبوعات معظمها مبني على تكهنات وانعدام الفكر أو الخبرة . ولذلك خرجت مشوهة لرسالة المخابرات .

ويقول البعض ان هذا الموضوع لا يصلح للمناقشة العلنية . اذ صرح السناتور الامريكي هنري جاكسون انه : « يجب الا تناقش التفاصيل الخاصة بالمخابرات في المجلس » لان هذا يؤدي « دون قصد

الى افادة العدو ومساعدته » وقال الرئيس كنيدي في رسالة له وجهها الى الكونغرس عام ١٩٦١ : « ان المخابرات هي موضوع لا تفيد فيه المناقشة العلنية » .

وعلى هذا لا يجوز لقادة الحكومة ولا للموظفين الذين لديهم معلومات سرية ان يناقشوها بصفة علنية . وقد اوضحت حوادث الافشاء العالمية في السنوات الاخيرة ان جهاز المخابرات السري الواسع الذي تحتفظ به الدولة يمكن أن يكون له أعمق الاثر على نوع الدور الذي تلعبه الدولة وفعاليته في الشؤون الدولية . ومن المؤكد ان وجود مثل هذا الجهاز يخلق مشاكل في السياسة والتنظيم وفي الاشراف ، خاصة وان وظائف المخابرات الثلاث تحاط كلها بالسرية التامة . وهذه الوظائف الكبرى هي : جمع المعلومات وتحليلها وتفسيرها وتحويلها الى معلومات مخابرات ، ثم العمليات السرية في الخارج ، واخيرا مقاومة التجسس .

□ اعتبارات وضع القرار :

وقبل أن يستطيع مخطط السياسة ان يصل الى قرار يجد امامه ثلاثة اعتبارات كبرى :

الاول : ما اهداف السياسة التي يسعى الى تحقيقها ؟ وما الاخطار التي يتعرض لها ؟ وما نفقات تحقيقها المحتملة ؟ اي بعبارة اخرى اذا تحدثت مثلاً قيمة معينة للامن العسكري كهدف ، فهل يضحي بأهداف السياسة الاخرى مثل تقرير المصير والتنمية الاقتصادية ؟ .

الثاني : ما الضغوط وما القوى التي يحتمل ان تشكل الشؤون العالمية مهما كان طريق العمل المختار ؟ وبمعنى آخر ما هي الحقائق التي يمكن حسابها ، وما هي الاتجاهات المحتملة في الشؤون العالمية .

الثالث : كيف يمكن ان تؤثر بواسطتها فيما حولنا بحيث نحقق

الاتجاه المنشود ؟ وبمعنى آخر اذا وضعنا الاهداف القومية والاتجاهات العالمية في الاعتبار فكيف يمكن ان نحقق اهدافنا ؟ .

وقد اوضح ماكس مليكان - الذي كان يعمل مديرا مساعدا في ادارة المخابرات المركزية الامريكية في السنوات الخمسينية الاولى - المشكلة حين تكلم عن التنبؤات الخاصة بالسوفييت فقال :

« تكون دراسة ما هو حادث في المجتمع السوفييتي بالنسبة لواضع السياسة ، اذا كانت هذه الدراسة مكتوبة في ضوء ما يجب ان يحدث هناك والوسائل التي في مقدوره استخدامها للتأثير فيما هو حادث . وبالمثل لا يمكنه ان يوضح اهدافه ، ولا ان يعدد أجهزته الا في حدود نظرية - مفهومة ضمنا او صريحة - عن التطور السوفييتي . »

« وان جهازا مهمته تزويدنا بالمعلومات الخاصة في شؤون الاتحاد السوفييتي يمكن ان يكون مصدرا ذا اثر عظيم في عملية تخطيط السياسة . فاذا افترضنا ان الاتحاد السوفييتي معتدل في أهدافه ، فهذا يتطلب من امريكا سياسة خارجية خاصة . اما اذا قطعنا بان في نية الاتحاد السوفييتي ان يقهر العالم بسرعة عن طريق هجوم مفاجيء او غير مفاجيء - فان هذا يتطلب سياسة خارجية اخرى » .

□ قياس نشاط المخابرات :

ولنا ان نتساءل الى اي مدى يمكن قياس نشاط المخابرات ؟ وهل من حق الدولة أن تحاسب المخابرات على أسلوب عملها ونتائج عملها ؟ الواقع أن ذلك امر صعب . فبأي معيار مثلا يمكننا ان نحكم على النتائج غير المرئية ، كدور ادارة المخابرات المركزية في تنحية مصدق رئيس وزراء ايران في ١٩٥٣ ، او في انقلاب جواتيمالا في عام ١٩٥٤ ، او في ثورة المجر عام ١٩٥٦ ، او في لاوس ، او في برلين ، او في مواقف

الانفجار المختلفة في الشرق الاوسط ، او في غيرها من الانشطة السرية ، وبعضها باء بالاخفاق ؟ ان الشخص الخارجي لا يجد أمامه في مثل هذه الحالات سوى ان يقلب الموضوع على وجوهه المختلفة .

لقد حدث مثلا ان وجه سؤال عن دور المخابرات المركزية في حادث غزو كوبا المنكود ، فصرح مدير المخابرات المركزية امام اعضاء مجلس الشيوخ عام ١٩٦٢ بأنه لا يستطيع الاجابة على السؤال قائلا : « لا نسي لا اعرف الحقائق » .

وتتيجة لهذا يجد النظام الحكومي الامريكي انه مشكلة ذات وجهين : فكيف يمكن ان تكون هناك رقابة جماهيرية على اعمال ومهام تتطلب السرية ؟ كيف يمكن ادارة نظام حكومي قوامه وجود حزبين ادارة فعالة عندما نعطي الجهاز التنفيذي للحزب الحاكم ، الحرية المطلقة للحصول على المعلومات الاساسية في ميدان السياسة العسكرية الاجنبية ؟

وقبل ان يقع حادث المخابرات المركزية الخاص بطائرة الاستطلاع في أول مايو عام ١٩٦٠ لم يكن في مقدور معظم المواطنين أن يعرفوا بالاسم سوى الجاسوس الامريكي « ناثان هيل » . اما الآن فيعرف كل الامريكيين اسم « فرانسيس جاري باورز » الذي أداته محكمة روسية بتهمة التجسس في زمن السلم . وهو وان كان قد درب تدريبا هزليا كجاسوس فقد درب تدريبا قويا كفني . وقد كان يقوم بمهمة خاصة في الحرب الباردة . ولم يتم أسره باعدامه بالرغم من انه كان يقوم بنشاط غير شرعي ذي طبيعة شديدة الخطورة بالنسبة للاتحاد السوفيتي . ثم اطلق سراحه في اوائل عام ١٩٦٢ بالتبادل مع جاسوس روسي كانت الولايات المتحدة قد قبضت عليه . وقد قامت لجنة تحقيق باستعراض قضيته ، وخلصت منها الى ان باورز أدى مهمته وتعد تعليماته وانه وفّى التزاماته

كأمريكي • وهنا وجد الشخص الخارجي نفسه مضطرا الى تقبل هذا الحكم على علاته • ولكن اذا كان باورز قد تنكب الطريق في تأديسة مهمته ، لانه لم يتلق التدريب الكافي على يد ادارة المخابرات المركزية ، فلا يمكن أن تتأكد من أن ادارة المخابرات المركزية انما تحاول أن تحمي باورز كي تحمي نفسها •

وقد ظلت العمليات الامريكية السرية - سواء كانت خاصة بجمع المعلومات أو بالقيام بعمل سياسي - معروفة جدا من الكرمليين ومن الباحثين في الشئون العالمية • أما مثل هذه الانشطة على مقياس واضح في وقت السلم ، فلم تكن معروفة ضمن التقاليد الامريكية • وقد عبر الرئيس ايزنهاور عن عاطفة شعبية عندما وصف الجاسوسية بأنها عملية غير محبة الى النفس ، ولكنه في نفس الوقت سماها « ضرورة حيوية » • واذا أخذنا بحرفية الكلام فانا نقول ان الرئيس ايزنهاور كان يقول ان حياة الامة تتوقف على لعبة التجسس الكريهة القدرة وعلى العمليات السرية المتصلة بها • فاذا كان الحال كذلك فهناك أعمال خاصة بالحكومة الامريكية لها مثل هذه الاهمية البالغة •

ولم تعد بعض الحقائق سرا نتيجة للحوادث الاخيرة • لقد اصبحت ألوان نشاطة الجاسوسية والاعمال السياسية السرية فيما وراء البحار مهمة من مهام الحكومة الامريكية منذ عام ١٩٤٧ ، وتحت ستار البحوث الخاصة بدراسة الجو ، قامت ادارة المخابرات المركزية بواسطة استخدام طائرات شركات الطيران الخاصة بالتجسس على الاتحاد السوفييتي بواسطة آلات تصوير جوي بعيدة المدى وبغيرها في الفترة بين ١٩٥٦ و ١٩٦٠ ، كما يقوم الجانب الآخر وهو الاتحاد السوفييتي بتنظيم واسع معقد منذ سنوات ، وذلك بعمل شبكة ضخمة للاستماع السري الالكتروني للخصوم وللحلفاء على السواء •

□ العلاقة بين المخابرات والاجهزة التشريعية والتنفيذية :

وقد يكون في دراستنا للتنظيم العملي للعلاقة بين المخابرات والاجهزة التشريعية والتنفيذية الاخرى من حيث مدى الرقابة ما يمكننا من أن نستخلص بعض الدروس •

لقد كان نتيجة لتقدير أهمية السرية في اعمال المخابرات أن سمح للمخابرات المركزية الامريكية بعدم مناقشة كثير من أعمالها أمام الكونجرس، كما أعني المدير كذلك من الاجراءات العادية الخاصة بصرف الاعتمادات المالية ، وأصبحت كلمة المدير الشخصية تكفي عند الكلام عن الاموال التي تنفق في أغراض سرية أو أغراض غير عادية أو أغراض لها صفة الاستعجال •

وقد أنشأ مكتب الميزانية اجراءات خاصة بإدارة المخابرات المركزية ، فأصبحت ميزانيتها تراجع بطريقة منظمة بواسطة مكتب المحاسبات العامة • أما المبالغ التي تصرف دون أن يكون لها مستندات مالية بمعرفة مدير المخابرات المركزية وتبلغ عشرات الملايين من الدولارات فتتم مراجعتها كذلك ، ولكن بطريقة أكثر سرية • وتشترك المخابرات المركزية في الدورة السنوية التي تعقد بشأن الميزانية ومبرراتها داخل نطاق الهرم التنفيذي للحكومة •

وفي عام ١٩٥٦ بحث الكونجرس حركة مسئولة كانت تستهدف احداث تغيير في النظام القائم بإنشاء لجنة مشتركة خاصة بالمخابرات الخارجية . وكان قد سبق ذلك حركات أخرى في الكونجرس بقيادة السناتور الراحل جوزيف مـالك كارثي ، لاجراء تحقيقات في ادارة المخابرات المركزية بتهمة التسلل الشيوعي وعدم الكفاية والاسراف ، وكان يقود الحركة الجديدة السناتور مايك مانسفيلد ، الذي قدم مع ٣٤ عضوا اقتراحا بإنشاء اللجنة المشتركة • ونوقش الاقتراح واقترح عليه ، ولكن

تسكن الفرع التنفيذي وكبار اعضاء المجلس الذين كانوا يشعرون انهم يعرفون كل ما يريدون معرفته من معلومات المخابرات - في شكل معارضة - وهزموا الاقتراح بـ ٥٩ صوتا ضد ٢٧ . وقال احد قادة المجلس : « ان الافضل هو الغاء ادارة المخابرات المركزية ، ونوفر بذلك الاموال المعتمدة وأرواح المواطنين ، لان هذا أفضل من الكشف عن عمليات المخابرات المركزية وافشائها » . وعند انعقاد كل دورة من دورات المجلس كانت تقدم الاقتراحات الخاصة بانشاء اللجنة المشتركة . وفي ١٢ من مايو ١٩٦٠ صوتت لجنة المجلس الخاصة بالقواعد - بالاجماع - على حفظ ١٧ اقتراحا بانشاء لجنة لمراجعة أعمال ادارة المخابرات المركزية . وفي عام ١٩٦١ اهتمت نفس اللجنة بموضوع تعيين لجنة فرعية لبحث ما اذا كانت ثمة ضرورة للتحقيق مع المخابرات المركزية عقب المفسامة الفاشلة في كوبا في ابريل عام ١٩٦١ . ولكن لم يحدث تحقيق رسمي .

وكان اكتشاف اضطلاع المخابرات المركزية بعمليات الاستطلاع الجوي داخل حدود الاتحاد السوفيتي في المدة من عام ١٩٥٦ الى عام ١٩٦٠ صدمة لكل أعضاء الكونجرس تقريبا مثلما كان صدمة لرجل الشارع . ولكن قادة المخابرات المركزية كانوا يستشهدون بقوانين أصدرها المجلس ترخص لهم بعدم الكشف عن هذه المعلومات .

وقد صرح السناتور ديليس روبرتسون - العضو الديموقراطي عن ولاية فيرجينيا - في ٩ من مايو عام ١٩٦٠ بقوله :

« لقد ظللت أستمع الى شهادات مقدمة أمام لجنة الاعتمادات المالية الخاصة بادارة المخابرات المركزية طيلة ثلاث عشرة سنة . ولم يخبرنا أحد قط طيلة هذه المدة عن الابواب التي صرفت فيها هذه الاعتمادات . لقد كان سرا عميقا يحيط به الظلام وسألت عددا من اعضاء لجنة الدفاع الفرعية عما اذا كانوا يعرفون أن ادارة المخابرات المركزية تمتلك

طائرات تستخدمها في أغراضها ، فأجابوا بأنهم لا يعرفون ذلك . . لقد أخرجني أنني كنت لا أعرف أن إدارة المخابرات المركزية تمتلك طائرات » .

ولكن لم يكن هذا سرا مظلما بالنسبة لكل أعضاء المجلس . فقد كانت هناك قلة تعرف بعض التفاصيل . وكان من بين الأعضاء المحظوظين كلارنس كانون عضو الكونجرس منذ عام ١٩٢٣ وهو ديموقراطي . لقد صرح لزملائه بأنه بالرغم من أن الأعضاء كانوا لا يعرفون شيئا عن الموضوع في ذلك الوقت ، إلا أنهم كانوا قد وافقوا على اعتماد مبالغ خاصة ببرنامج الاستطلاع وغيره من المهام الخاصة بالجاسوسية . واستطرد كانون قائلا : « أما حادث الطائرة (U2) المنكود في أول مايو فكان واحدا من سلسلة وجزءا من برنامج مرسوم كانت تعرفه اللجنة الفرعية الخاصة بالاعتمادات المالية ، وكانت تعرف تفصيلاته كاملة في هذه الدورة وفي الدورات السابقة » .

وحتى يستطيع كانون أن يبرر السبب في أن بعض كبار أعضاء لجنة الاعتمادات المالية قد دفعوا دون أن يعرفوا الى الموافقة على اعتمادات يحيط بها التمويه للقيام بعمليات سرية خاصة بالمخابرات ، أستشهد بأن الضرورة العسكرية الحتمية ومسائل الدفاع القومي كانت تستدعي ذلك . ولقد شرح كلامه فقال ان اللجنة الفرعية التي تميزت بمعرفة الموضوع ووافقت على طيران الطائرات من طراز (U2) كانت تضم نفس الأعضاء الذين كانوا يعرفون سر القنبلة الذرية في الحرب العالمية الثانية . ثم قال : « ان هذه العملية كانت استجابة من إدارة المخابرات المركزية للطلبات المقدمة من الكونجرس بأن الامة يجب أن تحذر مقدما بالنسبة لوقوع هجوم من جانب العدو . كذلك كانت هذه العملية استجابة من المخابرات لمطالب القيادة الجوية الاستراتيجية بشأن الحصول على بيانات أوفى لتساند عملية « الاعاقة » . وكان مضمون كلام كانون هو ضرورة توفر

السرية المحكمة خوفا من أن يفشي عضو غير حريص من أعضاء الكونغرس معلومات متناهية الحساسية •

ولم تكن لجنة كانون الفرعية هي الجماعة الوحيدة المهمة بشؤون المخابرات ، اذ تكونت لجنة اخرى فرعية خاصة تابعة للقوات المسلحة في عام ١٩٥٨ على رأسها كارل فنسون الديموقراطي - من جورجيا - وسط موجة السخط السائدة ضد اعمال المخابرات ، وتكون هذه اللجنة من أربعة أعضاء من حزب الاغلبية وثلاثة من حزب الاقلية ، لتراجع نشاط ادارة المخابرات المركزية - كما جاء في اقوال رئيسها - الى أقصى حد. تراه اللجنة ضروريا •

وهناك جماعة متشابهة في مجلس الشيوخ • فللجنة القوات المسلحة التابعة للمجلس منذ عام ١٩٥٥ لجنة فرعية رسمية خاصة بالمخابرات المركزية تتألف من خمسة من كبار الاعضاء من كلا الحزبين ، وكلهم أعضاء كبار في لجنة المجلس الخاصة بالاعتمادات المالية • وتتلقى هذه اللجنة الفرعية معلومات عن اعتمادات المخابرات المركزية ، والاغراض التي تنفق فيها الاموال • وقد قال رئيسها السناتور ريتشارد راسل - العضو الديموقراطي من جورجيا - في عام ١٩٦٠ ان المخابرات المركزية « غاية في التعاون » ، وانه كان « يعرف مقدما عن موضوع الطائرة (U2) وقدراتها » • وتعتقد هذه الجماعة - كما تفعل غيرها من الجماعات المعنية بشؤون المخابرات المركزية - اجتماعاتها بصفة سرية • ولم ينشر أي شيء عن أعمال هذه اللجنة الفرعية •

على ان المعلومات المستقاة الموثوق بها تذهب الى ان قيام الكونغرس بأعمال المراقبة كان أكثر نشاطا من مجلس الشيوخ • فلم يكن الاخير يتسم بالاستقرار عندما كان يسعى الى الحصول على تفصيلات كاملة خاصة بعمليات ادارة المخابرات المركزية ، ومن بين الاسباب ان معظم الأعضاء لم

يكن لديهم الوقت الكافي الذي يكرسونه لأعمال المراقبة • والسبب الثاني انهم كانوا غير مبالين الى توجيه أسئلة تخترق الظلمات التي تعمل فيها وحدات المخابرات • وقال السناتور الجمهوري ليفرنت سولتونسول - من ماساشوسيتس في عام ١٩٥٦ : « لم يكن الامر عدم ميل للكلام من جانب رجال المخابرات المركزية ، وانما كان الموضوع نتيجة عدم ميل من جانبنا للاستفسار عن معلومات خاصة بموضوعات افضل أنا شخصيا - بصفتي عضوا في الكونجرس وبصفتي مواطنا - ألا أسأل عنها » وقد عبر السناتور دين مورس الديموقراطي من أوريجون عن وجهة نظر مختلفة تماما عندما شكى في عام ١٩٦٢ من أن المجلس لم يكن يمكنه أن يحصل من ادارة المخابرات المركزية عن معلومات لا ترغب هي في اعطائها • « اني عضو في لجنة العلاقات الخارجية التابعة للمجلس • ولا يستطيع أي عضو في هذه اللجنة أن يحصل من ادارة المخابرات على معلومات لا تريد هذه الادارة ان تفضي بها ان هذا مخيف ، وان هذه لقوة تبعث على الخوف » •

□ سياسة المخابرات وبرامج عملها :

ولنا أن نتساءل الآن ؟

من الذي يقرر سياسة المخابرات العامة في بلادنا وكذا برامج عملها ؟ ان المخابرات العامة هي وحدة مركزية بين وحدات مختلفة متداخلة فيها ازدواج وبينها تنافس .

من الذي يقوم بالتحكيم في منازعاتها ؟ ان دستور جهاز المخابرات هو عبارة عن قانون مستقل للمخابرات صادر من مجلس الامة السابق ومعدل في مجلس الشعب الحالي ، وكذا قرار من رئيس الجمهورية بتشكيل مجتمع المخابرات ، وتوجيهات مختلفة ومتتالية تصدر من رئيس هيئة المخابرات الذي هو في نفس الوقت رئيسا للمخابرات العامة •

وبينما تحمل هذه التوجيهات اسم هيئة المخابرات ، الا ان هذا لا يعدو أن يكون « خاتما » للموافقة على مجموعة من القواعد وضعت تحت اشراف رئيس المخابرات العامة مع الوحدات المختلفة المتعاونة او المتنافسة التي تدخل في جماعة المخابرات . وهي تحدد مبادئ العمل والتنظيم التي تسير وفقها المخابرات العامة وغيرها من وحدات المخابرات الحكومية . وتشمل هذه التوجيهات ايضا توجيهات تحدد لمهام كل الاجهزة التي تدخل ضمن هيئة المخابرات وذلك لتجنب حدوث أي ثغرات أو فجوات في المعلومات الجوهرية .

ان عمل المخابرات مهمة يقوم بها أعضاء دون أن يكون هناك أي مسئولية سياسية مباشرة . ان أي تغيير يتناول هذا الوضع يعتبر تعديا على المفهوم الدستوري لسلطة الرئيس ومسئوليته وخاصة في الشؤون الخارجية . ولكن لا يجب أن يعني مبدأ موافقة الحكومة ان للشعب الحق في أن يلم بكل التفاصيل الخاصة بالسياسة الخارجية - تشكيلها وتنفيذها . هناك مناطق يجب أن تحاط بالسرية تترك بعض مهامها الى قادة مسئولين . ثم ان افشاء نشاط المخابرات للسلطة التشريعية بصفة عامة يؤدي الى تعقيد المشكلة الصعبة الخاصة بالتعاون بين أجهزة المخابرات المختلفة . كما ان معظم اجهزة المخابرات سوف تلتزم الصمت ولا تكشف عن أي معلومات سرية اذا عرفوا ان هذه المعلومات ستنتقل الى اعضاء السلطة التشريعية بشكل سافر .

وتميل الدول الديمقراطية المتعددة الاحزاب الى المجازفة بالنسبة للأفراد الذين يبرزون كقادة داخل هذا النظام . وهذا ينطبق على الهيئتين التنفيذية والتشريعية . ومن المؤكد وجود بعض الاخطار من جراء اقامة رقابة منتظمة على المخابرات . فالى جانب أخطار الامن ، هناك الاخطار الخاصة بالضيق الذي يشعر به موظفو المخابرات نتيجة تقييد حركاتهم

التي تتطلبها نشاط المخابرات •

وفي محاولة أمريكا البحث عن الديمقراطية نجد انها قد أوجدت نظاما حكوميا يجرىء السلطة ويدمجها في نفس الوقت • فالتوصية باعطاء الكونغرس دورا اداريا أكبر في رقابة ادارة المخابرات المركزية ، ليس معناها مزيدا من ادماج السلطة ، وانما انقاصا له • فسوف تكون اللجنة الكونغرسية المشتركة المختصة بالمخابرات المركزية مركزا لسلطة مستترة وتساعد على تركيز السلطة والمسئولية .

وهناك موضوع آخر قد يكون مصدر ازعاج ، وهو هل يمكن أن تكون المناقشات ذات معنى ، وبخاصة في اثناء الانتخابات القومية عندما يحدث أحيانا أن تكون هناك معلومات هامة لدى الحزب الذي يبيده الحكم . وفي أثناء حملة الانتخابات عام ١٩٥٢ استن الرئيس ترومان سابقة جديدة بأن أمر بأن يتلقى كل من المرشح للرئاسة والمرشح لمنصب نائب الرئيس معلومات موجزة عن المخابرات الخارجية من ادارة المخابرات المركزية ، وكان غرضه ضمان استمرار السياسة الخارجية بغض النظر عن المرشح الذي ينجح في الانتخابات • ولما كانت هذه المعلومات على مستوى عال فيجب ألا تستغل الا لاغراض محدودة خاصة ، وهذا يحد من المناقشة في المواضيع الحاسمة • ولقد كان جنرال ايزنهاور يدرك ذلك عندما تقبل عرض ترومان ، ولكنه باستثناء المعلومات الخاصة بالامن كان لا يجد ما يمنع من أن يناقش بحرية ويحلل البرامج الخارجية كما تملي عليه حكمته • وقد أثبت فيها أسئلة ممتعة في أثناء انتخابات الرئاسة عام ١٩٦٠ التي تلقى فيها المرشحان للرئاسة ونيابة الرئاسة معلومات خاصة من ادارة المخابرات المركزية • فهل معنى هذا ان جون كنيدي كان بصفته المرشح للرئاسة له الحق في الحصول على معلومات لا يستطيع الحصول عليها بصفته عضوا في لجنة العلاقات الخارجية التابعة للمجلس ؟ • وهل تلقى جونسون - كمرشح - معلومات ما كان يحق له ان يحصل عليها

كزعيم للاغلبية في المجلس أو كعضو في اللجنة الفرعية للقوات المسلحة التابعة للمجلس الخاصة بإدارة المخابرات المركزية ؟ ربما كان ذلك ، وهم يبررون ذلك بأن المرشحين لمنصبي الرئيس ونائب الرئيس لهم الحق في الحصول على معلومات لا يحق لغيرهما الحصول عليها - بما في ذلك قادة الهيئة التشريعية •

□ مشكلات نظام المخابرات :

ان التحليل عبارة عن خطوط توجيهية ذات فائدة في انها تؤكد كفاية خدمات المخابرات ، وانها تخضع لاشراف السلطة المسؤولة • ويجب ألا يكون نشاط المخابرات العملي عبارة عن ادارة في يد السياسة القومية، ويجب الا نغالي في قيمتها حتى بهذه الصفة • فهناك بعض المهام يمكن أن تتركها في يد الدبلوماسيين • وفي اداء وظائفها الاعلامية يجب أن تحتفظ خدمات المخابرات بصفاتها الموضوعية • وفي نفس الوقت يجب الا تلعب المخابرات دور محاولة اقناع المسؤولين في اتخاذ القرارات ، سواء كان ذلك صراحة او بلباقة ، كما يجب ان يكون هناك علاقة عمل وثيقة بين واضعي السياسة وبين محترفي المخابرات •

وبينما يجب ان يظل الاشراف على المخابرات المسؤولة الخاصة برئيس الدولة ، الا ان السلطة التشريعية يجب أن يكون لها دور اكثر وضوحا ، كما يجب على وزارة الخارجية ان تشترك اشتراكا فعليا في وزن الكسب في حالة النجاح ضد احتمالات الاخفاق في كل عملية سرية مقترحة • ان وزارة خارجية قوية هي شرط اساسي لوضع المخابرات في مكانها الصحيح •

واسم المخابرات العامة فيه خطأ ، فهي اكثر من جهاز مخابرات • وقد اصبحت تحقق اغراضا عدة وتشترك في خدمات استراتيجية متنوعة • ويجب ان تنظم مهمة المخابرات الاعلامية بمعزل عن مهمتها السياسية

السرية • لانه عندما يقوم مخططو العمليات بتزويد متخذ القرارات بالمعلومات المطلوبة لتبرير صلاحية الخطة تكثر الاخطاء • فالمخططون وقادة العمليات يميلون الى اعتبار خطتهم المقترحة كفاية في حد ذاتها •

والمشكلة الثانية هي مشكلة السرية وتسلسل الاخبار الذي كثيرا ما حدث في هذه البلاد • فهناك بعض الخدمات الاستراتيجية تتطلب منتهى السرية • ويمكن ان تفرض درجة عالية من السرية بطريقتين ، اولا : يجب على قيادة جماعة المخابرات ان يقاوموا اغراء الظهور واصدار التصريحات ، وتقتضي الحكمة أن يروضوا انفسهم على ان يبقوا مجهولين • ثانيا : يجب ان يكتسبوا الثقة في كفاية نظام المخابرات وفي أنه خاضع للسلطات السياسية المسئولة الامر الذي يقلل من هجوم السلطة التشريعية والصحافة عليه •

وربما كانت المشكلة الجوهرية هي عدم وجود هدف سياسي محدد المعالم ، وعدم وجود اجماع قومي على اهداف السياسة الخارجية • ان الهدف القومي الواضح هو الدواء الذي نوصي به لعلاج ما تشكو منه البلاد خاصا بالشئون الخارجية •

وهناك مشكلات كثيرة في نظام المخابرات بالدول المختلفة ، كان يمكن ان تحل نفسها بنفسها لو كان هناك اجماع ايجابي على اهداف السياسة الخارجية بدل اقتصار المخابرات على الاهتمام بأنشطتها • وهنا يتمتع الشيوعيون بميزة في قيادة العمل السياسي السري ، لان الديمقراطية لا تستطيع ان تفرض مذهباً ايديولوجياً ، ورغم ذلك فان المذهب الايديولوجي يضع البلاد التي تخضع للحكم الجماعي في موقف يفقده الميزة — كما حدث مع المانيا النازية وكما حدث في روسيا السوفيتية في عهد ستالين — لان تقارير المخابرات التي تمر خلال مصفاة ايديولوجية

تجعلها غير دقيقة ومضللة • فبالرغم من ضخامة خدمات المخابرات فقد رفض ستالين أن يصدق ان هتلر كان على وشك شن الهجوم على الاتحاد السوفييتي في يونيو ١٩٤١ • كما اعتاد هتلر في سنواته الاخيرة ان يرفض الاستماع الى الانباء السيئة من اجهزة مخابراته •

وثمة مدرسة تنادي بضرورة الابتعاد عن العمليات السرية غير المشروعة والاقتصر على مبادئ السلوك الخلقي السامي • ولكن بالرغم من ان الدبلوماسية تفضل غيرها ، وانها طريقة اكثر فاعلية ويمكن الاعتماد عليها اكثر من اثاره الفتن ، الا ان الدول وبخاصة الكبرى نجدها في الواقع لا يمكن ان تستغني عن التجسس ولا يمكن ان تقلع عن مبدأ عدم التدخل في شئون البلاد الاخرى الداخلية • فمثلا لا يمكن للولايات المتحدة او الاتحاد السوفييتي ان يقلع عن الحرب الباردة دون ان يتعرض للخطورة مع كل الدول التي تشاركها في مذهبها ، كما لا يمكنها ان تتبع سياسة « الغاية تبرر الوسيلة » عند كل عمل •

ان الصراع الايديولوجي الذي يسود العالم اليوم قد غير الكثير من مفاهيم واساليب أنشطة المخابرات ، وكذا مدى علاقتها بالاجهزة التنفيذية والتشريعية في الدول المعنية • وان المرء لفي حيرة مما يخبئه الغد نتيجة التطورات المحتملة في العلاقات الدولية ، وازله مصير هذا الصراع الدامي الذي هدد العالم في مناسبات عدة بالانتحار الجماعي •

□ ازدواج العمل :

ان أسوأ ما تتعرض له المخابرات حالة عامة تشترك فيها كل اجهزة المخابرات حتى في الدول العظمى ، وهي ازدواج العمل والمجهودات التي تبذلها المخابرات •

ففي بريطانيا مثلا فان جهود المخابرات مشتتة بين ما لا يقل عن

خمسة عشر وكالة معلومات ، وتتجمع كلها في مكتب المخابرات المشتركة في وزارة الحرب ، ولو أن المكتب يعتبر وكالة للمخابرات المركزية لحكومة جلالة الملكة ، الا انه يقتسم عمله مع وزارة الخارجية والادميرالية ووزارة الحرب ووزارة الطيران ووزارة علاقات الكومنولث ، ولجنة التجارة ووزارة الامدادات ، ووزارة الطيران المدني ، ووزارة النقل ، وادارة الاستعلامات المركزية ، ومجلس الابحاث الطبية ، ومصلحة الابحاث العلمية والصناعية ، ولكل من هذه ادارة مخابراتها المستقلة .

وليست الحالة بأفضل من هذا في الاتحاد السوفيتي اذ ان هناك على الاقل خمس منظمات كبيرة تعمل في خطوط متوازية ، بل وتتنافس الواحدة مع الاخرى .

وفي الولايات المتحدة يتشعب هذا الازدواج لتوزيع العمل على حوالي خمس وعشرين وكالة مخابرات ، فبجانب وكالة المخابرات المركزية هناك لوزارة الخارجية وللجيش والبحرية والطيران ادارات مخابرات خاصة بها ، وبالإضافة الى ذلك فان هناك عدة لجان ومؤتمرات ومجموعات تقوم ايضا بالعمل ، ولو ان مجلس المخابرات ينسق بين هذه المجموعات .

ونحن في مصر كنا نعاني من هذا الازدواج ايضا حيث كانت تشعب المجهودات فيما يزيد على عشر ادارات مختلفة .

والواقع ان هذه حالة خطيرة ، ولا تزيد من كفاءة او قوة تأدية عمل المخابرات ، ان التناقضات القائمة فعلا لسبب طبيعة العمل لا مناص من تطورها نتيجة مثل هذا التشعب .

وتزداد الحالة تعقيدا نتيجة عوامل التنافس المخرب ، والغيرة الذاتية التي تبدو في داخل ادارات الاجهزة المختلفة ، وينتج عن ذلك تعطيل عملية تعزيز المعلومات المنتجة ، لان مادة المعلومات قد لا تتوافر الا لدى

دائرة كبيرة واحدة ، وحينئذ يكون عدم تعزيزها بتأييدات أخرى سبباً في نقص قيمتها المؤكدة ، فإن قطعة من المعلومات المضللة ترسل الى عدة أجهزة مخبرات قد تؤدي بالسلطات العليا الى اعتبارها معلومات معززة مؤكدة ، مع انها في الواقع آتية من مصدر واحد •

وانني أعذر المواطنين في عدم قدرتهم على التحقق من رسالة المخبرات نتيجة هذا الازدواج ، وان القارئ بعد أن يفهم مهمة المخبرات يستطيع ان يدرك ان نشاط المخبرات حتى الجزء الايجابي منه موجه ضد أعداء الوطن من الجواسيس الخونة ، بل ان معظم هذا النشاط يدور خارج ارض الوطن •

□ مخاطر الانزلاق في مناقشة موضوع المخبرات :

ان الغريب في الامر ان منظمة مخبراتنا الحديثة النشأة ، والتي افخر بأئني قد وضعت لبناتها منذ ان عهد لي رئاسة المخبرات في اكتوبر عام ١٩٥٦ ، كانت محل تقدير المواطنين ، ويحسب العدو حسابها ، لدرجة انها نالت من الدعاية في المحافل الدولية ما جعلها هدفا للتساؤل والهجوم ، وخاصة من اولئك الذين يهمهم هدم هذا الجهاز ، والذي لن يستفيد من ورائه سوى خصومنا •

لقد تصادف في مارس عام ١٩٦٦ أن كنت أقرأ مقالا جاء في مجلة « اوزيكوت » الفرنسية عن صورة من النزاع العنيف القائم داخل أجهزة المخبرات الاسرائيلية وعن محاولة التخلص من أشكول •

لقد جاء في الجريدة ما يلي :

« يبدو ان المسؤولين الاسرائيليين يريدون التخلص من أشكول ، وتسوية مشكلة المخبرات والنزاع العنيف القائم في ساحتها ، ولكن من هو الرجل السياسي الذي يستطيع ان يتهم جهاز مخبرات بلاده بسبب

أخطاء ارتكبتها ؟ انه لو فعل ذلك لقضى بالموت على عدة آلاف من خيرة رجال المخابرات الذين تستخدمهم اسرائيل . فبفضل هذه المخابرات استطاعت اسرائيل حتى الوم الابقاء على التوازن بينها وبين الدول العربية ... ولكن أشكول و «مايرأميت » رئيس المخابرات الحالي ارتكبا عدة اخطاء ضد أمن الدولة الاسرائيلية » .

وتعود المجلة فتقول :

« ان القضية التي أخفقت فيها المخابرات الاسرائيلية في عهد أميت أصبحت « سر الدولة » ولم يكتب لها النجاح . ولقد ذهب « ماير أميت » رئيس المخابرات الذي تولى الجهاز بعد « أيسر هاريل » الى أشكول وطلب منه أن يسمح له كتابة بالقيام بتلك العملية ، فكتب له أشكول التصريح بعبارات غير واضحة ، وحيما باءت المهمة بالخيبة لم يشأ أشكول أن يقاسم رئيس المخابرات المسؤولية ، وانتهى الامر بتشكيل لجنة خاصة للتحقيق في هذه المسألة تتكون من جولدا مائير واسرائيلي جاليلي وزير الدولة لشئون الاستعلامات وايغال آلون وزير العمل ورئيس حزب أحداث عفوداه والقائد السابق للهجانا .

وقررت اللجنة ان مسؤولية الاخفاق تقع على أشكول ، وأشار الاخير على رئيس المخابرات بالاستقالة ، ولكنه رفض أن يكون كبش الفداء فقال له : « لقد برأت اللجنة ساحتي ، قدم أمت استقالتك » .

ونوقش الموضوع في الكنيست ، وتبين أن نتيجة النزاع قد أدت الى ضرر بأمن الدولة الاسرائيلي ، فبينما استطاع « أيسر هاريل » (١) أن يشل حركة العلماء الالمان في مصر ويرغمهم بأساليبه على ترك القاهرة ، أخفق قسم الانجاز في « ش.ب » في عهد أميت من الناحية الفنية في تحقيق عملياته ضد منظمة « فتح العربية » .

(١) أيسر هاريل هو مؤسس « ش.ب » التي تحدثنا عنها في مخابرات اسرائيل ، وهو الذي نظم هجر خطف ايخمان ، وهو الذي اتهم جهاز المخابرات الاسرائيلية ببعض الاخطاء .

هذه صورة من الصور التي يجب ان تناقش موضوعاتها في منتهى السرية ، والتي اتهم فيها احد السياسيين الاسرائيليين جهاز المخابرات الاسرائيلي بأنه أخطأ في عملية من عملياتها ، وكانت النتيجة أن حدث تصدع داخل جهاز الحكم ، بل داخل حزب أشكول •

ان حرية المواطنين لا تتعارض ابدا مع ما تقوم به المخابرات من نشاط ، ولكن ثمة بعض الامور التي يجب ان تعالج في أعلى المستويات واضيقها حتى لا يستفيد منها العدو •

□ كيان المخابرات العامة :

ولقد كنت مدفوعا حقيقة وانا انتهي من وضع هذا الكتاب الى ان أظهر المخابرات العامة في مكانها الصحيح في مجتمعنا • ان المخابرات العامة حسب ما جاء بقانونها المصدق عليه من مجلس الأمة السابق هيئة حكومية مستقلة معترف بها ، وتحدد واجباتها ومكانها في السلم الوظيفي والاشراف عليها قوانين وقرارات ومنشورات ، وكما هو الحال في كثير من مؤسسات الدولة سواء كانت عسكرية او مدنية يحاط جزء كبير من عملها بالسرية ، بهدف المحافظة على اسرار الدولة ، وكما هو متبع في كل دول العالم •

وتتبع المخابرات العامة تبعية مباشرة لرئيس الجمهورية ، ورئيس المخابرات العامة مسئول امامه مسئولية مباشرة ، كما انه عضو في مجلس الدفاع الوطني المسئول عن خطة الامن القومي للدولة ، وهو بصفته هذه مستشار للمجلس •

ويقوم رئيس الجمهورية حسب نص قانون المخابرات العامة باختيار

نائبه ، وليست هذه عملية روتينية ، فان وظيفة رئيس المخابرات وظيفة سياسية أكثر منها ادارية او تنظيمية •

والواقع أن هناك خلطا واضحا في مجتمعنا بين أهمية مفهوم الامن وبين الحريات ، فجهاز المخابرات العامة ليس لديه أية سلطة تنفيذية انما هو جهاز بحث ودراسة ، حتى الجانب الايجابي منه في مقاومة التجسس يعتمد على الاجهزة المختصة في عمليات القبض على الجواسيس بعد اكتشافهم وذلك حتى يبقى أفراد مقاومة التجسس غير معروفين للعدو •

ان المخابرات معركة دهاء بين منظمتين ، حيث يبذل كل جانب ما يملك من طاقات ذهنية وعقلية لشل خطط خصومه ، وهذا لا يؤثر بتاتا على اي حرية من حريات المواطنين •

ولقد كان لوعي الامن لدى بعض المواطنين المصريين قيمة بالغة في عمل رجال مقاومة التجسس ، حيث كان لهم الفضل في الكشف عن الكثير من قضايا التجسس • ان المخابرات تحمي الوطن من تسلل العدو ، ولا تفرض أي قيود على حرياته •

وربما جاء هذا الخلط في المفهوم الذي أشرت اليه نتيجة آثار ما خلفته أجهزة الشرطة السياسية (البوليس السياسي) فيما قبل الثورة ، أو نتيجة بعض نشاطات اجهزة الامن الاخرى التي تحملت المخابرات العامة أخطاءها خلال محنتها الكبرى •

كما قد يرجع ذلك لدى بعض المثقفين مما قد يعلق بأذهانهم من قراءاتهم عن اجهزة الامن في بعض الدول الجماعية والدكتاتورية والبوليسية • فمثلا حدث ان بعض اجهزة الامن في روسيا في عهد ستالين ، وفي المانيا في عهد هتلر بل في الديموقراطيات المعاصرة ، كانت تقوم بأعمال يمكن ان نصفها بأنها نوع من كبت الحريات وفضلا عن ذلك

فتمة امثلة كثيرة - اكثر ظهورا في امريكا اللاتينية احوال فيها الدكتاتوريون جهاز المخابرات الصحيح الى جستابو خاص بقصد الاحتفاظ بحكمهم ، ونذا كان استخدام أجهزة الامن الملتوية والشهيرة بأعمال الشر ما جعل الكثير من الناس يميلون الى هذا الخلط .

□ الرقابة الجماهيرية والبرلمانية :

ولنا ان تتساءل هل الممكن ان تكون هناك رقابة جماهيرية على أعمال ومهام تتطلب السرية ؟ وهل من حق المواطنين ان يعرفوا أسراراً قد تفيد العدو اذا تسربت ؟ .

اننا نعتقد ان اعمال المخابرات لا تقل قيمة - ان لم تفق - أي سر من الاسرار العسكرية ، ويجب أن يحفظ في الخزائن ولا يلم بها سوى قلة من المسؤولين عن الامن القومي للدولة .

ولكن من جهة اخرى فلا مانع قط من أن تكون هناك رقابة برلمانية على اعمال المخابرات لا تفصيلاتها . وان لم يكن صادفنا في الخمس عشرة سنة التي تلت قيام الثورة اي اقتراح من اي عضو من مجلس الامة يعرض فيه لنظام معين لهذه الرقابة ، فان الدول الديموقراطية التي مرت بهذه التجربة صادفها معارضات وتأييدات لنظام الرقابة ، أما في الدول الشيوعية فيسيطر عليها الحزب تماما .

□ تجربة الولايات المتحدة :

وقد يكون من المفيد هنا ان نذكر التجربة التي مرت بها الولايات المتحدة من ناحية بعض الاقتراحات التي أثبتت في مناقشات السلطة التشريعية منذ انشاء جهاز المخابرات المركزية .

ففي خلال السنوات الاولى لوكالة المخابرات المركزية كانت هناك سلسلة من التحريات عن نشاطها • وعين ألين دالاس في عام ١٩٤٩ رئيسا للجنة ثلاثية لتضع تقريراً عن عمليات وكالة المخابرات المركزية لتقديمها الى الرئيس ترومان .

كذلك كانت هناك دراسات تتم تحت اشراف لجنة هوفر ، حيث اجتمعت مرتين : الاولى عام ١٩٤٩ والثانية ١٩٥٥ •

وكانت الدراسات خاصة بتنظيم الفرع التنفيذي من الحكومة ، كما تشمل دراسات عن بناء المخابرات •

اما المسح الذي تم عام ١٩٥٥ في اثناء رئاسة ألين دالاس فقد تضمن تقريراً أعدته لجنة بقيادة جنرال مارك كلارك •

وفي نفس الوقت تقريباً أعد مسح خاص عن عمليات الوكالة لتقديمه الى الرئيس ايزنهاور تحت قيادة الجنرال جيمس دولتيل •

ومن بين التوصيات التي تقدمت بها لجنة هوفر في عام ١٩٥٥ انشاء مجلس رئاسة مدني دائم ، ليأخذ مكان لجان التحريات المؤقتة • هذا المجلس هو ما اطلق عليه اسم « لجنة الرقابة » •

وقام الرئيس الامريكي بتعيين مجلس المستشارين في نشاط المخابرات الخارجية التابع له ، والذي رأسه بعض الوقت رئيس المعهد التكنولوجي بماساشوستن جيمس كليان • وبعد أن تولى الرئيس كنيدي الحكم أعاد تشكيل هذه اللجنة باجراء تعديل في عضويتها ، ومرة ثانية عادت الرئاسة الى دكتور كيليان • وفي ابريل عام ١٩٦٣ استقال دكتور كيليان وخلفه محام ناجح وخبير في أعمال الحكومة هو مستر كلارك كليفورد • وكان لهذه اللجنة التي كانت تجتمع عدة مرات في السنة حق الاطلاع على ملفات وكالة المخابرات المركزية وسجلاتها وانشطتها وميزانيتها •

اما التوصية الثانية التي تقدمت بها لجنة هوفر فكانت انشاء لجنة رقابة تابعة للكونجرس ولكن لذلك تاريخا عاصفا .

وفي عام ١٩٥٣ - قبل توصيات لجنة هوفر - كانت السناتور مايك مانسفيلد قد تقدم بمشروع لانشاء لجنة كونجرسية مشتركة لوكالة المخابرات المركزية على غرار اللجنة المشتركة للطاقة الذرية ، ولكن لم يؤخذ به .

وبعد سنوات قليلة أخذت الاصوات ترتفع على نفس هذا الموضوع في المجلس ، وذلك بعد أن تقدم به مرة ثانية السناتور مانسفيلد وكان هناك كثير من المؤيدين ، اذ صوت له خمسة وثلاثون عضوا من كلا الحزبين وأقره المجلس في فبراير عام ١٩٥٦ ، ولكن صوت ضده صوت قوي هو صوت السناتور كارل هايدن رئيس لجنة الاعتمادات بالمجلس . وكان يؤيد وجهة نظر السناتور هايدن السناتور رتشارد راسل رئيس لجنة القوات المسلحة بالمجلس والسناتور ليفريت سولتسترك العضو الجمهوري الكبير في اللجنة سالفة الذكر . وفي ابريل وبعد مناقشة ممتعة صوت المجلس ضد مشروع لجنة الرقابة بأغلبية مدهشة . وعندما قام السناتور راسل بابداء رأيه في معارضة المشروع قال : « بالرغم من اننا عندما سألنا مستر الين دالاس - اسئلة عميقة عن بعض الانشطة التي يقشعر منها بدن من يستمع اليها ، الا انه لم يخذلنا مرة بالامتناع عن الاجابة في الحال وبصراحة عن أي سؤال وجهناه اليه » . وتقرر البت في الموضوع عندما تأيدت هذه الشهادة بواسطة نائب الرئيس السابق - وكان ذلك الوقت سناتور - الين باركلي الذي كان يتحدث عن خبرة حينما كان عضوا في مجلس الامن القومي ، وأيده في المعارضة السناتور ستيوارت سيمينجتون ، الذي كانت له معرفة وثيقة بأعمال الوكالة عندما كان وزيرا للطيران ، وعند التصويت النهائي ٥٩ الى ٢٧ انقلب عشرة من المؤيدين السابقين ، وانضموا الى الاغلبية لهزموا الاقتراح ، لقد استمعوا

الى ما يكفي لاقناعهم - مؤقتا على الاقل - بأن الحاجة تدعو الى الاخذ
بذلك الاقتراح .

وفي اثناء المناقشة اوضحوا بصورة مؤكدة ان الاجراءات التي تؤدي
الى تحقيق الغاية المنشودة كانت موجودة فعلا وأنها تؤدي عملها بصفة
مرضية لسنوات طوال .

وقامت حملة في الكونجرس عام ١٩٥٦ بزعامة السناتور جوزيف
مكارثي تقترح اجراء تحقيقات في المخابرات المركزية بتهمة التسلل الشيوعي
وعدم الكفاية والاسراف ، ولكن هزم الاقتراح وعلق احد الاعضاء
المعارضين قائلاً :

« الافضل هو أن نلغي ادارة المخابرات المركزية ونوفر بذلك الأموال
المعتمدة وأرواح الموظفين ، لان هذا افضل من الكشف عن عمليات
المخابرات » .

وقال آلين دالاس :

« ان اي تحقيق تجريه لجنة تابعة للكونجرس او جهاز اخر تكون
من نتيجته افشاء نشاطنا السري وعملياتنا السرية . ان الكشف عن اسماء
عملائنا هو بمثابة ائنا ساعدنا العدو في ان يتسلل بعملائه داخل بلادنا .
وهكذا فان كمية المعلومات التي يكشف عنها لاي جماعة تابعة للكونجرس ،
تتوقف على رغبة مدير المخابرات الذي يستمد سلطته من الكونجرس .

ومن الطبيعي ان للجمهور والصحافة مطلق الحرية في نقد أعمال
المخابرات ، ويشمل ذلك العمليات التي تتكشف نتيجة الهفوات او سوء
التصرف .

وينطبق هذا على نشاط المخابرات ، كما ينطبق على أية عملية حكومية

اخرى • وحينما تخفق عملية مخابرات وتتكشف تكون المخابرات ورئيسها على استعداد لتحمل المسؤولية •

ولكن لا يمكن للجمهور ان يقوم اعمال المخابرات ، ويؤيد ذلك ما ذكره الرئيس الراحل كنيدي حينما كان يفتح المقر الجديد لوكالة المخابرات المركزية في ٢٨ من نوفمبر ١٩٦١ موجها كلامه لرجال المخابرات •

قال كنيدي :

« ان نجاحكم لا يعلن عنه ولكن فشلكم يغالى فيه ، وهذا يعني ان المخابرات هي المهنة التي تحظى بأقل فهم واكثر تمثيل خاطيء ، وهي المهنة التي لا نستطيع ان نتحدث فيها عن العمليات التي تصيب نجاحا •• اما العمليات الفاشلة فهي التي نتحدث عن نفسها » •

□ القاعدة المعمول بها :

وكانت هناك قاعدة معمول بها وهي ان المخابرات العامة كأي جهاز مخابرات مثالي لم تكن تتدخل في رسم السياسة بل كان لها دور كما وصفناه في الفصول السابقة ، كما ان العاملين فيها كانوا بعيدين عن العمل السياسي • ولا يسمح لأي شخص فيها بأن يشترك في أي نشاط ذي طبيعة سياسية اللهم الا التصويت •

وهذه نقطة حيوية وهامة ، فالمخابرات كهيئة مستقلة واجبها الاساسي حماية الدولة سواء في ناحية المخابرات الايجابية او الوقائية ، وحين تقدم تقاريرها وتقاريرها يجب أن تكون بعيدة عن أية مؤثرات •

وقد أرد على الذين ينقدون وجود قانون خاص للمخابرات ، فأقول ان الضمانات التي جاءت بالقانون سالف الذكر ، وكذا المواد التي تعالج

أمور المخابرات المختلفة انما تعبر عن طبيعة جهاز يضم مجموعة من الرجال والسيدات الذين يعملون بنزاهة واحترام للمواطنين ، وهم يقدرّون الواجب ويتفانون في تأدية ما كان يوكل لهم ، بل منهم من مات شهيدا كالجندي المجهول •

وبالرغم مما قيل عن المخابرات من بعض العملاء الخونة الموتورين والمأجورين وبعض العميلات المحترفات اللاتي كن فصلن من العمل لعدم صلاحيتهن ، فاستغلتهن بعض مراكز القوى في التشهير بالمخابرات ، فاني استطيع بكل فخر وثقة ان اقول انني زهاء الاحد عشر عامًا التي رأست فيها الجهاز ، لم ارقط جماعة من الرجال او النساء تعمل في هذا البلد في صمت وسكون دون انتظار مكافأة أو منفعة مثل هؤلاء الذين عملوا معي في المخابرات العامة •

ان منظمة المخابرات ليست هي التي تهدد حرياتنا ، ان الخطر يكمن في الصراع داخل مراكز القوى التي تتجدد يوما بعد يوم ، وكذا من عدم وجود التخطيط السياسي المبني على أساس علمي ، كما يكمن في نشاط الخونة اعداء الوطن الذين يبيعون انفسهم لاجهزة المخابرات الاجنبية وبالتالي الى الشيطان •

انا حينما نخرب جهاز مخابراتنا ، ونفشي أسرارّه في وقت نواجه فيه تهديدا عسكريا انما نقيد بذلك العدو ، انها جريمة تصل الى درجة الخيانة تستحق اقصى العقاب •

والافضل ان نلغي جهاز المخابرات بدلا من ان نكبله بالاغلال ، وان نضحي بامن الدولة في سبيل ما يردده البعض عن كبت الحريات الذي لا علاقة لها بالمخابرات ! •

وليس امامي الا كلمات بسيطة اذكرها للتاريخ :

« ان الافراد والاجهزة التي عملت على تخريب جهاز المخابرات
لاسباب شخصية لن ينسى لهم التاريخ ما فعلوه حينما تكتشف الحقيقة
وما ادته المخابرات من رسالة مقدسة، ويكفي أفراد المخابرات هذا التقدير من
الجيل الذي يفهم رسالتهم • ويكشف من هم الذين كتبوا الحريات » •

الفصل العشرون



دور المخابرات في الحرب الباردة

دور المخابرات في
الحرب الباردة

آثار الانقسام
الايدولوجي - تطور
ادارات الامن - التسلل
للدول النامية - مبدأ
ترومان - اساليب
التسلل الشيوعي - دور
موظف الامن بالخارج -
اساليب الولايات المتحدة
- التشهير والتجسس
والتخريب - الضرب
النفسية - الراديو
الاسود .

آثار انقسام العالم ايدولوجيا :

قامت بعد عام ١٩٤٥ عوامل كثيرة جديدة أثرت بدرجة كبيرة في أعمال المخابرات ، فلقد اعيد تخطيط الحدود الدولية ، وأصبحت دول عاشت مستقلة قرونا طويلة دولا تدور في فلك الاتحاد السوفيتي ، كما ان دولا كثيرة كانت مستعمرات أو دولا محمية قد استقلت ، ونتيجة لهذه التغييرات الكثيرة فان اشخاصا كثيرين جدا باتوا بلا وطن يلجأون اليه . كان الكثيرون قد تركوا اوطانهم وراحوا يبحثون عن اماكن يلجأون اليها ، فسهلت هذه الظروف من تسرب العملاء وجعلت عمل الجواسيس ايسر نسبيا .

والواقع ان الحرب الباردة اصطلاح من الاصطلاحات المتعددة التي شاعت عند الحديث عن الصراع الايديولوجي الذي يسود العالم اليوم ، وفيما يلي قليل من هذه المصطلحات الشائعة : -

- ★ الحرب الباردة .
- ★ حرب الافكار .
- ★ النضال من أجل الحصول على عقول الرجال واراדתهم .
- ★ الحرب من أجل السيطرة على عقول الرجال .
- ★ حرب الفكر .
- ★ الحرب الايديولوجية او العقائدية .
- ★ حرب الاعصاب .
- ★ الحرب السياسية .

والمصطلحات الخمسة الاولى كلها مصطلحات واقعية . انها تصنف عمليات نفسية في العلاقات الدولية ، ويبدو أن الحرب الباردة تغطي اوسع مجالاتها ، فالحرب الباردة تشن اليوم بكل الوسائل فيما عدا

الهجوم العسكري المباشر على نطاق واسع • أما المصطلحات الأربعة الأخرى فتصف الدور الأيديولوجي في هذا النظام •

أما الحرب العقائدية ، وحرب الأعصاب ، والحرب السياسية فيمكن أن يكون لها معانٍ واقفية أي تعريف الإزمة الحالية بين الشرق والغرب ، أو معنى متوال ، أي وصف للأساليب المستخدمة لمواجهة هذه الإزمة .

أن انقسام العالم تقسيماً أيديولوجياً واضحاً إلى كتلتين أحدهما شرقية والأخرى غربية ، أدى إلى صراع أيديولوجي ظاهر بين الرأسمالية والشيوعية ، وتحول إلى الشيوعية رجال ونساء متعلمون يشغلون مراكز هامة في الغرب آمنوا بالشيوعية اعتقاداً منهم بأن هذا التحول وليد دوافع مثالية ، وعلى نقيض هذا فإن أفراداً من الدول الشيوعية عملوا للحصول على ملجأ لهم في بلاد الغرب • وزاد الأمر تعقيداً ، ظهور الصين كمعسكر ثالث له قوته وفاعليته في السياسة الدولية •

في سبتمبر سنة ١٩٤٥ هرب إلى السلطات الكندية إيجور جوزنكو من موظفي السفارة السوفييتية في أوتاوا ، وكشف إذ ذاك عن نشاط كلاوس فوخس وآلان نان ماي اللذين كانا يعملان في بريطانيا في أبحاث سرية خاصة بالذرة ، ومن الصعب الحكم على مدى المعونة التي قدمها هذان الرجلان للاتحاد السوفييتي ، ولكن قد يكون من المحتمل أنهما عاونوا الاتحاد السوفييتي بدرجة كبيرة في تطوير القنبلة الذرية ، ومن ثم فإنهما عجلاً بإنهاء الاحتكار الأمريكي - الإنجليزي للقنبلة الذرية •

وفي ذلك الوقت كان برونو بونتكوروفو يعمل في كندا في الأبحاث الذرية ، وفي سنة ١٩٥٠ اختفى الرجل من هلسنكي بفنلندا ، وذهب إلى الاتحاد السوفييتي حيث بقي هناك •

وفي سنة ١٩٥٤ أفلت فلاديمير بتروف وزوجته - وكان كلاهما من موظفي السفارة السوفيتية في استراليا - من الاتحاد السوفيتي ، ومنح حق اللجوء السياسي من حكومة استراليا ، وكشفت هذه العملية عن شبكة كبيرة للجاسوسية السوفيتية في استراليا ، وبالرغم من ان كل هؤلاء الافراد لم يكونوا من العملاء المخترفين بل كان السبب وراء تحول الكثيرين منهم هو الاعتقادات الايديولوجية .

ولقد زادت بعد سنة ١٩٤٥ فرصة ادخال العملاء داخل منشآت البحوث والادارات الحكومية والموانئ والمصانع في العالم غير الشيوعي ، وكان ادخالهم يتم بواسطة أوراق مزورة ووراء شخصيات بريئة المظهر لا تدفع الشك اليهم .

☐ تطورات ادارات الامن :

ونتيجة لمثل هذه الظروف تطورت ادارات الامن واتسع نطاق عملها في كل منظمات المخابرات في العالم كله .

وكان « الامن » في بريطانيا اسهل منه في دول اخرى ، اذ ان وضعها الجغرافي كجزيرة مكنها من ان تفرض تحذيرات على الدخول والخروج ، ثم ان سكانها على خلاف العادة متجانسون ، مما قلل من عدد الذين يحتمل أن يقوموا بالخيانة . اما الدول ذات الحدود البرية المشتركة بينها وبين بلاد اخرى فانها تواجه صعابا اكثر من ناحية الامن ، ففي الولايات المتحدة مثلاً حيث السكان أقل تجانسا من سكان المملكة المتحدة نجد ان تلك الصورة عبارة عن انعكاس لمنظمة الامن الضخمة التي تحتفظ بها الولايات المتحدة دائما .

☐ الصراع الايديولوجي :

ولكي نتبع الصراع الايديولوجي الذي يسود العالم اليوم ، لا بد

ان نعود الى الورااء الى عام ١٩١٧ حيث تم اخر انتخاب روسي قبيل
نشوب الثورة البلشفية .

وبالرغم من ظروف الفوضى التي سادت البلاد في خريف ١٩١٧ ،
فقد كان ثمة حوالي ستة وثلاثين مليوناً من الاصوات من أجل ٧٠٧
مقاعد في الجمعية . وفي هذا التصويت كان نصيب البلاشفة من الاصوات
الربع ومن المقاعد ١٧٥ مقعداً . وعندما رأى لينين انه لا يستطيع
السيطرة على الجمعية او تخوينها عمد الى حلها مستخدماً في ذلك القوة .

وفي هذا يقول لينين مفتخراً :

« لقد تحول كل شيء الى افضل . فعلت الجمعية معناه القضاء
التام السافر على الفكرة الديموقراطية لتحل محلها الفكرة الديكتاتورية .
وسوف يكون لهذا الدرس قيمة »

وهذا ما ثبت حدوثه . لقد وضع النمط لاستخدام الاساليب التي
استعملتها البلاد الاخرى للقضاء على الحرية . لقد اظهر لينين كيف ان
أقلية تسندها قوة غير شرعية ، يمكنها ان تطلا تحت اقدامها اغلبية تعتمد
على الاساليب الديموقراطية .

□ التسلسل السري الى الفول التامة :

ومضت ثلاثون سنة شعرت الشيوعية بعدها بأنها من القوة بحيث
تستطيع تطبيق هذه الاساليب في المناطق الواقعة خارج سيطرة الاتحاد
السوفيتي .

ولكن ما ان وضعت الحرب اوزارها في عام ١٩٤٥ حتى كانت
الشيوعية تستأنف سيرها . وفي ذلك الوقت كان الشيوعيون يوطدون
حدودهم على نهر الالب بعد ان تغلغلوا الى وسط اوروبا ، وبعد ان اصبح

بهم قوات احتلال ، وجهاز اثاره للعمل على ادخال نظام الحكم الشيوعي
في بولندا ورومانيا وبلغاريا . ويعمد ذلك بقليل استولوا على
تشيكوسلوفاكيا وبدأوا تقدمهم صوب بحر الصين في الشرق الاقصى .

ان الجزء الهام من استراتيجية الشيوعيين في الحرب الباردة اليوم
هو التسلل السري الى الدول النامية أما الوسائل التي يستخدمونها
والدول التي يختارونها ونقط الضعف في هذه الاماكن فتظل ملي
الكتمان بقدر الامكان . وهم ينتهزون الفرص ويحاولون بصفة خاصة
التسلل الى القوات العسكرية وقوات الامن تحت ستار التغلغل السري .

ومن ناحية أخرى يحاول الجانب الآخر وعلى رأسه الولايات المتحدة
المحافظة على مصالحه الاستعمارية ، اما في شكل الاستعمار الجديد واما
في شكل انقلابات للحكومة التي لا تسير في فلكها .

ان الانقلابات العسكرية التي تحدث في افريقيا وآسيا وامريكا
اللاتينية وكذا مواقف الانفجار في شرق آسيا والشرق الاوسط تبرز
اخطر الصراعات بين قطبي المعسكرين . والواقع انه لا يمكن تحديد
معياري يمكن ان نقيس به هذه الاحداث ، حيث لا يدفع ثمنها الا الشعوب
التي تحاك وتدبر ضدها هذه الصراعات .

□ اتساع نطاق مجال الحرب الباردة :

وبطبيعة الحال فان مدى الاساليب التي يستخدمها كلا الجانبين
في الحرب الباردة اوسع من نمط العمل السري والانقلابات السياسية كهذه
التي رأيناها في تشيكوسلوفاكيا وكوبا ، وهذا يشمل ايضا الحروب
المحدودة كما هو الحال في كوريا وفيتنام الشمالية وحرب العصابات كما
هو الحال في فيتنام الجنوبية والحزب القومية في الصراع القائم في منطقة
الشرق الاوسط بين العرب واسرائيل .

ومنذ عام ١٩٤٧ ظهر الصراع الايديولوجي بين المعسكرين بشكل واضح . ان احداث ايران عام ١٩٥٣ ، وجواتيمالا عام ١٩٥٤ وكذا احداث اليونان وبرلين وكوريا وفيتنام والكونغو والانقلابات المتعددة في افريقيا ، واخيرا هذا الموقف الخطير في منطقة الشرق الاوسط ، لها دلالتها الخطيرة على الامن الدولي ، اذ لم تستطع هيئة الامم المتحدة ، ولا مجلس الامن ان تضع حلا عاجلا للمشكلة الاخيرة .

وما دام هناك صراع ايديولوجي فلا بد من استمرار هذه الحرب ، ونذكر على سبيل المثال ما قاله الرئيس ايزنهاور في خطابه الشهير فسي حملة الانتخابات يوم ٨ من اكتوبر عام ١٩٥٢ فسي سان فرانسيسكو : « يجب ان نكيف سياستنا الخارجية حتى توائم استراتيجية الحرب الباردة الموحدة المتناسكة ... وفي روحنا وعزيمتنا يجب ان نرى في هذه الحرب الباردة فرصة كي نحصل على نصر دون خسارة في الارواح ، وكي نفوز في نضال من اجل السلام » .

□ حروب التحرير :

ومنذ عام ١٩٦١ اتخذت الحرب الباردة طريقها بدلا من الحرب النووية الساخنة التي اعاد الكرملين النظر فيها بعد ستالين ، وبعد ثورة المجر أخذت اسلوبا جديدا في هذه الحرب اطلق عليها « حرب التحرير » .

لقد جاء في خطاب جروشوف الذي ألقاه في السادس من يناير من نفس العام ، حيث لخص فيه القوة الشيوعية والتكتيك السوفييتي ، وفيما يلي بعض فقرات مأخوذة من هذا الخطاب الذي يجب ان يقرأ بتمعن :

« ان عصرنا هذا هو عصر الانتصار بالنسبة للماركسيه اللينينية ، واليوم تعمل الاشتراكية من اجل التاريخ . ان المضمون الاساسي للعملية

التاريخية المعاصرة يتطلب اقامة الاشتراكية وتوطيدها على مقياس دولي •
« ولن يمضي وقت طويل حتى تتسلط الماركسية اللينينية على عقول
السراد الاعظم من سكان العالم •

« ان ما تم تحقيقه في العالم في السنوات الثلاث والاربعين التي
انقضت منذ انتصار ثورة أكتوبر ليؤكد تماما الدقة العلمية التي تتمتع
بها النظرية اللينينية في ثورة العالم الاشتراكية • ان نظام الامبريالية
الاستعماري على وشك التفكك التام » •

وجاء بعد ذلك في الخطاب نفسه ذكر كوبا كمثال يوضح الثورة
ضد امبريالية الولايات المتحدة • ثم اضاف بعد ذلك قوله :

« هل يمكن أن تنشأ مثل هذه الحروب في المستقبل ؟ يمكن ذلك !
هل يمكن ان تحدث مثل هذه الثورات ؟ يمكن ذلك ! ولكن ثمة حروبا
هي من قبيل الثورات ، وبمعنى آخر هل يمكن خلق الظروف التي ينفسد
فيها صبر الشعب ويمتشق السلاح ؟ يمكن ذلك ! ما موقف الماركسيين
نحو هذه القرارات ؟ هو موقف ايجابي ! يجب الا نخلط بين هذه الثورات
وبين الحروب التي تنشب بين الدول او بين الحروب المحلية ، حيث ان
الشعب في هذه الحروب يقاتل من اجل استخلاص حقه في تقرير
المصير ومن اجل التطور الاجتماعي والقومي المستقل • انها ثورات ضد
نظم الحكم الرجعية العفنة وضد المستعمرين . ان الشيوعيين يؤيدون
مثل هذه الحروب تأييدا كاملا ، ويسيرونها في مقدمة الصفوف مع
الشعوب المناضلة من اجل التحرر » •

ثم ننته خروشوف كلامه بقوله :

« ايها الرفاق نحن نعيش في زمن زاهر • لقد أصبحت الشيوعية
القوة التي لا تقهر في قرننا هذا » •

هذا هو ايمان الشيوعية وهذا هو ميثاقها للسيطرة على العالم عن طريق ثورة عالمية .

مبدأ ترومان :

وفي عام ١٩٤٧ اعلن ترومان المبدأ الذي يحمل اسمه .

ويقول هذا المبدأ : « اذا شعرت الحكومة ان منشأتها الحرة وسلامتها القومية تهددها الثورة الشيوعية ثم رغبت في الحصول على المعونة الامريكية فان سياستها تقضي بان تقدم هذه المعونة » . وبعد عشر سنوات صيغت هذه السياسة في لغة اوضح بالنسبة لبلاد الشرق الاوسط في المبدأ الذي اصبح معروفا باسم مبدأ ايزنهاور .

ويعد ذلك وسيلة من وسائل التدخل السافر بموافقة حكومات الدول التي تهمها ان تسير في ذيل الغرب . ومثال ذلك ما حدث في اليونان عام ١٩٤٧ وما حدث في لبنان عام ١٩٥٨ . وفي كلتا الحالتين طلبت حكومتان قائمتان المعونة الخارجية ابقاء على السلطة .

والواقع ان كلا من مبدأ ترومان ومبدأ ايزنهاور لا ترضى عنه الدول التي تسعى نحو التحرر ، كما انه لم يستطع ان يغطي تعقيدات الموقف في السياسات الدولية والضربات الفجائية التي تحدث دون سابق انذار ، واقرب مثل لذلك ما حدث في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ .

ومن جهة اخرى فقد استولى مصدق على السلطة في ايران ، كما استولى اربنز عليها في جواتيمالا بواسطة عمليات سياسية عادية لا عن طريق انقلاب شيوعي كما حدث في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٤٨ ، ولم يفصح الرجلان في ذلك الوقت عن نيتهما من حيث انشاء دولة شيوعية ، وعندما اصبح هذا الغرض واضحا قدمت الولايات المتحدة المعونة

الخارجية الى العناصر المناهضة للشيوعية في تلك الدولتين ، فقدمت
المعونة الى شله إيران كما قدمت ذلك ايضا الى جماعة من الجواتيماليين •
وفي اثناء استيلاء كاسترو على الحكم في كوبا كان هو الذي دعا
الشيوعيين بنفسه الى التسلل والدخول •

ويتساءل ألين دالاس عما يمكن ان تفعله الولايات المتحدة حيال
هذه الأساليب التسللية ، مثل تلك التي أدت الى الاستيلاء على
تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٤٨ وكوبا تحت ستار كاسترو ؟ •

ويجب عن ذلك معتمدا على رأي معظم الاخصائيين الامريكيين ،
على أنه كان يجب على الولايات المتحدة ان تدرك ذلك منذ سنين وان
تقوم بالعمل المناسب •

ثم يضيف بعد ذلك قوله : « أن اولئك الاخصائيين لم يوضحوا
بالضبط كنه هذا العمل ويستنتج انهم يشيرون الى ما يقوله البعض من
ضرورة الاقدام على التدخل المسلح السافر ، ولكن كان ثمة آلاف من
الكوبيين الاكفاء ومنهم الزعماء السياسيون ورجال الاعمال والعسكريون ،
ممن عاونوا كاسترو على الوصول الى كرسي الحكم بل وخطروا
بأرواحهم من اجل ذلك - لم يكن يتبادر الى اذهانهم انهم يعاونون على
ادخال نظام حكم شيوعي • اما اليوم فهم اما في المنفى واما في السجن » •

□ أهمية المعلومات في الحرب الباردة :

ويدل ما حدث في لاوس على القوة الضخمة التي يتمتع بها اولئك
الذين يمدون حكومة الولايات المتحدة - وبخاصة مخططو السياسة -
بالمعلومات • ففي اوائل شهر يناير ١٩٦١ قدمت الولايات المتحدة الدليل
السافر على اشتراك روسيا السوفيتية وفيتنام الشمالية فيما أسمته وزارة
الخارجية الامريكية « عمليات عسكرية شيوعية » « ضد حكومة لاوس

الملكية وضد شعب لاوس » • وأصدرت وزارة الخارجية بيانا تفصيليا مدعما بالتواريخ عن الغارات غير الشرعية التي شنتها روسيا السوفيتية وفيتنام الشمالية على لاوس ، وذهب الى حد ان نشرت ارقام الطائرات ، وقالت انها نفس الطائرات التي استخدمتها روسيا في الكونغو في العام السابق •

واتى هذا البيان في الوقت الذي يعبر فيه معظم حلفاء الولايات المتحدة في منظمة جنوب شرقي آسيا عن شكهم في قيام مثل هذا الدليل • ونشرت الاسوشيتد برس من بانجكوك بعد ذلك يومين ان كثيرا من الدبلوماسيين الامريكيين في آسيا يشكون في صحة الاتهام الذي وجهته حكومتهم ، خاصة بتدخل اعداد كبيرة خارج القوات الشيوعية في لاوس • وصرح احد رجال السلك السياسي الغربيين انه يبدو ان دبلوماسيي الولايات المتحدة ورجال مخابراتها يرسلون الى واشنطن تقارير متضاربة ، كما صرح بأن تقارير ادارة المخابرات المركزية تحوز التصديق في عاصمة الولايات المتحدة !

ومهما تكن الحقائق الصادقة فمن الواضح ان المعلومات يمكن ان تلعب دورا حاسما في تقرير رد فعل الولايات المتحدة تجاه الاحداث • وان رد الفعل هذا له اثره على الموقف • ففي حالة لاوس بدا هذا واضحا عند عام ١٩٥٤ عندما نشأت هذه الدولة من تفتيت الهند الصينية فتركت قوات « باثيت لاو » الشيوعية الشائرة في حالة حرب • ويمكن ان ترجع « المهزلة المحزنة » التي حدثت بعد ذلك الى المعلومات الهزيلة التي قدمتها ادارة المخابرات المركزية • وكانت تسيجتها سياسة خاطئة من جانب واشنطن طيلة عشر سنوات تقريبا • وتذكر بنوع خاص قرارا اتخذ لتأييد جنرال فومي نوسرفان على اعتباره انه كان مناهضا للشيوعية • ولكن ظهر بعد ذلك انه كان غير محبوب سياسيا في لاوس ، وان جيشه كان لا قيمة له تقريبا •

□ اساليب التسلل الشيوعي :

ونتيجة للاختلاف المذهبي بين السوفييت والصين حدث تصدع كان له أثر كبير في الحرب الباردة والحروب المحلية التي لا تسود كثيرا من بلدان العالم .

فالصينيون يشعرون انهم في حالتهم لا يمكن ان يعتمدوا على الاساليب المتقنة التي تتبعها الاتحاد السوفييتي ولذلك فهم يحرضون الاخير على تأييد العمل العسكري المباشر ، واستخدام التهديد النووي بقصد التأثير السيكولوجي على الدول وبخاصة تلك التي تقع في مدى الصواريخ .

□ استخدام الاحزاب الشيوعية :

وكان اول عنصر من عناصر الكرملين التي يستخدمها الجهاز غير العسكري ، لاثارة الثورات هو انتشار الاحزاب الشيوعية على مستوى عالمي . وفيما يلي ما قاله خروشوف في زهو في اواخر ابريل عام ١٩٦٣ :

« لقد اصبحت الحركة الشيوعية الدولية اقوى قوة سياسية في عصرنا هذا ... فقبل الحرب العالمية الثانية كانت الاحزاب الشيوعية موجودة في ٤٣ دولة تضم بين صفوفها ٢٠٠ر٤٠٠ عضو . واليوم يبلغ عدد الاحزاب الشيوعية ٩٠ حزبا تضم اكثر من ٢٠٠ر٤٠٠ عضو » .

ومعظم هذه الاحزاب التسعين موجود خارج الكتلة الشيوعية ولكنها تستجيب للنظام المرسوم من الحزب الام في موسكو ، وثمة عدد محدود منها - وان كان آخذا في الازدياد - يترسم خطى الحزب الشيوعي الصيني في بكين ، ويشمل الاعداد النهائية التي أوردها خروشوف اعضاء

الحزب الاصيلين او الفعليين وليس الاعداد الضخمة التي تذهب الى صناديق الانتخاب الشيوعية •

واعظم الاحزاب الشيوعية قوة من حيث العدد خارج الكتلة ، هي الاحزاب الموجودة في فرنسا وايطاليا والهند واندونيسيا ، ولكن القوة العددية ليست دائما المقياس الحقيقي • ومن حيث اثارة الثورات قد يكون الاعضاء المنظمون المخلصون عاملا أهم من عضوية الحزب الفعلية • وفي كل مكان به حزب شيوعي منظم — أي في كل دولة من دول العالم الهامة وفي كثير من الدول غير الهامة — يوجد عادة نواة من الشيوعيين المخلصين الذين يمكن ان يصبحوا رأس حربة فعالة في اثارة الثورات •

لقد طلب منهم ان يشيدوا بالماركسية والشيوعية وبعلاقاتهم مع موسكو ، وان ينوا صفوفهم عن طريق مناشدة الوطنية وعن طريق استخدام الشعارات المناهضة للولايات المتحدة الامريكية .

كان الكرملين على استعداد دائما — وفي داخل حدود معينة — لان يسمح للاحزاب الشيوعية المحلية ان تسير في خط يختلف عن خط موسكو الرسمي ، وكان هذا يتم احيانا بناء على تنظيم سابق مع موسكو • ومن جهة اخرى كان على الكرملين ان يواجه ميول بعض الاحزاب الشيوعية الاخرى نحو الاستقلال الذاتي • وفي السنوات الاخيرة وبعد ان اتسعت شقة الخلاف الصينية — السوفيتية اصبح من العسير جدا على الكرملين ان يسيطر على مواقف الاحزاب الاخرى التي كانت خاضعة له في وقت من الاوقات •

ويحضر ممثلو الاحزاب الشيوعية في العالم الحر بانتظام مؤتمرات الحزب التي تعقد في موسكو • وكان المؤتمر الثاني والعشرون قد عقد في عام ١٩٦١ • وهناك كانوا يستقبلون كضيوف شرف في المؤتمر ، وفي المؤتمر الحادي والعشرين الذي عقد في عام ١٩٥٩ كان الاهتمام موجهًا

نحو مندوبي دول امريكا اللاتينية • لقد كانوا مجتمعين كجماعة واحدة وكانوا يوجهون توجيهها سرىا لاسلوب انشطتهم •

□ منظمات الجبهة :

وهناك عدد من منظمات الجبهة الشيوعية تكمل عمل الاحزاب المحلية وتستخدم لتحقيق أهداف خاصة • مثال ذلك يقوم الشيوعيون عن طريق اتحادات العمال العالمية وفروعها للكثيرة بالسيطرة على منظمات العمل القوية في بلاد كثيرة من بلاد العالم مثل فرنسا وايطاليا واندونيسيا بنوع خاص ، كما استطاعوا التأثير في الاتحادات الموجودة في اليابان وفي بلاد اخرى في هذا النصف من الكرة الارضية ، وفي بعض بلاد افريقيا وجنوب شرقي آسيا ، حيث ما زالت اتحادات العمل في طور طفولتها • وفي مجال علاقات العمل يستخدم الحزب مقدرته على الضرب على وتر المواضيع المحلية الشعبية • ويحدث احيانا في البلاد التي لا يسيطرون فيها سيطرة فعلية على اتحاد من الاتحادات ، ان تقوم اقلية شيوعية نشطة منظمة باثارة مظاهرات تمردية ، ويجبرون الاغلبية المترددة على الاشتراك في الاضرابات التي لا يمكن نسبتها بطريقة سافرة الى الشيوعية • وقد يكون مثل هذا النشاط خطيرا في اوقات الازمات وقد يصيب اقتصاد البلاد كلها بالشلل •

وتضم منظمات الجبهة الشيوعية الاخرى مؤتمرات السلام العالمي وعديدا من منظمات الشباب والمنظمات النسائية والمنظمات المهنية ، وهم يحاولون ان يجتذبوا الى عضويتها اولئك الذين لا يتطرق الشك الى نفوسهم ، والذين يتسمون بالسذاجة مستغلين مواضيع مثل السلام ومثل حظر استخدام الاسلحة النووية •

مؤتمرات الشباب :

وفي فترات متفاوتة عقد السوفييت « مؤتمرات الشباب » وانفقوا

عليها الشيء الكثير ودعوا اليها شباب العالم ، ولكن الشباب الشيوعي فقط هم الذين كانوا يدفعون نفقاتهم . وكانت هذه الاجتماعات تعقد في بادئ الامر في المناطق الواقعة خلف الستار الحديدي - موسكو وبرلين الشرقية وبراغ ، ولكن اصبح المشرفون على هذه الامور في السنين الاخيرة اكثر جرأة . فعقد الاجتماعان الاخيران خارج الكتلة . الاول في فيينا والثاني في هلسنكي . وبالرغم من ذلك فقد وجدوا جو الرأي العام غير ملائم في هذه العواصم لدرجة انهم اعادوا النظر فيما اذا كانوا يكررون التجربة او لا يكررونها .

□ دور موظفي جهاز الامن في الخارج :

وتستطيع يد موسكو الموجهة ان تساعد في الاشراف على هذه الامور المختلفة الخاصة بالشيوعية في دولة معينة عن طريق موظفي جهاز أمن الدولة الموجودين في السفارات السوفيتية وفي البعثات التجارية . فجهاز أمن الدولة الى جانب وظيفته الخاصة بالمخابرات يستطيع أن يوجه نشاط الحركات المحلية في دولة من الدول في مجال البرامج الخاصة لاثارة الثورات . انه يمول عمليات الحزب المحلي والجيوش المحلية ، ويبلغ موسكو عن كل تقدم يحرزه .

لقد كان فاليريان زورين - الذي أصبح فيما بعد السفير السوفيتي في الامم المتحدة - هو الذي دبر الانقلاب الشيوعي في تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٤٨ من داخل السفارة السوفيتية في براغ . كذلك كانت السفارة السوفيتية في هافانا مركزا توجه منه المراحل الاولى من عملية التسلل الشيوعي الخاصة بحركة كاسترو .

وكان رجال التكتيك السوفيتي - يحاولون قدر امكانهم - ان يدسوا الشيوعيين او من يعطف على الشيوعيين لتولي المناصب الحكومية

الرئيسية ، كما كانوا يحاولون ان ينفذوا الى بنيان الدولة الهدف - في مجالي الامن والعسكرية - في لجان الرقابة الخاصة بالحلفاء التي تكونت في معظم بلاد اوروبا الشرقية في نهاية الحرب العالمية الثانية عقب انسحاب الالمان مباشرة حيث كان الاعضاء السوفييت في اللجان عبارة عن ضباط مخابرات وبينما كان الممثلون البريطانيون والامريكيون الاخصائيون في الشئون الحكومية العسكرية والشئون المدنية يحاولون اعادة المرافق العامة والاقتصاد في البلاد التي دمرت مثل رومانيا والمجر ، كان زملاؤهم السوفييت في اللجان نفسها يقضون وقتهم في عقد الاتصالات مع الشيوعيين من أهل البلاد ، وينظمون لمؤامرات التي أصبحت فيما بعد « جبهات متحدة » تحت سيطرة الشيوعيين ، كما كانوا يضعون الاساس لاقامة نظام بوليسي سياسي متمكن تحت اشراف جهاز امن الدولة السوفييتي .

كان النشاط الذي تستخدم فيه هذه التكتيكات يعتمد بصفة عامة على الظروف في الدولة الهدف : مدى عدم الاستقرار المحلي ، ومقدار العداوة المحلية لنظام الحكم القائم ، وقدرة الاتحاد السوفييتي او الصين الشيوعية على استغلال نقط الضعف الطبيعية ، واستغلال الزعماء السياسيين المحليين ، واخيرا قوة الجهاز الشيوعي في الدولة المعنية .

□ دعوة الشباب لزيارة موسكو :

وفي البلاد التي حصلت على استقلالها حديثا بعد ان تخلصت من براثن الاستعمار تحاول الحركة الشيوعية ان تظهر بمظهر حامي الشعوب المتحررة من سادتهم الاستعماريين السابقين . ولتأييد هذا النشاط توجه الدعوة الى الشبان والشابات في المناطق الهدف للذهاب الى موسكو بغرض التعليم والتلقين ، أملا في أن يصبحوا في المستقبل الزعماء الشيوعيين في بلادهم . كذلك يستقدمون الى الكتلة الشيوعية أفرادا من طراز آخر للتدرب على

أعمال المخابرات والاثارة حتى يساعدوا بعد عودتهم الى بلادهم الحزب الشيوعي المحلي •

□ بعض أساليب الولايات المتحدة :

ومنذ قيام الثورة البلشفية أحست الولايات المتحدة انها في معركة مستمرة مع النظام الجديد ، وعلى سبيل المثال دعا قنصل الولايات المتحدة في شهر أغسطس من عام ١٩١٨ الى عقد اجتماع خاص ، تقرر خلاله العمل في ثلاثة اتجاهات :

١ - اشاعة الفرقة في الجيش الاحمر عن طريق الرشوة والتخريب وعرقلة التموينات الغذائية ، وتدمير وسائل النقل ، حتى يقل المخزون من الطعام ، وعهد بهذه المهمة الى الضابط البريطاني « ريلي » •

٢ - تخريب مكاتب السوفييت المحلية وتدميرها ، واشعال النار في مخازن الاغذية وغير ذلك ، وعهد بهذه المهمة الى الضابط الفرنسي فيرتامونت •

٣ - القيام بأعمال التجسس ، وعهد بتنظيم هذه العملية ، للوكيل التجاري الامريكي كولوماتيانو ، وفعلا قام هذا العميل بانشاء شبكة جاسوسية واسعة الاطراف •

وقد حاولت حكومة الولايات المتحدة مرارا وبكل وسيلة ممكنة احراز مزيد من النفوذ بين الثوريين والمناهضين للثورة السوفييتية • وبعد أن أعلن الاميرال كولشاك نفسه حاكما عاما على سيبيريا من قبل روسيا في ١٨ من نوفمبر عام ١٩١٨ ، كان هاريس قنصل الولايات المتحدة العام في أركنسك أول من زار كولشاك من المبعوثين الاجانب لتهنئته • وقد ابلغ القنصل العام الامريكي كولشاك بصفة رسمية ، أن حكومة الولايات المتحدة على استعداد لتقديم كل عون وتأيد يطلبه •

□ التشهير :

ولم تقف حكومة الولايات المتحدة عند هذا الحد في مناهضتها لروسيا السوفيتية بما في ذلك التشهير بها ، والمعروف ان لجنة فرعية تكونت تحت اشراف « اللجنة القضائية بالكونجرس » كانت مهمتها نشر الاكاذيب عن روسيا السوفيتية . وقامت هذه اللجنة برئاسة عضو الشيوخ أوفرمان بجمع شهود مزيفين من بين الاشخاص المشتبه فيهم ممن ادعوا انهم زاروا الاتحاد السوفيتي ، وادلى هؤلاء الشهود بأقوال مزورة تدعو الى السخرية . ولم يمنع خصوم السوفيت من نشرها في شكل مجلد ضخيم وتوزيعه على سبيل الدعاية ، في الولايات المتحدة وغيرها من الدول .

ويرد الشيوعيون على فكرة تحرير « الدول الاشتراكية » أو ما يسميه الغرب تغلغل الشيوعية الدولية بأن هذه الفكرة ما هي الا ستار ابتدعته الامبريالية الامريكية ، لتخفي وراءه ما تقوم به من نشاط ضد الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى .

□ المنظمات الامريكية شبه الرسمية :

ولقد عمدت حكومة الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة الى انشاء سلسلة من المنظمات الامريكية الشبيهة بالرسمية ، بغية ممارسة اعمال التخريب ضد الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية .

ففي صيف عام ١٩٤٩ ، تألقت ما تسمى بلجنة أوروبا الحرة ، برئاسة « جرو » وزير الدولة المساعد وسفير الولايات المتحدة في اليابان سابقا وكان الجنرال ايزنهاور احد مؤسسي هذه اللجنة .

ولقد قال جرو رئيس هذه اللجنة للصحفيين وهو يستعرض اهداف هذه اللجنة : « ان هذه اللجنة سوف تعمل على تقديم العون المادي

والادبي للمهاجرين من شرق اوروبا ، في كفاحهم ضد الشيوعية » •

وبالاضافة لهذه اللجنة ، عمد الامريكيون ايضا الى انشاء ما يسمى باللجنة الامريكية لتحرير الدول من البلشفية ، وذلك بتوجيه هولاندهر سارجنت مبعوث وزارة الخارجية الامريكية . كان هدف هذه اللجنة هو استخدام المهاجرين من روسيا ليكونوا أداة طيبة لممارسة اعمال التخريب في دول المعسكر الشيوعي •

وفي ١٣ من ديسمبر عام ١٩٤٩ ، طلب جون فوستر دالاس وزير الخارجية الامريكي في اجتماع اللجنة الوطنية لاوروبا الحرة من حكومة الولايات المتحدة للتحويل من الدفاع الى الهجوم في الحرب الباردة بين المعسكرين ، وطلب اعتماد نفقات ما يقرب من مائة مليون دولار سنويا • وهذا المبلغ متواضع اذا قورن بالمبالغ المعتمدة للاغراض العسكرية والمعونة الاجنبية •

وفي يوم ٣ من ابريل عام ١٩٥١ ، تقدم تشارلزج كريستين عضو مجلس النواب ، باقتراح رقم ٨٩ يهدف الى العمل على تحرير شعوب الاتحاد السوفيتي ، وكانت تلك العملية عبارة عن تحريض من الولايات المتحدة على مضاعفة الجهود لزيادة التدخل في شؤون الاتحاد السوفيتي الداخلية ، وعرض هذا الاقتراح على الكونجرس للمناقشة واذا طرحا جانبا ما حواه هذا الاقتراح من تهجم وتشنيع ، فانه على كل حال يحوي التوجيهات التي لا يجدر برئيس الولايات المتحدة ان يأخذ بها ، والتي تتعلق بمسائل أعمال التخريب ضد الاتحاد السوفيتي •

وفي اجتماع الكونجرس في أغسطس عام ١٩٥١ أفصح كريستين عن مشروعه بحذافيره ، وهو يتلخص في انشاء ما يسمى « الفيلسق السلافي الحر » وقد أوضح كريستين أن أمريكا في استطاعتها تنظيم

المهاجرين في هذه الدول المستفيدة وخلق قوة منهم يعودون بعدها الى بلادهم كمنقذين •

□ قانون الامن المتبادل :

وفي عام ١٩٥١ توجت هذه السياسة بقانون « الامن المتبادل » الذي أصدره الرئيس ترومان ووافق عليه الكونجرس • وينص هذا القانون على اعتماد مبلغ مقداره مائة مليون دولار لأية جماعات من الاشخاص المختارين ممن يقطنون وكذا لمن يهاجروا من الاتحاد السوفيتي وبولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبلغاريا وألبانيا ... الخ • ليكونوا امسا عناصر في القوات العسكرية التي تؤيد منظمة حلف شمال الاطلنطي او لأية أغراض أخرى •

واحتجت الحكومة السوفيتية في مذكرة بتاريخ ٢١ من نوفمبر ١٩٥١ على هذا القانون الذي ينطوي من وجهة نظرها على التدخل المباشر في شؤون الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية •

ونوهت المذكرة بصفة خاصة الى ان هذا القانون يهدف الى تمويل الافراد والجماعات المسلحة بأراضي الاتحاد السوفيتي وكذا عددا من الدول الاخرى ، لممارسة الاعمال التخريبية في الدول المذكورة ، وان حكومة الولايات المتحدة بسنها هذا القانون ، انما تأتي سابقة لم يحدث مثلها في علاقات الدول ببعضها البعض ، كما ان هذا العمل يشكل تدخلا صارخا من جانب حكومة الولايات المتحدة في صميم الشؤون الداخلية للدول الاخرى ، وفي الوقت نفسه فان هذا القانون يشكل انتهاكا واضحا للقانون الدولي ، ولا يتماشى مع مجرى العلاقات العادية التي بين الدول ، ولا ينطوي على احترام لسيادة الدول الاخرى •

□ استخدام التجسس والتخريب :

كانت حكومة الولايات المتحدة قد قدرت ان المخابرات الامريكية سوف تستطيع ان تثير السخط والشغب ، في دولة أو أخرى من دول المعسكر الاشتراكي عن طريق القيام بأعمال التخريب والاستفزاز ومد التأثيرين بكل عون مستطاع •

ولكن اخفاق الثورة المجرية عام ١٩٥٦ ، لقن الامريكيين درساً بأن سياسة التحرير قد أصيبت بخيبة كبيرة • ومنذ ذلك الوقت اتخذ اسلوب جديد ببث الجواسيس والعملاء داخل الخصم •

وحيثما تحدث خروشوف رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي عن هذه الاستفزازات في اجتماع العمل بموسكو يوم ٢٣ من يوليو عام ١٩٥٩ قال :

« ان الامبرياليين الامريكيين ، وقد هالهم ما أحرزه الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية من نجاح وكسب ، أخذوا يلجأون الى وسائل غير كريمة ، ولا يمكن الا وصفها بأنها تدخل مباشر في شئوننا الداخلية ، واخلال فاضح بسياسة الدول المستقلة • ان الشعوب المضطهدة والطبقات العاملة في الدول الرأسمالية تحاول جاهدة التخلص من سيطرة الاحتكارات ، وما هو واقع عليهم من حرمان واستغلال فظيع • والاحتكاريون وهم يعملون بكل هذه الوسائل يقومون ببث روح العداء والكراهية ضد السوفييت والدول الاشتراكية بين شعوب دولهم ، ويلجأون الى تنظيم فلول لفظتها الدول الاشتراكية للعمل ضدهم • ان الاحتكاريين يعملون على زيادة حدة التوتر في الموقف الدولي ، وعلى تحقيق هدف معين هو تأليب الشعوب في دولهم ضد الدول الاشتراكية ، وخلق جو من العداء والكراهية للشيوعية ، وهذا يتضح جلياً من الحملة الهستيرية التي شنتها الولايات المتحدة ! ان هذه الحملة تعكس الفرع والرعب ، اللذين يسودان

الاحتكاريين الذين فقدوا وعيهم ! »

واعتبر السوفييت ذلك انتهاكا للاتفاقية التي أبرمت بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة بشأن إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين والتي عقدت في ١٦ من نوفمبر عام ١٩٣٣ .

وتقضي هذه الاتفاقية بأن يتعهد الطرفان باحترام كل منهما لسيادة الطرف الآخر ، وامتناع الجانبين عن اتيان اعمال تستهدف تشجيع التدخل المسلح أو الى تغيير « النظام الاجتماعي » والسياسي القائم في كل منهما بالقوة ... وتعهد كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ألا تسمحان بتكوين أو تأييد أو تيسير الإقامة في اراضيها لاية منظمة أو جماعة تهدف الى القيام بكفاح مسلح من جانب احدهما ضد الاخرى !! على ان نظرية « المجتمعات المفتوحة » و « المجتمعات المغلقة » من وجهة نظر المخابرات فكرة غير مقبولة ودعاية سخيفة تستحق شيئاً من النقد .

فمن المعروف ان الحكومات على اختلاف أنواعها تتخذ جميع الخطوات الضرورية لحفظ اسرار الدولة ، وليست الحكومات هي التي تبرر أن مجتمعها المفتوح يملئ عليها سياسة معينة ، فقد كتب الجنرال الامريكي المتقاعد « هوج هيستر » ما يؤيد ذلك :

« ان ما يحاول رجال الدعاية في « المجتمعات المفتوحة » اخفاؤه عن الانظار ، هو ان المجتمعات جميعها سواء آكانت مفتوحة أم مغلقة لا يمكن ان تكشف عن اسرارها وذلك لاسباب عسكرية . ان الاسرار العسكرية في الدول العظمى تصان في حرز أمين ، لا من عبث الخصوم فجسب ، بل حتى من دافعي الضرائب ، ورجال الحكومة ومعظم أعضاء الكونجرس وهم الذين يعتمدون المبالغ لتلك الشؤون ، لا يعلمون شيئاً عن الاسرار العسكرية الهامة بالولايات المتحدة .

ومما لا يدعو للشك أن وزارة الحرب الأمريكية، تحتاج الى معلومات تجسسية عن المنشآت العسكرية بالاتحاد السوفييتي لا بقصد درء أي هجوم مفاجيء على الولايات المتحدة ، بل على تقيض ذلك لتدير هجوم على الاتحاد السوفييتي بعد ان تنهيا الظروف المناسبة لذلك .

وقد صرح توماس باور قائد عام قوات الولايات المتحدة الجوية الاستراتيجية أمام لجنة المخصصات بالكونجرس عند مناقشة الميزانية العسكرية لعام ١٩٦٠/٥٩ بقوله :

« أود أن أطرح جانبا بصفة مؤقتة ، مسألة النزاع العسكري والدور الذي يقوم به ، واتحدث عن فلسفة المبادأة بالحرب وعن المزايا الهائلة ، التي تنهيا لمن يبدأ باشتعال الحرب ... لا بد ان تكون لديكم المقدرة على توجيه الضربة اولا .. »

وليس ثمة خلاف في النزاع القائم بين المعسكرين الا في شكل الوسائل ، فمثلا يستخدم الامريكيون اراضي الدول الاخرى في نشاطهم ضد خصمهم الاتحاد السوفييتي .

فبرلين الغربية مثلا حيث تشجع جميع فروع المخابرات الامريكية تقوم بدور خاص في مجال النشاط الامريكي التجسسي الذي تمارسه أمريكا ضد جمهورية المانيا الديموقراطية والكتلة الشرقية .

وفي عام ١٩٥٦ قامت المخابرات الامريكية بحفر نفق تحت الارض يبدأ من القطاع الامريكي ببرلين عبر اقليم آلف جلينكي في اراضي المانيا الديموقراطية طوله ٤٦٠ مترا وينتهي هذا النفق عند سكوثفيلد ، حيث كانت القوات السوفييتية تضع كابلات تليفونها تحت الارض . وكان القصد بالطبع اسراق السمع على الاحاديث التليفونية .

وفي ٢٢ من ابريل عام ١٩٦٥ اكتشف رجال سلاح الاشارات

السوفييتية هذا النفق ، ووضعوا أيديهم على جميع ادوات الاستراق ، وقد قدم القائد العسكري السوفييتي احتجاجا للقيادة الامريكية . والواقع أن ألمانيا الغربية وبرلين الغربية قد تحولتا الى قاعدة للمخابرات السرية ، حيث تهرب العملاء من هذه القاعدة الى دول المعسكر الشيوعي .

كما تستخدم المخابرات الامريكية أراضي الدول الاخرى لنفس الغرض مثل النمسا واليونان .

وتستطيع الولايات المتحدة عن طريق منشآت الرادار التي تعم تركيا من رصد السفن في البحر الاسود ، وتسجيل رحلات الطائرات وطاقات الصواريخ في القسم الاوروبي من الاتحاد السوفييتي .

كما يستخدم الامريكيون الاراضي الايرانية لممارسة التجسس الاذاعي الفني عند الاتحاد السوفييتي .

ويمكن تقدير مدى الحرية في العمل التي كان يحظى بها عملاء المخابرات الامريكية في ايران ، مما قام به العميل الامريكي بولنباخ ، اذ قام هذا العميل الامريكي تحت ستار مراسل صحفي امريكي باسم ستيف بتجنيد ثلاثة عملاء واعدتهم للتهريب الى اراضي الاتحاد السوفييتي .

وفي الدول المحايدة او النامية سعت المخابرات الامريكية في كثير من الاحوال الى العمل ضد الحكومات الشرعية بتدبير المؤامرات عن طريق الاحزاب المعارضة و القوى التي تعارض الحكومة القائمة .

ويقول الكاتب الامريكي هو هاري في هذا الصدد ما يلي :

« ان النشاط الذي تمارسه الولايات المتحدة يشبه الحرب التي تدور رحاها في وقت السلام ... ان ممارسة حريسة الاغتيال الخفي «العباءة والخنجر» على نطاق دولي قد اصبح عملا هاما وواجبا من واجبات وكالة المخابرات المركزية ، وقد استمدت هذه الاعمال واوحى بها نشاط

منظمة الخدمة السرية وقت الحرب ، وتمارس القوات المسلحة مثل هذا النشاط في ميادين العمليات الحربية » .

□ التآمر ضد سياسة الحياد :

كان جون فوستر دالاس يصف سياسة الحياد التي تنتهجها بعض الدول في آسيا بأنها سياسة « غير مهيبة » ، ووجهة نظره هذه هي التي أكدت سلوك الولايات المتحدة في بعض الاحيان حيال الدول المحايدة .

ونذكر على سبيل المثال حادث سحب السفير الامريكي اليسون في يناير عام ١٩٥٨ من اندونيسيا على انه شخص غير مرغوب فيه لنشاطه ، والمؤامرات التي قامت عام ١٩٥٩ في كمبوديا لاغتيال رجال الحكم الكمبوديين حتى يضطروا تحت الارهاب الى التخلي عن سياسة الحياد .

كما نجحت المخابرات المركزية الامريكية في ان تلعب دورا هاما في القضاء على حكومة مصدق في ايران ،، وقدرت المبالغ التي صرفت في هذه العملية بحوالي ١٩ مليونا من الدولارات ، صرفت لرشوة الضباط الذين كان عليهم أن يقوموا بتنفيذ المؤامرة .

وفي عام ١٩٥٣ اوفدت المخابرات المركزية عميلها « بروس كوندي » الى اليمن تحت ستار صحفي وذلك بقصد جمع المعلومات عن الدول العربية ، وعرقلة التوسع الاقتصادي والتجاري الذي يقوم به الاتحاد السوفييتي والدول العربية ، ولكنه فشل في مهمته وطلب من امام اليمن منحه الجنسية اليمنية .

وتواجه الولايات المتحدة في الوقت الحاضر تحديا من جماعة معادية من الامم تؤمن بفلسفة في الحياة وفي الحكم مضادة لفلسفتها . وليس هذا في ذاته تطورا جديدا . فقد واجهت من قبل مثل هذه التحديات ، ولكن الذي تغير هو انها لأول مرة تواجه خصما يمتلك من القوة العسكرية ما

يمكنه من أن يشن هجوما تدميريا على الولايات المتحدة وفي عصر الصواريخ النووية يمكن أن يتم هذا في ظرف دقائق أو ساعات دون سابق انذار •

ولا يمكن أن ننكر أن الولايات المتحدة من ناحية أخرى تمتلك نفس القوة ضد خصمها ، ولكن دفاعاتها وكثيرا من شئون الأمن القومي الخاصة بها معدة بطريقة ماهرة ، بينما قام السوفييت والصينيون ببناء سياج قوي من السرية والأمان •

وثمة مناطق شاسعة من الاتحاد السوفييتي ومن الصين الشيوعية خافية عن انظار العالم الخارجي • أن هذه الدول لا تتحدث عن منشأتها العسكرية ، وفي الوقت نفسه فإن الولايات المتحدة لديها الكثير من أسرارها لا زالت طي الكتمان •

وبالرغم من المناورات السياسية التي يحاولها كل من قطبي العسكريين مثل عملية نزع السلاح ، والتفتيش ، إلا أننا نعتقد أن كل هذه المحاولات ما هي إلا نوع من الاستهلاك الدعائي لظهور كل منهما بالدولة التي تسعى نحو السلام •

لقد أخفق اقتراح الرئيس ايزنهاور في عام ١٩٥٥ الخاص « بالسماة المفتوحة » ، وادعت الولايات المتحدة أنها قبلته بالنسبة لسمائها ، ولكن الواقع أن تطبيقه عمليا وعدم رغبة كلا الطرفين الصادقة في تحقيق ذلك هو سبب اخفاق هذا الاقتراح •

ولم يكتف سور برلين بأن فصل بين نصفي المدينة المنقسمين سياسيا ، كما حدث من هروب سكان المانيا الشرقية الى المانيا الغربية بأعداد ضخمة ، بل أنه ملأ إحدى الفجوات الكبرى في الستار الحديدي - السور المصنوع من الأسلاك الشائكة ، والأرض التي بثت فيها الألغام ، وأبراج

المراقبة ، والدوريات وخطوط الحدود الممتدة جنوبا من بحر البلطيق •
وعندما اقام السوفييت سور برلين ، كان معنى انتهاؤهم من غلق اوروبا
الشرقية على طريقتهم الخاصة ، واستغرقت منهم هذه العملية ست عشرة
سنة •

ويعمل الستار الحديدي والستار البوصي على تقسيم العالم في نظر
مخبرات الغرب الى نوعين من الامكنة - مناطق حرة • ومناطق محرمة •
وتكمن الاهداف الكبرى في المناطق المحرمة خلف هذين الستارين • وفي
هذه المناطق توجد المنشآت العسكرية والصناعية والنووية التي تكون
العمود الفقري لقوة الشيوعية وامكانياتها • وفي هذه المناطق ايضا توجد
خطط الرجال الذين يقودون الاتحاد السوفيتي والصين الشيوعية ،
ونواياهم الخاصة بشن الحرب ونواياهم السياسية السلمية •

□ الحرب النفسية :

ولكن كيف نستطيع أن نقيس معايير الاساليب التي تستخدمها
الولايات المتحدة بحجة الدفاع ضد التهديد الشيوعي ، والتي تبدو في
شكل معونات اقتصادية او عسكرية واحلاف ، بل وصل بها الامر الى
تدخل سافر مسلح ، كما حدث في كوريا ولبنان وكوبا وفيتنام •

هذا بالاضافة الى الحرب النفسية والاقتصادية التي تشنها على
الدولة النامية التي ترفض ان تسير في ركاب سياستها •

ومن ناحية اخرى هل يبرر دفاعهم ضد الشيوعية تلك الاعمال من
تآمر ، وتدخل في قلب الحكومات في كثير من الدول ؟ وهل وضعت
الولايات المتحدة نفسها في مركز الوصاية على دول العالم لتساعدنا على
وقف التغلغل الشيوعي ؟

□ استخدام الدعاية في الانتخابات الإيطالية :

والولايات المتحدة في الوقت الذي تهاجم فيه التسلسل الشيوعي في دول العالم ، تقوم بنفس الاساليب دفاعا عن مصالحها وان اختلفت اشكال هذه الاساليب .

وفي رأينا انه ما دام هناك صراع ايديولوجي بين قوتين كبيرتين ، فان تلك الاساليب لا مناص من استمرار ممارستها على أرض الدول النامية التي تسعى نحو تحقيق استقلالها ورفاهيتها .

ويمكننا ان نتصور مدى تدخل الولايات المتحدة في شئون الدول الاخرى بحجة منع التسلسل الشيوعي مما حدث في ايطاليا عام ١٩٤٨ ، وفي تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٥٤ .

ففي عام ١٩٤٨ لعبت جهود الدعاية الامريكية في الانتخابات الايطالية دورا كبيرا في ابعاد الشيوعيين عن الحكم ، ففي ذلك الوقت كان الحزب الشيوعي الايطالي من اقوى الاحزاب العاملة في الدول الغربية ، وبدا ان الشيوعيين يسعون لكسب السيطرة على الحكومة بالحصول على اغلبيه الاصوات .

كانت ايطاليا ميدان المعركة الاساسي في الحرب الباردة ومسرحا لصراع ايديولوجي كبير ، فقامت الولايات المتحدة من جانبها بتنظيم حملة دعائية شاملة لتعزيز اهدافها السياسية في ايطاليا .

وكان اول ما قامت به الولايات المتحدة لمواجهة التهديد الشيوعي ان طبقت مشروع مارشال للمعونة الذي كان قد بدأ لتوه في الوصول الى ايطاليا بكميات كبيرة .

وكان هدف الولايات المتحدة من وراء ذلك مساندة مرشحي الحزب الديموقراطي المسيحي في الانتخابات بزعامة دي جاسبري .

كما بذل جيمس س. دن السفير الامريكي كل قدراته في الاقناع للتأثير في الناخبين الايطاليين لنبد الشعارات والمؤثرات الشيوعية ، اذ القى ما يقرب من اربعين خطابا بعد وصوله الى ايطاليا ، وأهم هذه الخطب ما ألقاه لدى وصول سفن الغوث ، ولقد وصلت السفينة الستمئة قبل الانتخابات مباشرة •

وتضمنت هذه الخطب تهديدات غير مباشرة بأن المعونة ستوقف اذا انحازت ايطاليا للشيوعية •

وقد كان المجهود الدعائي الامريكي مقترنا باجراءات معينة في ميدان السياسة الدولية ، كما ادت هذه الاجراءات الى كسب عديد من الاصوات في الجانب المناهض للشيوعية •

ومن بين هذه الخطوات نذكر الخطوة الثلاثية لاعادة اقليم تريستا لايطاليا ، والمناقشة التي دارت في الامم المتحدة بشأن طلب ايطاليا الانضمام لعضويتها •

ومن الاجراءات الهامة بنفس القدر ، الاعلان الذي اذيع في الثاني من ابريل عام ١٩٤٨ بان الولايات المتحدة دفعت ٣٠٠.٠٠٠ دولار لأسرى الحرب الايطاليين الذين عملوا في اثناء الاسر في الولايات المتحدة •

ومن اطراف اساليب الدعاية التي استخدمت للتأثير في الانتخابات الايطالية ، حملة كتابة الخطابات التي نظمت بين الامريكيين من اصل ايطالي المقيمين في الولايات المتحدة •

كانت الخطة ترمي الى تشجيع تدفق الخطابات الشخصية من الامريكيين ذوي الاصل الايطالي في الولايات المتحدة لحث اصدقائهم واقاربهم في ايطاليا على رفض الشيوعية في الانتخابات •

وبالرغم من صعوبة تقدير أثر هذه الحملة الدعائية ، فإن عددا من المراقبين على الطبيعة - يؤكد ان حملة كتابة الخطابات كان لها اثر واضح في الفوز على الشيوعيين في نهاية المطاف .

وعلى سبيل المثال ، وصف ارنالدوكوريتسي مراسل صحيفة نيويورك تايمز هذه الحملة بانها اسلوب قوي وقال :

« لقد فهم كثيرون منها - أي من هذه الخطابات - لأول مرة أن الولايات المتحدة تعني ما تقول حين تعلن ان المعونة الامريكية سوف تتوقف اذا صوتت ايطاليا لصالح الشيوعيين » .

وعموما كان الجهد الدعائي والسياسي الذي قامت به الولايات المتحدة ذا أثر كبير على الانتخابات الايطالية ، وبذلك حققت هدفا

محدودا قصير الاجل .

□ اسقاط النشرات والصحف المضادة :

واستخدمت الولايات المتحدة ابتداء من ٢٩ من ابريل حتى اوائل الخريف من عام ١٩٥٤ اسلوبا في مقاومة الشيوعية ، اذ اسقطت على الاراضي التشيكية ما يزيد على مائة الف مسن البالونات المصنوعة من مطاط النيوبرين المملوءة بالهيدروجين ، يستطيع كل منهما حمل ثقل وزنه ثلاثة ارجال ، وبذلك أسقط بين الشعوب التشيكية والسلافية حوالي خمسين مليوناً من النشرات والاعلانات واوراق الانتخاب والصحف المضادة لنظام الحكم .

وبالإضافة الى ما اذاعه راديو اوروبا الحرة القائم في ميونيخ من بيانات تفسيرية لشعب تشيكوسلوفاكيا فقد حوت البطاقسة الانتخابية للمعارضة الشعبية التي اسقطتها الولايات المتحدة عشرة مطالب تلخص في الآتي :

- ان نقابات العمال للنقايين وان الدولة باعتبارها ربا للعمل يجب
الا تضطهد العمال •
- مطالبة الزيادة في الاجور •
- عدم تقييد العمال بأعمال معينة •
- عدم استغلال الدولة لوقت الفراغ •
- انهاء السخرة •
- عدم تحديد الحصص •
- الاستقلال الذاتي للجان القومية المحلية •
- السلع للشعب •
- العودة الى خدمة المستهلك •
- الاسكان للعائلات ، لا للدولة •

ولقد كانت قائمة ما يريده الشعب داخل تشيكوسلوفاكيا مستقاة من المعلومات داخل البلد ، ومستمدة من تقارير اللاجئين وأبنائهم وتحليل صحافة الشيوعيين واذاعتهم ، ومن ثم كان اساس المعارضة مرتكزا على أسباب محدودة من السخط ، ويرمي الى تحقيق غايات يمكن بلوغها •

والواقع ان هذه العملية نوع من العمليات النفسية التي يستخدمها الغرب في هذا الصراع الايديولوجي الكبير بين مذهبين متناقضين •

وان كانت الولايات المتحدة تهاجم بشدة التسلل الشيوعي في دول العالم ، فان مثل هذا العمل لا يقل خطورة عن التهديد الشيوعي •

وكلتا الوسيلتين ترفضها المثل الانسانية ، وتأبأها القيم الاخلاقية •

اننا لا نؤمن الا بالعقيدة التي تتبع من ضمير المجتمع ووحيه وتقاليده وقيمته الاخلاقية دون اية ضغوط خارجية او مساومات سياسية • (١)

(١) الحرب النفسية — الجزء الاول — صلاح نصر — دار القاهرة للطباعة والنشر — ص ٢٢٦ •

الراديو الاسود :

والواقع ان كلا الطرفين المتصارعين في الحرب الباردة يستخدمان الراديو الاسود « (١) كاداة للتراشق بالكلمات والطعن في الآخر ، ووجه كثير منها الى الدول النامية .

والادهى من ذلك ان كثيرا من هذه الاذاعات استخدمت لتحريض الشعوب على الثورة على حكامها ، على غرار ما حدث في مؤامرة جواتيمالا التي دبرت ضد الرئيس اربنز عام ١٩٥٤ ، او في محاولة غزو كوبا عام ١٩٦١ .

فقد لعبت اذاعة « سوان » دورا كبيرا في تلك المؤامرة التي دبرتها المخابرات المركزية الامريكية ضد حكم كاسترو في كوبا ، اذ قام راديو سوان باذاعة رسائل بالشيعة وناشد الشعب والقوات المسلحة الكوبية الثورة على كاسترو كما قدم تعليمات خاصة عن فن التخريب .

وتعتبر محطة « جواتيمالا الحرة » من المحطات ذات الموجة القصيرة التي ليس لها تاريخ مثل في الولايات المتحدة ، فقد لعبت هذه المحطة في السنين الاخيرة دورا علنيا في عمليات الحرب الباردة ، وقد انضمت مع راديو سوان في اذاعة « هافانا روز » الموجه ضد كاسترو .

وقد سبق أن قامت هذه المحطة عام ١٩٥٤ بمعاونة الشوار ضد الرئيس « اربنز » في جواتيمالا ، وتلقت المحطة خطاب شكر من حكومة « كاستيلو أرماس » لما قامت به من مساعدة في الثورة ضد اربنز ، ووقع الخطاب جوزي تورون الذي كان يقوم بادارة محطة « جواتيمالا الحرة » السرية ، قبل أن يتم القضاء على حكومة اربنز .

(١) نفس المرجع من ص ٢٦٥ - ٢٧٤ .

كما ان « راديو اوروبا الحرة » تعد من اكبر المحطات السرية واشدها اثارة للجدل . وتدعي هذه المحطة انها محطة خاصة غير تجارية وليست حكومية ، توجه اذاعاتها عبر الستار الحديدي الى الثمانين مليون أسير في بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وبلغاريا .

وفي هذه المناسبة يجدر بنا ان نتساءل هنا : ماذا كان هدف الولايات المتحدة في سماحها لراديو اوروبا الحرة بتشجيع الشعب المجري على الثورة ، بالرغم من انها لم تكن مستعدة لتقديم اي معونة حربية لها ؟

لقد ثار الجدل حول مسئولية هذه المحطة ، وبالتالي حول اولئك الذين يشرفون عليها في واشنطن ، وحاولت كل الاطراف ان تتصل من هذه المسئولية . فقامت محطة اوروبا الحرة بالرد على تصريح « انا كاثلي » الزعيمة المجرية التي كانت قد هربت الى الغرب وهاجمت محطة راديو اوروبا الحرة بطريق غير مباشر ، اذ قالت : « لقد كانت النوايا طيبة وان لم تكن النتائج سعيدة » . وكان رد الاذاعة ان تصريح الزعيمة ليس صحيحا . كما اعلن متحدث رسمي ان القول بان الغرب وعد بمساعدة المجر هو من اختلاق راديو شيوعي في المانيا الشرقية كان يذيع برامج تحت اسم راديو اوروبا الحرة .

وللتدليل على أهمية استخدام الولايات المتحدة للدعاية في الجرب الباردة نقول ان مصروفات « صوت امريكا » كانت تبلغ ٢٢ مليون دولار في السنة ، ويوجه ٤٠ ٪ من برامجها الى الدول الشيوعية ، وهناك في برلين الغربية محطة تبلغ قوتها ٣٠٠.٠٠٠ وات يطلق عليها « رياس » ، وهي توجه ارسالها طوال الليل والنهار الى جميع انحاء العالم ، ويقال انها تحت اشراف مجلس ادارة المخابرات الامريكية .

□ مواجهة الولايات المتحدة التحدي :

ولقد ذكر الين دالاس رئيس المخابرات المركزية في كتابه « حرفة المخابرات » الاجراءات التي يجب على الولايات المتحدة ومخابراتها المركزية اتخاذها لمواجهة الصراع الايديولوجي القائم . ونحن نذكر فقرات منها كما جاءت بالنص حيث يمكن ان نخرج منها بدروس مفيدة ، بل قد يتضح منها اسلوب سياسة الولايات المتحدة ، وان كان دالاس قد ذكر ان ما جاء بكتابه آراء شخصية . يقول دالاس : « واول امكاناتنا ضد هذا التهديد هو اولا سياستنا الخارجية التي تتحمل عبء مسئوليتها وزارة الخارجية تحت اشراف الرئيس . ثانيا يمكننا ان تقنع العالم الحر أننا وحلفاؤنا من القوة وعلى استعداد لان نجابه التحدي العسكري السوفييتي واننا نستطيع أن نحمي - وعلى استعداد لان نحمي - دول العالم الحرة وبالقوة اذا احتاج الامر ، واننا سوف نعاونهم على بناء امنهم ضد الاثارة . واذا شعرت الدول الحرة اننا ضعفاء من الناحية العسكرية ، أو اننا غير مستعدين للعمل فليس من المحتمل ان يصمدوا في وجه الشيوعية . »

والعنصر الثالث هو مدى المعونة التي يمكن ان يقدمها جهاز المخابرات :

١ - يجب ان يزود حكومتنا في الوقت المناسب بالمعلومات عن اهداف الشيوعية اي البلاد التي وضعها الشيوعيون على رأس القائمة في الهجوم الذي يستهدف اثارة الثورات .

٢ - يجب أن يتسلل الى العناصر الحيوية في جهازهم الاتاري عندما يبدأ في شن الهجوم على الدول الهدف ، كما يجب ان يزود حكومتنا بتحليل عن الاساليب المستخدمة ، وبالمعلومات عن الاشخاص الذين استهوتهم الاثارة ، او الذين تسللوا الى الحكومة المحلية .

٣ - يجب - كلما كان ذلك ممكنا - ان يساعد في بناء الاستحكامات المحلية في وجه التسرب ، بان تعرف الدول الهدف بطبيعة ومدى الخطر الذي يتهدها ، وبان يساعد جهاز الامن الداخلي في هذه الدول عما يجب ان يفعله بطريقة خفية » .

ويعود آلين دالاس فيقول :

« ويفتقر كثير من الدول المعرضة للخطر الى الشرطة المحلية او الى اجهزة الامن القادرة على ان تأخذ حذرهما في الوقت المناسب ضد خطر الاثارة الشيوعية . لهذا السبب تحتاج هذه الدول الى المساعدة التي لا يستطيعون الحصول عليها الا من دولة مثل الولايات المتحدة تملك الموارد والاساليب الكفيلة بمساعدتهم . ويرحب كثير من الدول التي تشعر بان أمنها مهدد بهذه المساعدة ، وقد افادت كثير منها من هذه المساعدة في السنوات الاخيرة . ومن جهة اخرى يحدث في بعض الاحيان - ولا سيما في امريكا الجنوبية - ان يعتمد دكتاتور الى ان يأخذ جهاز أمن داخلي سبق تدريبه على مناهضة الشيوعية ، ويحوّله الى نوع من الجستابو يستخدمه للقضاء على خصومه السياسيين المحليين . وقد حدث هذا في كوبا تحت حكم باتستا » .

ويضيف دالاس قائلا :

« ويجب علينا في كل مكان ان نساعد الشعوب على المقاومة وبث الثقة فيها بأنها قادرة على المقاومة ، وقد احرزنا حتى الان خبرة سنوات طويلة في محاربة الشيوعية . فنحن نعرف اساليبها ، ونحن نعرف عددا كبيرا من العاملين بصفة فعلية في هذه المحاولات التي تبذل للاستيلاء على الحكم . واذا ما سنحت لنا أية فرصة للمساعدة يجب أن نقدم مساعدتنا في بناء قدرة الدولة المحددة كما يجب ان تقدم هذه المساعدة قبل أن

يدفع التسلل الشيوعي الدولة الى ما لا يمكن العودة منه » •

ويقول دالاس في مكان آخر :

« وواضح انه من الاصعب بالنسبة لنا ان تكشف عن النشاط الشيوعي في الاماكن الاخرى للعالم الحر • ولكن كثيرا ما تمكنا من احراز نتائج باهرة منعت الشيوعيين من تحقيق أهدافهم • لقد اكتشفنا مؤامرات شيوعية كثيرة لقلب حكومات صديقة واجبطنائها • وكانت الدعاية المحلية في أول مراحل المؤامرة تكشف عن المتآمرين وتربطهم بموسكو او بكين وكان هذا مجديا خاصة عند معالجة منظمات « الجبهة » و « الشباب » و « السلام » التابعة للشيوعيين في اجتماعاتها ومؤتمراتها التي كثرت الدعاية لها ، وهناك تكون الصحافة الحرة ذات ميزة » •

وتحدث دالاس عن دور مخابرات الغرب ازاء التهديد الشيوعي بقوله :

« وطالما ان خروشوف ومن جاء بعده يستخدمون امكانياتهم لاثارة « حروب التحرير » التي تعني اي عمل خفي او سافر يقصد به قلب نظام الحكم غير الشيوعي فيجب على الغرب ان يكون مستعدا لمجابهة هذا التهديد • وحيث يتخذ التكتيك شكل الحرب السافرة او الساخنة او حرب العصابات كما حدث في كوريا أو فيتنام او الملايو فيجب على الغرب من جانبه ان يقدم المعونة سافرة بطريقة او باخرى • ولكن يجب على مخابرات الغرب ان تلعب دورها في وقت مبكر عندما يكون العمل الاثاري في طور الاعداد والتنظيم • وحتى نستطيع ان نقوم بعمل يجب أن تكون لدينا المعلومات عن المؤامرة والمتآمرين • ويجب ان تعد الوسائل الفنية السافرة والخفية لمجابهة هذه المؤامرة » •

« وبطبيعة الحال يجب ان تنسق كل الاعمال التي تقوم بها
المخابرات في هذه البلاد على مستوى وضع السياسة وتخطيطها ، كما
يجب أن يكون أي عمل تقوم به المخابرات داخلا ضمن نطاق اهدافنا
القومية » .

□ تطبيق وتحليل :

وفي تحليلنا لآراء مستر آلين دالاس من ناحية الاجراءات التي يجب
على الولايات المتحدة أن تتخذها حيال منع الشيوعية الدولية من التغلغل
— على حد قوله — في دول العالم الحر ، نجد أنه يتحدث من زاوية خصم
لعدو ينافسه في الوضع والايديولوجية وقيمه في المجتمع الدولي .

ونحن وان كنا هنا لا نحاول ولا نقوم أو تناقش أو نزن أو نقند
هذه الايديولوجيات المتباينة اذ ليس مجال ذلك هذا الكتاب ، انما نريد ان
نوضح من زاوية محايدة صرفة أن ما جاء بآراء دالاس من ناحية الاجراءات
لا يختلف عن الاجراءات التي يتخذها المعسكر الاخر للدفاع عن كيانه
ونشر مذاهبه .

فمن نص اقواله يمكن ان نلخص هذه الاجراءات ونعلق عليها في
النقاط الآتية :

١ — يجب استخدام الدعاية لاثبات قوة الولايات المتحدة العسكرية
للدول الصغيرة لاغرائها على الانضمام الى المعسكر الرأسمالي ، وفي
الوقت نفسه التقليل من شأن الجانب الاخر وفي هذا نوع من التهديد
الخفي ، وان كان يستخدمه الطرفان ، وهو ما يتنافى مع مبدأ تقريسر
المصير المفروض أن ينبع من رغبة و ارادة الشعوب .

٢ — استخدام المعونات الاقتصادية والعسكرية كسلاح ضد الدول
النامية وهو سلاح له قيمته ولا سيما بالنسبة لتلك الدول التي يمكن ان

تؤثر فيها الضغوط الاقتصادية ، وكل وسائل الحرب الاقتصادية .

٣ - توجيه الشعوب وتعاون الولايات المتحدة معها في منع تغلغل الشيوعيين ، ومساندة الاحزاب الاخرى غير الشيوعية ، وشن حرب نفسية على الاحزاب الشيوعية المحلية ويعد هذا تدخلا في شئون الدول الداخلية ، ولا يختلف عن التغلغل الشيوعي الدولي الا في لاسلوب .

٤ - انه يؤيد التدخل العسكري السافر في بعض الحالات اذا طلبت الدولة المعنية المساعدة ، وهذا يعتبر من الاجراءات السافرة التي تزيد حدة التوتر في العالم ، ولا يختلف عما سناه الشيوعيون « حرب التحرير » الا في الوسيلة .

٥ - معالجة منظمات الجبهات الشيوعية ، والشباب ، والسلام ، اي انه يؤيد وجهة نظر التدخل في شئون الدول الاخرى بينما ينقد التهديد الشيوعي باتخاذ وسائل مختلفة للتغلغل .

٦ - ينادي بتقديم المعونة السافرة بمختلف انواعها في حالة حروب التحرير ، مثل ما حدث في كوريا ولبنان والملايو في الوقت الذي يندد فيه بسياسة السوفييت والصين في مساعدة الدول التي تحاول التحرر .

٧ - يقترح تنسيق كل اعمال المخابرات بين الدول الصديقة والتي توحدت ضد الشيوعية الدولية ، وربما كان مسيطرا عليه في هذا التفكير مخابرات حلف الاطلنطي . وان كانت الدول المنظمة لهذا الحلف تتعاون مع الولايات المتحدة في ميدان مقاومة الشيوعية الدولية الا ان أغلب مخابرات هذه الدول تنظر الى مصلحتها القومية قبل اي شيء .

والواقع اننا نجد في اقتراحات مستر دالاس شبه وصاية يريد ان تكون للولايات المتحدة على دول العالم الحر ، وكذا الدول الصغيرة التي

تطلب معونة الولايات المتحدة تحت ظروف صعبة وبخاصة الدول النامية التي عانت من الاستعمار أجيالا عديدة وتحاول ان تخرج الى آفاق جديدة. وهذه الدول في الواقع هي التي تدفع ثمن هذا الصراع الايديولوجي من دمها وعرقها .

□ الخلاصة :

لقد أصبح دور أجهزة المخابرات في الحرب الباردة يأخذ لونا جديدا اذ تجد هذه الاجهزة نفسها في الوقت الحاضر في موقف يحتم عليها ان تراقب باستمرار كل جزء من أجزاء العالم ، مهما يكن الجزء الذي يشغل اهتمام الدبلوماسيين والعسكريين في ذلك الوقت . ان مصالح الطرفين وكذا الدول غير المنحازة معرضة للهجوم في اي ركن من اركان المعمورة وفي اي وقت .

لقد أصبح من المستحيل اليوم ان تتبأ اين يكون الخطر . ان واجب المخابرات ان تحذر حكوماتها مقدما من مثل هذا الخطر ، حتى تستطيع الحكومة ان تتصرف . لم يعد البحث عن المعلومات مقصورا على دول قليلة . لقد أصبح العالم كله حلبة نزاع . وفي عصر الصواريخ النووية أصبح العالم اجمع من المناطق ذات الاهمية الاستراتيجية . لقد فقدت المسافات كثيرا من معناها القديم ، بينما أصبح الزمن من الناحية الاستراتيجية يحسب بالساعات بل بالدقائق . أما المحطات والصحاري التي جمعت الدول في الماضي وهيأت لها الوقت الكافي للاستعداد فما زالت على اتساعها ، ولكن أصبح من الممكن للصواريخ ان تعبرها في دقائق ، ولقاذفات القنابل ان تعبرها في ساعات معدودات . لقد أصبحت

دول العالم اليوم في الخط الامامي للهجوم • ولم يعد الهجوم يتطلب فترة طويلة للاعداد والتعبئة • فالصواريخ معدة على قواعدها • وقاذفات القنابل على أهبة الاستعداد •

ولهذا السبب كان على المخابرات في الوقت الحاضر الاضطرار بمسئولية اضافية ، لان الدولة لا تستطيع الانتظار حتى تتوفر الأدلة عن احتمال حدوث عمل معاد ، او حتى تكون الدولة الاخرى قد اتخذت قرارها لضربها • يجب على الحكومات ان تتلقى تحذيرها سلفا وان تتسلح مقدما •

ان نقطة المخابرات واحتمال تقديم تحذيراتها سلفا يمكن ان يكون احد الاسباب الفعالة العميقة لتحقيق رغبة العدو في شن هجوم على الجانب الآخر • ولهذا لا يجب ان يكون انشاء هذا الجهاز التحذيري سرا • بل على العكس يجب ان يكون معروفا تماما ، وان كانت وسائل واساليب التحذير هي التي يجب ان تحاط بالسرية • يجب ألا تكون المخابرات من الموضوعات المحرمة •

واذا كان هناك من يشك في أهمية المخابرات الموضوعية ، فعليه دراسة الاخطاء الاخرى التي ارتكبها الزعماء نتيجة فساد المشورة المقدمة لهم ، او نتيجة أنهم أخطأوا الحكم على افعال او ردود افعال البلاد الاخرى • وفي الايام التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، لم تدرك الحكومة البريطانية - بالرغم من تحذير تشرشل - حجم التهديد النازي وخاصة بالنسبة للطائرات •

وبالمثل ارتكب هتلر بعد ان اشعل الحرب العالمية الثانية سلسلة من سوء التقديرات • فلم يعمل حساب قوة بريطانيا وعزيمتها • وبعد ذلك فتح جبهة ثابتة ضد روسيا في يونيو ١٩٤١ متجاهلا كل العواقب • وعندما قدمت له النصيحة في عام ١٩٤٢ بخصوص خطة نزول البريطانيز

والامريكيين في شمال افريقيا ، رفض ان يلقي بالا الى المخابرات التي كانت قد وصلتة ، وانما قال : « ولكن ليس لديهم السفن التي يمكنهم استخدامها » .

اما بالنسبة لليابان فبالرغم من نجاح الهجوم على بيرل هاربور الا ان الاحداث التالية أثبتت ان حكومتها ارتكبت اكبر خطأ عندما اساءت تقدير امكانات الولايات المتحدة الامريكية العسكرية .

★ ★ ★

ومن ثم فانتا نرى اليوم امكانية اثاره الحرب دون ارسال جيوش فعلا للميدان ، بل يدير هذه الحرب الساسة ورجال السلك الدبلوماسي بدلا من القادة العسكريين ... حرب يديرها رجال الدعاية والمخابرات لا الضباط والجنود .

والواقع ان الحرب الباردة هي حرب دهاء ، حيث اكتشف الانسان وسائل خوض غمار الحرب دون استخدام اسلحته التقليدية ، بل باستخدام عقله وقريحته في شن هجومه على عدوه .

ولكن من الواضح ان الامم كلها لم تصل الى هذه الفلسفة بسرعة ، كما ان كثيرا منها ما زال يجهل أن نشاط المخابرات يحتل المركز الاول فيها ، وسيستمر ذلك بل سيزداد اذا لم تتمكن المنظمات الدولية بل الدول نفسها من ايجاد حل لسلام دائم يعتمد على التعايش في سلام ، وقرار المبادئ الانسانية .

ان الضمان الوحيد لقيام سلام دائم هو ان يتخلى الطرفان عن هذه الحرب الباردة ، ويتركا الشعوب تقرر مصائرهما حسب ما تمليه مصالحها وعقيدتها وارادتها ، وان يكن ذلك املا بعيدا .

الفصل الحادي والعشرون



العلم في خدمة المخابرات

العلم في خدمة المخابرات

- العقول الميكانيكية -
- مراقبة الاحداث
- وتسجيلها - وسائل
- المخابرات السريسة -
- اجهزة تحديد الاتجاه -
- مراقبة التجارب النووية
- قياس قدرة التفجيرات
- مراقبة انتاج
- الصواريخ - ابحاث
- الطيران - ابحاث
- الفضاء •

العقول الميكانيكية :

تقوم العقول الميكانيكية في الوقت الحاضر بعملية القاء الاوامر الدقيقة وعملية الاوامر الداخلة في اوامر اخرى ، حيث تكون مسجلة برموز وشيفرات في الكروت المثقوبة والشرائط المغناطيسية والشرائط المثقبة .

ان لهذه العقول حواسا تستطيع ان تعيش بواسطتها وهي الضغط والوزن والحرارة والرطوبة والسرعة ان لها اجزاء تستطيع ان تستظهر وتجمع وتطرح وتضرب وتقسم بل وتقوم بالاستنتاجات المنطقية . وقد اثبتت هذه الآلات ان حكمها صائب كما أنها تتخذ عددا من القرارات . ولها ذاكرة افضل من ذاكرة الانسان ، وتستطيع ان تحل مسائل كان يبدو حلها مستحيلا .

ان العقل الآلي الحديث يستطيع ان يعطينا المعادلة الرياضية الضرورية اللازمة لبناء كوبري ذي خمسين عقدا ، كما يمكن له أن يحل في يوم واحد مسألة كانت تتطلب الف عالم رياضي يشتغلون الف سنة . كما أن هناك عقلا ميكانيكيا اخر يقوم بعملية الترجمة من لغة الى اخرى ، وهناك آلة اخرى يبدو انها تتعلم بالتجربة وهي تتحسن يوما بعد يوم .

ولقد استخدمت هذه العقول حديثا في تبويب بيانات المخابرات وجمعها . ومعنى هذا ان هناك بين صفوف المحللين والمقيمين لاعمال المخابرات في الوقت الحاضر ، اشخاصا مدربين على استخراج البيانات وتشغيل الآلات الحاسبة وغيرها من العقول المفكرة الميكانيكية المعقدة .

على انه ينبغي الا نتوهم فنزعم ان هذه الآلات تحسن من طبيعة المعلومات ، فهذه تعتمد دائما على مدى الثقة في المصدر ومدى مهارة

المحلل ، ان ما تفعله الآلات هي انها تعيد الينا بسرعة وبدقة - من بين البيانات الضخمة المخزنة - البيانات الضرورية اللازمة لتقييم المعلومات الحالية . ان ما كان يتم قبل استخدام الآلة بواسطة المحلل في اسابيع من البحث ودراسة الملفات يمكن ان يتم بواسطة الآلات في دقائق .

ولكن هذا عمل عادي اذا قورن بما تستطيعه التكنولوجيا اليوم من تجميع المعلومات نفسها . ونحن لا نعني هنا الآلات الحاسبة والآلات التجارية ولكننا نقصد هذه الطرق الخاصة التي ابتكرت لمراقبة وتسجيل الاحداث حتى تحل محل العين واليد ، وحتى تخترق المناطق التي لا تستطيع الامكانيات البشرية ان تصل اليها .

□ طرق مراقبة وتسجيل الاحداث :

ان الطبيعة الفنية لكثير من اهداف المخابرات المعاصرة هي التي دفعت الى خلق الطرق التي تتيح مراقبتها . فاذا كان الصوت الصادر عن الهدف خافتا كان لا بد من وجود الآلة الصوتية الحساسة لمراقبته . واذا كان الهدف يصدر موجات من الصدمات في الارض كان لا بد من وجود جهاز السيسموغراف لاكتشافها .

وفي حرفة المخابرات يطلقون دائما على الميكروفونات المخبأة اسم « الحشرة » واصبح الاسم مناسباً اكثر نتيجة التطورات الالكترونية التي دخلت على هذه الآلة في السنوات الاخيرة .

وكما هو حال كاميرات الجواسيس وافلامهم الصغيرة جدا « الميكروفيلم » امكن اختراع الميكروفون الصغير الذي لا يسهل اكتشافه واندثرت هذه الاسلاك المتشابكة المعيقة التي كانت تستعمل ايام الحرب العالمية الثانية . هناك آلاف ترازستور مزودة بميكروفون يمكنها

ان تنقل حديثا سريا الى مدى بعيد . قد توضع الآلة داخل الحائط او في المراتب او في السيارات وتظل تعمل مدة سنتين دون حاجة الى اي تدخل . ويطلق على هذه العملية اسم « الرقابة السمعية » . ويتعرض الدبلوماسيون وموظفونهم واسرهم للاستماع السري المستمر ، وتتم هذه العملية بشكل واسع في الدول المتقدمة فنيا سواء في الشرق او الغرب . وبالرغم من ان رجال السفارات قد يكشفون مكان عشرات الميكروفونات الصغيرة ويتخلصون منها ، فسرعان ما تحل غيرها محلها . وكل خادمة او سائق او بستاني او كهربائي او لحام يعمل في السفارة ربما يكون عميلا لديه كل الفرص لدس هذه الآلات الصغيرة .

ويمكن استخدام اي عاكس ليؤدي عمل الميكروفون — وذلك بتسليط شعاع من الاشعة تحت الحمراء الضوئية التي لا ترى ، وعند ذلك تقوم الذبذبات التي تسببها الاصوات البشرية بتخفيف الموجات الضوئية التي يعكسها العاكس . بعد ذلك يصطدم الضوء تحت الاحمر العائد بخلية كهربائية خارج الحجرة ويعود الينا التذبذب باخراج الصوت . والحقيقة انه يمكن تحويل اي جهاز تذبذب الى ميكروفون بواسطة الاشعة تحت الحمراء ، وحتى الكوب الفارغ او غطاء المصباح يمكن استخدامهما لهذا الغرض .

وليست ثمة مكالمات تليفونية في أغلب الدول يمكن ان توصف بانها خاصة ، وان حاولت معظم الدول انكار وجود رقابة تليفونية .

حدث مرة ان شكا احد الامريكيين — بعد ان تملكه الغضب — من أن مكالمات تليفونية قد تأخرت فما كان من العامل الا ان اوضح له ان سبب ذلك هو عطل جهاز التسجيل .

ان اية قاعدة تليفونية قد تبدو بريئة ، ولكنها تحوي ميكروفوناسا يعمل سواء كان التليفون مستعملا او غير مستعمل .

كيف اذن تتم محادثات الدبلوماسيين ، وكيف يتغلبون على تصنت العدو ؟ ان اي ثرثرة خاصة بمن يعملون معهم قد تعطي منظمات الامن مادة تستغل في عملية التشهير ولذلك يحاول الجميع اتباع طرق متعددة ، ولكن لم يعد امانا بالنسبة لاستخدام الافراد وسيلة التحدث بصوت خافت ، بينما يجعلون صوت الراديو اعلى ما يكون ، او يحدثون صوتا بضرب مفاتيحهم على كوب موضوع على المائدة لاختفاء ما يتحدثون فيه .

ولقد عمد ممثلو المانيا الغربية الى عمل حجرة خاصة من الصلب بها أجهزة الكترونية تمنع خروج اي صوت منها ، انها امينة ضد اي ميكروفون .

والاحتمال الاخر ان يتكلم الانسان بحذر وتحفظ مستعملا رموزا خاصة . وان كان هذا غير مضمون بالنسبة للمتصنتين . ويلتزم الدبلوماسيون جانب الحكمة بالابتعاد عن ذكر الاسماء . وحتى اذا استخدموا اسماء رمزية فقد يستطيع رجال الامن ان يعرفوا الشخصية الحقيقية للمرشدين ، بان يقارنوا بين عشرات المحادثات التي سبق ذكرها .

واكثر الطرق امانا الا يقول الانسان شيئا ، ويحدث احيانا ان يجلس البعض في حجرة داخلية ومع ذلك يستطيعون مناقشة مشاكلهم بواسطة الكتابة على الورق الذي يقومون باحراقه فور فراغهم من الحديث . ولما كان ثمة احتمال لاكتشاف آثار كتابة على الورق المحروق فانه يجب سحق الورق المحروق ، لان الخادمة التي تقوم بترتيب اثاث الحجرة هي غالبا عميلة في البوليس السري .

وفي السنوات الاخيرة اصبحت المكالمات التليفونية السرية تؤمن بواسطة استخدام جهاز « الخلط » ، وهذا الجهاز يقوم بنقل بعض مقاطع الكلمات مكان البعض الاخر في الكلام . وتكون النتيجة ان الجملة

المخلوطة لا تبدو وكأنها جملة سليمة والكلام المخلوط ما هو الا نوع من الكلام الشفري ، وان كان في استطاعة المحلل ان يقوم بفك رموزه •

وفي معظم الدول تقوم منظمات مقاومة التجسس في المدن الكبرى بتخصيص حجرات معينة في الفنادق لنزول السياح الاجانب ، حيث يكون قد ركب فيها بطريقة ثابتة اجهزة ارسال لانهم لا يحبون ان يسارعوا بتركيب الميكروفونات عندما يصل اجنبي مهم على المسرح • كانوا يفضلون ان تكون الميكروفونات جاهزة معدة لاستقبال الاجنبي • وفي هذه الحالة تستخدم المنظمات عملاء ثابتين من الشرطة بين موظفيها تكون مسئوليتهم مراقبة نزول الاجانب في الحجرات الصحيحة المزودة بالميكروفونات او تكون قد جندت بعض موظفي الفنادق للقيام بهذا العمل بعد تدريبهم •

وعندما قام المستشار اديناور بزيارة موسكو في سبتمبر عام ١٩٥٥ لمناقشة استئناف العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتي وبين المانيا الغربية كان يستقل قطارا المانيا رسميا • وعندما وصل الى موسكو بلغ السوفيت ما أحزنهم وهو ان المستشار الماكر - الذي لم يكن له سفارة في موسكو - كان يعتزم الاقامة في قطاره طيلة اقامته في موسكو ولم يكن ينوي قبول الضيافة السوفيتية على شكل اقامة في احد الاجنحة بفندق من الفنادق التي ينزل فيها الاجانب في موسكو • ويقال انه قبيل مغادرته المانيا كان الفنيون الالمان قد زودوا قطار المستشار بأكفا الاجهزة واحداثها ضد الرقابة السمعية •

ويجب ان يضع جهاز المخابرات في الاعتبار ، الاحراج المحتمل الذي يحدث له عندما يكتشف ان منشأة في الخارج لدولته قد دخلها احد بطريقة شرعية او ان اجهزتها قد عبث احد بها • وكما هو الحال في كل

عمليات التجسس تكمن الصعوبة في اكتشاف الرجل الذي يستطيع ان يقوم بالعملية والذي تتوفر فيه الموهبة والدافع سواء كان الدافع وطنيا او ماديا . مثال ذلك استطاع السوفييت ان يضعوا ميكروفونات في أواني الزهور التي كانت تزين احدى سفارات الغرب في احدى الدول المحايدة ، وكان بواب المبنى يحب الشراب ، فاستغل السوفييت نقطة الضعف هذه ورصدوا له مصروفا . ولم يكن يدري لماذا كانوا يأخذون الاواني منه من آن لآخر ولا ما كانوا يصنعون بها .

ولا يوجد اي جهاز تكنولوجي من هذا النوع لا يمكن اتخاذ اجراءات مضادة له ، ولا يتوقف الامر على امكان كشف هذه الاجهزة وابطالها بل يمكن احيانا ان يحول الجهاز ضد من قام بتركيبه . فاذا ما اكتشف الجهاز يعتمد الخصم الى تركه في مكانه حتى يغذي الجانب الآخر بالمعلومات الكاذبة المضللة .

□ وسائل المخابرات السرية :

ومن المعروف انه لكي يمكن التحكم في اعمال المخابرات خارج ارض الوطن لا بد من انشاء وسائل مخابرات سرية .

فالى جانب الاستفادة من الوسائل المساعدة العامة مثل البريد والتليفون والبرق ، تستخدم منظمات المخابرات وسائل سرية اخرى استنفذت السنوات الطوال لاكتشافها ، ولن نذكر هنا الوسائل المساعدة البدائية مثل الاحبار غير المرئية وما شاكلها لاننا سنتحدث عنها في كتاب الحرب الخفية ، انما سنقصر الحديث هنا عن تطورات استخدام الاسلحة وتكنولوجيا الطيران والفضاء بالنسبة لخدمة المخابرات .

لا شك في ان الوسيلة المساعدة تستلزم في الغالب طريقا طويلا جدا
يجب على المعلومات ان تعبره • ولذا توجه اجهزة المخابرات في أنشطتها
المختلفة اهتمامها الى اللاسلكي كوسيلة اساسية في ارسال المعلومات
وتلقي التعليمات •

ولقد لعب تفكير المخترع مع الخبرة التكنولوجية الخاصة بنقل
الانباء دورا هاما ، ففي مدارس تدريب العملاء يحتل اللاسلكي نفس
أهمية الدراسة الخاصة بالمهام الرئيسية ، وهي الحصول على المعلومات
الاستراتيجية • وتهتم منظمات المخابرات اهتماما خاصا بتدريب العملاء
من رجال اللاسلكي وباتاج اجهزة لاسلكية خصيصا للعملاء وبالعمل على
تطوير هذه الاجهزة •

وبمرور الزمن أمكن ابتكار اجهزة لاسلكية صغيرة الحجم يمكن
حملها في حقيبة صغيرة • وكان كل جهاز لاسلكي من هذا الحجم يعمل
كجهاز ارسال واستقبال في نفس الوقت ، ولقد حققت هذه الاجهزة في
عديد من المناسبات نتائج باهرة برغم طاقتها الضعيفة ، ٢٠ ، ٤٠ ، ٦٠ وات ،
اذ امكنها التغلب على المسافات البعيدة •

وقد يقتضي الامر انشاء محطات لاسلكي على درجة كفاءة فنية
عالية في أرض الوطن لاستقبال المعلومات التي ترسلها اجهزة اللاسلكي
الخاصة بالعملاء عبر الاثير • وبصرف النظر عن محطة اللاسلكي الضخمة
التي قد توجد في أرض الوطن ، فقد يتطلب الامر ان تزود مراكز
المخابرات الامامية بمحطات لاسلكي من الدرجة الاولى من الكفاية بغية
التغلب على المسافات البعيدة •

وتستغل الدول الحصانة الدبلوماسية لسفاراتها ، فتقيم هذه
الاجهزة بعد الاستئذان من الدولة المضيفة ، التي غالبا ما توافق على

انشاء هذه الاجهزة عملا بمبدأ المعاملة بالمثل .

ويمكن لهذه المراكز الامامية - دون ان تتلقى أية مساعدة جوهرية من المركز الرئيسي - انشاء محطة لاسلكية خاصة بالعملاء وذلك في مكان أمامي . وتقوم مثل هذه المحطة بالارسال والاستقبال في نفس الوقت على ابعاد طويلة ، تصل الى عديد من الكيلومترات . وتضم مثل هذه المحطة عديدا من الاجهزة يعمل عليها عديد من رجال اللاسلكي ، مهمتهم مراقبة الرسائل التي تصل من عملاء المنطقة أو مراكز التجسس طبقا لخطة الارسال الموضوعية . كما ان عليهم أيضا بصفة خاصة مراقبة استقبال النداءات التي يرسلها العملاء الجدد لأول مرة .

على ان عملية مراقبة هذه الاجهزة مدعاة لاثارة اعصاب رجال اللاسلكي الذين يقومون بهذا العمل ، ذلك انه قد يبقى هؤلاء الرجال أمام اجهزتهم أياما بل أسابيع دون أن يجود عليهم الاثير بشمة اشارة . واذا ما ظفر أحدهم باشارة من أحد العملاء في الخارج فانه ينبغي عليه أن يركز اهتمامه تركيزا كبيرا ، حيث ان نجاحه في تلقي الرسالة من الامور الهامة التي تقيم نجاح هذا العمل .

وفي المراكز الامامية أو الرئيسية تكون أجهزة ارسال المحطة موزعة توزيعا متباعدا ليشمل مساحة واسعة جدا .

ولا بد من تزويد مثل هذه المحطات بمولد كهرباء يعمل بالديزل لكي يستخدم في حالة انقطاع التيار الكهربائي العادي .

ويتبع هذه العملية عملية أخرى وهي مراجعة الاشرطة اللاسلكية الخاصة بالرسائل التي يبعث بها العملاء فور تدريبهم مراجعة دقيقة ، وهذا يشبه تماما قيام خبراء مضاهاة الخطوط بمراجعة المحررات الخطية

ومضاهاتها ، أو قيام بعض الاخصائيين بتحديد الشخص الذي كتب رسالة على آلة كاتبة •

على ان هذه المراقبة ضرورية ولازمة ، حتى يمكن التثبت من دقة العمل في بث الرسائل عبر الاثير ، وكذلك التثبت من دقة من قام باستقبال هذه الرسائل •

□ اجهزة تحديد الاتجاه :

وكان تطور اجهزة الارسال اللاسلكية القوية الصغيرة مما سهل نشاط الجواسيس ، فبواسطة ارسال رسائلهم بسرعة وبطريقة غير منتظمة متفق عليها ، يستطيع الجواسيس تحاشي الاكتشاف لشهور وربما لسنوات • وعندما تكتشف الحكومة أي مراسلات لاسلكية مشبوهة تحاول في الحال أن تحدد مكان جهاز الارسال باستخدام آلات اكتشاف الاتجاهات ، وهي الطريقة المسماة « تحديد الاتجاه » D.F.

فطبقا لقواعد الهندسة او لحساب المثلثات بصفة خاصة ، اذا عرفت قاعدة المثلث - وهي عبارة عن المسافة بين آلتين ايجاد الاتجاه - ومدت من طرفيها خطوط تعمل مع القاعدة زاويتين معلومتين ، فان الخطين يتقابلان في نقطة معينة • هذه النقطة هي مكان جهاز الارسال السري • وبواسطة هذه الطريقة التلثية تمكنت حكومة الولايات المتحدة في الحرب العالمية الاولى من اكتشاف المحطة المكسيكية التي كان يستخدمها العملاء الالمان في الاتصال اللاسلكي ببرلين •

كما تطورت هذه الاجهزة بحيث أصبح في الامكان استخدامها في عربات متحركة ، ويمكن لهذه الاجهزة تحديد مكان الجهاز او بمعنى آخر

الشقة التي يعمل منها الجهاز • وقد استخدمت هذه الوسيلة بنجاح بواسطة هتلر في الحرب العالمية الثانية ، ويستخدم الان بمهارة فائقة في أعمال مكافحة التجسس في جميع أنحاء العالم •

□ مراقبة وقياس التجارب النووية والصواريخ :

وفضلا عن ذلك فقد أصبحت الحاجة ملحة الى مراقبة وقياس التجارب الخاصة بالاسلحة النووية والصواريخ في العصر النووي ضرورة ، كما عجلت بتحسين الآلات التي يمكن أن تستخدم في مراقبة تجارب الآخرين بعد ادخال بعض التعديلات عليها • ويعد الرادار والتصوير الدقيق البعيد المدى أدوات أساسية في عملية التجميع الفني ، أما العملية الأخرى فهي عملية جمع وتحليل عينات من الهواء لتقرير ما اذا كان ثمة اشعاع ذري في الجو من عدمه • ولما كانت جزئيات الاشعاع الذري تنتقل بفعل الرياح عبر الحدود بين الدول ، لم تكن ثمة حاجة للتسلل الى اراضي العدو - جوا او برا - بقصد الحصول على مثل هذه العينات •

وفي عام ١٩٤٨ أقامت حكومة الولايات المتحدة رقابة طيلة الاربع والعشرين ساعة على جو الاتحاد السوفيتي بواسطة الطائرات ، لرصد التجارب التي تجري بخصوص الاسلحة الذرية • وفي سبتمبر ١٩٤٩ ظهر أول دليل على حدوث تفجير ذري سوفيتي في الجزء الآسيوي من الاتحاد السوفيتي ، وكان هذا مصدر دهشة العالم ودهشة كثير من العلماء الذين كانوا يعتقدون حتى ذلك الوقت - على أساس الأدلة القائمة - ان السوفييت لن يحصلوا على القنبلة قبل سنوات • وبعد ذلك بدأت التحسينات التي أدخلت على الآلات تكشف للولايات المتحدة لا عن

حدوث تفجيرات ذرية فحسب ، بل كذلك عن قوتها وعن طراز الآلة او السلاح المستخدم .

وكان أن ألهمت مثل هذه التطورات الاتحاد السوفييتي الذي عرف أن تجاربه قد اكتشفت أن يتخذ اجراءاته المضادة ، وكانت هذه الاجراءات ذات طبيعة تكنولوجية عالية . وأمكن في الوقت الحاضر « حماية » التفجيرات الذرية التي تتم تحت الارض وفي الجو الخارجي حتى لا يمكن معرفة خصائصها بسهولة بالنسبة الى حجمها وطرازها . وبعد ذلك تبدأ الجولة الثانية من جانب الفنين الذين يقومون بعملية جمع المعلومات لاكتشاف الطرق التي يمكنهم بواسطتها اختراق هذه الاجراءات المضادة .

□ بحوث اكتشاف الطيران والفضاء :

تحاول التكنولوجيا الحديثة فرض رقابة على بعض التجارب العلمية والعسكرية التي تقوم بها الدول الاخرى وذلك بالتركيز على التأثيرات الجانبية لهذه التجارب . وتتيح بحوث الفضاء نوعا آخر من فرض الرقابة . ففي اثناء تحليل سفن الفضاء ترسل تقارير عن مهمتها وعن الاحوال في الفضاء الخارجي ، أو عن أجرام سماوية بواسطة الاشارات الالكترونية التي تبعث بها أجهزة قياس المسافات البعيدة . وترسل هذه الاشارات الى القواعد والمحطات الخاصة بالدولة التي أطلقت سفينة الفضاء . وكما هو الحال في رسائل الراديو العادية ليس هناك ما يمنع أي شخص معه الآلات الصحيحة من أن يستمع اليها ، فواضح ان الدول المتنافسة على تجارب الفضاء تقوم بالاستماع الى اجهزة قياس المسافات البعيدة بقصد محاولة الكشف عن تجارب الدولة الاخرى . ومدى ما حققته من نجاح . والمهم أن تستطيع أن تقرأ الاشارات قراءة صحيحة .

وثمة أهداف عسكرية وفنية هامة من النوع الثابت الذي لا يكشف عن موقعه او عن طبيعة نشاطه بالطرق الخاصة بالكشف والتتبع والرقابة والاستماع . فالمصانع واحواض السفن والترسانات وقواعد الصواريخ التي هي في سبيل البناء لا تعطي دليلا على وجودها يمكن كشفه من بعيد . وحتى يستطيع الانسان أن يكتشف هذه المنشآت ، لا بد ان يقترب منها أو يطير فوقها مباشرة على ارتفاع كبير ويكون مسلحا بآلات تصوير بعيدة المدى . وكان هذا هو الغرض من مهمة الطائرات U 2 التي كان في مقدورها أن تجمع معلومات بسرعة أكبر وأدق وتكون أكثر ثقة من أي عميل على الارض . أن النتائج التي تحصل عليها لا يدانيها الا الحصول على الوثائق الفنية التي يمكن الحصول عليها مباشرة من المكاتب او المعامل . لقد حققت الطائرة U 2 بأكثر من طريقة ، نتائج عالية في عملية جمع المعلومات بطريقة علمية .

ولقد شهد بذلك توماس جيتس وزير دفاع الولايات المتحدة - عندما وقعت حادثة الطائرة U 2 في أول مايو ١٩٦٠ - أمام لجنة العلاقات الخارجية المنبثقة عن مجلس الشيوخ في ٢ يونيو ١٩٦٠ فقال :

« من تحقيقات هذه الطائرة حصلنا على معلومات عن المطارات والطائرات والصواريخ والتجارب الخاصة بالصواريخ والتدريب وتخزين الاسلحة وانتاج الغواصات والانتاج الذري وانتاج الطائرات وكلها معلومات حيوية . ولقد أخذت هذه النتائج في الاعتبار عند رسم برامجنا العسكرية . لقد كنا أول المستفيدين وكانت مصلحتنا هي المصلحة الكبرى »

ولقد كان للطيران على ارتفاع كبير الخاص بالعمليات الاستطلاعية التي كانت تقوم بها الطائرة U 2 الفضل في اقامة الدليل القاطع على تركيب صواريخ سوفيتية ذات مدى متوسط في كوبا في أواخر اكتوبر ١٩٦٢ . ولولا انها اكتشفت والعمل يجري في قواعدها وقبل ان تخفى

بطريقة التمويه ، لشكلت هذه القواعد تهديدا سريا قاتلا لامن الولايات المتحدة وأمن نصف الكرة الغربي . وهنا كان مثل آخر من أمثلة الجمع الكلاسيكية بعد تطعيمها بالطرق العلمية الحديثة ، مما يجعلها ذات نتائج عالية القيمة . وقد ابلغ عدد من العملاء والمهاجرين من كوبا بأن كل عملية أشبه ما يكون ببناء قواعد صاروخية وحددوا مكان اقامتها . وأدى هذا الى ان يقوم الطيران الاستطلاعي بتقديم الدليل على صحته .

ان العلم هو الذراع الحيوي للمخابرات اليوم ، وكلا المعسكرين في سباق يحاول أن يسبق الآخر في مجال التطور العلمي ، كل منهما يحاول أن يتخذ مركز الصدارة . ان التقدم التكنولوجي هو الذي سيحدد في المستقبل كفاءة اجهزة المخابرات وبالتالي عظمة وقوة البلاد .

المحتويات

منحة

٣

مقدمة

الفصل الاول

٩

بين الماضي والحاضر

١٩

— الجاسوسية في عصر نابليون

٢١

— التطورات منذ منتصف القرن التاسع عشر

٢٥

— المخابرات في الحرب العالمية الثانية

٢٧

— المخابرات في عصر الفضاء

الفصل الثاني

٣١

المخابرات تنظيم وتشاط

٤٦

— وجهات النظر المهنية

٤٩

— الاختلافات

٥١

— وقت القارئ

٥٢

— وقت الكاتب

٥٢

— ضعف قيمة المعلومات مع مرور الزمن

٥٤

— صفات المخابرات الجيدة

الفصل الثالث

٥٧	وضع المخابرات في الدول
٥٨	— مخابرات كانايس الألمانية
٦٦	— المخابرات المركزية الأمريكية
٧١	— المخابرات السوفييتية
٧٧	— البناء القانوني الإداري للمخابرات
٨٠	— المخابرات كعنصر من عناصر تشكيل قوات الدفاع
٨١	— المخابرات والتمثيل الدبلوماسي
٨٤	— المخابرات والشرطة
٨٦	— أهمية المركزية في المخابرات

الفصل الرابع

٨٩	مهمة المخابرات
٩٠	— الكيان السياسي للمخابرات
٩٢	— وظيفة المخابرات
٩٤	— وظيفة الحماية

الفصل الخامس

٩٩	الأفراد
١٠٢	— أولا : ضباط المخابرات
١١٣	— ثانيا : العميل

الفصل السادس

١٢٥	التخصص في مواضيع البحث
١٢٧	— تقسيم المخابرات النوعي

صفحة

- ١٢٨ - المخابرات الايجابية
- ١٢٨ - المخابرات الوقائية
- ١٣٠ - مخابرات الامن
- ١٣١ - التخصص الموضوعي
- ١٣٢ - المخابرات الاستراتيجية

الفصل السابع

- ١٣٥ المخابرات السياسية
- ١٣٧ - العنصر التأملّي التقديرى
- ١٤٠ - التأثير الاستراتيجى
- ١٤١ - نقط الضعف القابلة للهجوم
- ١٤٤ - المخابرات السريّة

الفصل الثامن

- ١٤٧ المخابرات الاقتصادية
- ١٤٩ - تحليل امكانات الحرب
- ١٥١ - المواد الطبيعية
- ١٥٢ - القوى البشرية
- ١٥٣ - القدرات الصناعية
- ١٥٤ - النقل
- ١٥٥ - التجارة
- ١٥٧ - التمويل
- ١٥٨ - اجمالى الانتاج القومى
- ١٦٠ - الملاءمة والتنسيق
- ١٦٥ - المخابرات الاقتصادية وقت الحرب
- ١٦٨ - دور المخابرات فى الحرب الاقتصادية

الفصل التاسع

مخابرات القتال

١٧١	
١٧٢	- مشتملات المعلومات العسكرية
١٧٤	- تقدير القوة العسكرية
٢٤٨	- التحليل :
١٧٧	- مراقبة التطورات
١٧٨	- المعلومات الطبوغرافية
١٨٠	- اهمية المعلومات الاستراتيجية وقت الحرب

الفصل العاشر

المخابرات العلمية

١٨٩	
١٩٠	- مظاهر تطور المخابرات العلمية
١٩٣	- الالمان يستخدمون موجات الراديو
٢٠٢	- العملاء السريون
٢٠٤	- الصاروخ البعيد المدى
٢٠٦	- قصف بينيموند بالقنابل
٢٠٧	- القنبلة الطائرة
٢٠٨	- غزو نورماندي
٢١٠	- القنبلة الذرية
٢١٣	- التحليل
٢١٤	- الافراد :
٢١٥	- مجال المخابرات العلمية
٢٢٤	- العلاقة بين المخابرات العلمية والفنية
٢٢٦	- مخابرات المواصلات والالكترونيات

الفصل الحادي عشر

مراحل الانتاج

٢٣٣	- مهمة جمع المعلومات
٢٣٤	- الجمع السري
٢٤٠	- تنظيم المعلومات
٢٤٦	- التحليل
٢٤٨	١ - علم الخبر
٢٤٩	٢ - الامانة
٢٤٩	٣ - الخيال
٢٥٠	٤ - اليقظة للتفاصيل
٢٥٠	مراحل التحليل :
٢٥١	١ - تعريف المشكلة
٢٥١	٢ - تجميع البيانات والمعلومات
٢٥٢	٣ - تقويم المعلومات
٢٥٣	٤ - الدراسة والتفسير
٢٥٣	٥ - التقديم
٢٥٤	- التوزيع

الفصل الثاني عشر

دور المخابرات في رسم السياسة

٢٥٥	- اطوار المخابرات
٢٥٦	- المطالب
٢٥٨	- الذين يستخدمون الانتاج
٢٥٩	

٢٦١	— وسائل المخابرات
٢٦٤	— مهمة الانذار والتقدير
٢٦٩	— المخابرات السياسية
٢٧٢	— تقييم المعلومات

الفصل الثالث عشر

٢٧٩	وسائل انتاج المخابرات
٢٨٠	اولا : تقارير المخابرات الجارية
٢٨٠	١ — المخابرات الخام
٢٨١	٢ — المذكرة المكتوبة
٢٨١	٢ — الابلاغ الشفوي المختصر
٢٨١	٤ — المطبوعات اليومية
٢٨٢	٥ — المطبوعات الدورية الاخرى
٢٨٢	٦ — تقديرات المخابرات القومية
٢٨٣	— محلل المخابرات الجارية
٢٨٤	— اخفاق المخابرات الجارية في الماضي
٢٨٩	— تحليل المؤشرات
٢٩١	ثانيا : تقدير المخابرات
٢٩٢	— اهداف التقديرات
٢٩٢	— الانواع المختلفة لتقديرات المخابرات :
٢٩٢	١ — التقدير الاساسي للدولة
٢٩٤	٢ — التقدير الخاص بمشكلة معينة
٢٩٥	٣ — التقدير الخاص بسياسة الدولة

صفحة	
٢٩٦	٤ - التقدير الخاص بمنطقة ما
٢٩٦	٥ - تقدير الموقف العالمي
٢٩٧	- تقسيم تقديرات المخابرات
٢٩٨	- تعريف المشكلة
٣٠٠	- القوام الاستراتيجي
٣٠٠	- النوايا والقدرات
٣٠٢	- مستلزمات التقديرات
٣٠٣	- المشاكل الرئيسية في التقديرات
٣٠٣	- أولا : صعوبة التكهن بالاحداث
٣٠٤	- ثانيا : صعوبة توافر المعرفة
٣٠٦	- ثالثا : تعدد مصادر المعلومات ومشكلة الجمع
٣٠٧	- رابعا : مشكلة التنسيق بين الاجهزة
٣٠٧	- خامسا : مدى الثقة والصعوبات التي تحيط ببعض المواقف
	الفصل الرابع عشر
٣٠٩	اهمية التخطيط
٣١٠	- هيئة التنسيق
٣١٣	- مجلس المخابرات
٣١٤	- التوجيه والتنظيم
	الفصل الخامس عشر
٣٢١	المعرفة والعمل
٣٢٢	- اتخاذ القرارات

٣٢٤	— صانع القرار والمعرفة
٣٢٦	— العلاقة بين نشاط المخابرات والقرارات
٣٢٧	— الحرب الكورية
٣٢٨	— بحث قيمة كوريا الاستراتيجية
٣٣١	— تناقض المعلومات
٣٣٢	— ضعف تنظيم المخابرات
٣٣٣	— تقارير لجنة الامم المتحدة
٣٣٣	— مرافعة ماك آرثر
٣٣٤	— ضعف موقف المخابرات
٣٣٥	— عجز واشنطن عن التكهن بالحركات الصينية
٣٣٧	— غموض نوايا الصين
٣٣٩	— نتيجة الافتراضات الخاطئة
٣٤٠	— دروس من الحرب الكورية
٣٤٣	— فراغ الصواريخ
٣٤٥	— تقديرات القوة العسكرية النسبية

الفصل السادس عشر

٣٥١	خصمنا الاول : المخابرات الاسرائيلية
٣٥٢	— الجانب التاريخي للمخابرات الاسرائيلية
٣٦٠	— العوامل المؤثرة على تنظيم وعمل المخابرات الاسرائيلية
٣٦٢	— الصهيونية العالمية
٣٦٤	— النازية والصهيونية
٣٦٥	— تشابك المصالح القومية والعلاقات الدولية

صفحة	
٣٦٧	— طبيعة المجتمع الاسرائيلي
٣٦٩	— نظام الحكم في الدولة
٣٧٠	— تضارب الجهاز السياسي
٣٧١	— تضارب اجهزة الامن
٣٧٢	— الصفقة المخزية « فضيحة لافون »
٣٧٩	— تنظيم المخابرات الاسرائيلية
٣٨٢	— عقيدة المخابرات الاسرائيلية
٣٨٣	— اسلوب اسرائيل في التجسس
٣٨٦	— استغلال الدين في تحقيق مآربهم
٣٨٧	— نقط الضعف في العملاء
٣٨٩	— استغلال عقدة الذنب بالنسبة لبعض الالمان
٣٨٩	— استخدام بعض العرب المقيمين في اسرائيل
٣٨٩	— تشفيل وتجنيد العملاء
٣٩٠	— الفرز والاختيار
٣٩١	— التقرب وتنمية العلاقات
٣٩٢	— عرف التجنيد
٣٩٣	— التدريب
٣٩٥	— التشفيل
٣٩٧	— مراكز الجاسوسية الاسرائيلية

الفصل السابع عشر

٤٠١	الامن والمجتمع
٤٠٢	— خطورة افشاء الاسرار
٤٠٣	— الامن والديمقراطية

٤٠٥	— الميل للثرثرة
٤٠٧	— تسرب المعلومات
٤١٠	— النموذج البريطاني
٤١١	— التشريع والامن
٤١٣	— نقط الضعف في الديمقراطيات الغربية
٤١٥	— مناطق خطرة
٤١٦	— مكاتب الامن
٤١٧	— الامن في المؤسسات خارج الوطن
٤١٨	— عدم وضوح مفهوم الامن

الفصل الثامن عشر

٤٢١	المخابرات والامن القومي
٤٢٢	— تشوش واختلاط
٤٢٢	— التعريف والتنظيم
٤٢٥	— السياسة والدفاع
٤٢٦	— السياسة العسكرية العريضة
٤٢٧	— متطلبات سياسة الامن القومي
٤٢٨	— تحديد المواقف الخارجية
٤٣٠	— الدوافع
٤٣١	— اختيارات السياسة
٤٣٢	— التخطيط للامن القومي
٤٣٥	— النموذج البريطاني
٤٣٦	— توحيد الفرد والسياسة ومصادر القوى ومجلس الدفاع
٤٤٠	— تغييرات في تكوين الامن القومي
٤٤٥	— دور وزارة الخارجية
٤٥٠	— رئاسة الجمهورية

الفصل التاسع عشر

بين الرقابة والحريات

- ٤٥٧ - نظريات عن السرية
- ٤٥٨ - اعتبارات وضع القرار
- ٤٥٩ - قياس نشاط المخابرات
- ٤٦٠ - العلاقة بين المخابرات والاجهزة التشريعية والتنفيذية
- ٤٦٣ - سياسة المخابرات وبرامج عملها
- ٤٦٧ - مشكلات نظام المخابرات
- ٤٧٠ - ازدواج العمل
- ٤٧٢ - مخاطر الانزلاق في مناقشة موضوع المخابرات
- ٤٧٤ - كيان المخابرات العامة
- ٤٧٦ - الرقابة الجماهيرية والبرلمانية
- ٤٧٨ - تجربة الولايات المتحدة
- ٤٧٨ - القاعدة المعمول بها
- ٤٨٢

الفصل العشرون

دور المخابرات في الحرب الباردة

- ٤٨٥ - آثار انقسام العالم ايدولوجيا
- ٤٨٦ - تطورات ادارات الامن
- ٤٨٨ - الصراع الايدولوجي
- ٤٨٨ - التسلل السري الى الدول النامية
- ٤٨٩ - اتساع نطاق مجال الحرب الباردة
- ٤٩٠ - حروب التحرير
- ٤٩١ - مبدأ ترومان
- ٤٩٣ - اهمية المعلومات في الحرب الباردة
- ٤٩٤

٤٩٦	— أساليب التسليح الشيوعي
٤٩٦	— استخدام الاحزاب الشيوعية
٤٩٨	— منظمات الجبهة
٤٩٨	— مؤتمرات الشباب
٤٩٩	— دور موظفي جهاز الامن في الخارج
٥٠٠	— دعوة الشباب لزيارة موسكو
٥٠١	— بعض أساليب الولايات المتحدة
٥٠٢	— التشهير
٥٠٢	— المنظمات الامريكية شبه الرسمية
٥٠٤	— قانون الامن المتبادل
٥٠٥	— استخدام التجسس والتخريب
٥٠٦	— التآمر ضد سياسة الحياد
٥١١	— الحرب النفسية
٥١٢	— استخدام الدعاية في الانتخابات الإيطالية
٥١٤	— اسقاط النشرات والصحف المضادة
٥١٦	— الراديو الاسود
٥١٨	— مواجهة الولايات المتحدة للتحدي
٥٢١	— تعليق وتحليل
٥٢٣	— الخلاصة

الفصل الحادي والعشرون

٥٢٧	العلم في خدمة المخابرات
٥٢٨	— العقول الميكانيكية
٥٢٩	— طرق مراقبة وتسجيل الاحداث
٥٣٣	— وسائل المخابرات السرية
٥٣٦	— أجهزة تحديد الاتجاه
٥٣٧	— مراقبة وقياس التجارب النووية والصواريخ
٥٣٨	— بحوث اكتشاف الطيران والفضاء

بمكتبة
Bibliotheca Alexandrina



0726426

الوطن العربي

للنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب. ١١/١٦٩٥

